

مَوْعِظَةُ الْقَصْرِ الْمُنِيرِ

مَوْعِظَاتُ تَرْبِيَةِ الْعُقَاةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ لِلْمُعَامِلَاتِ

الجزء الأول

تأليف

الشيخ السيد مراد سلامة

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية

المكتبة المرادية

مُسَوِّعَةُ الْقِصَصِ الْمُنْبَرِيَّةِ

مُسَوِّعَةُ تَرْجُمَةِ الْعُقَايِدِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ الْمَعَامَلِيَّةِ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

تأليف

الشيخ السيد مراد سلامة

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (آل عمران ١٠٢) { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) } (النساء ١)

وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)* } (الأحزاب ٧٠: ٧١)

أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

أما بعد: أخي المسلم: إن القصة لها أثرها الفعال في نفسية المستمع، ولم لا والله تعالى قص علينا أخبار الأمم السابقة، وحدثنا عن أحوالهم وما آلات إليه عاقبتهم، والله تعالى يبين لنا أن في القصص والأخبار عبرة وعظة لأولي النهى والأبصار قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [يوسف: ١١١].

وأخبرنا أيضًا أن القصص الحق سبب من أسباب الثبات على الإيمان فقال تعالى: { وَكَلا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } [هود: ١٢٠].

إنها تحمل عنصر التشويق والإثارة، ويُقبل عليها المستمع والقارئ بعناية وإنصات، وهي كذلك تقدم البرهان على تأهل المعاني المجردة إلى التطبيق على أرض الواقع، وتبرز النموذج والقُدوة الصالحة، وتزيد المرء إيمانًا بقدرة الله تبارك وتعالى وسائر صفاته.

وتبدو أهمية ذلك بشكل أكبر في تربية الناشئة وخطابهم؛ إذ يعاني شباب المسلمين اليوم وفتياتهم من غياب القدوة الصالحة، ومن بروز النماذج والقُدوات السيئة

والإعلاء من شأنها وتبجيلها لدى الناس.

القصة لها دور عظيم في التربية، والمربي الناجح هو الذي يستطيع كيف يوظف القصة القرآنية والنبوية والتاريخية التوظيف التربوي الذي ينفذ من خلاله إلى قلب طلابه وأبنائه؛ ليخرج بعد ذلك بالدروس والعظات والعبر

فالقصة تجسيد للحدث الذي يقوم به المرء فهي نتيجة للاعتقادات والأوامر التي أمر الله تعالى بها عباده، لذا ترى الناس يتأثرون بالقصص أكثر من الأقوال فالخطيب أو الداعية عندما يُلقى محاضرة أو خطبة فإنه يحتاج إلى ما يجذب به أذهان المستمعين إليه ويُشغف آذانهم ويجسد القضية التي يتحدث فيها في قصة من القصص، لذا نرى أن المستمع ينسى كل ما قاله الخطيب إلا القصة لأنها تجسيد وتصوير للعمل... لذا رأيت أن أضع بين يدي كل خطيب وداعية ومحاضر هذا العمل

الذي سميته «موسوعة القصص المنبرية»

والهدف من وضع هذه الموسوعة:

هو التسهيل على الداعية وإراحته من البحث في بطون الكتب عن قصة تخدم وتوافق موضوع محاضراته أو موعظته أو خطبته، وكذلك إجمام لفؤاد القارئ العادي الذي لا يرتقي منبراً فهي مادة تُروى ظمناً لجميع الأطياف الخطيب والداعية والمدرس والمحاضر والعامي كل سيجد فيها بغيته ويُروى غلته، ولقد قمْتُ بفضل الله تعالى بترتيب هذا الكتاب على الاعتقادات، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات، فأصبحت ثمارها سهلة على كل طالب وكل باحث، فهو عبارة عن روضة غناء مثمرة يجد المتنزه فيها غايته ويرى غلته، ولقد اعتنيتُ في اختيار القصص الصحيحة الواقعية الهادفة التي تحث على فعل الخيرات وترك المنكرات، وخرجت كل قصة ونسبتها إلى مصدرها وأثبت ذلك في الهوامش. وسيجد القارئ الكريم ما يشرح صدره ويفرج همه ويشحذ همته للمعالي.

وأسأل الله تعالى أن ينفع به الأمة الإسلامية، وأن يكون لهم بمثانة السراج الذي يضيء لهم في وسط تلك الحوالك، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلوات الله وسلامه على إمام السلف المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين...

وتفوز بالفضل الكبير الخالد

إن شئت أن تحظى بجنة ربنا

تجد الإعانة من إله ماجد

فانهض لفعل الخير واطرق

واعكف على هذا الكتاب فإنه
يهدي إليك كلام أفضل مرسل
فأدم قراءته بقلب خالص
وإدع لكتبه وكلّ مساعد

تأليف:

أبو همام / السيد مراد عبد العزيز سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

جمهورية مصر العربية / محافظة البحيرة / مركز شبراخيت / قرية فرنوى

abo_hamam2012@yahoo.com

الباب الأول: قصص عن العلم وطلبه

الفصل الأول: الحرص على طلب العلم

حرص عمر بن الخطاب ورجل من الأنصار على تعلم العلم:

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- عن عمر بن الخطاب قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوما وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل ذلك فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فضرب بابي ضربا شديدا فقال أثم هو ؛ ففرعت ، فخرجت إليه فقال قد حدث أمرا عظيما ... قال فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي ، قلت : طلقكن رسول الله ؟ قالت لا أدري ثم دخلت على النبي ﷺ فقلت وأنا قائم : أطلقت نساءك ؟ قال لا فقلت الله أكبر (١).

هذا الفتى أعقل مني

قال بن عباس ؓ: لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هلم فنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال : واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى ؟ فتركت ذلك وأقبلت على المسألة فإذا كان يبلغني الحديث عن الرجل فأتيه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب فيخرج فيراني فيقول: يا بن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلي فأتيتك ؟ فأقول أنا أحق أن آتيك ... فأسأله عن الحديث قال: فبقي الرجل حتى رأيته وقد اجتمع الناس على فقال: كان هذا الفتى أعقل مني. (٢)

أنى أصبت العلم

عن بن عباس - رضي الله عنهما قال " كنت آتي باب أبي بن كعب وهو نائم فأقبل على بابه ولو علم بمكاني لأحب أن يوقظ لي لمكاني من رسول الله ﷺ لكنني أكره أن أمله ". وقال ؓ كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحدا إلا سر باتيانني لقربي من رسول الله ﷺ فجعلت أسأل أبي بن كعب يوما ؛ وكان من الراسخين في العلم ، عما نزل بالقران في المدينة ؟ فقال نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرهما بمكة (٣)

وسئل: أنى أصبت العلم؟

١ - وأحمد (٣٣/١) ، رقم (٢٢٢) ، والبخاري (٨٧١/٢) ، رقم (٢٣٣٦) ، ومسلم (١١١١/٢) ،

٢ - أخرجه الدارمي في سننه ، برقم "٥٧٠" / ١ - ١٥٠ - ١٥١ ورجاله ثقات وأحمد في الفضائل ١٩٢٥ وإسناده صحيح.

٣ - الطبقات الكبرى - (٢ / ٣٧١). تاريخ جرجان - (١ / ٢٨٧)

فأجاب: بلسان سؤال. وقلب عقول. (١)

من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ومن قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه. (٢) ولقد كان أبو هريرة حريصاً على حفظ أحاديث الرسول ﷺ لذا شكى للنبي ﷺ كثرة النسيان فدعا له ﷺ فما نسي شيئاً.

فعن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه قال: أبسط رداءك، فبسطه قال: فغرف بيديه ثم قال: ضمه فضممته فما نسيت شيئاً بعده. (٣)

أسألك أن تعلمني مما علمك الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أن رسول الله ﷺ قال " ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟ قلت أسألك أن تعلمني مما علمك الله فنزع نمرة (٤) كانت على ظهري، فبسطها بيني وبينه حتى كأني أنظر إلى النمل يدب عليها فحدثني حتى إذا استوعبت حديثه قال: أجمعها فصرها إليك ". فأصبحت لا أسقط حرفاً مما حدثتني. (٥)

يرحمك الله، فإنك غليم معلم

عن ابن مسعود، قال: كنت أرى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، فقال: " يا غلام، هل من لبن؟ " قال: قلت: نعم، ولكنني مؤتمن، قال: " فهل من شاة لم ينزل عليها الحل؟ " فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلبه في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: " اقلص " فقلص، قال: ثم أتيت به بعد هذا، فقلت: يا رسول الله، علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي، وقال: " يرحمك الله، فإنك غليم معلم " (٦)

كيف شهوتك للعلم؟

استمع إلى الشافعي رحمه الله وهو يحدث عن نفسه فيقول: " حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين. (٧)

١ - المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي - (١ / ٣٣٢) فضائل الصحابة - أحمد بن حنبل - (٢ / ٩٧٠)

٢ - أخرجه البخاري (٤٩/١، رقم ٩٩). وأخرجه أيضاً: أحمد (٣٧٣/٢، رقم ٨٨٤٥) و

٣ - أخرجه أحمد ح ٧٢٧٥ والبخاري (١١٩) و (٣٦٤٨)، والترمذي (٣٨٣٥) والترمذي (٣٨٣٤)

٤ - والنمرة: شملة فيها خطوط بيض وسود.

٥ - جاله ثقات، وأخرجه أبو نعيم في " الحلية " ١ / ٣٨١، وهو في تاريخ ابن عساكر ١٩ / ١١٣

٦ - أخرجه أحمد - (٦ / ٨٢) أخرجه ابن حبان (٧٠٦١) من طريق أبي بكر بن عياش، بهذا الإسناد.

٧ - التقييد - (١ / ٤٣) ترجمة الأئمة الأربعة - (١ / ١١٩) و تهذيب التهذيب - (٩ / ٢٥) طبقات الحفاظ -

• أسمع بالحرف – أي بالكلمة – مما لم أسمع فتود أعضائي أن لها أسماعا تتنعم به ما تنعمت به الأذنان.

ف قيل له: كيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المتنوع في بلوغ لذته للمال. ف قيل له فكيف طلبك له؟

قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيرة. (١)

من أشبه أبا فما ظلم

حرص أبي حاتم وأبنة عبد الرحمن رحمهما الله.

ذكر الحافظ الذهبي في ترجمة أبي حاتم الرازي محمد بن إدريس المتوفى سنة ٢٧٧هـ أن أبا حاتم قال: قال لي أبو زرعة يعني الرازي ما رأيت أحرص على طلب الحديث منك فقلت له: أن عبد الرحمن أبني لحريص، فقال: من أشبه أبا فما ظلم. قال الرمام وهو أحمد بن علي أحد رجال إسناد الخبر – فسأل عبد الرحمن عن اتفاق كثرة السماع له وسؤاله لأبيه فقال: ربما كان يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه. (٢)

لا يستطاع العلم براحة الجسد!

قال الذهبي -رحمه الله-: قال علي بن أحمد الخوارزمي قال: أبني حاتم كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة، نهارنا ندور على الشيوخ وبالليل ننسخ ونقابل، فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخنا فقالوا هو " عليل " فرأيت سمكة أعجبتنا فاشتريناها، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ فمضينا فلم تزل السمكة ثلاثة أيام، وكادت أن تنتن فأكلناها نيئة لم نتفرغ لشويها، ثم قال لا يستطاع العلم براحة الجسد! " (٣)

كنت البارحة ها هنا؟

حرص أحمد بن الأزهر النيسابوري -رحمه الله-. قال مكّي بن عبدان: سمعت أبا الأزهر يقول: خرج عبد الرزاق إلى قريته فبكرت إليه يوما، حتى خشيت على نفسي من البكور، قال فوصلت إليه قبل أن يخرج لصلاة الصبح فلما خرج رأني فقال: كنت البارحة ها هنا؟ قلت لا خرجت في الليل، فأعجبه ذلك، فلما فرغ من صلاة الصبح دعاني وقرأ علي هذا الحديث وخصني به دون أصحابي (٤)

ألن جانبك لقومك يحبوك

لما احتضر ذو الإصبع العدواني دعا ابنه أسيد فقال له: يا بني إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش وإني موصيك بما لو حفظته بلغت في قومك ما

١ - علو الهمة ص ١٤٧.

٢ - تاريخ دمشق - (٥٢ / ١٢) تهذيب الكمال - (٢٤ / ٣٨٨) سير أعلام النبلاء - (١٣ / ٢٥١) تاريخ ابن عساكر

٣ - سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٩١.

٤ - سير أعلام النبلاء - (١٢ / ٣٦٨) تاريخ بغداد " ٤ / ٤٢

بلغته، ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسوودك وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بما لك واعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك وأسرع النهضة في الصريح فإن لك أجلا لا يعدوك وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا فبذلك يتم سيؤودك. (١)

ابن حزم الأندلسي

: ابن حزم الأندلسي، قال الذهبي: قال أبو بكر محمد بن طرخان التركي: قال لي الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد . يعني: والد أبي بكر بن العربي: أخبرني أبو محمد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة، فدخل المسجد، فجلس، ولم يركع، فقال له رجل: قم فصل تحية المسجد، وكان قد بلغ ستا وعشرين سنة، قال: فقمتم وركعت، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة، دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، فقبل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة. وكان بعد العصر. قال: فانصرفت وقد حزنت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون، قال: فقصدته، وأعلمته بما جرى، فدلني على موطأ مالك، فبدأت به عليه، وتتابع قراءتي عليه وعلى غيره نحو من ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة. اهـ.

ونقل الحموي في معجم الأدباء عن أبي محمد بن العربي أيضا: أن أبا محمد بن حزم ولد بقرطبة، وجده سعيد ولد بأونبه، ثم انتقل إلى قرطبة وولي فيها الوزارة ابنه أحمد ثم ابنه عليّ الإمام، وأقام في الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنه ستا وعشرين سنة، وقال: إنني بلغت إلى هذا السن وأنا لا أدري كيف أجبر صلاة من الصلوات. اهـ.

يا ابن عبد السلام أتريد العلم أم العمل؟

ومن هؤلاء أيضا سلطان العلماء العز بن عبد السلام، قال السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: كان الشيخ عز الدين في أول أمره فقيرا جدا ولم يشتغل إلا على كبر، وسبب ذلك أنه كان يبيت في الكلاسة من جامع دمشق فبات بها ليلة ذات برد شديد فاحتلم فقام مسرعا ونزل في بركة الكلاسة فحصل له ألم شديد من البرد وعاد فنام فاحتلم ثانيا، فعاد إلى البركة، لأن أبواب الجامع مغلقة وهو لا يمكنه الخروج فطلع فأغمي عليه من شدة البرد. أنا أشك هل كان الشيخ الإمام يحكي أن هذا اتفق له ثلاث مرات تلك الليلة أو مرتين فقط.

ثم سمع النداء في المرة الأخيرة: يا ابن عبد السلام أتريد العلم أم العمل؟

^١ - كتاب جواهر الأدب ص ١٨٨ الأغاني - (٣ / ٩٥) جمهرة خطب العرب - (١ / ١٢٠) التذكرة الحمدونية - (١ / ١٤٦) وصور من وصايا الأنبياء والآباء

فقال الشيخ عز الدين: العلم لأنه يهدي إلى العمل، فأصبح وأخذ التنبيه فحفظه في مدة يسيرة، وأقبل على العلم فكان أعلم أهل زمانه ومن أعبد خلق الله تعالى. اهـ.

تجالسنا وأنت تلحن!

الإمام الكسائي المقرئ المعروف وشيخ العربية الذي قال عنه الإمام الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو، فهو عيال على الكسائي. كما نقل الذهبي في السير وقال: الإمام شيخ القراءة والعربية ... اختار قراءة اشتهرت، وصارت إحدى السبع. اهـ.

قال أبو البركات الأنباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء: قال أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء: إنما تعلم الكسائي النحو على الكبر، وكان سبب تعلمه أنه جاء يوماً وقد مشى حتى أعيا، فجلس إلى قوم فيهم فضل، وكان يجالسهم كثيراً، فقال: قد عييت، فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن! فقال: كيف لحت؟ فقالوا: إن كنت أردت من التعب، فقل: أعييت؟ وإن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل: عييت مخففة، فأنف من هذه الكلمة وقام من فوره فسأل عمن يعلم النحو، فأرشدوه إلى معاذ الهراء، فلزمه حتى أنفذ ما عنده، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل بن أحمد وجلس في حلقة، فقال رجل من الأعراب: تركت أسداً وتميماً وعندهما الفصاحة، وجئت إلى البصرة؟! وقال للخليل بن أحمد: من أين علمك؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي وأنفذ خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، ولم يكن له هم غير البصرة والخليل، فوجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس بن حبيب البصري النحوي، فجرت بينهما مسائل أقرّ له يونس فيها، وصدّره موضعه. اهـ.

حرص أبي يوسف

وقال محمد بن قدامة: "سمعت شجاعاً يقول: سمعت أبا يوسف يقول: مات ابنٌ لي فلم أحضر تجهيزه ولا دفنه، وتركته على جيراني وأقربائي؛ مخافة أن يفوتني من أبي حنيفة شيء لا تذهب حسرتي عني!"

الإمام أبو يوسف القاضي وهو في بداية طلبه على شيخه وأستاذه الإمام أبو حنيفة، يقول: "مات ابنٌ لي" القائل هو أبو يوسف، يقول: فتركته لإخواني وجيراني فلم أحضر تجهيزه ولا تغسيله؛ مخافة أن يفوتني شيء في مجلس الإمام أبي حنيفة - رَحِمَهُ اللَّهُ - فأتحسر على ترك هذا الفقه في الدين فأتحسر عليه بقية عمري.

المذاكرة حتى الصباح:

ذكر محمد بن فضيل عن أبيه قال: كان الحارث بن يزيد العُكَلِي، وابن سُبرمة، والقَعْقَاع بن يزيد، ومغيرة إذا صلوا العشاء الآخرة جلسوا في الفقه، فلم يفرق بينهم إلا أذان الصبح.

وقال علي بن الحسن بن شقيق: قمت لأخرج مع ابن المبارك في ليلة باردة من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث أو ذاكرته فما زلنا نتذاكر حتى جاء المؤذن للصبح.

وكان محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى لا ينام الليل، كان عنده الماء يزيل نومه به، وكان يقول: إن النوم من الحرارة، فلا بد من دفعه بالماء البارد. وذكر ابن اللباد أن محمد بن عبدوس صلى الصبح بوضوء العتمة (أي: العشاء) ثلاثين سنة، خمس عشرة سنة من دراسة، وخمس عشرة سنة من عبادة. وكان البخاري رحمه الله يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج فيكتب الفائدة تمر بخاطره، ثم يطفئ سراج، ثم يقوم مرة أخرى، حتى كان يتعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة. قل لمن نام وهو يطلب مجدا فاتك المجد يا حليف الوسائد وقال آخر:

إذا شام الفتى برق المعالي فأهون فائت طيب رقاد
وقال عبد الرحمن بن قاسم العتقي المصري أحد أصحاب مالك والليث وغيرهما:
كنت آتي مالكا غلساً -يعني: في آخر الليل- فأسأله عن مسألتين أو ثلاث أو أربع،
وكنت أجد منه في ذلك الوقت انشراح صدر، فكنت آتية كل سحر، فتوسدت مرة
عتبته، فغلبتني عيني فنمت، وخرج مالك إلى المسجد ولم أشعر به، فركضتني
جارية سوداء له برجلها، وقالت لي: إن مولاك قد خرج، ليس يغفل كما تغفل أنت،
اليوم له تسع وأربعون سنة ما صلى الصبح إلا بوضوء العتمة.

أما أسد بن الفرات قاضي القيروان

أما أسد بن الفرات قاضي القيروان، وتلميذ الإمام مالك، ومدون مذهبه، وأحد القادة الفاتحين، فتح صقلية واستشهد بها سنة (٢١٣) من الهجرة، كان قد خرج من القيروان إلى الشرق سنة (١٧٢) من الهجرة، فسمع الموطأ على مالك بالمدينة، ثم رحل إلى العراق فسمع من أصحاب أبي حنيفة وتفقه عليهم، وكان أكثر اختلافه إلى محمد بن الحسن الشيباني، ولما حضر عنده قال له: إني غريب قليل النفقة، فما حيلتي؟!

فقال له محمد بن الحسن: اسمع من العراقيين بالنهار، وقد جعلت لك الليل وحدك، تبیت عندي وأسمعك. قال أسد: فكنت أبیت عنده وينزل إلي، ويجعل بين يديه قدحاً فيه الماء، ثم يأخذ في القراءة، فإذا طال الليل ونعست ملأ يده ونفح وجهي بالماء فأنتبه، فكان ذلك دأبه ودأبي، حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه. قال أبو يعلى الموصلي:

اصبر على مضض الإدلاج بالسحر وبالرواح على الحاجات والبكر
لا تعجزن ولا يضجرك مطلبها فالنجاح يتلف بين العجز والضجر
أي أن النجاح يتبخر ويضيع بين العجز والضجر.

الفصل الثاني: الرحلة في طلب العلم

رحلة أبي ذر - رضي الله عنه - وحرصه على طلب الهداية

عن أبي حمزة : أن ابن عباس أخبرهم عن بدء إسلام أبي ذر قال بلغه أن رجلاً خرج بمكة يزعم أنه نبي فبعث أخاه فقال انطلق إلى مكة حتى تأتيني بخبره وذكر قصة إسلامه أنه انطلق حتى أتى مكة معه شنة فيها ماؤه وزاده فدخل المسجد ولم يسأل أحداً عن شيء ولم يلق رسول الله - ﷺ - وكان في ناحية المسجد حتى أمسى فمر به على بن أبي طالب فقال أما آن للرجل أن يعرف منزله فمر معه على أثره حتى دخل على رسول الله - ﷺ - وأخبره خبره ثم أسلم فقال يا رسول الله مرني بما شئت قال ارجع إلى أهلِكَ حتى يأتيك خبري فقال والله ما كنت لأرجع حتى أصرخ بالإسلام فخرج إلى المسجد فصاح بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فقال المشركون صبأ الرجل صبأ الرجل ثم قاموا إليه فضربوه حتى سقط (١)

رحلة جابر بن عبد الله - وحرصه على طلب العلم

عن عبد الله بن محمد بن عقيل، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بغيراً، ثم شددت عليه رحلي، فسرت إليه شهراً، حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يثأر ثوبه فاعتنقني، واعتنقته، فقلت: حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص، فخشيت أن تموت، أو أموت قبل أن أسمعته، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يحشر الناس يوم القيامة - أو قال: العباد - عراة غرلاً بهما " قال: قلنا: وما بهما؟ قال: " ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من [بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار، أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة " قال: قلنا: كيف وإنا نأتي الله عز وجل عراة غرلاً بهما؟ قال: " بالحسنات والسيئات " (٢)

رحلة أبي أيوب إلى مصر من أجل طلب حديث واحد

١ - البخاري: ٦ / ٤٠٠ و ٧ / ١٣٢ ، ١٣٤ في المناقب: باب إسلام أبي ذر، ومسلم رقم (٢٤٧٤)

٢ - أخرجه أحمد - (٢٥ / ٤٣٣) أخرجه الحافظ في "تغليق التعليق" ٣٥٥/٥ من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد

عطاء بن أبي رباح، يقول: خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر -وهو بمصر- يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيره، وغير عقبة فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري، وهو أمير مصر، فأخبر به فعجل إليه فعانقه ثم قال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة، فابعث إلى من يدلني على منزله، قال: فبعث معه، من يدلّه على منزل عقبة، فأخبر عقبة به فعجل، فخرج إليه فعانقه ، وقال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ ، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال عقبة : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : من ستر مؤمنا في الدنيا على خزية ، ستره الله يوم القيامة فقال له أبو أيوب : صدقت ، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته ، فركبها راجعا إلى المدينة ، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر.(١)

رحلة مالك ابن الحويرث ومن معه

رضي الله عنهم إلى النبي ﷺ

عن أبي قلابة ، عن مالك بن الحويرث قال : "أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رحيمًا رفيقًا فلما رأى شوقنا إلى أهالينا ، قال : ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحذكم وليؤمكم أكبركم". (٢)

قال الحافظ في الفتح : قوله : "ونحن شبة" بفتح المعجمة والموحدين جمع شاب زاد في الأدب من طريق بن علي عن أيوب ، شبة متقاربون ، والمراد تقاربهم في السن ، لأن ذلك كان في حال قدومهم قوله نحوا من عشرين في رواية بن علي المذكورة الجزم به ولفظه : فأقمنا عنده عشرين ليلة والمراد بأيامها .

وقوله : "رحيمًا ، فقال لو رجعتم" ، في رواية بن علي وعبد الوهاب رحيمًا رفيقًا ، فظن أنا اشتقنا إلى أهلنا وسألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، فقال: "ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم" ، ويمكن الجمع بينهما بأن يكون عرض ذلك عليهم على طريق الإيناس بقوله لو رجعتم إذ لو بدأهم بالأمر بالرجوع لأمكن أن يكون فيه تنفير ، فيحتمل أن يكونوا أجابوه بنعم فأمرهم حينئذ بقوله ارجعوا ، واقتصار الصحابي على ذكر سبب الأمر برجوعهم بأنه الشوق إلى أهليهم دون قصد التعليم هو لما قام عنده من القرينة الدالة على ذلك ، ويمكن أن يكون عرف ذلك

^١ - أخرجه الحميدي ح ٣٨٤ ، و تعجيل المنفعة - (٢ / ٤١٠) رقم ١٢٣١ و " الرحلة " (٣٥) و (٣٦) و (٣٧) ،

^٢ - رواه البخاري برقم (٦٠٢) ، ومسلم برقم (٦٧٤) .

بتصريح القول منه ﷺ ، وإن كان سبب تعليمهم قومهم أشرف في حقهم لكنه أخبر بالواقع ولم يتزين بما ليس فيهم، ولما كانت نيتهم صادقة صادف شوقهم إلى أهلهم الحظ الكامل في الدين وهو أهلية التعليم، كما قال الإمام أحمد في الحرص على طلب الحديث حظ وافق حقا. اهـ. (١)

الحارث بن عميرة ورحلته لطلب العلم

عن عبد الأعلى بن أبي المساور ، عن عكرمة ، عن الحارث بن عميرة قال : قدمت من الشام إلى المدينة في طلب العلم فسمعت معاذ بن جبل ﷺ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "المتحابون في الله لهم منابر من نور يوم القيامة يغطهم الشهداء". (٢)

فأقمت معه ، فذكرت له الشام وأهلها وأشعارها ، فتجهز إلى الشام ، فخرجت معه فسمعتة يقول لعمر بن العاص رضي الله عنهما : لقد صحبت النبي ﷺ وأنت أضل من حمار أهله ، فأصاب ابنه الطاعون وامرأته فماتا جميعا ، فحفر لهما قبرا واحدا فدفنا ، ثم رجعنا إلى معاذ وهو ثقیل فبكينا حوله فقال : إن كنتم تبكون على العلم فهذا كتاب الله بين أظهركم فاتبعوه فإن أشكل عليكم شيء من تفسيره فعليكم بهؤلاء الثلاثة عويمر أبي الدرداء ، وابن أم عبد ، وسلمان الفارسي وإياكم وزلة العالم وجدال المنافق ، فأقمت شهرا ثم خرجت إلى العراق فأتيت بن مسعود ﷺ فقال نعم الحي أهل الشام لولا أنهم يشهدون على أنفسهم بالنجاة قلت : صدق معاذ ، قال وما قال ، قلت : أوصاني بك وبعويمر أبي الدرداء وسلمان الفارسي ، وقال وإياكم وزلة العالم وجدال المنافق ثم تنحيت فقال لي يا بن أخي إنما كانت زلة مني فأقمت عنده شهرا ثم أتيت سلمان الفارسي ، فسمعتة يقول قال رسول الله ﷺ : "إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" ، فأقمت عنده شهرا يقسم الليل ويقسم النهار بينه وبين خادمه. (٣)

إبراهيم الحربي - رحمه الله:-

قال أبو العباس ثعلب: ما فقدته في مجلس نحو ولا لغة نحو خمسين سنة ، خمسون سنة وإبراهيم الحربي يتردد على حلقات العلم حتى بلغ في العلم المنزلة أن شبهه بعض أصحابه بالإمام أحمد - رحمه الله-. (٤)

ومن حرص السلف على العلم أن تركوا الأهل والأوطان وعانوا الغربة والفقر من أجل تحصيله حالهم كما يقول المتنبي

^١ - فتح الباري (١٧١/٢) .

^٢ - صحيح الجامع حديث رقم (٤٣١٢) ..

^٣ - المستدرک علی الصحیحین رقم (٨٢٩٦)

^٤ - معالم في طريق طلب العلم ص ٨٦.

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر وإلا قدام قتال (١) مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ

وروي عن الرازي ما يدهش اللب من علو همته في الرحلة لتحصيل العلم إذا قال " أول ما رحلت أقمت سبع سنين ومشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، ثم تركت العدد وخرجت من البحرين إلى مصر ماشيا ثم إلى الرملة ماشيا ثم إلى طرسوس ولي عشرون سنة) (٢)

سأضرب في طول البلاد وعرضها لأطلب علما أو أموت غربيا
فإن تلفت نفسي فله ردها وإن سلمت كان الرجوع قريبا (٣)

أفيكم ابن القاسم؟

قال بن القاسم: أنخت بباب مالك سبع عشر سنة ما بعت فيها ولا اشتريت شيئا، قال فبينما أنا عنده، إذا أقبل حاج مصر فإذا شاب مثلثم دخل علينا، فمسلم على مالك، فقال أفيكم ابن القاسم؟ فأشير إلي فأقبل يقبل عيني ووجدت منه ريحا طيبة، فإذا هي رائحة الولد، وإذا هو أبني وكان بن القاسم ترك أمه حاملا به وكانت أبنه عمه؛ وقد خيرها عند سفره لطول إقامته فاختارت البقاء" (٤)

الحارث بن عميرة ورحلته لطلب العلم

عن عبد الأعلى بن أبي المساور، عن عكرمة، عن الحارث بن عميرة قال: قدمت من الشام إلى المدينة في طلب العلم فسمعت معاذ بن جبل عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "المتحابون في الله لهم منابر من نور يوم القيامة يغبطهم الشهداء". (٥)

الأيام والليالي لطلبه الحديث الواحد

وروي مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد.

قال ابن حجر: وسيأتي نحو ذلك عن غيره وفي حديث جابر دليل على طلب علو الإسناد لأنه بلغه الحديث عن عبد الله بن أنيس فلم يقنعه حتى رحل فأخذه عنه بلا واسطة. (٦)

^١ - أدب الدنيا والدين - (١ / ٤٠٢) الياقوتة - (١ / ٧٩) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان - (٢ / ١٨٥) الإعجاز والإيجاز - (١)

/ (٢١٦) الحماسة المغربية - (١ / ٥٣) شرح ديوان المتنبي - (١ / ٣٥٢)

^٢ - تذكرة الحفاظ وذبوله - (٢ / ١١٢) تهذيب التهذيب - (٩ / ٢٩)

^٣ - علو الهمة ص ١٥٧ - ١٥٨ و البيت في الصلة - (١ / ١٠٦) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس - (١ / ٩٦)

^٤ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١ / ١٥٧)،

^٥ - صحيح الجامع حديث رقم (٤٣١٢).

^٦ - فتح الباري (١ / ١٧٥).

حرص بقي بن مخلد الأندلسي

ومن هؤلاء العلماء الذين تحملوا المشاق والغربة في تحصيل العلم. بقي بن مخلد الأندلسي -رحمه الله-

رحل إلى بغداد ماشياً على قدميه وكان جل بغيته أن يلقي إمام أهل السنة أحمد بن حنبل -رحمه الله- ليأخذ عنه العلم حكى عنه أنه قال لما قربت من بغداد أتصل بي خبر المحنة التي دارت على أحمد بن حنبل، وأنه ممنوع من الاجتماع إليه والسماع منه، فاغتممت بذلك غماً شديداً، فاحتلت الموضوع فلم أعرج على شيء بعد إنزالي متاعي في بيت اكتريته في بعض الفنادق أن أتيت المسجد الجامع الكبير، وأنا أريد أن أجلس إلى الخلق وأسمع ما يتذكرونه فدفعت إلى حلقة نبيلة فإذا برجل يكشف عن الرجال فيضعف ويقوي، فقلت: من هذا؟ لمن كان قربي فقال: هذا يحيى بن معين فرأيت فرجه قد انفرجت قربه فقمته إليه فقلت له أبا ذكريا رحمك الله: رجل غريب نائي الدار، أردت السؤال فلا تستخفني فقال لي: قل فسألته عن بعض من لقيت من أهل الحديث فبعضاً يزكي وبعضاً جرح، فسألته في آخر السؤال عن هاشم بن عمار وكنت قد أكثرت من الأخذ منه فقال أبو الوليد هاشم بن عمار صاحب صلاة دمشقي ثقة فوق الثقة، ولو كان تحت رداءه كبر وتقلد كبراً ما ضره شيئاً لمخبرة وفضله فصاح أهل الحلقة بكيفيك رحمة الله عليك غيرك له سؤال.

فقلت وأنا واقف على قدمي أكشفك عن رجل واحد: أحمد بن حنبل؛ فنظر إلي يحيى بن معين كالمتعجب وقال لي " ومثلنا نحن يكشف عن أحمد بن حنبل؟! إن ذاك إمام المسلمين وخيرهم وفضلهم، فخرجت أستدل على منزل أحمد بن حنبل فدللت عليه فقرعت بابه فخرج إلي وفتح الباب فنظر إلى رجل لم يعرفه، فقلت: يا أبا عبد الله رجل غريب الدار، وهذا أول دخولي هذا البلد، وأنا طالب حديث ومقيد سنة - أي جامع سنة - ولم تكن رحلتي إلا إليك، فقال أدخل الأسطوان ولا تقع عليك عين، فقال لي: وأين موضعك؛ قلت المغرب الأقصى، فقال لي أفريقية؛ فقلت أبعد من ذلك أجوز من بلدي البحر إلى أفريقية، الأندلس، فقال لي: إن موضعك بعيد، وما كان شيء أحب إلي من أن أحسن عون مثلك على مطلبه غير أنني في حينى هذا ممتحن بما لعله قد بلغك، فقلت به: بلي قد بلغني، وأنا قريب من بلدك مقبل نحوك، فقلت له: يا أبا عبد الله هذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم فإن أذنت لي أن آتي في كل يوم في زي السؤال فأقول عند باب الدار ما يقولون، فتخرج إلى هذا الموضع فلو لم تحدثني في كل يوم إلا بحديث واحد لكان فيه كفاية، فقال لي: نعم على شرط أن لا تظهر في الخلق ولا عند أصحاب الحديث، فقلت شرطك "

فكنت أخذ عوداً بيدي وألف رأسي بخرقه وأجعل كاغدي أي: ورقي ودواتي في كمي، ثم آتي بابه فأصيح الأجر رحمكم الله والسؤال هنالك كذلك، فيخرج إلي ويغلق باب الدار ويحدثني بالحديثين والثلاثة والأكثر. فالتزمت ذلك، حتى مات

الممتحن له ، وولي بعده من كان على مذهب السنة فظهر أحمد بن حنبل وسما ذكره ، وعظم في عيون الناس وعلت إمامته ، وكانت تضرب إليه آباط الإبل ، فكان يعرف لي حق صبري فكنت إذا أتيت حلقته فسح لي وأدناني من نفسه ويقول الأصحاب الحديث : هذا يقع عليه اسم طالب العلم ، ثم يقص عليهم قصتي فاعتلت أشفيت منها ففقدني من مجلسه فسأل عني فأعلم بعلي فقام من فوره مقبلا إلي عائدا لي بمن معه وأنا مضطجع في البيت الذي كنت اكرتيت ولبيدي تحتي وكسائي علي ، وكتبي عند رأسي فسمعت الفندق قد ارتج بأهله وأنا أسمعهم يقولون هو الذي أبصروه ، هذا أمام المسلمين مقبلا ، فبدر إلي صاحب الفندق مسرعا فقال لي : أبا عبد الرحمن هذا أبو عبد الله أحمد بن حنبل إمام المسلمين مقبلا إليك عائدا لك ، فدخل فجلس عند رأسي وقد احتشي البيت من أصحابه فلم يسعهم حتى صارت فرقة في الدار وقوفا وأقلامهم بأيديهم ، فما زادني على هذه الكلمات فقال لي : يا أبا عبد الرحمن أبشر بثواب الله أيام الصحة لا سقم فيها ، وأيام السقم لا صحة فيها أعلاك الله إلى العافية ، ومسح عنك بيمينه الشافية ، فرأيت الأقلام تكتب لفظة ، ثم خرج عني فأتاني أهل الفندق يلطفون بي ويخدمونني ديانة وحسبة ، فواحد يأتي بفراش وآخر بلحاف ، وبأطايب من الأغذية وكانوا في تمرريض أكثر من تمرريض أهلي لو كنت بين أظهرهم لعيادة الرجل الصالح (١)

رحلة الأهوال

عن ابن أبي حاتم قال سمعت أبي يقول: خرجنا من المدينة، من عند داود الجعفري، وصرنا إلى الجار وركبنا البحر، فكانت الريح في وجوهنا، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر، وضائق صدورنا، وفني ما كان معنا، وخرجنا إلى البر نمشي أياما، حتى فني ما تبقى معنا من الزاد والماء، فمشينا يوما لم نأكل ولم نشرب، ويوم الثاني كمثل، ويوم الثالث، فلما كان يكون المساء صلينا، وكنا نلقي بأنفسنا [حيث كنا]، فلما أصبحنا في اليوم الثالث، جعلنا نمشي على قدر طاقتنا، وكنا ثلاثة أنفس: شيخ نيسابوري، وأبو زهير

المرورودي، فسقط الشيخ مغشيا عليه، فجئنا نحركه وهو لا يعقل، فتركناه، ومشينا قدر فرسخ، فضعفت، وسقطت مغشيا علي، ومضى صاحبي يمشي، فبصر من بعد قوما، قربوا سفينتهم من البر، ونزلوا على بئر موسى، فلما عاينهم، لوح بثوبه إليهم، فجاءوه معهم ماء في إداوة.

فسقوه وأخذوا بيده، فقال لهم: الحقوا رفيقين لي، فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي، ففتحت عيني، فقلت: اسقني، فصب من الماء في مشربة قليلا، فشربت، ورجعت إلى نفسي، ثم سقاني قليلا، وأخذ بيدي، فقلت: ورائي شيخ ملقى، فذهب جماعة إليه، وأخذ بيدي، وأنا أمشي وأجر رجلي، حتى إذا بلغت إلى

^١ - سير أعلام النبلاء - (١٣ / ٢٩٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - (٢٠ / ٣١٨)

عند سفينتهم، وأتوا بالشيخ، وأحسنوا إلينا، فبقينا أياما حتى رجعت إلينا أنفسنا، ثم كتبوا لنا كتابا إلى مدينة يقال لها: راية، إلى واليهم، وزودونا من الكعك والسويق والماء.

فلم نزل نمشي حتى نفذ ما كان معنا من الماء والقوت، فجعلنا نمشي جياعا على شط البحر، حتى دفعنا إلى سلحفاة مثل الترس، فعمدنا إلى حجر كبير، فضربنا على ظهرها، فانفلق، فإذا فيها مثل صفرة البيض، فتحسيناه حتى سكن عنا الجوع، ثم وصلنا إلى مدينة الراية، وأوصلنا الكتاب إلى عاملها، فأنزلنا في داره، فكان يقدم لنا كل يوم القرع، ويقول لخدامه: هاتي لهم اليقطين المبارك. فيقدمه مع الخبز أياما، فقال واحد منا: ألا تدعو باللحم المشؤوم؟! فسمع صاحب الدار، فقال: أنا أحسن

بالفارسية، فإن جدتي كانت هروية، وأتانا بعد ذلك باللحم، ثم زدنا إلى مصر وسمعت أبي يقول: كتبت الحديث سنة تسع، وأنا ابن أربع عشرة سنة، وكتبت عن عتاب بن زياد المروزي سنة عشر، فلما قدم علينا حاجا وكنت أفيد الناس عن أبي عبد الرحمن المقرئ، وأنا بالري، فيخرج الناس إليه، فيسمعون منه، ويرجعون وأنا بالري (١)

خيثمة بن سليمان في رحلته

خيثمة بن سليمان بن حيدرة، الإمام محدث الشام أبو الحسن القرشي الطرابلسي، أحد الثقات سمع أبا عتبة أحمد بن الفرج الحمصي، ومحمد بن عوف الحافظ، وإبراهيم بن عبد الله القصار، والحسين بن محمد بن أبي معشر، ومحمد بن عيسى بن حيان المدائني صاحب سفيان بن عيينة، وعبد الله بن أبي مرة المكي، وإسحاق بن إبراهيم الدبري، والعباس بن الوليد البيروتي وطبقتهم، ورحل إلى العراق والحجاز واليمن وجمع وصنف.

قال الخطيب خيثمة ثقة ثقة قد جمع فضائل الصحابة، قال بن أبي كامل سمعت خيثمة يقول: ركبنا البحر وقصدت جبلة [بلدة بساحل بحر الشام قرب اللاذقية] لأسمع من يوسف بن بحر، ثم خرجت إلى أنطاكية فلقينا مركب فقاتلناهم ثم تسلم مركبنا قوم من مقدمه فأخذوني ثم ضربوني وكتبوا أسماءنا فقال ما اسمك قلت خيثمة، فقال اكتب حمار بن حمار، ولما ضربت سكرت ونمت فرأيت كأني أنظر إلى الجنة، وعلى بابها جماعة من الحور العين.

فقلت إحداهن يا شقي أيش فاتك، قالت أخرى أيش فاته قالت لو قتل كان في الجنة مع الحور، فقالت لها لأن يرزقه الله الشهادة في عز من الإسلام وذل من الشرك خير له ثم انتهت.

١ - سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٩٥ ٥٩٦. الجرح والتعديل: ١ / ٣٦٤ - ٣٦٦.

قال : ورأيت كأن من يقول لي اقرأ براءة ، فقرأت إلى قوله تعالى : ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾. التوبة (٢) .

قال فعددت من ليلة الرؤيا أربعة أشهر ففك الله أسري .(١)

الفصل الثالث: تعظيم الحكام لمنزلة العلماء

إنما أردت تعظيم العلم

استدعى الرشيد أبا معاوية الضرير محمد ابن خازم ليسمع منه الحديث قال أبو معاوية: ما ذكرت عنده حديثاً إلا قال ﷺ على سيدي، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى، وأكلت عنده يوماً ثم قمت لأغسل يدي فصب الماء علي، وأنا لا أراه، ثم قال يا أبا معاوية أتدري من يصب عليك الماء؟ قلت: لا، قال: يصب عليك أمير المؤمنين. قال أبو معاوية: فدعوت له.

فقال: إنما أردت تعظيم العلم. وحدثه أبو معاوية يوماً عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بحديث احتجاج آدم وموسى (٢)

حقيق أن لا يُخَوَّجَ إلى طلب المعاش

لأبي عبيد القاسم بن سلام قصة طريفة مع عبد الله بن طاهر تدل على تقدير الأمراء لعقول العلماء، وتكريم النابغين منهم، فإنه لما وضع أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب "غريب الحديث" عرضه على عبد الله بن طاهر، فاستحسنه.

وقال: "إن عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق أن لا يُخَوَّجَ إلى طلب المعاش"، ثم أجرى له كل شهر عشرة آلاف درهم.(٣)

هكذا يفعل بالعلماء والكبراء

قال الشعبي «صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس -رضي الله عنهما- فأخذ بركابه.

^١ - تذكرة الحفاظ (٣/٨٥٨-٨٥٩) .

^٢ - أخرجه: أحمد (٢/٣١٤ و ٢٨٧) والبخاري (١١/٦١٨/٦٦١٤) ومسلم (٤/٢٠٤٢ - ٢٠٤٣/٢٠٤٢) .

^٣ - تاريخ بغداد ٤٠٦/١٢، وابن عساکر: تاريخ دمشق ٧٤/٤٩، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٢٨٤/٨.

فقال له زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا يفعل بالعلماء والكبراء»^(١)

العناية بالعلماء

عن أبي بكر بن أبي مريم، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى والي حمص: «مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث»^(٢)

الباب الثاني العقيدة

الفصل الأول: قصص في الإخلاص

دخل الجنة رجل في ذباب

عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ : قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب». قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: "مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذباباً، فحمله ذباباً فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة»^(٣)

قصة أصحاب الغار وإخلاصهم لله

عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بي في طلب شيء يوماً ، فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت والقدر على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج.

قال النبي -ﷺ- وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها

^١ - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٤٥٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٦٠)

^٢ - شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ١٥٥)

^٣ - شعب الإيمان - (٥/ ٤٨٥) رقم ٧٣٤٣ وأخرجه أحمد في " الزهد " (ص ١٥ - ١٦).

عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسيها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه. فتخرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

قال النبي -ﷺ- وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراً فأعطيتهم أجراً، غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد إلى أجرى. فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي. فقلت إني لا أستهزئ بك. فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون. (١)

لتركبن سنن من كان قبلكم

عن أبي واقد الليثي قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركون سدره (٢) يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدره ، فقلنا : يا رسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ } قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ { (الأعراف : ١٣٨) ، لتركبن سنن من كان قبلكم » (٣)

نوح عليه السلام وكلمة الإخلاص

عن عبد الله بن عمرو قال كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان مزرورة بالديباج فقال ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس قال يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجامع جبته وقال ألا أرى عليك لباس من لا يعقل ثم قال إن نبي الله نوحاً ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه إني قاص عليك الوصية آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله

١ - أخرجه أحمد ١١٦/٢ (٥٩٧٣) و"البخاري" ١١٩/٣ (٢٢٧٢) و"مسلم" ٩١/٨ (٧٠٥١) و"أبو داود" ٣٣٨٧

٢ - السدره : شجرة ذات شوك

٣ - أخرجه الحميدي (٨٤٨). و"أحمد" ٢١٨/٥ (٢٢٢٤٢) و"الترمذي" ٢١٨٠، وقال الألباني: صحيح، ظلال الجنة (٧٦)

وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر.

قال: قلت: أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟

قال: أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟

قال لا.

قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها.

قال: لا.

قال الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟

قال لا.

قال أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟

قال: لا.

قيل يا رسول الله فما الكبر؟

قال: سفه الحق وغمص الناس (١)

قصة البطاقة

عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي له تسع وتسعون سجلا كل سجل مد البصر، فيقول له: أتتكر من هذا شيئا؟

أظلمك كتبتي الحافظون؟

فيقول: لا يا رب.

فيقول: بلى، إن لك عندي حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة، فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك.

فيقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟

فتثقل البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيئا» (٢)

إذا بسطت يدي فاعلم أنها قبلت مني

^١ - أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (٥٤٨) و أحمد (٢ / ١٦٩ - ١٧٠ ، ٢٢٥) وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٣٤

^٢ - أخرجه ابن ماجه (١٤٣٧/٢ رقم ٤٣٠٠) ، والحاكم (٧١٠/١) ، الترمذي (٢٤/٥ ، رقم ٢٦٣٩) وقال الألباني : صحيح ، المشكاة (

٥٥٥٩) ، الصحيحة (١٣٥) ،

للإمام الماوردي قصة في الإخلاص في تصنيف الكتب، فقد ألف المؤلفات في التفسير والفقه وغير ذلك ولم يظهر شيء في حياته و" قال لمن يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأنني لم أجد نيّة خالصة، فإذا عاينت الموت ووقعت في التّزع، فأجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتها، فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة. وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك، فاعلم أنها قبلت، وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من الله.

قال ذلك الشّخص: فلما قارب الموت، وضعت في يده يدي، فبسطها ولم يقبض على يدي، فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه بعده". (١)

كانت بينهم وبين الله أسرار

عبد الواحد بن زيد قال: كنت مع أيوب السخثياني على حراء، فعطشت عطشا شديدا، حتى رأى ذلك في وجهي، وقلت له، قد خفت على نفسي.

قال: تستر علي؟

قلت نعم.

فاستحلفني، فحلفت له ألا أخبر أحدا ما دام حيا.

فغمز برجله على حراء، فنبع الماء، فشربت حتى رويت، وحملت معي من الماء. (٢)

وأنت يا أبا عمر ممن يُشنع علينا

عن عبدة بن سليمان المروزي قال: كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعة فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته، فإذا هو هو.

فقال: وأنت. (٣)

اللهم اجعلني مع صاحب النقب

^١ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٣٠ / ٢٥٤) والضوء اللامع (١ / ١٣) تاريخ الإسلام ت بشار (٩ / ٧٥٢)

^٢ - تذكرة الحفاظ وذيلوله (١ / ٩٩) إسناده مسلسل بالضعفاء، وعبد الواحد بن زيد متروك.

^٣ - سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٩٥) تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٧.

قال الأصمعي قال: حاصر مسلمة بن عبد الملك حصنا فأصابهم فيه جهد عظيم فندب الناس إلى نقب منه فما دخله أحد فجاء رجل من الجند فدخله ففتح الله عليهم فنادى منادي مسلمة أين صاحب النقب؟

فما جاء أحد حتى نادى مرتين أو ثلاثا أو أربعا فجاء في الرابعة رجل فقال أنا أيها الأمير صاحب النقب آخذ عهدا وموathيقا ثلاثا لا تسودوا اسمي في صحيفة ولا تأمروا لي بشيء ولا تشغلوني عن أمري.

قال فقال له مسلمة قد فعلنا ذلك بك.

قال فغاب بعد ذلك فلم ير .

قال فكان مسلمة بعد ذلك يقول في دبر صلاته اللهم اجعلني مع صاحب النقب (١)"

علي بن الحسين زين العابدين

كان علي بن الحسين زين العابدين يحمل الصدقات والطعام ليلاً على ظهره، ويوصل ذلك إلى بيوت الأرمال والفقراء في المدينة، ولا يعلمون من وضعها، وكان لا يستعين بخادم ولا عبد أو غيره... لئلا يطلع عليه أحد

قال محمد بن إسحاق: كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به.

ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرمال والمساكين في الليل.

وقيل إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات. (٢)

لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكي لفعلت

صحب رجل محمد بن أسلم فقال: لازمته أكثر من عشرين سنة لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع في مكان يراه الناس إلا يوم الجمعة، وسمعتة كذا وكذا مره يحلف ويقول: " لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكي لفعلت خوفاً من الرياء " (٣)

أحييتني أحياءك الله "

^١ - تاريخ دمشق (٥٨ / ٣٦)

^٢ - البداية والنهاية-(٩/ ١٢٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٣) وابن عساكر ١٢ / ٢١ آ، وانظر الحلية ٣ / ١٣٦.

^٣ - سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٠٠) وحلية الأولياء " ٩ / ٢٤٣، و " الوافي بالوفيات " ٢ / ٢٠٤.

اجتمع الفضيل بن عياض وسفيان الثوري يوماً، فجلسوا يتذكرون شيئاً من الرقائق ففرق كل واحد منهم وبكى، فقال سفيان الثوري -رحمه الله -: " أرجوا أن يكون هذا لمجلس علينا رحمة وبركة " فقال الفضيل بن العياض: " ولكنني أخاف يا أبا عبد الله ألا يكون أضُرُّ علينا.... أَلست تخلصت من أحسن حديثك وتخلصتُ أنا إلى أحسن حديثي... فتزيتُ لك.. وتزيتَ لي... فبكى سفيان الثوري -رحمه الله - وقال " أحييتني أحياءك الله " (١)

الخوف من الشهرة

يقول أيوب السخيتاني لأبي مسعود الجريري: " إني أخاف ألا تكون الشهرة قد أبقت لي عند الله حسنة... إني لأمر بالمجلس.... فأسلم عليهم.... وما أرى أن فيهم أحداً يعرفني، فيردون علي السلام بقوة، ويسألونني مسألة كأن كلهم قد عرفني، فأني خير مع هذا " (٢)

ما هذا البكاء؟

هذا أبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي، يقول عنه خادمه أبو عبد الله، كان محمد يدخل بيتا ويُغلق بابه، ويدخل معه كوزاً من ماء، فلم أدر ما يصنع، حتى سمعتُ ابناً صغيراً له يبكي بكاءً، فنهتة أمه، فقلتُ لها: ما هذا البكاء؟ فقالت إن أبا الحسن يدخل هذا البيت، فيقرأ القرآن ويبكي، فيسمعه الصبي فيحكيه، فإذا أراد أن يخرج غسل وجهه؛ فلا يرى عليه أثر البكاء. (٣)

إخلاص عبد الله بن المبارك

يقول محمد بن أعين وكان صاحب ابن المبارك في أسفاره: كنا ذات ليلة ونحن في غزو الروم، فذهب عبد الله بن المبارك ليضع رأسه ليريني أنه ينام، يقول فوضعت رأسي على الرمح لأريه أنني أنام كذلك، قال: فظن أنني قد نمت، فقام فأخذ في صلاته، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمقه، فلما طلع الفجر أيقظني وظن أنني نائم، وقال: يا محمد، فقلتُ: إني لم أنم، فلما سمعها مني ما رأيته بعد ذلك يُكلمني ولا ينبسط إليّ في شيء من غزاته كلها، كأنه لم يعجبه ذلك مني لما فطنت له من العمل، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات، ولم أر رجلاً أسرَّ بالخير منه. (٤)

إخلاص عبد الرحمن بن أبي ليلى -رحمه الله-

^١ - سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦٧) و " الحلية " ٧ / ٦٤ ،

^٢ - التواضع والخمول (ص: ٨٢)

^٣ - سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٠١) وحلية الأولياء " ٩ / ٢٤٣ .

^٤ - الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم ١ / ٢٦٦ .

كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يصلي في بيته فإذا شَعَرَ بأحدٍ قطع صلاة النافلة ونام على فراشه (١)- كأنه نائم - فيدخل عليه الداخل ويقول: هذا لا يفتر من النوم؟! غالب وقته على فراشه نائم؟!!

وما علموا أنه يصلي ويخفي ذلك عليهم .

إخلاص بشر الحافي - رحمه الله-

جاء رجل يقال له حمزة بن دهقان لبشر الحافي العابد الزاهد المعروف، فقال أحب أن أدخلوا معك يوماً، فقال: لا بأس تُحدد يوماً لذلك، يقول فدخلت عليه يوماً دون أن يشعر فرأيته قد دخل قبة فصلى فيها أربع ركعات لا أحسن أن أصلي مثلها فسمعتة يقول في سجوده " اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل -يقصد بالذل عدم الشهرة- أحب إلي من الشرف.. اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى.... اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنني لا أؤثر على حبك شيئاً" يقول فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء، فقال: "اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن هذا هنا لم أتكلم". (٢)

إخلاص إبراهيم النخعي-رحمه الله -

قال الأعمش: كنت عند إبراهيم النخعي وهو يقرأ في المصحف، فاستأذن عليه رجل فغطى المصحف وقال: لا يراني هذا أنني أقرأ فيه كل ساعة. (٣)

إخلاص أيوب السخثياني-رحمه الله-

وهذا عبد الواحد بن زيد يخبرنا بحديثٍ عجيبٍ حصل لأيوب وقد عاهده ألا يخبر إلا أن يموت أيوب، قال عبد الواحد: كنت مع أيوب فعطشنا عطشاً شديداً حتى كدنا نهلك، فقال أيوب: تستر علي؟

قلت: نعم إلا أن تموت، قال: عبد الواحد فغمز أيوب برجله على حِراءٍ فتفجّر منه الماء فشربت حتى رويت وحملت معي.

كانت بينهم وبين الله أسرار لو أقسم منهم على الله أحد لأبّره لإخلاصهم وصدقهم مع الله تبارك وتعالى.

وقال سلام بن أبي مطيع: كان أيوب السخثياني رحمه الله يقوم الليل يُخفي ذلك، فإذا كان قبيل الصبح رفع صوته، كأنه إنما قام تلك الساعة. (٤)

^١ -[السير (تهذيبه) ١ / ٤٩٤].

^٢ - «سير أعلام النبلاء - ط الحديث» (٨ / ٤٩٠)

^٣ -[صفة الصفوة ٣ / ٥٩].

^٤ -[صفة الصفوة ٣ / ٢١٠].

* وقال حماد بن زيد: كان أيوب السخثياني رحمه الله ربما حُدِّث بالحديث فيرقّ، فيلتفت فيمتخط ويقول: ما أشدّ الزكام. (١)
وبكى أيوب السخثياني رحمه الله مرةً فأخذ بفمه، فقال: إن هذه الزكمة ربما عرضت. وبكى مرة أخرى فاستبنا بكاه فقال: إن الشيخ إذا كبر مَجَّ. (٢)
وقال سلام بن مسكن: كان أيوب السخثياني رحمه الله ممن يُخفي زهده دخلنا عليه، فإذا هو على فراش مُخَمَّسٍ أحمر، فرفعته، أو رفعه بعض أصحابنا، فإذا خَصَفَةٌ محشوةٌ بليف. (٣)

إخلاص كرز - رحمه الله -

قال أبو سليمان المكتب: صحبت كرزاً رحمه الله إلى مكة، فكان إذا نزل أخرج ثيابه فألقاها في الرحل، ثم تنحى للصلاة، فإذا سمع رغاء الإبل أقبل، فاحتبس يوماً عن الوقت، فأنبث أصحابه في طلبه، فكنت فيمن طلبه، قال: فأصبته في وهدة يصلي في ساعة حارة، وإذا سحابة تظله، فلما رأيته أقبل نحوي فقال: يا أبا سليمان لي إليك حاجة، قال: قلت: وما حاجتك يا أبا عبد الله؟ قال: أحب أن تكتم ما رأيته، قال: قلت: ذلك لك يا أبا عبد الله، فقال: أوثق لي، فحلفت ألا أخبر به أحداً حتى يموت. (٤)

إخلاص عبد الله بن محيريز - رحمه الله -

عن بشير بن صالح. قال: دخل ابن مُحَيْرِيز حانوتاً بدابق وهو يريد أن يشتري ثوباً. فقال رجلٌ لصاحب الحانوت: هذا ابن مُحَيْرِيز فأحسن بيعه. فغضب ابن مُحَيْرِيز وخرج وقال: إنما نشترى بأموالنا لسنا نشترى بديننا. (٥)

إخلاص سفيان بن عيينة - رحمه الله -

قال ابن عيينة: كان من دعاء المطرّف بن عبد الله: " اللهم إني أستغفرك مما زعمت أني أريد به وجهك، فخالط قلبي منه ما قد علمت ".

وكان رحمه الله إذا حَدَّثَ بحديث النبي صلى الله عليه وسلم يشتدُّ عليه البكاء وهو في حلقة، فكان يشدُّ العمامة على عينه ويقول: ما أشدَّ الزكام..... ما أشدَّ الزكام.....

إخلاص عبد الغني المقدسي - رحمه الله -

روى صاحب طبقات الحنابلة: أن عبد الغني المقدسي المحدث الشهير، كان مسجوناً في بيت المقدس في فلسطين، فقام من الليل صادقاً مع الله مخلصاً،

^١ - [صفة الصفوة ٣ / ٢١١].

^٢ - [موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ١٨٠].

^٣ - [السير (تهذيبه) ٢ / ٦٢٦].

^٤ - [الحلية (تهذيبه) ٢ / ١٤٧].

^٥ - المعرفة والتاريخ ٢ / ٣٦٤.

فأخذ يصلي، ومعه في السجن قوم من اليهود والنصارى، فأخذ يبكي حتى الصباح، فلما أصبح الصباح ورأى أولئك النفر هذا الصادق العابد المخلص، ذهبوا إلى السجن، وقالوا: أطلقنا فإننا قد أسلمنا، ودخلنا في دين هذا الرجل، قال: ولم؟ أدعاكم للإسلام؟ قالوا: ما دعانا للإسلام، ولكن بتنا معه في ليلة ذكرنا بيوم القيامة...!

اللهم احشرنني مع صاحب النفق

ومن عجائب المخلصين ما حصل لصاحب النفق، فقد حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً، فندب الناس إلى نُقْب منه، فما دخله أحد فجاء رجل من عُرض الجيش، فدخله ففتحه الله عليهم: فنادى مسلمة: «أين صاحب النُّقْب؟»، فما جاء أحد، فنادى: إني قد أمرت الأذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء، فجاء رجل، فقال: استأذن لي على الأمير، فقال له: أنت صاحب النُّقْب؟ قال: أنا أخبركم عنه، فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له، فقال: إن صاحب النُّقْب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسودوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه: ممن هو؟

قال مسلمة: فذاك له، قال: «أنا هو»، فكان مسلمة لا يصلي بعدها إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب." (١)

إخلاص علي بن الحسين زين العابدين-رحمه الله-

وعن شَيْبَةَ بن نَعَامَةَ قال: كان علي بن الحسين رحمه الله يُبَخِّل فلما مات، وجدوه يَقُوت مائة أهل بيت بالمدينة. (٢)

* وعن محمد بن إسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يَعِيشُونَ لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين رحمه الله، فقدوا ما كانوا يُؤْتُونَ به بالليل. (٣)

* وعن أبي حمزة الثُّمَالِي قال: كان علي بن الحسين رحمه الله يحمل جرابَ الخبز على ظهره بالليل فيتصدَّق به، ويقول: إن صدقة السرِّ تطفئ غضب الربِّ عز وجل. (٤)

^١ - [عيون الأخبار (١/ ١٧٢)]

^٢ - [صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩].

^٣ - [صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩].

^٤ - [صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩].

* وعن عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين رحمه الله، فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سُود في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل جُرْبَ الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة. (١)

إخلاص داود بن أبي هند-رحمه الله-

وهذا داود بن أبي هند ذكر في ترجمته أنه صام أربعين سنة لا يعلم به أهله، كان يخرج في مهنته، ويأخذ معه غداءه، فيتوهمون أنه مُفْطِر، فيتصدق به في الطريق، فيرجع آخر النهار إلى أهله فيأكل معهم. (٢)

إخلاص بن الجوزي - رحمه الله-

الإمام ابن الجوزي يبكي عند الموت فيقول له تلاميذه: يا إمام ألسنت قد فعلت كذا وكذا؟ فقال: والله إنني أخشى أن أكون فرطت ونافقت فيحق عليّ قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨)} [الزمر: ٤٧ - ٤٨]. (٣)

قصة عجيبة في الإخلاص لله جلّ وعلا

قال ابن المبارك رحمه الله: قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر وهم يستسقون في المسجد الحرام، وكنت في الناس مما يلي باب بني شيبه، إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش، قد ائتزرا بإحداهما و، وألقى الأخرى على عاتقه، فصار في موضع خَفِيٍّ إلى جانبي، فسمعتة

يقول: إلهي أَخْلَقْتَ الوجوه كثرةً الذنوبِ ومساوئ الأعمال، وقد منعَتنا غيثَ السماء لتؤدّب الخليفة بذلك، فأسألك يا حليماً ذا أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل، اسقهم الساعة الساعة.

قال ابن المبارك: فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى استوت بالغمام، وأقبل المطر من كل مكان، وجلس مكانه يُسَبِّح، وأخذت أبكي، فلما قام تبعته حتى عرفت موضعه.

فجئت إلى فضيل بن عياض: فقال لي: مالي أراك كئيباً؟

^١ - [صفة الصفوة ٢ / ٤٤٩].

^٢ - «أصول الوصول إلى الله تعالى» (ص ٩٥)

^٣ - «موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق» (١ / ١٤)

فقلت: سَبَقْنَا إِلَى اللَّهِ غَيْرَنَا فَتَوَلَّاهُ دُونَنَا!

قال: وما ذاك؟

فقصصت عليه القصة فصاح وسقط.

وقال: ويحك يا ابن المبارك خذني إليه.

قلت: قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه فلما كان من الغد صليت الغداة وخرجت إلى الموضع فإذا شيخ على الباب قد بُسِطَ له وهو جالس، فلما رأيته عرفني.

وقال: مرحبًا بك يا أبا عبد الرحمن، حاجتك. فقلت له: احتجت إلى غلام أسود.

فقال: نعم عندي عدة فاختر أيهم شئت؟

فصاح يا غلام، فخرج غلام جلد.

فقال: هذا محمود العاقبة أرضاه لك.

فقلت: ليس هذا حاجتي فما زال يُخْرِجُ إِلَيَّ واحدًا واحدًا حتى أَخْرَجَ إِلَيَّ الغلام، فلما أبصرت به بدرت عيناى .

فقال: هذا هو؟

قلت: نعم.

فقال ليس إلى بيعه سبيل.

قلت: ولِمَ؟

قال: قد تبرّكت لموضعه في هذه الدار وذاك أنه لا يزورني شيئًا.

قلت: ومن أين طعامه؟

قال: يكسب من قبل الشريط نصف دانق أو أقل أو أكثر فهو قوته، فإن باعه في يومه وإلا طوى ذلك اليوم. وأخبرني الغلمان عنه أنه لا ينام هذا الليل الطويل، ولا يختلط بأحد منهم مشغول بنفسه، وقد أحبه قلبي.

فقلت له: أنصرفُ إلى سفیان الثوري، وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة؟

فقال: إن ممشاك عندي كبير خُذْهُ بما شئت.

قال: فاشتريته وأخذت نحو دار فضيل، فمشيت ساعة.

فقال لي: يا مولاي؟

قلت: لبيك

قال: لا تقل لي لبيك فإن العبد أولى أن يلبي المولى!

قلت: حاجتك يا حبيبي؟

قال: أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة وقد كان لك في غيري سعة، قد أخرج إليك من هو أجلد مني.

فقلت: لا يراني الله وأنا أستخدمك، ولكني أشتري لك منزلاً وأزوجك وأخدمك أنا بنفسي!

قال: فبكي.

فقلت: ما يبكيك؟

قال: أنت لم تفعل فيّ هذا إلا وقد رأيت بعض متصلاتي بالله تعالى وإلا فلم اخترتني من بين الغلمان؟

فقلت له: ليس بك حاجة إلى هذا!

فقال لي: سألتك بالله إلا أخبرتني،

فقلت: بإجابة دعوتك.

فقال لي: إني أحسبك إن شاء الله رجلاً صالحاً، إن لله - عز وجل - خيرة من خلقه لا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده ولا يظهر عليهم إلا من ارتضى.

ثم قال لي: ترى أن تقف على قليلاً فإنه قد بقيت على ركعات من البارحة.

قلت: هذا منزل فضيل قريب.

قال: لا. ها هنا أحب إليّ أمر الله - عز وجل - لا يؤخر فدخل من باب الباحة إلى المسجد فما زال يصلي حتى إذا أتى على ما أراد التفت إليّ.

فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل من حاجة؟

قلت: ولم؟

قال: لأنني أريد الانصراف!

قلت: إلى أين؟

قال: إلى الآخرة !!

قلت: لا تفعل، دعني أَسْرُبُ بك.

فقال لي: إنما كانت تطيب الحياة، حيث كانت المعاملة بيني وبينه تعالى فأما إذا اطلعت عليها أنت فسيطلع عليها غيرك فلا حاجة لي في ذلك، ثم خَرَّ لوجهه.

فجعل يقول: إلهي اقْبِضْني إليك الساعة الساعة .

فدنوت منه فإذا هو قد مات. فوالله ما ذكرته قط إلا طال حزني وصغرت الدنيا في عيني. (١)

الفصل الثاني: قصص في حُسن الإِتِّباع

أطيعوني ما أطعت الله ورسوله

أبو بكر - رضي الله عنه- لما تولى الخلافة ﷺ تكلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعيني ، وإن أساءت فقومي ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة والضعف فيكم قوي عندي حتى أريح (٢) عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله . (٣)

كيف تقاتل الناس

يقول الإمام الذهبي - رحمه الله-: لما اشتهرت وفاة النبي بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم فأشار عليه عمرو وغيره أن يفتر عن قتالهم ، فقال : والله لو منعوني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلهم على منعهما ، فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، وقد قال : إلا بحقها فقال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق . (٤)

لولا أبو بكر استخلف ما عبد الله

^١ - [المنتظم ٨ / ٢٢٣ - ٢٢٥].

^٢ - أريح: أراحه : أرجعه حقه .

^٣ - السيرة النبوية لابن هشام وقال ابن كثير في البداية : إسناده صحيح. الثقات لابن حبان - (٢ / ١٥٧) الكامل في التاريخ - (١ / ٣٦١)

^٤ - أخرجه البخاري رقم ١٣٣٩ في كتاب الزكاة رقم ١٠٩٧ ، وأخرجه أحمد ومسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " والله الذي لا إله إلا هو ، لولا أبو بكر استخلف ما عبد الله "" ، ثم قالها ثانية وثالثة ، فقيل له : مه يا أبا هريرة ، فقال : "" إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذي خشب قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب حول المدينة ، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا بكر، رد هؤلاء ، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟ فقال : " والذي لا إله غيره ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ، ولا حلت لواء عقده رسول الله " فوجه أسامة... " (١).

موقفه من ميراث النبي ﷺ

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : " إن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه "" ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "" لا نورث ما تركنا صدقة "" ، فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر . (٢)
فلما مرضت جاءها الصديق فدخل عليها فجعل يترضاها فرضيت. (٣)
وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خيبر وفدك، وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: "" لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ... "" (٤).
وفي رواية أنه قال: "" والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته "" (٥).

لو لا أني رأيت رسول الله ﷺ -يقبلك ما قبلتك

ومن صور حرص السلف على الإتيان والافتداء حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-فها هو يحج بيت الله الحرام ويطوف به حتى إذا وقف على الحجر الأسود فقال : كما عند البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : رأيت عمر بن الخطاب ﷺ قبل الحجر الأسود وقال : لو لا أني رأيت رسول الله ﷺ -

^١ - نقله الحافظ ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٣٠٥/٦) ، عن الحافظ أبي بكر البيهقي وساق سنده هناك .

^٢ - قال الحافظ ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٣٣٣/٦) :

^٣ - رواه البيهقي من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، ثم قال : وهذا مرسل حسن بإسناد صحيح . ((العواصم من القواصم)) ص (٣٨).

^٤ - رواه البخاري في ((الصحيح)) كتاب فرض الخمس ، باب فرض الخمس (٢٢٧/٦) ((فتح)) برقم (٣٠٩٢ ، ٣٠٩٣) .

^٥ - رواه البخاري في ((الصحيح)) كتاب الفرائض ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : "" لا نورث ما تركنا صدقة "" (٧/١٢) ((فتح)) برقم (٦٧٢٧) .

يقبلك ما قبلتك . (١) وفي رواية أخرى قال: أما والله أني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي - ﷺ - أستلمك ما استلمتك.

والله إنه للموضع الذي وضعه النبي - ﷺ -

وعن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب أخي عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر بن الخطاب فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وكان ذبح للعباس فرخان. فلما وصل الميزاب صب ماء بدم الفرخين [فأصاب عمر وفيه دم الفرخين] فأمر عمر بقلع الميزاب ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابا غير ثيابه [ثم جاء] فصلى بالناس فأثاه العباس فقال : والله إنه للموضع الذي وضعه النبي - ﷺ - فقال عمر للعباس : وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ ففعل ذلك العباس (٢)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال لأبيه: سمعت الناس يقولون مقالةً فآليتُ أن أقولها لك، زعموا أنك غير مستخلف، فوضع رأسه ساعةً ثم رفعه فقال: "إن الله عز وجل يحفظ دينه، وإني إن لا أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف". قال [عبد الله] : فو الله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر . فعلمت أنه لم يكن يعدل برسول الله ﷺ أحدًا وأنه غير مستخلف". (٣)

اتباعه في الرمل رضي الله عنه-

وقال رضي الله عنه بعد أن قبّل الحجر الأسود: "ما لنا وللرمل، إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه". (٤)

استلامه الركن - رضي الله عنه-

وعن يعلى بن أمية قال: كنت مع عمر رضي الله عنه فاستلم الركن ، قال يعلى: وكنت مما يلي البيت، فلما بلغت الركن الغربي الذي يلي الأسود وحدرت بين يديه لأستلم، فقال: ما شأنك؟ قلتُ: ألا تستلم هذين؟ قال: ألم تطف مع رسول الله ﷺ

١ - رواه البخاري في "الصحيح" كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود (٥٤١/٣) ، "فتح" . ومسلم في "الصحيح" كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (١٦/٩).

٢ - أخرجه خرجه أحمد في (المسند) (٢١٠/١) وابن سعد في (الطبقات) (٢٠/٤) وأخرج الحاكم في (المستدرک) قصة طويلة متضمنة لما في هذا الأثر (٣٣٢/٣١/٣)

٣ - أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه (٢٠٥/١٢) "نووي" والإمام أحمد في المسند (٤٧/١) واللفظ له .

٤ - رواه الإمام البخاري في "الصحيح" كتاب الحج، باب الرمل (٥٥٠/٣) فتح برقم (١٦٠٥)

، فقلت: بلى، قال: رأيته يستلم هذين الركنين . يعني الغربيين . ؟ قلت: لا، قال: فليس لك فيه أسوة حسنة ؟ قلت: بلى، قال: فانفذ عنك"" (١).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: ""قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين يدينهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجهٌ عند هذا الأمير تستأذن لي عليه ؟ قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن لي عيينة، فلما دخل قال: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل.

فغضب عمر حتى همّ بأن يقع به فقال الحرّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين. فو الله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه. وكان وقافاً عند كتاب الله"" (٢).

هما المرآن اقتدى بهما

وعن أبي وائل قال: جلست مع شيبة على كرسي في الكعبة فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر رضي الله عنه، فقال: ""لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته. قلت: إن صاحبك لم يفعل. قال: هما المرآن اقتدى بهما"" (٣).

وفي رواية: قال شيبة لعمر: ""ما أنت بفاعل، قال: بلى لأفعلن، قال: قلت: ما أنا بفاعل، قال: لم ؟ قلت: لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى مكانه، أبو بكر، وهما أحوج منك إلى المال فلم يحركاه، فقام فخرج"" (٤).

لا سبيل لي إلي شيء سماه محمد.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نظر عمر إلى أبي عبد الحميد أو ابن عبد الحميد، شك أبو عوانة، وكان اسمه محمداً، ورجل يقول له: يا محمد، فعل الله بك وفعل وفعل.

قال: وجعل يسبه.

^١ - أخرجه أحمد في (المسند) (٢٢٢/٤) والبيهقي في (السنن) (٧/٥) وعبد الرزاق في (المصنف) حديث رقم (٨٩٤٥).

^٢ - أخرجه الإمام البخاري في (الصحيح) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (١٣/ ٢٦٤) (فتح) برقم (٧٢٨٦٩).

^٣ - أخرجه الإمام البخاري في (الصحيح) كتاب الحج باب كسوة الكعبة (٥٣٣/٣) برقم (١٥٩٤).

^٤ - أخرجه أبو داود في (سننه) كتاب الحج باب في مال الكعبة برقم (٢٠٣١).

قال: فقال أمير المؤمنين عند ذلك: يا ابن زيد ادن مني.

قال: ألا أرى محمداً يسب بك لا والله لا تدعى محمداً ما دمت حيّاً، فسماه عبد الرحمن، ثم أرسل إلى بني طلحة ليغير أهلهم أسماءهم وهم يومئذ سبعة وسيدهم وأكبرهم محمد.

قال : فقال محمد بن طلحة: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، فو الله إن سماني محمداً يعني إلا محمد ﷺ، فقال عمر: قوموا لا سبيل لي إلي شيء سماه محمد. (١)

من مواقف حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في اتباع السنة

حرص ابن عباس - رضي الله عنهما - على الاتباع

عن بكر بن عبد الله المزني قال: «كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة، فأتاه أعرابي، فقال: ما لي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ، أمن حاجة بكم، أم من بخل؟

فقال ابن عباس: الحمد لله، ما بنا من حاجة ولا بخل، قدم النبي ﷺ على راحلته، وخلفه أسامة، فاستسقى، فأتيناه بإناء من نبيذ، فشرب، وسقى فضله أسامة، وقال: أحسنتم، وأجملتم كذا، فاصنعوا، فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ». (٢)

من مواقف رافع بن خديج وعمه رضي الله عنهما في اتباع السنة

أخرج الإمام مسلم عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: "كنا نحاول الأرض على عهد رسول الله ﷺ فنكرها بالثلث والربع والطعام المسمى، فجاءنا ذات يوم رجل من عمومتي، فقال: نهاها رسول الله ﷺ عن أمر كان لنا نافعا، وطواعيت الله ورسوله أنفع لنا، نهانا أن نحاول بالأرض فنكرها على الثلث والربع والطعام المسمى وأمر رب الأرض أن يزرعها أو يزرعها وكره كراءها وما سوى ذلك". (٣) أخرجه مسلم في "صحيح" كتاب البيوع، باب كراء الأرض (النووي ٢٠٤/١٠). وهذا النهي عن كراء الأرض محمول على أنه كان في أول ما قدم النبي ﷺ المدينة، ثم أذن لهم في شيء معلوم.

١ - أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٢١٦/٤) وابن الأثير في "أسد الغابة" (٣٢٣/٤).

٢ - أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الحج، باب فضل القيام بالسقاية والثناء على أهلها (٦٣/٩ - ٦٤).

٣ - أخرجه مسلم في "صحيح" كتاب البيوع، باب كراء الأرض (النووي ٢٠٤/١٠).

وهذا النهي عن كراء الأرض محمول على أنه كان في أول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، ثم أذن لهم في شيء معلوم. ومحمول على أن النهي إذا كان مع الثلث وما تنبت الأرض الشمالية مثلاً، أو قوله: لك الثلث وما نبت على الجداول (أي السواقي).

ومحمول على أن النهي إذا كان مع الثلث وما تنبت الأرض الشمالية مثلاً، أو قوله: لك الثلث وما نبت على الجداول (أي السواقي).

من مواقف عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في اتباع السنة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: "هبطنا مع رسول الله ﷺ من ثنية أذخر.

قال: فنظر إليّ رسول الله ﷺ فإذا عليّ رِيْطَةٌ مضرجة بعصفر. فقال: "ما هذه؟" فعرفت أن رسول الله ﷺ قد كرهها، فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورهم فلففتها ثم ألقيتها فيهن ثم أتيت رسول الله ﷺ، فقال: "ما فَعَلْتَ الرِيْطَةُ" قال: قلت: قد عرفت ما كرهت منها فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورهم فألقيتها فيه. فقال النبي ﷺ: "فها لكسوتها بعض أهلك".^(١)

من مواقف عبد الله بن راحة رضي الله عنه في اتباع السنة

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أن عبد الله بن راحة رضي الله عنه أتى النبي ﷺ ذات يوم وهو يخطب، فسمعه وهو يقول: "اجلسوا"، فجلس مكانه خارجاً عن المسجد حتى فرغ النبي ﷺ من خطبته فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال له: "زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله".^(٢)

من مواقف أبي عبيدة وأبي طلحة وأبي بن كعب رضي الله عنهم في اتباع السنة

أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه قال: "كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح وأبا طلحة وأبي بن كعب شرباً من فضيخ وتمر فأتاهم آتٍ، فقال: إنّ الخمر قد حرمت، فقال: أبو طلحة يا أنس، قم إلى هذه الجرة فاكسرها، فقامت إلى مھراس لنا فضربت بها بأصله حتى تكسرت...".^(٣)

وفي رواية لمسلم عنه رضي الله عنه، قال: "كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة وما شربهم إلا الفضیخ البسر والتمر، فإذا منادٍ ينادي، فقال: اخرج فانظر، فخرجت فإذا منادٍ ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فجرت في سكك المدينة. فقال أبو طلحة اخرج فأهرقها فھرقتها...".^(٤)

اجلسوا

^١ - أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١٩٦/٢)، وأبو داود في "السنن" برقم (٤٠٦٦)، وابن ماجه في "السنن" برقم (٣٦٠٣) وقال الألباني: حسن.

^٢ - ذكره صاحب "الكنز" (٤٥١/١٣)، برقم (٣٧١٧٣). وعزاه لابن عساكر: وعزاه الحافظ في "الإصابة" للبيهقي وصح إسناده

^٣ - متفق عليه: البخاري في "الصحيح" كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، وهي من البر والتمر، (٤/١٠) "فتح" برقم (٥٥٨٢)، ومسلم في

"الصحيح" كتاب الأشربة، باب تعريف الخمر (١٥١/١٣) "النووي". الحديث.

^٤ - أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الأشربة، باب تعريف الخمر (١٤٨٠/١٣) "النووي" ..

عن جابر قال لما استوى رسول الله ﷺ يوم الجمعة قال اجلسوا فسمع ابن مسعود فجلس على باب المسجد فرآه رسول الله ﷺ فقال تعال يا عبد الله بن مسعود (١)

ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ بقول أحد من الناس.

أخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال: شهدت عليا وعثمان بين مكة والمدينة وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلما رأى ذلك علي أهل بهما جميعا فقال: لبيك بحجة وعمره معا، فقال عثمان: تراني أنهى الناس عن شيئا وأنت تفعله !! فقال: ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ بقول أحد من الناس. (٢)

ومن شدة حرصه -رضي الله عنه- ما أخرجه البيهقي بسنده عن علي رضي الله عنه - قال: لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخفين أحق بالمسح من ظاهرهما ولكن رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يمسخ على ظاهرهما (٣).

الحياء خير كله

أخرج البخاري عن عمران بن حصين أنه قال: قال رسول الله ﷺ --الحياء خير كله فقال: بشر بن كعب: أنا نجد في بعض الكتاب أن منه سكينه ووقارا ومنه ضعفا فغضب عمران بن حصين حتى احمرت عيناه وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه . وفي رواية وتحدثني عن صحيفتك. (٤)

وعند ابن أبي الدنيا بلفظ: قال بشير بن كعب: إن فيه ضعفا وأن منه لعجزا فقال عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتجيئ بالمعاريض لا أحدثك بحديث ما عرفتكم، فقالوا يا أبا نجيد أنه طيب الهوى ... وأنه فلم يزلوا به حتى سكن. (٥)

ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ

عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

من شدة حرصه أنه سمع رجلا عطس فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

فقال له: ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ -بل قال: إذا عطس أحدكم فليحمد الله ولم يقل وليصل على رسول الله. (٦)

وعن نافع قال: لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع رسول الله أثر رسول الله ﷺ لقلت هذا مجنون (٧)

كونوا في الصف الذي يلني

^١ - أخرجه أبو داود (١٠٩١) وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم ١٠٩١

^٢ - وأحمد (١٣٥/١)، رقم (١١٣٩)، والبخاري (٥٦٧/٢)، رقم (١٤٨٨)، والنسائي (١٤٨/٥)، رقم (٢٧٢٣)،

^٣ - رواه الدارقطني ح ٣٣، و معرفة السنن والآثار للبيهقي - (١ / ٢١٤)

^٤ - أخرجه البخاري رقم ٦١١٧.

^٥ - أخرجه أحمد ح ١٩٩٧٣، وأخرجه ابن أبي الدنيا في "مكارم الأخلاق" (٨٨)، والبيهقي في "الشعب" (٧٧٠٤)

^٦ - الفكر الصوفي (ص: ١٠)

^٧ - تاريخ دمشق - (٣١ / ١٢٠) و حلية الأولياء - (١ / ٣١٠) و سير أعلام النبلاء - (٣ / ٢١٣)

عن قيس بن عباد قال: أتيت المدينة للقاء أصحاب محمد-ﷺ ولم يكن فيهم رجل ألقاه أحب إلي من أبي فأقيمت الصلاة، وخرج فقامت في الصف الأول فجاء رجل فنظر في وجه القوم فعرفهم غيري فنحاني وقام في مقامي فما عقلت صلاتي فلما صلى قال: يا بني !! لا يسوؤك الله فإني لم آت الذي أتيت بجهالة ولكن رسول الله-ﷺ قال لنا: كونوا في الصف الذي يلني وأناي نظرت في وجوه القوم فعرفتهم غيرك، وإذا هو أبي رضي الله عنه. (١)

يعذبني الله على الصلاة !!

سعيد بن المسيب -رحمه الله-

وها هو سعيد بن المسيب سيد التابعين وأمام من أئمة السنة والفقه كان شديد الحرص على الإتيان شديد البغض للابتداع ينكر على من سول له شيطان الابتداع في دين الله ما لم يأذن به ويحضر عليه رسول الله -ﷺ-. رأى رجل يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال يا أبا محمد: يعذبني الله على الصلاة !! قال لا ولكن يعذبك على خلاف السنة. (٢)

نعم على السمع والبصر

الإمام الشافعي رحمه الله.

عن الربيع بن سلمان قال سمعت الشافعي يقول: وسأله رجل عن مسألة فقال: روي فيها كذا وكذا عن النبي ﷺ-- فقال له السائل يا أبا عبد الله تقول به؛ فرأيت الشافعي أعد وانتقض. وقال: يا هذا أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا أرويت عن رسول الله ﷺ- حديثاً فلم أقل به؛ نعم على السمع والبصر، وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي وقد روى حديثاً فقال: له بعض من حضر؛ تأخذ به. فقال: رويت عن رسول الله -ﷺ- حديثاً صحيحاً فلم أخذ به فأنا أشهدكم أن عقلي قد ذهب ومد يديه؛ وعنه قال: سمعت الشافعي يقول إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله -ﷺ- فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت. (٣)

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﷺ

مالك بن أنس رضي الله عنه

عن معن بن عيسى قال: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله -ﷺ- اغتسل وتبخر وتطيبا وإذا رفع أحد صوته عنده قال: اغضض من صوتك فإن الله عز وجل يقول { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ }

١ - أخرجه أحمد في المسند ح ٢١٢٦٤، وأخرجه عبد بن حميد (١٧٧)، والحاكم ٥٢٦/٤-٥٢٧. و. "مسند الطيالسي" (٥٥٥)

٢ - السنن الكبير للبيهقي ج ٢ / ٤٩٦. وعبد الرزاق في مصنفه ح ٤٧٥٥،

٣ - صفة الصفوة ج ١ ص ٣٧١.

[الحجرات: ٢] [الحجرات] فمن رفع صوته عند حديث رسول الله -ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله -ﷺ- (١)

لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة.

ومن المواقف الدالة على حرص الإمام مالك على الاعتصام بالسنة وإتباع منهج النبي -ﷺ- ذلك الموقف المشرق جاء رجل إلى الأمام مالك-رحمه الله -فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؛

فقال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله -ﷺ-.

فقال: أني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر.

قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة.

فقال: أي فتنة هذه؛ إنما هي أميال أزيدها.

قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة؛ قصر عنها رسول الله -

ﷺ؛ إني سمعت الله تعالى يقول {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣] (٢).

إن العقيقة سنة ونخل الدقيق بدعة

محمد بن أسلم بن سالم-رحمه الله-

ولد له ابن فدفع إلى محمد بن القاسم دراهم فقال: اشتر كبشين عظيمين وغال بهما واشتر بعشرة دقيقا وأخبزه ففعلت ونخلته فأعطاني عشرة أخرى وقال أشرت به دقيقا ولا تنخله، ثم قال: إن العقيقة سنة ونخل الدقيق بدعة ولا ينبغي أن يكون في السنة بدعة. (٣)

من يتفقه يفقه الله ومن يتعلم يعلمه الله

عمر بن الخطاب رضي الله عنه -

حكى ابن وهب قال: حدثنا مالك بن أنس قال: جعل صبيغ يطوف بكتاب الله معه يقول: من يتفقه يفقه الله ومن يتعلم يعلمه الله فأخذ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -فضربه بالجريد ثم سجنه حتى إذا خف الذي به أخرجه فضره. فقال: يا أمير المؤمنين !! إن كنت تريد قتلي فأجهز علي، وإلا فقد شفيتني شفاك الله فخلاه عمر (٤)

من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

قال: أبو مصعب: قدم علينا ابن مهدي فصلي ووضع رداءه بين يدي الصف، فلما سلم الأمام رمقه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا، وكان قد صلى خلف الإمام، فلما سلم قال: من هاهنا من الحرس؛ فجاءه نفسان.

^١ - صفة الصفوة ج ١ ص ٣٣٥، وترتيب المدارك وتقريب المسالك - (١ / ٣٧)

^٢ - الفتنة والمتفقه ج ١ ص ١٤٨

^٣ - سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ١٥٢، و حلية الأولياء - (٩ / ٢٤٤)

^٤ - البدع - ابن وضاح - (رقم ١٤٧)

فقال : خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه فحبس ، فقليل له : إنه ابن مهدي ، فوجه إليه وقال له : ما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف ، وشغلت المصلين بالنظر إليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئاً ما كنا نعرفه ؛ وقد قال النبي ﷺ : من أحدث في مسجدنا حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فبكى ابن مهدي و آلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبداً في مسجد رسول الله - ﷺ - ولا في غيره . وفي رواية - عن ابن مهدي قال : فقلت للحرسين : تذهبان بي إلى أبي عبد الله ، قالوا : إن شئت ، فذهبا إليه ، فقال يا عبد الرحمن !! تصلي مستلباً ؛ فقلت يا أبا عبد الله : إنه كان يوماً حاراً ، كما رأيت فثقل علي فقال : آله ما أردت بذلك الطعن على من مضى والخلاف عليه ، قلت آله قال : خليه . (١)

لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه

حكى ابن وضاح قال : ثوب المؤذن بالمدينة في زمان مالك فأرسل إليه مالك فجاءه ، فقال له مالك : ما هذا الذي تفعل ؟! فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا ، فقال له مالك ، لا تفعل لا تحدث في بلدنا شيئاً لم يكن فيه ، قد كان رسول الله - ﷺ - بهذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا ، فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه فكف المؤذن عن ذلك ، وأقام زماناً ، ثم تنحنح في المنارة عند طلوع الفجر ، فقال له : ما الذي تفعل ؟! قال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر . فقال له : ألم أنك أن تحدث عندنا ما لم يكن ؟ فقال : إنما نهيتني عن التثويب . فقال له لا تفعل فكف زماناً ، ثم جعل يضرب الأبواب فأرسل إليه مالك فقال ما هذا الذي تفعل ؟! فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر . فقال له مالك لا تفعل لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه (٢)

^١ - - الاعتصام جـ ١ ص ٦٢ - ٦٣ ، و ترتيب المدارك وتقريب المسالك - (١ / ٥١)

^٢ - البدع - ابن وضاح - (١ / ١٠٤) وقواعد وأسس في السنة والبدعة - (ص ٦٠)

الفصل الثالث قصص في التوكل على الله سبقك بها عكاشة

عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: (عرضت علي الأمم بالموسم فرأيت أمتي فأعجبني كثرتهم وهيئتهم قد ملؤوا السهل والجبل فقال: يا محمد أرضيت؟ قلت: نعم أي رب قال: ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فقال عكاشة: ادع الله أن يجعلني منهم قال: (اللهم اجعله منهم) ثم قال رجل آخر: ادع الله أن يجعلني منهم قال: (سبقك بها عكاشة). (١)

أبقيت لهم الله ورسوله

عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -: قال: «أمرنا رسولُ الله -ﷺ- أن نتصدَّق، ووافق ذلك مني مالا، فقلتُ: اليوم أَسْبِقُ أبا بكر -إن سَبَقْتُهُ- قال: فجئتُ بنصف مالي، فقال رسولُ الله -ﷺ-: ما أَبْقَيْتَ لأهلك؟ قلتُ: مثله، وأتى أبو بكر بكلِّ ما عنده، فقال: يا أبا بكر، ما أَبْقَيْتَ لأهلك؟ قال: أَبْقَيْتُ لهم الله ورسوله، قلتُ: لا أَسْبِقُهُ إلى شيء أبدا». (٢)

^١ - أخرجه أحمد ٤٠٣/١ (٣٨١٩) إسناده حسن

^٢ - أخرجه عبد بن حميد (١٤) . والدارمي (١٦٦٠) . وأبو داود (١٦٧٨)

بل أنتم المتواكلون

عن عمر رضي الله عنه أنه لقي ناساً من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتواكلون، فقال: بل أنتم المتواكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله عز وجل (١)

عن سعيد بن المسيب أن سلمان الفارسي وعبد الله بن سلام التقياً، فقال أحدهما لصاحبه: إن لقيت ربك قبلي فأخبرني ماذا لقيت منه، فقال أحدهما لصاحبه: أو يلقي الأحياء الأموات؟ قال: نعم، أما المؤمنون فإن أرواحهم بالجنة، وهي تذهب حيث شاءت. قال: فتوفي أحدهما قبل صاحبه، فلقيه الحي في المنام، فكأنه سأله فقال الميت: توكل وأبشر. فلم أر مثل التوكل قط (٢)

وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها

عن عامر بن عبد قيس أنه كان يقول ثلاث آيات في كتاب الله اكتفيت بهن من جميع الخلائق أولهن ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] والثانية ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢] والثالثة وقال ابن برزة والآية الثالثة ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦] (٣)

وتوكل على الحي الذي لا يموت

قال أبو قدامة الرملي قال: قرأ رجل هذه الآية: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُدُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} [الفرقان: ٥٨].

فأقبل علي سليمان الخواص فقال: يا أبا قدامة ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله في أمره.

ثم قال: والله يا أبا قدامة لو عامل عبد الله عز وجل بحسن التوكل عليه، وصدق النية له بطاعته لاحتاجت إليه الأمراء، فمن دونهم، فكيف يكون هذا يحتاج وموئله وملجؤه إلى العزيز الحميد (٤)

علمت أن رزقي لا يأكله غيري

^١ - رواه ابن أبي الدنيا / التوكل ص ٦١

^٢ - سير أعلام النبلاء (١/ ٥٥٧) وأخرجه ابن سعد ٤ / ١ / ٦٧، وأبو نعيم في "الحلية" ١ / ٢٠٥ (٥)

^٣ - تاريخ دمشق (٣٦ / ٢٦)

^٤ - بغية الطلب في تاريخ حلب (٤ / ٣٧٨)

قال عمر بن حفص النسائي: قيل لحاتم الأصم علام بنيت أمرك هذا في التوكل علي الله؟ "

قال: " على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعملُه غيري، فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتةً، فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنتُ، فأنا مستح منه " (١)

أما علمت أن المتوكلين هم المستريحون؟

عن محمد بن الحسين، حدثني أحمد بن سهل الأردني، قال: سمعت أبا فروة الزاهد، يقول: قال لي رجل في منامي: أما علمت أن المتوكلين هم المستريحون؟ قلت: يرحمك الله، مم ذا؟

قال: من هموم الدنيا، وعسر الحساب غدا قال أبو فروة: فوالله ما اكرثت بعد ذلك بإبطاء رزق ولا سرعته.

وذلك أنه «من أجمع التوكل عليه كفاه ما همه، وساق الرزق والخير له، وقد قال الله عز وجل: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} [الطلاق: ٣]» (٢)

توكل على الله في أمرك كله

عن أبي الجلد، قال: لقيني رجل من العجم، فشكا إلي سلطانه وما يلقي من الظلم، فقلت له: ألا «أدلك على أمر إن أخذت به وتركت ما سواه كفيت أمر السلطان وغيره؟

قال: بلى، قلت: ارجع إلى أهلك، وتوكل على الله في أمرك كله؛ فإنك إن تفعل تجد ما أقول لك. قال: فلقيني بعد ذلك، فجعل يتشكر لي ويقول: إني والله رجعت يومئذ إلى أهلي، وتوكلت على الله، فلم ألبث إلا أن جاءني ما أحب» (٣)

أفأخرج وأتوكل

عن محمد بن يحيى، قال: جاء رجل من العباد إلى عالم، فقال: «إني أريد أن أخرج إلى مكة، أفأخرج وأتوكل؟ قال: لو أردت أن تتوكل لخرجت ولم تسألني» (٤)

هل إن مرضت تشفيني؟

يحكى أن رجلاً دخل مسجد النبي ﷺ بالمدينة فرأى غلاماً يطيل الصلاة، فلما فرغ قال له: ابن من أنت؟ فقال الغلام: أنا يتيم الأبوين، قال له الرجل: أما تتخذني أباً لك، قال الغلام: وهل إن جعت تطعمني؟

^١ - طبقات الأولياء (ص: ٣٠) والمجالسة وجواهر العلم (ص: ٦٤٩)

^٢ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٥٦)

^٣ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٥٨)

^٤ - التوكل على الله لأبي الدنيا (ص: ٦١)

قال له: نعم، قال: وهل إن عريت تكسوني؟

قال له: نعم، قال: وهل إن مرضت تشفيني؟

قال: هذا ليس إلي.

قال: وهل إن مت تحييني؟

قال: هذا ليس إلى أحد من الخلق.

قال: فخلني للذي خلقي فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، قال الرجل: آمنت بالله، من توكل على الله كفاه. (١)

كيف يتوكل ميت على ميت

وفي قصة الرجل الذي كان يعبد صنماً في البحر، والتي نقلها ابن الجوزي عن عبد الواحد بن زيد دلالة على أن التوكل نعمة من الله يمتن بها على من يشاء من خلقه حتى وإن كان حديث العهد بالتدين، فهذا الرجل لما جمعوا له مالاً ودفعوه إليه، قال: سبحان الله دللتموني على طريق لم تسلكوه، إني كنت أعبد صنماً في البحر فلم يضيعني فكيف بعد ما عرفته، وكأنه لما أسلم وجهه لله طرح المخلوقين من حساباته، فغنيهم فقير، وكلهم ضعيف وكيف يتوكل ميت على ميت: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

سبحان الله يا شقيق!!

ورد أن شقيق البلخي ودع صديقه إبراهيم بن أدهم، لسفره في تجارة، ولم يلبث إلا مدة يسيرة ثم عاد ولقيه إبراهيم، فعجب لسرعة إيابه من رحلته، فسأله: لم رجع؟ فقص عليه قصة شهدا أنه رأى طائراً أعمى كسيحاً وجاء طائر آخر يحمل إليه الطعام ويمده به، حتى يأكل ويشبع، فقال شقيق: إن الذي رزق هذا الطائر الأعمى الكسيح في هذه الخبرة لقادر على أن يرزقني، وقرر العودة، فقال له إبراهيم بن أدهم: سبحان الله يا شقيق! ولماذا رضيت لنفسك أن تكون الطائر الأعمى العاجز، ولا تكون أنت الطائر الذي يسعى ويكدح ويعود بثمره على العمى من حوله، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اليد العليا خير من اليد السفلى" [متفق عليه]. (٢)

آله أمرك بهذا؟!

ولقد أخذ سيدنا إبراهيم هاجر وابنها الرضيع سيدنا إسماعيل، وسار بهما في الصحراء، حتى وصلوا إلى بيت الله الحرام، فوضعهما في هذا المكان، وليس

١ - رابط المادة: <http://iswy.co/e14qh7>

٢ - «موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق» (١/ ٥٨):

معهما إلا قليل من التمر، وإناء به ماء، ثم تركهما وهمَّ بالانصراف، فأسرعت هاجر وراءه وهي تقول: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا؟! وظلت تسأله وإبراهيم لا يلتفت إليها فقالت له: آله أمرك بهذا؟ فقال: نعم. فقالت: إذاً لن يضيعنا. وهكذا توكل إبراهيم وزوجته على ربهما وفوضا الأمر إليه.

حسبنا الله ونعم الوكيل

وهذا إبراهيم عليه السلام قام بتحطيم أصنام قومه، فلما علم قومه بذلك أحضروه وأمروا بإحراقه، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فجاءه جبريل وقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم. فأمر الله تعالى النار أن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان عابد يتعبد في غار، وكان غراب يأتيه كل يوم برغيف يجد فيه طعم كل شيء حتى مات ذلك العابد. (١)
وقال حاتم الأصم رحمه الله: لي أربعة نسوة، وتسعة أولاد، ما طمع شيطان أن يؤسوس إليّ في أرزاقهم. (٢)

أما ترى قد غلا السعر؟

وعن أبي حازم رحمه الله أنهم أتوه فقالوا له: يا أبا حازم أما ترى قد غلا السعر؟ فقال: وما يغمكم من ذلك، إن الذي يرزقنا في الرخص، هو الذي يرزقنا في الغلاء. (٣)

توكل شقيق البلخي

قال علي بن محمد بن شقيق البلخي رحمه الله: قد كان جدي خرج إلى بلاد الترك لتجارة وهو حدث، إلى قوم يقال لهم الخصوصية، وهم يعبدون الأصنام، فدخل إلى بيت أصنامهم، وعالمهم فيه حلق رأسه ولحيته ولبس ثيابًا حمراء أرجوانية، فقال له شقيق: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالق وصانع ليس كمثله شيء، له الدنيا والآخرة، قادر على كل شيء رازق كل شيء؛ فقال له الخادم: ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق: كيف ذاك؟ قال: زعمت أن لك خالقًا رازقًا قادرًا على كل شيء، وقد تعנית إلى ههنا لطلب الرزق، ولو كان كما

^١ - [جامع العلوم والحكم / ٥٦٨].

^٢ - [السير (تهذيبه) ٢ / ٩٦٠].

^٣ - [الحلية (تهذيبه) ١ / ٥٢٦].

تقول فإن الذي رزقك ههنا هو الذي يرزقك ثم فتريح العناء، قال شقيق: وكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع فتصدق بجميع ما ملك وطلب العلم. (١)

توكل عون بن عبد الله رحمه

وعن أبي أسامة قال: وصل إلى عون بن عبد الله رحمه الله أكثر من عشرين ألف درهم فتصدق بها، فقال له أصحابه: لو اعتقدت عقدة لولدك؟

فقال: اعتقدتها لنفسني واعتقدت الله لولدي؟ قال أبو أسامة: فلم يكن في المسعوديين أحسن حالاً من ولد عون بن عبد الله. (٢)

توكل الربيع بن عبد الرحمن

وجاء رجل إلى الربيع بن عبد الرحمن رحمه الله يسأله أن يكلم الأمير في حاجة، فبكى الربيع ثم قال: أي أخي، أقصد الله في أمرك تجده سريعاً قريباً، فإني ما ظهرت أحدًا في أمر أريده إلا الله عز وجل فأجده كريماً قريباً لمن قصده وأراده وتوكل عليه. (٣)

توكل أعرابية

وحكي أن قومًا من الأعراب زرعوا زرعًا، فلما بلغ: أصابته آفة فذهبت به، فاشتد ذلك عليهم، حتى روي فيهم، فخرجت أعرابية منهم فقالت: ما لي أراكم متغيرة ألوانكم، ميتة قلوبكم، هو ربنا فليفعل بنا ما يشاء، ورزقنا عليه، يأتي به من حيث يشاء، ثم أنشدت تقول:

لو كان في صخرة في البحر راسية صماء ملمومة ملس نواحيها

رزق نفس براها الله لانفلقت حتى تؤدي إليه كل ما فيها

أو كان بين طباق السبع مسلكها لسهل الله في المرقى مراقيها

حتى تنال الذي في اللوح خط لها فإن أتنه وإلا سوف يأتيها (٤)

أبو عبد الرحمن العمري رحمه الله-وتوكله على الله

^١ -[الحلية (تهذيبه) ٢ / ٤٩٦].

^٢ -[الحلية (تهذيبه) ٢ / ٩٥].

^٣ -[موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ١٦٥].

^٤ -[موسوعة ابن أبي الدنيا ٢ / ٢٧٣].

وقال أبو عبد الرحمن العمري رحمه الله: كنتُ جنيئًا في بطن أمي، وكان يؤتى برزقي حتى يوضع في فمي، حتى إذا كبرت وعرفت ربي ساء ظني، فأبي عبد أشرمني. (١)

توكل واصل الأحذب رحمه الله

قال سفيان الثوري: قرأ واصل الأحذب رحمه الله هذه الآية: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات: ٢٢] فقال: ألا إن رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، فدخل خربة فمكث ثلاثًا لا يصيب شيئًا، فلما كان اليوم الرابع إذا هو بدوخلة من رطب، وكان له أخ أحسن نية منه، فدخل معه فصارتا دوختين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرّق الموت بينهما. (٢)

توكل محمد السمين رحمه الله

عن مؤمل المغازلي قال: كنت أصحب محمد السمين رحمه الله فسافرت معه حتى بلغنا ما بين تكريت وموصل، فبينما نحن في برية نسير، إذ زار السبع من قريب، فجزعت وتغيرت، وظهر ذلك على صفتي، وهممت أبادر، فضبطني محمد وقال: يا مؤمل، التوكل ها هنا ليس في مسجد الجامع. (٣)

أبو الحسن المصري النحوي رحمه الله-وتوكله على الله

قال ابن كثير رحمه الله: قال القاضي ابن خلكان: كان أبو الحسن المصري النحوي رحمه الله بمصر إمام مصره في النحو، وله المصنفات المفيدة، من ذلك "مقدمته" و"شرحها" و"شرح الجمل" للزجاجي. قال: وكانت وظيفته بمصر أنه لا تكتب الرسائل في ديوان الإنشاء إلا عُرضت عليه، فيصلح منها ما فيه خلل، ثم تنفذ إلى الجهة التي عينت لها، وكان له على ذلك معلوم وراتب جيد، قال: فاتفق أنه كان يأكل يومًا مع بعض أصحابه طعامًا، فجاء قطّ فرموا له شيئًا، فأخذه وذهب سريعًا، ثم أقبل فرموا له شيئًا آخر، فانطلق به سريعًا، ثم جاء فرموا له شيئًا أيضًا، فعلموا أنه لا يأكل هذا كله، فتتبعوه فإذا هو يذهب به إلى قط آخر أعمى في سطح هناك، فتعجبوا من ذلك، فقال الشيخ: يا سبحان الله! هذا حيوانٌ بهيم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره، أفلا يرزقني وأنا عبده ثم ترك ما كان له من الراتب

^١ - «حياة السلف بين القول والعمل» (ص ٥٨٩):

^٢ - [جامع العلوم والحكم / ٥٧٠].

^٣ - [الحلية (تهذيبه) ٣ / ٤٣١].

وجمع حواشيه وأقبل على الاشتغال والملازمة في غرفة في جامع عمرو بن العاص، إلى أن مات وقد جمع تعليقه في النحو قريباً من خمسة عشر مجلداً. (١)

الفصل الرابع: قصص عن اليقين بشره بالجنة

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة والربيع الجدول فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال أبو هريرة فقلت نعم يا رسول الله قال ما شأنك قلت كنت بين أظهرنا فقممت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائي فقال يا أبا هريرة وأعطاني نعليه قال اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة فكان أول من لقيت عمر فقال ما هاتان النعلان يا أبا هريرة فقلت هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لإستي .

^١ - «حياة السلف بين القول والعمل» (ص ٥٩١)

فقال ارجع يا أبا هريرة فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاء وركبني عمر فإذا هو على أثري فقال لي رسول الله ﷺ ما لك يا أبا هريرة قلت لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خربت لإستي قال ارجع فقال له رسول الله ﷺ يا عمر ما حملك على ما فعلت؟

قال يا رسول الله: بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة.

قال نعم قال فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله ﷺ فخلهم (١).

يقين أبي بكر رضي الله عنه

يقين أبي بكر - رضي الله عنه - حين أتاه كفار قريش وقالوا له: إن صاحبك قد كان يزعم ويزعم أما الآن فقد جاء بأمر عجيب، وما نظنك إلا تكذبه، قال: ما هو؟ قالوا: يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماء وعاد في ليلة، فمعنى كلامهم: حتى في مثل هذا الخبر يمكن أن تصدق صاحبك بما يقول؟ فقال: "إن كان قاله فقد صدق"

يقين عمير بن الحصين النجراني

عن بن إسحاق أنه لما مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتسارع الناس ومنهم أهل نجران إلى الردة قام فيهم فقال إنكم لأن تزدادوا من هذا الأمر أحوج إلى أن تنقصوه فإن الافتكار الشك بعد اليقين ودينكم اليوم دينكم بالأمس فكونوا عليه حتى تخرجوا به إلى رضا الله تعالى ونوره ثم أنشداهم:

أهل نجران أمسكوا بهدى الله ه وكونوا يداً على الكفار
لا تكونوا بعد اليقين إلى الشك ك وبعد الرضا إلى الإنكار
واستقيموا على الطريقة فيه وكونوا كهيئة الأنصار (٢)

ما نقص مال من صدقة

قال زمعة بن غُرَابي، عن أبيه: أن النعمان بن عبد الله من آل ذي الرُاسين من حَضْرَمُوت. كان يسكن برقة هو وأخوه يزيد بن عبد الله، فرأى في النوم كأنه يقال له: إختَر بين الإيمان واليقين؟ فقال: اليقين. فكان أزهد الناس؛ وكان يتصدق بعبائهم كله حتى لا يَبْقَى معه منه شيء، ولا عليه ثَوْبٌ ولا إِزَارٌ. فوفد إلى الأندلس بفتح إلى سُلَيْمان بن عبد الملك ومعه محمد بن حبيب المُعافري، فسألَهُما سليمان حوائجَهُما، فسألَهُ المُعافري حوائجَ قُضَيْت. وقال النعمان: حاجتي أن

^١ - أخرجه مسلم ح ٤٦

^٢ - الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ٢ / ص ٣٧٩)

تَرَدَّنِي إِلَى ثَغْرِي وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ فَأُذِنَ لَهُ فَرَجَعَ وَاسْتَشْهَدَ فِي أَقْصَى ثَغُورِ الْأَنْدَلُسِ. (١)

لو أن لابن آدم من اليقين قدر ذرة لمشى على الماء

عن بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبيهم فانطلقوا يطلبونه فإذا هو قد انطلق نحو البحر وإذا هو يمشي على الماء فقال له رجل منهم يا نبي الله أجي إليك قال نعم فذهب يرفع رجلا ويضع أخرى فإذا هو في الماء فقال له عيسى ناولني يدك يا قصير اليقين فلو أن لابن آدم من اليقين قدر ذرة لمشى على الماء عن بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبيهم عيسى فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشي على الماء يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى وعليه كساء مرتدي بنصفه ومرتز بنصفه حتى انتهى إليهم فقال له بعضهم قال أبو هلال: ظننت أنه من أفاضلهم ألا أجي إليك يا نبي الله قال بلى قال فوضع إحدى رجليه في الماء ثم ذهب ليضع الأخرى فقال أوه غرقت يا نبي الله قال: أرني يدك يا قصير الإيمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء (٢)

الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة

عن البراء بن عازب الأنصاري ، قال : لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة ، لا تأخذ فيها المعاول (٣) ، قال : فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ ، قال : فلما رآها أخذ المعول وقال : « بسم الله » ، وضرب ضربة فكسر ثلثها ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله » ، ثم ضرب الثانية ، فقطع ثلثا آخر فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض » ، ثم ضرب الثالثة فقال : « بسم الله » ، فقطع بقية الحجر ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة » (٤)

من أين تأكل

كما روى عن حاتم الأصم انه قال له رجل من أين تأكل فقال من خزانته فقال الرجل يلقي عليك الخبز من السماء ؟! فقال: لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه من السماء. فقال الرجل أنتم تقولون الكلام. فقال لم ينزل من السماء إلا الكلام فقال الرجل أنا لا أقوى لمجادلتك. فقال لان الباطل لا يقوم مع الحق.

^١ - تاريخ علماء الأندلس - (ج ١ / ص ١٩٧)

^٢ - تاريخ دمشق - (ج ٤٧ / ص ٤٠٨)

^٣ - المعاول: جمع يعول، وهو آلة من الحديد يُنقر بها الصخر

^٤ - أخرجه أحمد (٣٠٣/٤، رقم ١٨٧١٦) قال الهيثمي (١٣١/٦): والنسائي في الكبرى (٢٦٩/٥، رقم ٨٨٥٨).

يا رازق النعاب في عشه

يقول الرازي - رحمه الله - ويحكى أن ولد الغراب كما يخرج من قشر البيضة يخرج من غير ريش فيكون كأنه قطعة لحم أحمر، والغراب يفر منه ولا يقوم بتربيته، ثم أن البعوض يجتمع عليه لأنه يشبه قطعة لحم ميت، فإذا وصلت البعوض إليه التقم تلك البعوض واغتذى بها، ولا يزال على هذه الحال إلى أن يقوى وينبت ريشه ويخفى لحمه تحت ريشه، فعند ذلك تعود أمه إليه، ولهذا السبب جاء في أدعية العرب: يا رازق النعاب في عشه، فظهر بهذه الأمثلة أن فضل الله عام، وإحسانه شامل، ورحمته واسعة. (١)

سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعهم بعضا

ومن جميل ما قرأت أن إبراهيم بن أدهم ذلك السلفي الذي ظن كثير من أحبابنا أنه من المتصوفة ولكنه محسوب على سلف الأمة رضوان الله عليهم كما قال المحققون من أكثر أهل الجرح والتعديل، فذلك الرجل الذي جلس يوما ليأكل بعض قطع اللحم المشوي فجاءت قطة فخطفت قطعة لحم وجرت فقام ورائها ليتابع لماذا جرت فرأى إبراهيم أن القطة قد وضعت قطعة اللحم جحر في مكان مهجور وانصرفت فازداد عجب وظل يراقب الموقف مراقبة دقيقة فنظر فرأى ثعبان أعمي فقأت عيناه خرج من هذا الجحر ليأخذ قطعة اللحم ثم يرجع إلي جحره مرة أخرى فبكي إبراهيم بن أدهم وقال: " سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعهم بعضا (٢)

أف لهذه القلوب قد خالطها الشك

* قال هرم لأويس رضي الله عنه أين تأمرني أن أكون فأوماً إلى الشام فقال هرم: كيف المعيشة بها؟ قال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة، (٣) أي لأن العظة كالصقر لا يصيد إلا الحي والقلب الذي خالطه الشك بمثابة الميت فلا يفيد التنبية نسأل الله سبحانه أن يوقظنا من سنة الغفلة ولا يجعلنا من المعذبين بعذاب الجهالة انه الكريم الرؤف الرحيم

قلبي في السفر والحضر واحداً.

قال حاتم: وقع الثلج ببلخ فمكثت في بيت ثلاثة ومعني أصحابي فقلت: يخبرني كل رجل منكم بهمته؛ قال: فأخبروني فإذا ليس فيهم أحد لا يريد إلا أن يتوب من تلك الهمة؛ قال: فقالوا لي: همته أنت يا أبا عبد الرحمن، قال: قلت: ما همتي إلا شفقة على إنسان يريد أن يحمل رزقي في هذا الطين؛ قال: وإذا رجل قد جاء

^١ - تفسير الرازي - (ج ١ / ص ٢١٢) و العقد الفريد (٢/ ٤٨٢)

^٢ - دروس للشيخ محمد حسان ، و دروس أكاديمية المجد (ص: ١٠٥)

^٣ - إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٦/ ٢٣٥)

ومعه جراب خبز وقد زلق فابتلت ثيابه بطين، وقال: يا [أبا] عبد الرحمن، خذ هذا الخبز.

قال حاتم: خرجت في سفر ومعى زاد فنغد زادي في وسط البرية فكان قلبي في السفر والحضر واحداً. (١)

تسخير الله العقرب لدفع أذى الحية عن نائم

وروى ذي النون أنه قال: كنت في البيت إذ وقعت ولولة في قلبي، وصرت بحيث ما ملكت نفسي، فخرجت من البيت وانتهيت إلى شط النيل، فرأيت عقرباً قوياً يعدو فتبعته فوصل إلى طرف النيل فرأيت ضفدعاً واقفاً على طرف الوادي، فوثب العقرب على ظهر الضفدع وأخذ الضفدع يسبح ويذهب، فركبت السفينة وتبعته فوصل الضفدع إلى الطرف الآخر من النيل، ونزل العقرب من ظهره، وأخذ يعدو فتبعته، فرأيت شاباً نائماً تحت شجرة، ورأيت أفعى يقصده فلما قربت الأفعى من ذلك الشاب وصل العقرب إلى الأفعى فوثب العقرب على الأفعى فلدغه، والأفعى أيضاً لدغ العقرب، فماتا معاً، وسلم ذلك الإنسان منهما.. (٢)

قصة سفينة مولى رسول الله ﷺ

ذكر الحافظ الطبراني أن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحاً من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد فأقبل إليّ يريدني فقلت: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه وأقبل إليّ فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق، وهمهم، فظننت أنه يودعني فكان ذلك آخر عهدي به (٣).

بماذا كنت تفكر والأسد يزأر ويصبح ويرفع

قصة ابن أبي الحسن الزاهد كان الملك ابن طولون ظالم من ظلمة الحكام، وقل أن يأتي إليه إنسان ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر إلا ويقطع رقبتة، حتى إنه قتل ثمانية عشر ألف إنسان صبراً، والصبر هو أشد أنواع القتل يجوع حتى يموت. جاءه الإمام ابن أبي الحسن الزاهد وقال له: يا ابن طولون إنك قد ظلمت وفعلت، وفعلت وأنبه وتكلم عليه فاشتد ابن طولون وأمر بحبسه، لما حبسه أمر ابن طولون بتجويد أسد ثلاثة أيام، وعندما جوع الأسد اجتمع الناس وفي مقدمتهم ابن طولون ووضع، وجيء بأبي الحسن الزاهد، ووضع أمام الأسد في حلبة. تصوروا إنساناً ضعيفاً أعزل أمام أسد جائع له ثلاثة أيام لم يأكل، فلما رآه الأسد بدأ يزأر ويتقدم ويتأخر، والناس أيديهم على قلوبهم من

١ - وفيات الأعيان - (ج ٢ / ص ٢٨)

٢ - تفسير الرازي - (ج ١ / ص ٢١٢)

٣ - أخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي

المعركة غير المتكافئة، وأبو الحسن الزاهد قد أطرق ملياً، لا يتحرك منه عضو في جسده كأنه لا يبالي، وبدأ يهدر هذا الأسد والناس بين خائف، ومكبر، ووجل، ووجدوا أن الأسد يتقدم ويتأخر، ثم جاء وطأطأ برأسه على أبي الحسن الزاهد وشمه ثم ذهب، وبدأ يفعل هذا برهة من الزمن، ثم طأطأ رأسه وانصرف في زاوية من المكان، وجلس ولم يمس أبا الحسن الزاهد بسوء، وكبر الناس وتعجبوا .

فقال أحمد بن طولون: ائتوني به، فجاءوا بالإمام الزاهد فسأله وقال: أريد أن أسألك سؤالاً بماذا كنت تفكر والأسد يزأر ويصيح ويرفع صوته؟ قال: إن الأسد عندما جاء وشممني ومس ثوبي جلست أتأمل هل لعاب الأسد طاهر أو نجس؟ هذه القضية التي تشغله. قال: أما خفت من الأسد؟ قال: أبداً؛ لأن الله سبحانه وتعالى يكفيني إياه (١)

الأوزاعي مع الحاكم العباسي

روي أن الإمام الأوزاعي ذلكم الإمام المحدث الورع الفقيه حين دخل عبد الله بن علي ذلكم الحاكم العباسي دمشق في يوم من الأيام فقتل فيها ثمانية وثلاثين ألف مسلم ثم يدخل الخيول مسجد بني أمية، ثم يتبجح ويقول :

من ينكر علي في ما أفعل؟
قالوا لا نعلم أحداً غير الإمام الأوزاعي فيرسل من يستدعيه، فعلم الإمام الأوزاعي أنه الامتحان وعلم أنه الابتلاء، وعلم أنه إما أن ينجح ونجاح ما بعده رسوب، وإما أن يرسل ويرسب ما بعده نجاح، فماذا كان من هذا الإمام ؟

قام واغتسل وتحنط وتكفن ولبس ثيابه من على كفنه، ثم أخذ عصاه في يده، ثم اتجه إلى من حفظه في وقت الرخاء فقال: يا ذا العزة التي لا تضام، والركن الذي لا يرام يا من لا يهزم جنده ولا يغلب أوليائه أنت حسبي ومن كنت حسبه فقد كفيته، حسبي الله ونعم الوكيل ثم ينطلق وقد توكل على الله سبحانه وتعالى انطلاقة الأسد إلى ذلك الحاكم وقد صف وزراءه وصف سماطين من الجلود يريد أن يقتله وأن يرهبه بها قال فدخلت وإذ السيوف وإذ السمات معد، وإذا الأمور غير ما كنت أتوقع قال فدخلت والله ما تصورت في تلك اللحظة إلا عرش الرحمن بارزاً والمنادي ينادي: فريق في الجنة وفريق في السعير .

فوالله ما رأيته أمامي إلا كالذباب، والله ما دخلت بلاطه حتى بعت نفسي من الله جل وعلا

قال فأنعقد جبين هذا الرجل من الغضب ثم قال له أنت الأوزاعي ؟
قال يقول الناس أني الأوزاعي .

^١ - صور من الثبات على الإيمان للمؤلف ص ١٠٧

قال ما ترى في هذه الدماء التي سفكناها ؟
قال حدثنا فلان عن فلان عن جَدِّكَ أبن عباس وعن ابن مسعود وعن
أنس وعن أبي هريرة وعن عائشة قالوا: قال النبي { ﷺ } لا يحل دم امرئ مسلم
يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله { ﷺ } إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس
بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة (١)
قال فتلمظ كما تتلمظ الحية وقام الناس يتحفزون ويرفعون ثيابهم لئلا يصيبهم
دمي، ورفعت عمامتي ليقع السيف على رقبتني مباشرة وإذ به
يقول وما ترى في هذه الدور التي اغتصبنا والأموال التي أخذنا ؟
قال سوف يجردك الله عريانا كما خلقك ثم يسألك عن الصغير والكبير والنكير
والقطمير، فإن كانت حلالاً فحساب، وإن كانت حراماً فعقاب
قال فأنعقد جبينه مرة أخرى من الغضب وقام الوزراء يرفعون ثيابهم وقمت لأرفع
عمامتي ليقع السيف على رقبتني مباشرة .
قال وإذ به تنتفخ أوداجه ثم يقول اخرج قال : فخرجت فوالله ما زادني ربي إلا عزا
(٢)

حفظ الله لصلة بن أشيم - رحمه الله -

عن حماد بن جعفر بن زيد، قال: إن أباه أخبره قال: خرجنا في غزاة إلى كابل وفي
الجيش صلة بن أشيم، قال: فترك الناس عند العتمة، فقلت: لأرمقن عمله فأنظر
ما يذكر الناس من عبادته، فصلي، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس، حتى إذا قلت
هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريباً مني، فدخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي
فافتتح الصلاة، قال: وجاء أسد حتى دنا منه، قال: فصعدت إلى شجرة، قال:
أفتراه التفت إليه أو عذبه حتى سجد، فقلت: الآن يفتربه فلا شيء فجلس ثم
سلم، فقال: أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر، فولى وإن له لزيئراً، أقول
تصدعت منه الجبال، فما زال كذلك يصلي حتى لما كان عند الصبح جلس فحمد
الله بمحامد لم أسمع بمثله إلا ما شاء الله ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من
النار أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا، وقد
أصبحت وبني من الفترة شيء الله تعالى به عليم. (٣)
{قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٦٤].

اسكت يا بني إن ربي عز وجل اختبرني فأحببت أن أزيده

أحمد بن أبي الحواري، قال: حدثني أبو عمرو الكندي، قال: أغارت الروم على
جواميس لبشير الطبري نحو من أربعمئة جاموس.

١ - أخرجه البخاري (٢٥٢١/٦ ، رقم ٦٤٨٤) ، ومسلم (١٣٠٢/٣ ، رقم ١٦٧٦)

٢ - دروس للشيخ علي القرني (١٧ / ٣٤) صور مشرقة من الثبات على الإيمان ١٠٤-١٠٦

٣ - المنتظم لابن الجوزي ج ٢ ص ٢٦٦ و المعرفة و التاريخ ج ١ ص ١٩٨ حلية الأولياء - (ج ١ / ص ٣١٧)

قال: فاستركبني فركبت معه أنا وابن له قال: فلقينا عبیده الذين كانوا مع الجواميس معهم عصيهم قالوا: يا مولانا ذهب الجواميس. فقال: « وأنتم أيضا فذهبوا معها فأنتم أحرار لوجه الله » . فقال له ابنه : يا أباه أفقرتنا فقال : « اسكت يا بني إن ربي عز وجل اختبرني فأحببت أن أزيده »(١)

يا ابن أخي هو الذي ابتلاني فأنا أكره أن أردّه

عبد العزيز بن عمير، يقول : كان في خرابات القبائل بمصر رجل مجذوم (٢) وكان شاب من أهل مصر يختلف إليه يتعاهده ويغسل خرقه ويخدمه فتعري فتى من أهل مصر فقال للذي كان يخدمه : إنه بلغني أنه يعرف اسم الله الأعظم وأنا أحب أن أجيء معك إليه فأتاه فسلم عليه

وقال: يا عم إنه بلغني أنك تعرف اسم الله الأعظم فلو سألته أن يكشف ما بك قال: «يا ابن أخي هو الذي ابتلاني فأنا أكره أن أردّه»(٣)

عسى أن يكون خيرا

عن مسروق ، قال : « كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خبأهم (٤) والكلب يحرسهم قال : فجاء ثعلب فأخذ الديك فحزنوا لذهاب الديك وكان الرجل صالحا فقال : عسى أن يكون خيرا ثم مكثوا ما شاء الله ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا لذهاب الحمار .

فقال الرجل الصالح : عسى أن يكون خيرا ثم مكثوا ما شاء الله بعد ذلك ثم أصيب الكلب .

فقال الرجل الصالح : عسى أن يكون خيرا ثم مكثوا بعد ذلك ما شاء الله ، فأصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي (٥) من حولهم وبقوا هم قال : وإنما أخذوا أولئك بما كان عندهم من الصوت والجلبة ولم يكن عند أولئك شيء يجلب ، قد ذهب كلهم وحمارهم وديكهم »(٦)

أحبه إلي أحبه إلى الله

١ - الرضا عن الله بقضائه - ص ٣١ □

٢ - المجذوم : من أصيب بمرض يشوه جسمه ويسقط بسببه أطرافه

٣ - الرضا عن الله بقضائه - (ص ٣٢)

٤ - الخبأ: الخيمة

٥ - سبي: أسر

٦ - الرضا عن الله بقضائه - (ص ٤٣)

عن علي بن الحسن بن موسى، قال: قال رجل: لأمتحنن أهل البلاء فقال: فدخلت على رجل بطرطوس وقد أكلت الأكلة أطرافه فقلت له: كيف أصبحت؟ قال: «أصبحت والله وكل عرق وكل عضو يألم على حدثه من الوجع لو أن الروم في كفرها وشركها اطلعت علي لرحمتني مما أنا فيه وإن ذلك لبعين الله، أحبه إلي أحبه إلى الله، وما قدر ما أخذ ربي مني وددت أن ربي قطع مني الأعضاء التي اكتسبت بها الإثم وإنه لم يبق مني إلا لساني يكون له ذاكرا» فقال له رجل: متى بدأت بك هذه العلة؟ قال: «أما كفأك الخلق كلهم عبيد الله وعياله فإذا نزلت بالعباد علة فالشكوى إلى الله ليس يشتكى الله إلى العباد» (١)

يقين أبي طلحة - رضي الله عنه -

أنس، كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران: ٩٢]. قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ -

فقال: يا رسول الله، إن الله يقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران: ٩٢] وإن أحب أموالي إلى بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال النبي، ﷺ - : « بخ بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين ». فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه. (٢)

يقين عمرو بن الجموح

كان عمرو بن الجموح رجلا أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له: إن الله عز وجل قد عذرك فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله إني لأرجو أن أظأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه: ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة. فخرج معه فقتل. بيوم أحد شهيدا (٣)

^١ - الرضا عن الله بقضائه - ص ٩٥

^٢ أخرجه احمد في المسند (١٤١/٣) وصحيح البخاري برقم (١٤٦١) وصحيح مسلم برقم (٩٩٨).

^٣ - معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني - (ج ١٤ / ص ١٥٦) فقه السيرة - (ج ١ / ص ٢٦٠)

عن أبي قتادة أنه حضر ذلك قال أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة وكانت رجله عرجاء .

قال رسول الله ﷺ نعم فقتلوا يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم فمر عليه رسول الله ﷺ فقال كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد (١)

يقين أبي الدحداح

عن حماد بن سلمة: حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك: أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لفلان نخلة، وأنا أقيم نخلي بها، فمره أن يعطيني [إياها] [حتى] أقيم حائطي بها.

فقال له النبي ﷺ: " أعطها إياه بنخلة في الجنة " فأبى، وأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلك بحائطي.

قال: ففعل.

قال: فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني قد ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له، فقال النبي ﷺ: فذكره.

فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح! اخرجي من الحائط، فإني بعته بنخلة في الجنة. فقالت: قد ربحت البيع. أو كلمة نحوها (٢)

الفصل الخامس: قصص عن المراقبة

ولله ما كنت لأطيعه في الملاء، وأعصيه في الخلاء.

عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو يعس بالمدينة إذ أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل فإذا امرأة تقول لابنتها قومي إلى ذلك اللبن فامدقيه بالماء فقالت يا أمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ؟

قالت وما كان من عزمته ؟

قالت إنه أمر مناديا فنادى لا يشاب اللبن بالماء.

فقالت لها: يا ابنتاه قومي إلى اللبن فامدقيه بالماء فإنك في موضع لا يراك عمر ولا منادي عمر!

^١ — أخرجه أحمد (٢٩٩ / ٥) بسند حسن كما قال الحافظ (١٦٨ / ٣).

^٢ — قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٦ / ١١٣١ : أخرجه أحمد (٣ / ١٤٦) وابن حبان (٢٢٧١)

فقلت الصبية والله ما كنت لأطيعه في المأ وأعصيه في الخلاء، وعمر يسمع كل ذلك .

فقال يا أسلم علم الباب واعرف الموضع ثم مضى في عسه فلما أصبح قال يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها وهل لهم من بعل فأتيت الموضع فإذا أيم لا بعل لها وإذا تيك أمها وإذا ليس لهم رجل فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم فقال هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية .
عبد الله لي زوجة وقال عبد الرحمن لي زوجة .

وقال عاصم يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتا وولدت الابنة ابنة وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز.(١)

مخافة ربي والحياء يعفني

ومر سيدنا عمر-رضي الله تعالى عنه-في ليلة في بعض سكك المدينة، فسمع امرأة تقول:

ألا طال هذا الليل وازور جانبه وليس إلى جنبي خليل ألاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقب لحرك من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يعفني وإكرام بعلي أن تنال مراتبه

قال، فسأل عمر -رضي الله تعالى عنه -عنها، فقليل له: إنها امرأة فلان، وله في الغزاة ثمانية أشهر، فأمر عمر-رضي الله تعالى عنه-أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر. (٢)

وأين مكوكبها يا رجل؟

عن الأصمعي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت أعرابياً يطوف فذكر قصة أعرابية، قال: قلت: فبينك وبين من تهوى شيء؟

قال: لا إلا ليلة فإني رمت منها شيئاً.

فقلت: أما تستحي؟!

قلت: وممن أستحي فلا يرانا إلا الكواكب؟!

قالت: فأين مكوكبها؟! (٣)

ما أرسلتني لأأكله وإنما أرسلتني لأحفظه

^١ - سيرة عمر لابن عبد الحكم (٢٢، ٢٣) وأخبار عمر للآجري (٤٨، ٤٩) ومناقب عمر لابن الجوزي (٨٤) والطبقات لابن سعد (٣٣١/٥) ومحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٣٩١/١).

^٢ - الرياض النضرة في مناقب العشرة (ص: ١٨٥)

^٣ - المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين (١/ ٤٤) بلاغات النساء لأبي الفضل (ص: ١٤١)

حكى أنه كان بمرو قاض اسمه نوح بن مريم، وكان رئيساً أيضاً وكانت له بنت ذات جمال خطبها جماعة من الأعيان والأكابر، وكان له غلام هندي ينظر بساتينه فذهب يوماً إلى البستان فطلب من غلامه شيئاً من العنب فأتى بعنب حامض فقال له: هات عنباً حلواً فأتى بحامض فقال القاضي: ويحك ما تعرف الحلو من الحامض. فقال: بلى ولكنك امرتني بحفظها وما امرتني بالأكل منها، ومن لا يأكل لا يعرف فتعجب القاضي من كلامه وقال: حفظ الله عليك أمانتك. وزوج منه ابنته فولدت عبد الله بن المبارك المشهور بالعلم والورع، وكان يحج سنة ويغزو في سنة أخرى، (١)

فكيف أتزوج؟؟

قدم شاب فجلس في حلقة الشيخ وتأخرت نفقته من الصعيد ففارق حلقة الشيخ عساه يحصل كسيرات من الخبز ولقيمات يقتات بها ويتقوى عليها.

فبينما هو يسير إذ دخل في شارع ضيق فوجد باباً مفتوحاً ووجد خزانة من طعام فمد يده إلى الطعام وكان من المحشي ثم بعد أن تناول قطعة منه ووضعها في فمه.

تذكر أنه جاء ليطلب العلم، والعلم نور، والأكل من هذا الطعام دون أن يستحل صاحبه يظلم القلب ولا يمكن أن يجتمع النور والظلمة وسيطردهما الآخر.

فترك هذا الطعام وعاد لحلقة شريحة وبه من الجوع ما لا يعلمه إلا الله، وبعد أن انتهى الدرس إذا بامرأة تأتي وتكلم الشيخ كلاماً لم يفهمه الحاضرون.

ثم قال الشيخ لطالب العلم هذا: يا عبد الله ألك رغبة في الزواج؟ فقال: أتهزأ بي، والله من ثلاثة أيام ما دخل جوفي طعام فيكيف أتزوج؟؟

قال الشيخ: إن هذه المرأة تذكر أن زوجها توفي وترك بنتاً واحدة وكان ذا ثروة ومال كثير وتريد أن يتزوج ابنتها رجل صالح يعيش معها ومع ابنتها وينمي المال ويرعاه.

فقال: إن كان كذلك فلا بأس فخرج الشيخ والتلميذ والمرأة والحاضرون يسرون حتى دخلوا البيت الذي دخله هذا الشاب من قبل فلما وضع الطعام بكى هذا الشاب.

فقال له الشيخ: لم تبكي؟

هل أكرهناك على الزواج؟

قال: لا.

^١ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص: ١٦٥) آثار البلاد وأخبار العباد (ص: ٣٢٠)

ولكنني قبل سويغات دخلت هذا البيت لأكل من هذا الطعام الذي وضع بين أيدينا فتذكرت أنه حرام فتركته لله فأعاده الله إلي ومعه غيره عن طريق الحلال. (١)

فأين الله؟!

مر عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- على غلام يرعى أغناما لسيده، فأراد ابن عمر أن يختبر الغلام، فقال له: بع لي شاة. فقال الصبي: إنها ليست لي، ولكنها ملك لسيدي، وأنا عبد مملوك له. فقال ابن عمر: إننا بموضع لا يرانا فيه سيدك، فبعني واحدة منها، وقل لسيدك: أكلها الذئب.

فاستشعر الصبي مراقبة الله، وصاح: إذا كان سيدي لا يرانا، فأين الله؟! فسر منه عبد الله بن عمر، ثم ذهب إلى سيده، فاشتراه منه وأعتقه. (٢)

الفصل السادس: قصص عن التوسل

يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصّدق

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنّ رسول الله ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفر ممّن كان قبلكم إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنّ الله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصّدق، فليدع كلّ رجل منكم بما يعلم أنّه قد صدق فيه. فقال واحد منهم: اللهمّ إن كنت تعلم أنّه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرزّ، فذهب وتركه، وأتيّ عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أنّي اشتريت منه بقرا، وأنّه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي:

إنّما لي عندك فرق من أرزّ.

^١ - موقع أخوات طريق الإسلام

^٢ - صفة الصفوة (٢/ ١٨٨)

فقلت له: اعمد إلى تلك البقر؛ فإنّها من ذلك الفرق. فساقتها، فإن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا. فانساخت عنهم الصخرة.

فقال الآخر: اللهمّ إن كنت تعلم أنّه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كلّ ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عنهما ليلة، فجئت وقد رقدا؛ وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتّى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتّى طلع الفجر. فإن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا.

فانساخت عنهم الصخرة حتّى نظروا إلى السّماء.

فقال الآخر: اللهمّ إن كنت تعلم أنّه كان لي ابنة عمّ من أحبّ النّاس إليّ، وأنّي راودتها عن نفسها، فأبت إلّا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتّى قدرت، فأتيها بها فدفعتها إليها، فأمكنني من نفسها، فلمّا قعدت بين رجلها، فقالت: اتّق الله ولا تفضّ الخاتم إلّا بحقه، فقممت وتركتم المائة الدّينار، فإن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنّا، ففرّج الله عنهم فخرجوا»^(١)

لقد دعا باسمه العظيم

عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- أنّه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ جالسا ورجل قائم يصليّ، فلمّا ركع وسجد وتشهّد دعا، فقال في دعائه:

اللّهمّ إنّي أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلّا أنت المّان بديع السّماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حيّ يا قيّوم إنّي أسألك.

فقال النّبيّ ﷺ لأصحابه: «تدرون بما دعا؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «والذي نفسي بيده لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى^(٢)

اللّهمّ حوالينا ولا علينا

عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-قال: بينا النّبيّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقام رجل فقال: يا رسول الله ادع الله أن يسقينا، فتغيّمت السّماء ومطرنا، حتّى ما كاد الرّجل يصل إلى منزله، فلم تزل تمطر إلى الجمعة المقبلة، فقام ذلك الرّجل أو غيره.

فقال: ادع الله أن يصرفه عنّا فقد غرقنا.

فقال: «اللّهمّ حوالينا ولا علينا».

^١ - البخاري-الفتح ٦ (٣٤٦٥) واللفظ له. ومسلم (٢٧٤٣) واستشهد به في صفات عديدة.

^٢ - النسائي (٥٢ / ٣) واللفظ له، أبو داود (١٤٩٣)، ابن ماجّة (٣٨٥٨) وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢٧٩ / ١) رقم (١٢٣٣).

فجعل السحاب يتقطّع حول المدينة، ولا يمطر أهل المدينة»^(١)

إنكم شكوتم جذب دياركم

عن عائشة-رضي الله عنها- أنها قالت: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ، قحوط المطر فأمر بمنبر، فوضع له في المصلّى ووعد الناس يوما يخرجون فيه، قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقع على المنبر، فكبر صلى الله عليه وسلم وحمد الله- عز وجل- ثم قال: «إنكم شكوتم جذب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم» ثم قال: «الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم ملك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد. اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين»

قالت: ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حوّل إلى الناس ظهره وقلب أو حوّل رداءه وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس، ونزل فصلّي ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله، فلم يأت مسجده حتى سألت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكنّ، ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه، فقال: «أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير وأني عبد الله ورسوله»^(٢)

اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب

قال العباس بن عبد المطلب-رضي الله عنه- لما وقف يستسقي للمسلمين: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث. قال الراوي: فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس.

التوسل بالصالحين الأحياء

عن أنس قال: كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ﷺ استسقوا بالنبي ﷺ فيستسقي لهم فيسقون فلما كان بعد وفاة النبي ﷺ في إمارة عمر قحطوا فخرج عمر بالعباس يستسقي به فقال: اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبيك ﷺ واستسقينا به فسقينا وإنا نتوسل إليك اليوم بعم نبيك ﷺ فاسقنا قال: فسقوا^(٣)

الفصل السابع: قصص عن التحذير من الشرك

اجعل لنا ذات أنواط

^١ - البخاري-الفتح ١١ (٦٣٤٢) واللفظ له. مسلم (٨٩٧).

^٢ - أبو داود (١١٧٣) وقال: وهذا حديث غريب وإسناده جيد، وذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٠٦٤).

^٣ - أخرجه البخاري (٣٤٢/١)، رقم ٩٦٤، وابن حبان (١١٠/٧)، رقم ٢٨٦١.

عن واقد الليثي - رضي الله عنه - أَنَّ رسول الله - ﷺ - «لما خرج إلى غزوة حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ للمُشْرِكِينَ كانوا يُعَلِّقُونَ عليها أسلحتَهُمْ، يقال لها : ذاتُ أنواط، فقالوا : يا رسول الله، اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ،^(١) كما لهم ذاتُ أنواط، فقال رسولُ الله - ﷺ - : سبحان الله ! هذا كما قال قومُ موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده: لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم»^(٢)

مطرنا بفضل الله وبرحمته

عن زيد بن خالد - رضي الله عنه - : قال : «صَلَّى بنا رسول الله - ﷺ - صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء^(٣) كانت من الليل. فلما انصرف ، أَقْبَلَ على الناس. فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال: قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما من قال : مُطِرْنَا بفضل الله ورحمته : فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب. وأما من قال : مُطِرْنَا بِنُوءٍ^(٤) كذا وكذا: فذلك كافر بي ، مؤمن بالكواكب». ^(٥)

الفصل الثامن: قصص عن الإلحاد بالله

الإمام الشافعي ووجود الله

الإمام الشافعي: سأل بعض الملاحدة الإمام الشافعي (رحمه الله): ما الدليل على وجود الصانع (الله تعالى)؟ فقال: ورقة التوت، طعمها ولونها وريحها وطبعها واحدٌ عندكم؟ قالوا: نعم، قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها الحرير، والنحل فيخرج منها العسل، والشاة فيخرج منها البعر، ويأكلها الطباء، فينعقد في نوافجها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحدٌ؟ فاستحسنوا منه ذلك، وأسلموا على يده، وكان عددهم سبعة عشر^[٦].

^١ - أنواط : جمع نوط، وهو مصدر نطت به كذا وكذا انوط نوطا : إذا علقت به، ويسمى المنوط بالنوط.

^٢ - أخرجه الحميدي (٨٤٨/٥) وأحمد (٢١٨/٥)

^٣ - إثر سماء : السماء ها هنا : المطر، سمي بذلك، لأنه ينزل من السماء.

^٤ - النوء : واحد الأنواء، وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها، ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع [ص: ٥٧٨] الفجر، وتطلع أخرى مقابلها، فتتقضي جميعها مع انقضاء السنة، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزل، وطلوع رقيبها : يكون مطر، فينسبون المطر إلى المنزلة، ويقولون: «مطرنا بنوء كذا» وإنما سمي نوءاً، لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالشرق، ينوء نوءاً،

^٥ - أخرجه أحمد (١١٧/٤) ، رقم (١٧١٠٢) ، والبخاري (٢٩٠/١) ، رقم (٨١٠) ، ومسلم (٨٣/١) ، رقم (٧١)

^٦ - (تفسير الرازي، ج٢، ص٣٣٣)، (معارج القبول لحافظ حكيم، ج١، ص٧٨).

الإمام جعفر الصادق (رحمه الله) والرد على الملحدين

فقد أنكر بعض الملاحدة وجود الله تعالى عند جعفر الصادق (رحمه الله)، فقال له جعفر: هل ركبت البحر؟

قال: نعم، قال: هل رأيت أهواله؟

قال: نعم، هاجت يومًا رياحٌ هائلةٌ، فكسرت السفن، وغرقت الملاحين، فتعلقت أنا ببعض ألواحها، ثم ذهب عني ذلك اللوح، فإذا أنا مدفوعٌ في تلاطم الأمواج حتى دفعت إلى الساحل، فقال جعفر: قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح، ثم على اللوح حتى تنجيك، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك: هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة بعد؟

قال: بل رجوت السلامة، قال: ممن كنت ترجوها؟

فسكت الرجل، فقال جعفر: إن الصانع هو الذي كنت ترجوه في ذلك الوقت، وهو الذي أنجاك من الغرق، فأسلم الرجل على يده [١].

الإمام أبو حنيفة والرد على الملحدين

الإمام أبو حنيفة: سأل بعض الملاحدة الإمام أبا حنيفة (رحمه الله) عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني؛ فإنني مفكرٌ في أمرٍ قد أخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينةً في البحر فيها أنواعٌ من المتاجر، وليس بها أحدٌ يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها، وتخرق الأمواج العظام حتى تخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحدٌ، فقالوا: هذا شيءٌ لا يقوله عاقلٌ، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانعٌ؟ فبهت القوم ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه [٢].

الحلاق والزبون

ذهب رجل إلى الحلاق

لكي يحلق له شعر رأسه ويهذب له لحيته وما أن بدأ الحلاق عمله في حلق رأس هذا الرجل، حتى بدأ بالحديث

معه في أمور كثيرة . . . إلى أن بدأ الحديث حول وجود الله . . . قال الحلاق :-

^١ - (تفسير الرازي، ج٢، ص٣٣٣).

^٢ - (تفسير الرازي، ج٢، ص٣٣٣) (معارج القبول لحافظ حكيم، ج١، ص٧٨).

أنا لا أؤمن بوجود الله "

قال الزبون :- " لماذا تقول ذلك ؟ "

قال الحلاق: -حسنا، مجرد أن تنزل إلى الشارع لتدرك بأن الله غير موجود

قل

لي، إذا كان الله موجودا هل ترى أناسا مرضى؟ وإذا كان الله موجودا هل ترى هذه الإعداد الغفيرة من الأطفال المشردين؟ طبعا إذا كان الله موجودا فلن ترى مثل هذه الآلام والمعاناة أنا لا أستطيع أن أتصور كيف يسمح ذلك الإله الرحيم

مثل هذه الأمور. فكر الزبون للحظات لكنه لم يرد على كلام الحلاق حتى لا يحتد النقاش وبعد أن انتهى الحلاق من عمله مع الزبون . . خرج الزبون إلى الشارع فشاهد رجل طويل شعر الرأس مثل الليف، طويل اللحية، قذر المنظر، أشعث أغبر، فرجع الزبون فورا إلى صالون الحلاقة . . . قال الزبون للحلاق: - " هل تعلم بأنه لا يوجد حلاق أبدا

قال الحلاق متعجبا: - " كيف تقول ذلك . . أنا هنا وقد حلقت لك الآن "

قال الزبون: - " لو كان هناك حلاقين لما وجدت مثل هذا الرجل قال الحلاق " بل

الحلاقين موجودين.... وإنما حدث مثل هذا الذي تراه عندما لا يأتي هؤلاء الناس لي لكي أحلق لهم " قال الزبون " وهذا بالضبط بالنسبة إلى الله . . . فالله موجود ولكن يحدث ذلك عندما لا يذهب الناس إليه عند حاجتهم... ولذلك ترى الآلام والمعاناة في العالم.

العودة بعد خمسين عاما

والمفكر الإنجليزي "أنطوني فلو" الذي قطع أكثر من خمسين عاما في التأسيس للإلحاد في الفكر الإنساني المعاصر، حيث بدأ إلحاده عام ١٩٤٦، وكان يرى أن أول كائن حي نشأ كان من العدم ثم تحول إلى مخلوق معقد، لم يجد في النهاية إلا أن يعترف بأن الإلحاد ما هو إلى خواء، وأن للكون إلها قديرا، ورغم أن عودته للإيمان كانت ما تزال مشوشة بتأثير طول العمر الذي قضاه في التنظير للإلحاد، إذ يقول عن رحلة عودته للإيمان أنها كانت "رحلة عقل وليست رحلة إيمان"، إلا أن الحقيقة أن إلحاده قد اهتز وتهاوى الأساس الذي يركز عليه مشروعه الإلحادي بالكامل بفضل فكرة الاعتقاد بوجود إله خالق لهذا الكون، فهو يؤكد أنه كان يتبع

البرهان إلى حيث يقوده، وقد قاده البرهان إلى حقيقة الاعتقاد بوجود إله، فيقول: "صرت أؤمن بإله واحد أحد، واجب الوجود، غير مادي، لا يطرأ عليه التغير، مطلق القدرة، مطلق العلم" وكانت لحظة إعلان الإيمان تلك وهو في الحادية والثمانين من عمره.

المفكر الإنجليزي أنطوني فلو وكتابه "There is God"

في نهاية عام ٢٠٠٧ أصدر "فلو" كتابه "There is God" "هناك إله" أي قبل موته بثلاث سنوات، نسب به ثلاثين كتاباً وبحثاً فلسفياً في التنظير للإلحاد، وهو ما يعني أن الرجل أراد أن يقول كلمته الأخيرة في أهم ما شغل الإنسان ألا وهو قضية المعتقد في أكبر أسئلتها وهو سؤال "الإله"، وربما قد اكتمل عند "فلو" الكثير من المعرفة والقدرة على الصراحة، فالأديب توفيق الحكيم كان يرى أن القليل من العلم يورث الإلحاد، أما الكثير من العلم فهو يورث الإيمان، ومن ثم فالإلحاد كما أشار الشيخ الغزالي هو "آفة نفسية قبل أن يكون شبهة عقلية".^(١)

منير شفيق

: ولد شفيق في القدس لأبوين مسيحيين عام ١٩٣٤م ثم انخرط في العمل السياسي في الحزب الشيوعي الأردني .

ثم صار من كبار منظري ومناضلي الفلسفة الماركسية الإلحادية في الشرق الأوسط حتى أواخر السبعينيات من القرن الماضي.

شكل مع بعض المنظرين الشيوعيين ما سمي باللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الشرق الأوسط ، على غرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي سابقاً ، وكان شفيق من أبرز أعضائها . وكان لهذه اللجنة المكونة من تسعة أعضاء دور فعال في تربية قيادات الأحزاب الشيوعية في كل من العراق، وسوريا، ولبنان، والأردن وفلسطين .

وقد زارت اللجنة موسكو في بداية السبعينيات بدعوة من السفارة الروسية للاطلاع على تجربة الاتحاد السوفيتي في تطبيق النظرية الماركسية ، لكن اللجنة عادت بخيبة أمل كبيرة لما رأوا أن الاتحاد السوفيتي لا يطبق الأفكار الماركسية في جانبها الاجتماعي والاقتصادي كما وضعها (كارل ماركس) المؤسس، وقررت اللجنة أن تتابع عملها بعيداً عن موسكو وتطبيقاتها الماركسية المزعومة.

ومن أهم مؤلفات شفيق في حقبة الماركسية، والتي لا يزال يحتفي بها في أروقة الفصائل الماركسية، ومنها يستلهمون معينهم الفكري إلى الآن :

١ _ الماركسية اللينينية والثورة الملحة.

^١ - رحلة العقول من الإلحاد إلى الإيمان - إسلام أون لاين

٢_ الماركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري.

٣_ في علم الحرب.

تحول شفيق من الشيوعية الملحدة إلى الإسلام:

أما عن تحوله إلى الإسلام فيروي شفيق أن أعضاء اللجنة المركزية قررت تنويع مصادر ثقافتهم الماركسية بالاطلاع على مصادر الثقافات الأخرى بهدف إثراء ثقافتهم وتعضيدها.

وكان قرار اللجنة الاجتماع على قراءة ودراسة الكتب المقدسة بدءاً بـ (الويدا) الكتاب المقدس عند الهندوس ، ثم (توراة) اليهود ، ثم (إنجيل) النصارى ، ثم (قرآن) المسلمين، والاستعانة بمفسرين لهذه الكتب من كل ملة ، يشرح لهم معانيها ويجيب على تساؤلاتهم ، واستفساراتهم.

ثم يحكي الأستاذ منير شفيق عن هذه التجربة فيقول: وبعد قراءة هذه الكتب المقدسة لدى أهل الديانات المختلفة تبلورت لديهم قناعة راسخة بعد التحليل والمقارنة أن ما جاء في القرآن الكريم من قيم إنسانية، وأحكام عملية ، وإجابات شاملة على كافة تساؤلاتهم، يعتبر قمة في الثقافة ، والفكر، والنهج الحضاري الإنساني، لا يماريه في ذلك كتاب مقدس آخر، أو فكر آخر .

ويقول: ثم تولدت لدى أعضاء اللجنة المركزية فكرة محاولة تطبيق أوامر القرآن وتعاليمه، والالتزام بفضائله وآدابه حتى تتحقق الاستفادة منه ، وعند ذلك بدأ التفكير الجاد بالتحول نحو الإيمان بالإسلام .

وبعد تحول الأستاذ منير شفيق من الشيوعية والإلحاد إلى الإسلام، كتب عدداً من الكتب والمقالات التي تميزت بثقافة واسعة، وتأصيل منهجي وآفاق فكرية شمولية، ومن أهمها:

١_ الإسلام في معركة الحضارة.

٢_ الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر.

٣_ بين النهوض والسقوط.

٤_ قضايا التنمية والاستقلال.

٥_ في نظريات التغيير.

٦_ النظام الدولي الجديد وخيارات المواجهة.

إلى غير ذلك من المؤلفات والمقالات والأبحاث في مجال الفكر والسياسة. ويعتبر الأستاذ شفيق منير اليوم من أبرز المفكرين الإسلاميين بدراساتهم،

وتحليلاتهم، وآرائهم، خصوصاً تلك التي تعرضت لمفرزات الحضارة الغربية من مدارس فكرية، وتيارات سياسية بالنقد والتحليل.^(١)

جيفري لانج من الإلحاد إلى قمة الإيمان

جيفري لانج: بروفيسور في الرياضيات ولد عام ١٩٥٤م في مدينة برديجبورت الأمريكية، حصل على درجة الدكتوراه من جامعة "بورديو" وهو الآن أستاذ في قسم الرياضيات في جامعة كنساس وجامعة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية.

يقول جيفري عن نفسه: ولدت مسيحياً من أبوين مسيحيين، ثم تابع تعليمه حتى الثانوية العامة، وفي هذه المرحلة كان جيفري كثيراً ما يعترض على معلم اللاهوت في تقرير وجود الخالق، وفق عقيدة التثليث النصرانية، وبسبب تكرار اعتراضات جيفري ومناقشاته طرده المعلم من الدرس واصفاً إياه بالإلحاد، حتى شاع ذلك بين أسرته وزملائه، ولم يكن هذا الوصف مستنكراً عند جيفري، بل كان يعترف بالإلحاد، وإنكاره لوجود الخالق ودفاعه عن ذلك.

وبقي جيفري ملحداً عشر سنين تالية، وكان قد أتم دراسته الجامعية العليا، وعين أستاذاً في جامعة سان فرانسيسكو، وفي هذه الجامعة تعرف على طالب عربي كان يدرس عنده، وتوثقت علاقته به، ثم أهداه الطالب نسخة مترجمة من القرآن الكريم، وكان ذلك سبباً لإسلامه.

يقول جيفري: فلما قرأته لأول مرة شعرت كأن القرآن هو الذي يقرأني، وشعرت أنني أمام أستاذ علم النفس، يسلط الأشعة على كل مشاعري المخبأة، وكنت عند مناقشة بعض المشاكل أجد القرآن أمامي بالمرصاد، يغوص في أعماقي فيجعلني عارياً أمام الحقيقة. ثم يقول: لقد وجدت في القرآن إجابات عقلية ومنطقية لكل ما يدور في نفسي من تساؤلات، وهذا الأمر دفعني للإيمان بالله عن طريق الإسلام، وهكذا أصبحت مسلماً.

ولم يكتف جيفري باعتناق الإسلام، بل كتب كتابات وصفت بالعمق والشمولية لاسيما في مسيرته الشخصية من الإلحاد إلى الإيمان ومنها:

١ _ الصراع من أجل الإيمان انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام.

عرض فيه تجربة تحوله من الإلحاد إلى الإيمان.

٢ _ حتى الملائكة تسأل.

٣ _ ضياع ديني صرخة المسلمين في الغرب.

^١ - رحلة العقول من الإلحاد إلى الإيمان - إسلام أون لاين

ويعتبر د. جفري لانج الآن من أبرز الفقهاء المشهورين والدعاة والمفكرين في الولايات المتحدة الأمريكية. ^(١)

الفصل التاسع

قصص عن التحذير من النذر لغير الله

هل عليها وثن

عن ميمونة بنت كردم قالت: رأيت رسول الله ﷺ - بمكة وهو على ناقه له وأنا مع أبي فذكر الحديث قالت فقال له أبي في ذلك المقام: إني نذرت أن أذبح عدة من الغنم قال لا أعلم إلا قال خمسين شاة على رأس بوانة. فقال رسول الله ﷺ -: «هل عليها من هذه الأوثان شيء؟». قال: لا. قال: «فأوف لله ما نذرت له». قال: فجمعها أبي فجعل يذبحها فانفلتت منه شاة فطلبها وهو يقول: «اللهم أوف عني نذري حتى أخذها فذبحها» ^(٢)

أُوفِي بِنَذْرِكَ

عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ امْرَأَةً، أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَضْرِبَ عَلَى رَأْسِكَ بِالْذُّفِّ، قَالَ: «أُوفِي بِنَذْرِكَ». قَالَتْ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَدْبَحَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، مَكَانٌ كَانَ يَذْبَحُ فِيهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ «لِصْنَمٍ» قَالَتْ: لَا، قَالَ: «لِوَثْنٍ»، قَالَتْ: لَا، قَالَ: «أُوفِي بِنَذْرِكَ» ^(٣)

الفصل عاشر

التحذير من التشبه بأهل الكتاب

عن جابر، أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب، فقال: يا رسول الله، إني أصبت كتابا حسنا من بعض أهل الكتاب، قال: فغضب، وقال: أمتهوكون فيها ^(٤) يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتمكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو كان موسى كان حيا اليوم ما وسعه إلا أن يتبعني. ^(٥)

^١ - رحلة العقول من الإلحاد الى الإيمان - إسلام أون لاين

^٢ - أخرجه أحمد (٣٦٦/٦). وأبو داود (٢١٠٣) قال الألباني: صحيح.

^٣ - سنن أبي داود (٢٣٨ / ٣) [حكم الألباني]: حسن صحيح

^٤ - أي: أمتهوكون في دينكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيلكم، كما تهوكت اليهود والنصارى، أي: كتبتهم، حيث نبذوا كتاب الله

وراء ظهورهم واتبعوا أهواء أحيارهم وورهبانهم. مرقاة المفاتيح (٢/ ٦٤)

^٥ - أخرجه أحمد (٣٨٧/٣)، رقم ١٥١٩٥

الفصل حادي عشر

قصص ومواقف عن البدعة والتحذير منها

إن فلانا لا يؤمن بالقدر، فلا تجالسوه.

عن أبي إدريس الخولاني أنه رأى رجلاً يتكلم في القدر فقام إليه فوطئ بطنه، ثم قال: إن فلانا لا يؤمن بالقدر، فلا تجالسوه. فخرج الرجل من دمشق إلى حمص. (١)

مالها لا تتكلم،

روى الدارمي عن قيس بن أبي حازم قال: دخل أبو بكر على امرأة من أخمس، يقال لها: زينب: قال: فرآها لا تتكلم، فقال: مالها لا تتكلم، قالوا: نوت حجة مصمتة فقال لها: تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية، قال: فتكلمت فقالت: من أنت؟

قال: أنا امرؤ من المهاجرين، قالت: من أي المهاجرين؟

قال: من قريش. قالت: فمن أي قريش أنت؟

قال: إنك لسؤول، أنا أبو بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية، فقال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم، قالت: وأيما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رؤساء وأشرف يأمرونهم فيطيعونهم؟

قالت: بلى، قال: فهم مثل أولئك على الناس. (٢)

خاصمهم بسنن أبي بكر وعمر رحمهما الله

عن عبد الله بن الزبير قال: لقيني ناس من أهل العراق، فخاصموني في القرآن، فوالله ما استطعت بعض الرد عليهم وهبت المراجعة في القرآن، فشكوت ذلك إلى أبي الزبير.

فقال الزبير: إن القرآن قد قرأه كل قوم فتألولوه على أهوائهم وأخطئوا مواضعه، فإن رجعوا إليك فخاصمهم بسنن أبي بكر وعمر رحمهما الله، فإنهم لا يجحدون أنهما أعلم بالقرآن منهم، فلما رجعوا فخاصمتهم بسنن أبي بكر وعمر فوالله ما قاموا معي ولا قعدوا. (٣)

ألم أرك مع قوم يجادلون في القرآن؟

١ - الإبانة (٢/ ٤٥٠/ ٣) (٤١٢).

٢ - سنن الدارمي (١/ ٧١).

٣ - الإبانة (٢/ ٦٢٠/ ٤) (٨١١) والفقيه والمتفقه (١/ ٥٦٠ - ٥٦١) بنحوه مختصراً.

عن صالح أبي الخليل قال: مر خباب بابنه وهو مع أناس يجادلون في القرآن فانقلب غضبان فأعد له سوطاً أو خطاماً أو نسعة، فلما انقلب الفتى وثب عليه من غير أن يأتيه فضربه ضرباً عنيفاً، فلما رأى الجد من أبيه قال: قد علمت أنك إنما تريد نفسي فعلى ماذا؟

فما رد عليه شيئاً فجعل يضربه فقال: يا أبت، قد أرى أنك تريد نفسي، فمه؟

قال: ألم أرك مع قوم يجادلون في القرآن؟

قال: يا أبت إني لا أعود. فكان إذا مر بهم يدعونه، قال: فيقول: لا، إلا أن تقبلوا مني ما قبل أبي من نبي الله.

قال: فيقولون له: إنه قد كان بعد النبي - ﷺ - أمور أو أحداث. (١)

إياكم وما أنكر المسلمون

عن عبد الرحمن بن بكرة قال: كنت جالسا عند الأسود بن سريع، وكان مجلسه في مؤخر المسجد الجامع، فافتتح سورة بني إسرائيل حتى بلغ {وكبره تكبيرا} (الإسراء الآية ١١١). فرفع أصواتهم الذين كانوا حوله جلوسا.

فجاء مجالد بن مسعود يتوكأ على عصا فلما رآه القوم قالوا: مرحبا مرحبا، اجلس. قال: ما كنت لأجلس إليكم وإن كان مجلسكم حسنا، ولكنكم صنعتُم قبيل شيئاً أنكره المسلمون، فإياكم وما أنكر المسلمون. (٢)

الفصل الثاني عشر: قصص عن في النفاق والمنافقين

ما لكم رجعتُم؟

عن عبد الرحمن بن عوف: أن قوما من العرب أتوا رسول الله ﷺ المدينة، فأسلموا، وأصابهم وباء المدينة، حمّاها، فأركسوا (٣) فخرجوا من المدينة، فاستقبلهم نفر من أصحابه، يعني أصحاب النبي ﷺ فقالوا لهم: ما لكم رجعتُم؟ قالوا: أصابنا وباء المدينة فاجتونا (٤)، المدينة. فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوة؟

^١ - ابن وضاح (ص. ٥٢ - ٥٣).

^٢ - ابن وضاح (ص. ٥٠ - ٥١).

^٣ - أركسوا: يقال ركست الشيء وأركسته إذا رددته ورجعته، أركسوا رجعوا إلى ما كانوا عليه.

^٤ - اجتونا: أصابهم الجوى، وهو المرض. ويقال: اجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه.

فقال بعضهم: نافقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا، هم مسلمون، فأنزل الله عز وجل: **{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا...}** (النساء / ٨٨) (الآية (١))

مداهنة الحكام من النفاق

عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنه لقي ناسا خرجوا من عند مروان، فقال: من أين جاء هؤلاء؟ قالوا: خرجنا من عند الأمير مروان، قال: وكلّ حقّ رأيتموه تكلمتم به وأعنتم عليه، وكلّ منكر رأيتموه أنكرتموه ورددتموه عليه؟ قالوا: لا والله، بل يقول ما يُنكرُ، فنقول: قد أصبت أصلحك الله. فإذا خرجنا من عنده قلنا: قاتله الله، ما أظلمه! وأفجره! قال عبد الله: كنّا بعهد رسول الله ﷺ نعدّ هذا نفاقا لمن كان هكذا «٢».

إذا جاءك المنافقون

عن زيد بن أرقم- رضي الله عنه- أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر، أصاب الناس فيه شدة. فقال عبد الله بن أبيّ لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله.

قال زهير: وهي قراءة من خفض حوله.

وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. قال: فأتيت النّبيّ ﷺ فأخبرته بذلك.

فأرسل إلى عبد الله بن أبيّ فسأله فاجتهد يمينه ما فعل.

فقال: كذب زيد رسول الله ﷺ

قال: فوقع في نفسي ممّا قالوه شدة. حتّى أنزل الله تصديقي: **{إذا جاءك المنافقون}** (المنافقون / ١). قال: ثمّ دعاهم النّبيّ ﷺ ليستغفر لهم. قال فلوّوا رؤوسهم. وقوله: كأنّهم خشب مسندة. وقال: كانوا رجالا أجمل شيء «٣».

وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا

عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: لمّا توفيّ عبد الله بن أبيّ ابن سلول، جاء ابنه، عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه. فأعطاه. ثمّ سأله أن يصليّ عليه. فقام رسول الله ﷺ ليصليّ عليه.

فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصليّ عليه وقد نهاك الله أن تصليّ عليه؟

١ - أحمد (١/ ١٩٢) وقال الشيخ أحمد شاكر (٣/ ١٣١-١٣٢): إسناده صحيح.

٢ - مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر (٧/ ٥٣٧٣) وقال محققه: إسناده صحيح وأصله عند البخاري.

٣ - البخاري-الفتح ٨ (٤٩٠٣)، ومسلم (٢٧٧٢) واللفظ له.

فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً} (التوبة / ٨٠). وسأزيده على سبعين» قال: إنه منافق. فصلّى عليه رسول الله ﷺ . فأنزل الله عزّ وجلّ: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} (التوبة / ٨٤) «١».

الفصل الثالث عشر

قصص عن مولاة الكفار

لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب

عن عليّ-رضي الله عنه-قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: «اتتوا روضة خاخ فإنّ بها طعينة معها كتاب فخذوه منها» فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بالمرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين، من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب، ما هذا؟» قال: لا تعجل عليّ يا رسول الله، إنّني كنت امرأ ملصقا في قريش (قال سفيان: كان حليفا لهم. ولم يكن من أنفسهم) وكان ممّن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم. فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني.

ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال النبي ﷺ: «صدق»، .

فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق.

فقال: «إنّك قد شهد بدرا، وما يدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم».

فأنزل الله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} (سورة الممتحنة: ١) «٢».

أجنب هو؟

قال عمر-رضي الله عنه-لأبي موسى وأمره أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد وكان له كاتب نصراني-فرّغ إليه ذلك فعجب عمر وقال: إنّ هذا لحفيظ، هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام؟ فقال: إنّك لا تستطيع، فقال عمر: أجنب هو؟

^١ - البخاري-الفتح ٨ (٤٦٧٢)، ومسلم (٢٧٧٤) واللفظ له.

^٢ - البخاري. الفتح ٨ (٤٨٩٠)، مسلم (٢٤٩٤) واللفظ له.

قال: لا، بل نصراني، قال: فانتهرني وضرب فخذي ثم قال: أخرجوه، ثم قرأ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ} «١».

عاقبة موالاة الكافرين وخيانة المسلمين

في سنة ٦٤٢ هـ عندما كان الخلاف على أشده بين الصالح أيوب أمير مصر وعمه الصالح إسماعيل أمير دمشق رأى الثاني أن السبيل في الانتصار على ابن أخيه هو التعاون مع الصليبيين أعدى أعداء المسلمين وقتها في تكوين جبهة متحدة للقضاء على الصالح أيوب والاستيلاء على مصر وبالفعل إسماعيل مع أمير الصليبيين في صيدا وطرابلس واستبعد للهجوم على مصر، وعندما قرر الصالح أيوب الاستعانة بالخوارزميين المسلمين الذين تفرقوا في البلاد بعد اكتساح بلادهم على يد التتار وأصبحوا قوة بلا دولة فرأى أيوب أن يوجه هذه القوة لنصرة الإسلام وبالفعل التقى الجيشان في جمادى الآخرة سنة ٦٤٢ هـ واقتتلوا قتالاً شديداً وانتصر المسلمون انتصاراً هائلاً وانهزم الصليبيون بصلبانهم وراياتهم العالية على رؤوس خونة المسلمين وكانت كؤوس الخمر تدور في الجيش المتحالف وقتل من الكفار الصليبيين في هذا اليوم زيادة عن ثلاثين ألفاً ووقع في الأسر جماعة من ملوكهم وقسوسهم وأساقفتهم وخلقاً من الأمراء الخونة وبعثوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر وكان يوماً مشهوراً وسمع ما قاله بعض أمراء الخونة بعدما وقع في الأسر 'قد علمت أنا لما وقفنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نفلح' فهمسة في أذن كل خائن وطامع وعابد للدنيا وشهواتها أنكم في النهاية لن تفلحوا أبداً.

الفصل الرابع عشر: قصص عن الرياء

«أتراه يرأي؟»

عن بريدة الأسلمي-رضي الله عنه-قال: خرجت ذات يوم لحاجة، فإذا أنا بالنبي ﷺ يمشي بين يدي، فأخذ بيدي فانطلقنا نمشي جميعاً، فإذا نحن بين أيدينا برجل يصلي يكثر الركوع والسجود، فقال النبي ﷺ: «أتراه يرأي؟» فقلت: الله ورسوله أعلم، فترك يده من يدي، ثم جمع بين يديه، فجعل يصوبهما ويرفعهما ويقول: «عليكم هديا قاصداً، عليكم هديا قاصداً، عليكم هديا قاصداً، فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه» (٢)

إنه غرنا بالله فكندا نغتر

^١ - تفسير ابن كثير (٢/ ٦٨).

^٢ - أحمد، المسند ٥/ ٣٥٠، وينظر تخريجه في الغلو.

وفد على عمر بن عبد العزيز بلال بن أبي بردة فجعل يصلي ويطيل الصلاة فقال عمر للعلاء ترى ذلك تصنعاً فقال العلاء أنا آتيك بخبره يا أمير المؤمنين فأتى إلى داره بين العشاءين فوجده يصلي فقال له خفف فإن لي إليك حاجة فخفف وسلم وقال ما الحاجة فقال له العلاء تعرف محلي من أمير المؤمنين فإن أنا أشرت بك عليه في ولاية العراق فما تجعل لي قال لك علي عمالتي سنة وكان مبلغ ذلك عشرين ألف درهم فسأله العلاء أن يكتب له بذلك شرطاً على نفسه فكتب له فأتى العلاء بالشرط إلى عمر فقال إنه غرنا بالله فكدنا نغتر وكنا نظنه ذهباً فلما سبكناه وجدناه خبثاً وأدخل على المنصور رجل أراد أن يوليه قضاء ناحية من العراق قد جعل السجود بين عينيه كركبة الجمل فقال له المنصور إن كنت أردت الله بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه وإن كنت أردتنا فما ينبغي لنا أن ننخدع لك ولم يوله شيئاً^(١)

أصبح ممن يعبد الله على حرف

وضع بعض المرائين بين عينيه سجادة ودلكها بنواة وشد عليها ثوماً وبات بها فزاغت العصابة عن مكانها وصارت في ناحية صدغه فاتسم فليل لولده كيف أصبح أبوك قال أصبح ممن يعبد الله على حرف^(٢)

إنه ضرب على غير سكة

ورأى المنصور رجلاً واقفاً ببابه وبين عينيه سجادة فقال له: بين عينيك درهم مثل هذا وتقف ببابي؟ فقال: إنه ضرب على غير سكة^(٣)

عملتي هذا لوجه الله فقبل الله منك

يحكى أن ملك من الملوك أراد أن يبني مسجد في مدينته وأمر أن لا يشارك أحد في بناء هذا المسجد لا بالمال ولا بغيره... حيث يريد أن يكون هذا المسجد هو من ماله فقط دون مساعدة من أحد وحذر وأنذر من أن يساعد أحد في ذلك وفعلاً تم البدء في بناء المسجد ووضع أسمه عليه وفي ليلة من الليالي رأى الملك في المنام كأن ملك من الملائكة نزل من السماء فمسح أسم الملك عن المسجد وكتب أسم امرأة فلما أستيقظ الملك من النوم أستيقظ مفزوع وأرسل جنوده ينظرون هل أسمه مازال على المسجد فذهبوا ورجعوا وقالوا: نعم أسمك مازال موجود ومكتوب على المسجد وقالوا له حاشيته هذه أضغاث أحلام

^١ - غرر الخصائص الواضحة (ص: ٢٣)

^٢ - غرر الخصائص الواضحة (ص: ٢٣)

^٣ - محاضرات الأدباء للأصفهاني (١/ ٥٠٠)

وفي الليلة الثانية رأى الملك نفس الرؤيا رأى ملك من الملائكة ينزل من السماء فيمسح أسم الملك عن المسجد ويكتب أسم امرأة على المسجد وفي الصباح أستيقظ الملك وأرسل جنوده يتأكدون هل مازال أسمه موجود على المسجد ذهبوا ورجعوا وأخبروه أن أسمه مازال هو الموجود على المسجد تعجب الملك وغضب فلما كانت الليلة الثالثة تكررت الرؤيا فلما قام الملك من النوم قام وقد حفظ أسم المرأة التي يكتب أسمها على المسجد أمر بإحضار هذه المرأة فحضرت وكانت امرأة عجوز فقيرة ترتعش فسألها هل ساعدت في بناء المسجد الذي يبني قالت: يا أيها الملك أنا امرأة عجوز وفقيرة وكبيرة في السن وقد سمعتك تنهى عن أن يساعد أحد في بناءه فلا يمكنني أن أعصيك فقال لها: أسألك بالله ماذا صنعت في بناء المسجد قالت والله ما عملت شيء قط في بناء هذا المسجد إلا قال الملك نعم إلا ماذا؟ قالت إلا أنني مررت ذات يوم من جانب المسجد فاذا أحد الدواب التي تحمل الأخشاب وأدوات البناء للمسجد مربوط بحبل إلى وتد في الأرض وبالقرب منه سطل به ماء وهذا الحيوان يريد أن يقترب من الماء ليشرب فلا يستطيع بسبب الحبل والعطش بلغ منه مبلغ شديد فقمت وقربت سطل الماء منه فشرب من الماء هذا والله الذي صنعت فقال الملك: عملتي هذا لوجه الله فقبل الله منك وأنا عملت عملي ليقال مسجد الملك فلم يقبل الله مني فأمر الملك أن يكتب أسم المرأة العجوز على هذا المسجد (١)

الفصل الخامس عشر

قصص عن التطير

كذلك الدهر حالا بعد حال

حكي عن النعمان بن المنذر أنه خرج متصيداً ومعه عدي بن زيد العبادي فمر بآرام -وهي القبور- فقال عدي: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الآرام؟ فقال: لا قال: إنها تقول:

^١ - موقع صيد الفوائد

أيها الركب المخفو ن على الأرض تمرون
لكما كنتم فكنا وكما كنا تكونون

فقال: أعد فأعادها فترك صيده ورجع كثيباً، وخرج معه مرة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة، فقال عدي: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الآرام قال: لا، قال: إنها تقول:

رب ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذلك الدهر حالا بعد حال
فانصرف وترك صيده. (١)

لعل مناينا قريب وما ندري

لما خرج خالد بن الوليد إلى أهل الردة انتهى إلى حي من تغلب فأغار عليهم وقتلهم، وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يغني بهذا البيت:

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل مناينا قريب وما ندري
فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه، فإذا رأسه في الجفنة التي كان يشرب منها. وهذا كقولهم: إن البلاء موكل بالمنطق. (٢)

لا خير ولا شر

عن عكرمة قال: كنا جلوساً عند ابن العباس وابن عمر فطار غراب يصبح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن العباس: لا خير ولا شر، والذي حضرنا من الشعر في مثله لأبي الشيص:

ما فرق الأحباب بع د الله إلا الإبل

والناس يلحون غرا ب البين لما جهلوا

وما على ظهر غرا ب البين تطوى الرحل

ولا إذا صاح غرا ب في الديار ارتحلوا

وما غراب البين إ لا ناقة أو جمل

وقال آخر:

أترحل عمن أنت صب ب مثله وتلحي غراب البين أنك تظلم

أقم فغراب البين غير مفرق ولا يأتي إلا على الفصل يحكم

^١ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢٠).

^٢ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢١).

وقال آخر:

يلحون كلهم غراباً ينعق
غلط الذين رأيتهم بجهالة
مما يشتت شملهم ويفرق
ما الذنب إلا للجمال فإنها
وتشتت الشمل الجميع الأنيق
إن الغراب بيمنه يدنى النوى

وقال آخر:

لا يعلم المرء ليلاً ما يصبحه
إلا كواذب مما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهم
مضللون ودون الغيب أقفال^(١)

الفصل السادس عشر

قصص عن التمام

من تعلق شيئاً وكل إليه

عن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: دخلت على عبد الله بن عكيم أبي معبد الجهني، أَعُوذُ به حُمرة، فقلنا: ألا تعلق شيئاً؟ قال: الموت أقرب من ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من تعلق شيئاً وكل إليه^(٢)))

إن عليه تميمه

عن عقبة بن عامر الجهني، ((أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رَهْطٌ، فبايع تسعةً وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعةً وتركْتَ هذا؟ قال: إن عليه تميمه، فأدخل يده فقطعها، فبايعه، وقال: من علّق تميمه فقد أشرك^(٣)))

أما إنها لا تزيدك إلا وهناً

عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أبصر على عَصِدٍ رجلٍ حَلَقَةً - أَرَاهُ قَالَ - من صُفْرٍ^(٤)، فقال: ((ويحك! ما هذه؟)) قال: من الواهنة.

قال: ((أما إنها لا تزيدك إلا وهناً، انبُذْها عنك؛ فإنك إن مِتَّ وهي عليك؛ ما أفلحت أبداً^(٥)))

^١ - المحاسن والأضداد للجاحظ (ص: ٢٠).

^٢ - رواه أحمد (٤ / ٣١٠ و ٣١١). والترمذي (السنن) ٤ / ٤٠٣ (كتاب الطب) (باب ما جاء في كراهية التعليق). حديث رقم (٢٠٧٢).

^٣ - رواه أحمد (رقم: ١٦٩٦٩)، والحاكم (رقم: ٩١/٧٥١٣، ٢١٩/٤) واللفظ له، ورواه أحمد ثقات.

^٤ - الظم - وقيل: بالكسر - ما يُصنع منه الأواني - وهو: النحاس - والواهنة: عِرْقٌ يأخذ في المنكِب وفي اليد كلها؛ فيرقى منها، وقيل: رَضٌ يأخذ في العَصَد، وربما علّق عليها جنسٌ من الخرز، يُقال له: خرز الواهنة. ويوج: كلمة ترحم وتوجع، والوهن: الضعف.

^٥ - رواه أحمد (رقم: ١٩٤٩٨)، وابن ماجه (رقم: ٣٥٣١).

إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك

عن زينب امرأة عبد الله، قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب، تَنَحَّحَ وَبَرَّقَ؛ كراهية أن يهجم منا على شيء يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم، فتفتح، قالت: وعندي عجوز ترقيني من الحُمرة، فأدخلتها تحت السرير، فدخل، فجلس إلى جنبي، فرأى في عنقي خيطًا، قال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت: خيط أرقى لي فيه.

قالت: فأخذه فقطعه، ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الرُّقى، والتمايم، والتَّوَلَّهَ شرك)).

قالت: فقلت له: لِمَ تقول هذا وقد كانت عيني تقذف، فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقئها، وكان إذا رقاها سكنت؟

قال: إنما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده، فإذا رقيتها كفَّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله ﷺ: ((أذهبِ الباس ربَّ الناس، اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا))؛ [رواه الإمام أحمد وأبو داود، وصححه الشيخ الألباني].^(١)

الفصل السابع عشر

الذبح لغير الله

دخل الجنة رجل في ذباب

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: "دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب". قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: "مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله (، فضربوا عنقه، فدخل الجنة)".^(٢)

^١ - رواه ابن حبان في "صحيحه" (رقم: ٦٠٩٠)، والحاكم (رقم: ٢٥٠/٨٢٩٠، ٤١٧/٤ و ٤١٨) باختصار عنه، وقال: صحيح الإسناد.

^٢ - أحمد في الزهد (ص ١٥) وأبو نعيم في الحلية ٢٠٣/١ وكلاهما عن سلمان موقوفًا. وسنده صحيح، وابن القيم عزاه إلى أحمد مرفوعًا ولم أجده. انظر كتاب معارج القبول ٤٥٤/٢.

ولعن الله من ذبح لغير الله

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عامر بن واثلة قال: كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل فقال: ما كان النبي - ﷺ - يسر إليك؟

قال: فغضب وقال: ما كان النبي - ﷺ - يسر إلي شيئاً يكتمه الناس غير أنه قد حدثني بكلمات أربع .

قال: فقال: ما هن؟

يا أمير المؤمنين! قال: قال: "لعن الله من لعن والده.

ولعن الله من ذبح لغير الله.

ولعن الله من آوى محدثاً.

ولعن الله من غير منار الأرض".^(١)

إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لَقِيَ زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فَقَدَّمَتْ إلى النبي ﷺ سفرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؛ إنكاراً لذلك وإِعْظَامًا له "^(٢)

الفصل الثامن عشر الاستغاث بغير الله

إنه لا يستغاث بي

وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق،

فقال النبي ﷺ: "إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله"^(٣)

قصة لا تصح عن الاستغاث بالنبي - ﷺ

عن أيوب الهلالي قال: " حج أعرابي، فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته فعقلها، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! جئتك مثقلاً بالذنوب والخطايا، أستشفع بك

^١ - رواه مسلم برقم (٥٠٩٧).

^٢ - رواه البخاري برقم (٣٨٢٦).

^٣ - عزاه الهيثمي للطبراني في (المعجم الكبير) عن عبادة بن الصامت، ولم أقف على مسنده في المطبوع من (المعجم الكبير). قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) ١٠ / ١٥٩: (رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق، وهو في الأدب في باب القيام). اهـ.

على ربك لأنه قال في محكم كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول:

يا خير من دفنت في التراب أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم.(١)

الفصل التاسع عشر

عن الكهان وحرمة إتيانهم

أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ،

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: «حَظَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْحَدِيثِ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ اللَّيْلَةَ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ». (٢)

تَكْهَنُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ لِأَيِّ بَكْرِ غُلَامٌ يَأْكُلُ مِنْ خَرَجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: تَذَرِي مِمَّ هَذَا؟ قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ

١ - «جامع تراث العلامة الألباني في العقيدة = موسوعة العقيدة» (٣/ ٩٨٥): «قلت: وهذا إسناد ضعيف مظلم، لم أعرف أيوب الهلالي ولا من دونه. وأبو يزيد الرقاشي، أوردته الذهبي في "المقتنى في سرد الكنى" (٢/ ١٥٥) ولم يسمه، وأشار إلى أنه لا يعرف بقوله: "حكى شيئاً"، وأرى أنه يشير إلى هذه الحكاية، وهي منكورة ظاهرة النكارة، وحسبك أنها تعود إلى أعرابي مجهول الهوية! وقد ذكرها- مع الأسف- الحافظ ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم..} وتلقفها منه كثير من أهل الأهواء والمبتدعة، مثل الشيخ الصابوني، فذكرها برمتها في "مختصره"! (١/ ٤١٠) وفيها زيادة في آخرها: "ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم، فقال: يا عتبي! الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له" وهي في "ابن كثير" غير معزوة لأحد من المعروفين من أهل الحديث، بل علقها على "العتبي"، وهو غير معروف إلا في هذه الحكاية، ويمكن أن يكون هو أيوب الهلالي في إسناد البيهقي.

وهي حكاية مستنكرة، بل باطلة، لمخالفتها الكتاب والسنة، ولذلك يلهج بها المبتدعة، لأنها تجيز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وطلب الشفاعة منه بعد وفاته، وهذا من أبطل الباطل، كما هو معلوم، وقد تولى بيان ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه وبخاصة في "التوسل والوسيلة"، وقد تعرض لحكاية العتبي هذه بالإنكار، فليراجعه من شاء المزيد من المعرفة والعلم.

٢ - البخاري (٨٤٦) و (١٠٣٨)، وفي "الأدب المفرد" (٩١٠)، ومسلم (٧١).

تَكْهَنُتُ لِلنَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقَيْتَنِي، فَأَعْطَانِي

بَذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ. (١)

إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا؟

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ: " لَيْسُوا بِشَيْءٍ "، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: " تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطِفُهَا الْجَنِّيُّ فَيُقْرِقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا [أَكْثَرَ مِنْ] مِائَةِ كَذِبَةٍ » (٢).

كذبهم أن على رضي الله عنه لا يظفر إلا إذا سار في وقت لا يسير في غيره:

لما عزم علي ومن معه من الجيش على البداءة بالخوارج، نادى مناديه في الناس بالرحيل فعبر الجسر، فصلى ركعتين عنده،... ثم على شاطئ الفرات، فلقى هنالك منجم فأشار عليه بوقت من النهار يسير فيه، ولا يسير في غيره، فإنه يخشى عليه، فخالفه علي فسار على خلاف ما قال، فأظفره الله، وقال علي: إنما أردت أن أبين للناس خطأه، وخشيت أن يقول الجاهل: إنما ظفر لكونه وافقه. (٣)

كذبهم أن الخليفة الواصل (ت ٢٣٢هـ) سيعيش طويلاً:

جمع الواصل أصحاب النجوم في زمانه، حين اشتدت علته، وإنما اشتدت علته بعد قتله أحمد بن نصر الخزاعي، فلما جمعهم، أمرهم أن ينظروا في مولده، وما تقتضيه صناعة النجوم كم تدوم أيام دولته، فاجتمع عنده من رؤوسهم جماعة فنظروا في مولده، وما تقتضيه الحال عندهم، فأجمعوا على أنه يعيش في الخلافة دهرًا طويلاً، وقدروا له خمسين سنة، مستقبلة من يوم نظروا، فلم يعيش بعد قولهم وتقديرهم إلا عشرة أيام حتى هلك.

١ - أخرجه: البخاري ٥/ ٥٣ (٣٨٤٢).

٢ - رواه مسلم (١ / ١٥٧٠) (رقم: ٢٢٢٨).

٣ - البداية والنهاية (٧ / ٢٨٨).

الباب الثاني: لعبادات

الفصل الأول: المحافظة على الصلاة

حرص النبي ﷺ على الصلاة.

عبيد الله بن عبد الله قال: «دخلتُ على عائشة، فقلت لها: ألا تحدّثيني عن مرض رسول الله -ﷺ-؟ فقالت: بلى، ثَقُلَ النبيُّ -ﷺ-، فقال: أَصَلَّى الناسُ؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسولَ الله، قال: ضَعُوا لي ماء في المِخْضَبِ^(١)، قال : ففعلنا ، فاغتسل ، ثم ذهبَ لِيَنُوءَ ، فَأُغْمِيَ عليه ، ثم أفاق ، فقال : أَصَلَّى الناسُ ؟ قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسولَ الله، قال: ضَعُوا لي ماء في المِخْضَبِ، قالت : ففعلنا ، فاغْتَسَلَ ، ثم ذهبَ لِيَنُوءَ ، فَأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق ، فقال : أَصَلَّى الناسُ ؟

^١ - مخضب: المخضب: المِركَن والإِجَانة.

فقلنا: لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله ، قال : صَعُوا لي ماء في المِخْصَبِ ، فاغتسل ، ثم ذهب لينوء^(١) ، فأغمي عليه ، ثم أفاق ، فقال : أصَلَّى الناس ؟ قلنا : لا ، وهم ينتظرونك ، قال : والناس عُكُوف^(٢) في المسجد ينتظرون رسول الله - ﷺ - لصلاة العشاء الآخرة قالت : فأرسل رسول الله - ﷺ - إلى أبي بكر : أن يُصَلِّي بالناس ، فأتاه الرسول ، فقال : إِنَّ رسول الله - ﷺ - يأمرُك أن تُصَلِّي بالناس ، فقال : أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً - يا عمر ، صَلِّ بالناس ، فقال عمر : أنت أحقُّ بذلك ، قالت : فصلَّى بهم أبو بكر تلك الأيام ، ثم إِنَّ رسول الله - ﷺ - وَجَدَ من نَفْسِهِ خَفَّةً ، فخرج بين رَجُلَيْن - أحدهما : العباس - لصلاة الظهر وأبو بكر يصَلِّي بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخَّر ، فأومأ إليه النبي - ﷺ - : أن لا تتأخَّر ، وقال لهما : أَجْلِساني إلى جنبه ، فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، فكان أبو بكر يصَلِّي وهو يَأْتُمُّ بصلاة النبي - ﷺ - ، والناس يُصَلُّون بصلاة أبي بكر ، والنبي - ﷺ - قاعد . قال عبيد الله : «دخلت على عبد الله بن عباس ، فقلت : ألا أعرض عليك ما حدَّثتني عائشة عن مرض رسول الله - ﷺ - ؟» قال : هاتِ ، فعرضتُ حديثها عليه ، فما أنكر منه شيئاً ، غير أنه قال : أَسَمَّتَ لَكَ الرجلَ الذي كان مع العباس ؟ قلت : لا ، قال : هو علي - رضي الله عنه - . (٣)

يا نافع أسحرنا

عن نافع أن ابن عمر كان إذا فاتته العشاء في جماعة أحي ليلته . وعن نافع بن عمر أنه كان يحي الليل صلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا ؛ فأقول لا فيعاود الصلاة إلى أن أقول نعم فيقعد ويستغفر الله ويدعو حتى يصبح . وقال طاووس : ما رأيت مصلياً مثل ابن عمر أشد استقبالا للقبلة بوجهه وكفيه وقدميه . (٤)

أتخرج وإنما بنيت بأهلك هذه الليلة

عن سماك بن حرب قال : تزوج الحارث بن حسان - وكانت له صحبة - وكان الرجل إذ ذاك إذا تزوج تخدر أياماً فلا يخرج لصلاة الغداة ف قيل له : أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة ؟ قال : والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جميع لامرأة سوء . (٥)

أريد أن أموت وأنا في المسجد

^١ - لينوء : ناء ينوء : إذا نهض ليقوم .

^٢ - عكوف : العكوف : جمع عاكف ، وهو المقيم في المكان الذي لا يفارقه .

^٣ - أخرجه أحمد ح ٢٦١٣٧ ، والبخاري (٦٨٧) ، ومسلم (٤١٨) (٩٠) ، والنسائي في " الكبرى " (٧٠٨٤)

^٤ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١/٢ رواه الطبراني في الكبير ح ١٣٠٧٦ بإسناد حسن ،

^٥ - تهذيب الكمال - (٥ / ٢٢٣) و الطبراني في الكبير ح ٣٣٢٥ .

عن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي وهو يقضى أي ينزع في المسجد فقلنا لو تحولت إلى الفراش فإنه أوثر قال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة. (١) وفي رواية بن سعد والملائكة تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه قال: أبو عبد الرحمن السلمي: فأريد أن أموت وأنا في المسجد. (٢)

كيف بشهود العتمة

لقد كان سعيد بن المسيب رحمه الله شديد الحرص على الصلاة وحضورها في جماعة فعن ابن شهاب: قلت لسعيد بن المسيب: لو تبديت وذكرت له البادية وعيشها والغنم فقال: كيف بشهود العتمة. (٣)

انظروا إلى هذا المجنون

وعن أبي حازم قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: لقد رأيتني ليالي الحرة وما في المسجد أحد غيري، وإن أهل الشام ليدخلون زمرا يقولون انظروا إلى هذا المجنون، وما يأتي وقت الصلاة إلا سمعت أذانا في القبر ثم تقدمت فأقمت وصليت وما في المسجد أحد غيري. (٤)

إني لآنس بصوت عصفور المسجد

عن الثوري عن ابن حيان عن أبيه قال: كان الربيع بن خثيم يقاد إلى الصلاة وبه الفالج، فقيل له: قد رخص لك، قال إني أسمع حي على الصلاة فإن استطعتم أن تأتوا ولو حبوا، وقيل أنه قال: يا يسرني أن هذا الذي بي بأعتي الديلم على الله. (٥) وعن أبي حيان التيمي عن أبيه قال: أصاب الربيع الفالج فكان يحمل إلى الصلاة فقيل له: أنه قد رخص لك قال: قد علمت ولكن أسمع النداء بالفلاح. (٦)

هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة

هناد السري - رحمه الله -.

قال أحمد بن سلمة النسابوري الحافظ: كان هناد - رحمه الله - كثير البكاء فرغ يوما من القراءة لنا فتوضأ، وجاء إلى المسجد فصلى إلى الزوال وأنا معه في المسجد ثم رجع إلى منزله فتوضأ وجاء فصلى بنا الظهر، ثم قام على رجله يصلي إلى العصر، يرفع صوته بالقرآن ويبكي كثيرا، ثم أنه صلى بنا العصر، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صلى المغرب، قال فقلت لبعض جيرانه ما أصبراه على العبادة

^١ - الزهد لا بن مبارك.

^٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج٦/١٧٤-١٧٥.

^٣ - السير ج٥/٢١٣ والطبقات لابن سعيد ٦٧/٣.

^٤ - المصدر السابق ج٥/٢١٣ والطبقات ٦٧/٣.

^٥ - السير ج٥ ص٢٣٧، و الزهد لأحمد بن حنبل - (١ / ٣٣٩) و بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب - (١ / ٢١٨).

^٦ - الحلية ج٢/١٣٣-١١٤.

فقال : هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة ، فكيف لو رأيت عبادته بالليل ، وما تزوج قط ، ولا تسرى ، وكان يقال : راهب الكوفة (١)

أسمع داعي الله فلا أجيبه

حرص الأمام القدوة أبي الحارث عامر بن عبد الله بن الزبير . قال عنه مصعب سمع عامر المؤذن وهو يجود بنفسه فقال: خذوا بيدي : فقيل : انك عليل ، قال : أسمع داعي الله فلا أجيبه !! فأخذوا بيده فدخل مع الأمام في المغرب فركع ركعة فمات.(٢)

سألت ابن المهدي عن الرجل يبني بأهله أترك الجماعة

حرص عبد الرحمن بن مهدي الأمام الحجة .-رحمه الله -قال عبد الرحمن رسته : سألت ابن المهدي عن الرجل يبني بأهله أترك الجماعة أياما . قال: لا ولا صلاة واحدة، وحضرته صبيحة بنى على ابنته فخرج فأذن ثم مشي إلى بابها ، فقال للجارية قولي لهما : يخرجان إلى الصلاة فخرج النساء والجواري فقلن ، سبحان الله ؛ أي شيء هذا !! فقال لا أبرح حتى يخرجان إلى الصلاة فخرجا بعدما صلى فبعث بهما إلى مسجد خارج الدرب.

قال الذهبي: هكذا كان السلف في الحرص على الخير.(٣)

يعزى من أجل ترك الصلاة

قال -رحمه الله-فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا. (٤)

إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف فاطلبوني في المقبرة

حرص الأمام القدوة أبو عبيد الله محمد بن خفيف الشيرازي -رحمه الله -.. كان -رحمه الله-به وجع الخاصرة، فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة فكان إذا نودي للصلاة يحمل على ظهر رجل، فقيل له: لو خفت على نفسك؛ قال: إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف فاطلبوني في المقبرة. (٥)

حرص ضمام بن إسماعيل-رحمه الله -.

عن نعيم بن حماد: قال جاء ضمام بن إسماعيل إلى المسجد وقد صلى الناس وفاتته الصلاة فجعل على نفسه ألا يخرج من المسجد حتى يلقي الله .

^١ - السير ج ٩ ص ٦٥٠ ، شعب الإيمان - (ح ٣٢٣٨) تذكرة الحفاظ وذيوله - (٢ / ٧٠) تاريخ الإسلام

^٢ - سير أعلام النبلاء - (٥ / ٢٢٠) و صفة الصفوة - (٢ / ١٣٢) و تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - (٨ / ١٤٣)

^٣ - المصدر السابق

^٤ - الأحياء ج ١٧٧/١ ، و المستطرف - (١ / ٢١) و ربيع الأبرار - (١ / ١٥٧)

^٥ - ترطيب الأفواه ١ ص ٣٤٠

قال : فجعله بيته حتى مات . (١)

الحفار حجة الله على من لم يحضر الجماعة

حرص الحفار الغرناطي -رحمه الله -.

هو محمد بن علي بن محمد الأنصاري الحفار الغرناطي قال عنه ابن الخطيب. قد بقي الحفار نحوا عامين أو أزيد يخرج للصلوات الخمس يهادي بين الرجلين لشيء كان برجله حتى كان بعض أصحابه يقول الحفار حجة الله على من لم يحضر الجماعة (٢)

مات وهو يصلي صلاة التسابيح

الفقيه حاتم الحملاني العلامة الزاهد، كان أماما يقتدي به وهو أستاذ أهل زمانه في الفقه الأصول . قال عنه تلميذه الزاهد إبراهيم الكينعي : صلي حاتم زهاء - رحمه الله- أربعين سنة أماما ما ترك صلاة واحدة في جماعة ولا سجد لسهو في جميع هذه المدة إلا ست مرات ، وكان لا يدع البكاء في الصلاة مطلقا ، وأنتهي ، وقال في الطبقات روي الثقة أنه قبضت روحه وهو يصلي صلاة التسبيح مستلقيا من المرض . (٣)

أحب أن أكون آخر الناس خروجا وأولهم دخولا

الشيخ يحيى بن أحمد الكازورني المدني الزبيري إمام الشافعية الطيبة، كان فاضلا ذا همة عالية ونفس مطمئنة وخشية لله تعالى، والتورع في كثير من أمور الدنيا والتقلل منها لزم صلاة الجماعة بالمسجد النبوي بحيث لا يفوته فرض إلا لعذر وكان لا يخرج من المسجد إلا آخر الناس خصوصا بعد صلاة العشاء ويقول أحب أن أكون آخر الناس خروجا وأولهم دخولا . (٤)

وأي شيء أعظم من شأني

عن شيخ من أهل واسط يكني أبا سعيد، وكان جارا لمنصور بن زاذان قال: رأيت منصور توضأ يوما فلما فرغ دمعت عيناه ثم جعل يبكي حتى ارتفع صوته، قلت رحمك الله؛ ما شأنك، فقال: وأي شيء أعظم من شأني أني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم فلعله أن يعرض عني !! قال : فأبكاني والله بقوله . وقال عمر بن عون: سمعت هشima يقول مكث منصور بن زاذان يصلي الفجر بوضوء عشاء الآخر عشرين سنة . قال هشيم: لو قيل لمنصور بن زاذان أن ملك الموت على الباب ما كان عنده من زيادة في العمل

^١ - ترطيب الأفواه ج ١ ص ٣٤٠. بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب - (٧٩/٣)

^٢ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - (٢ / ٤٣) ترطيب الأفواه ج ١ ص ٣٤٠.

^٣ - ملحق البدر الطالع - (٢ / ٦٧)

^٤ - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - (١ / ٧٩) و ترطيب الأفواه ج ١ ص ٣٤١

وذلك أنه كان يخرج فيصلي الغداة في جماعة ثم يجلس فيسبح حتى تطلع الشمس ثم يصلي إلى الزوال ، ثم يصلي الظهر ، ثم يصلي العصر ، ثم يجلس فيسبح إلى المغرب ، ثم يصلي المغرب ، ثم يصلي العشاء ثم ينصرف إلى بيته فيكتب عنه ذلك الوقت . (١)

إني أسافر عنكم غدا إن شاء الله

الشيخ جمال الدين التبريزي -رحمه الله - .
قال ابن بطوطة: أخبرني بعض أصحابه أنه استدعاهم استدعى أهل الجبال قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى الله وقال لهم إني أسافر عنكم غدا إن شاء الله وخليفتي عليكم الله الذي لا إله إلا هو ، فلما صلي الظهر من الغد قبضه الله في آخر سجدة منه ووجدا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبرا محفورا عليه الكفن والحنوط وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه به . (٢)

الفصل الثاني: تحويل القبلة

«ألا إن القبلة قد حولت

عن أنس، «أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلون نحو بيت المقدس، فلما نزلت هذه الآية: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]

مر رجل من بني سلمة فناداهم وهم ركوع في صلاة الفجر نحو بيت المقدس: «ألا إن القبلة قد حولت، فمالوا كما هم وهم ركوع نحو القبلة» (٣)

أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها

، عن ابن عمر قال: بينما الناس بقاء في صلاة الصبح، إذ أتاهم آت فقال: «إن رسول الله ﷺ أنزل عليه قرآن الليلة، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها»، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة (٤)

أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة

عن البراء أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا - أو سبعة عشر شهرا - وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى

^١ - صفة الصفوة ج٢ ص ٥٠١-٥٠٢ . شعب الإيمان - (٣ / ١٦٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي - (٣ / ٣٥٣) ح

١١٨٠ ، بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب - (٣ / ١٦٥)

^٢ - سكب العبرات ج ١ ص ٣٧١ .

^٣ - أخرجه البخاري [٤٠٣]

^٤ - أخرجه مالك (الموطأ) (١٣٨) . وأحمد (١١٣/٢) (٥٩٣٤) قال: حدثنا إسحاق . والبخاري (١١١/١)

الكعبة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ } [البقرة: ١٤٣] (١)

الفصل الثالث: حرص ولاة الأمر على أقامه الصلاة في جماعة.

لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحب إلي من أن أقوم ليلة

أخرج الأمام مالك في الموطأ عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة أن عمر بن الخطاب فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق، ومسكن سليمان بين السوق والمسجد النبوي فمر على الشفاء أم سليمان فقال لها: لم أر سليمان في الصبح؛ فقالت بات يصلي فغلبته عيناه فقال عمر لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحب إلي من أن أقوم ليلة (٢) عن هشيم عن أبيه قال: فقد عمر رضي الله عنه رجلا في صلاة الصبح فأرسل إليه فجاء فقال: أين كنت؛ فقال: كنت مريضا ولولا أن رسولك أتاني لما خرجت فقال: عمر فإن كنت خارجا إلى أحد فاخرج للصلاة. (٣).

من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة

عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري: أنه قال: جاء عثمان بن عفان إلى صلاة العشاء فرأى أهل المسجد قليلا فأضجع في مؤخر المسجد ينتظر الناس أن يكثرُوا فأتاه ابن عمرة فجلس إليه فسأله من هو؛ فأخبره فقال: ما معك من القرآن؛ فأخبره فقال له عثمان: من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة. (٤)

أيها الناس الصلاة الصلاة

عن أبي رافع قال: كان أبو لؤلؤة عبدا للمغيرة بن شعبة وكان يصنع الأرحاء وكان المغيرة يستغله كل يوم بأربعة دراهم فلقي أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي غلتي فكلمه يخفف عني فقال له عمر: اتق الله وأحسن إلى مولاك فغضب العبد وقال: وسع الناس كلهم عدلك غيري فأضمر على قتله فاصطنع خنجرا له رأسا وسمه ثم أتى به الهرمزان فقال: كيف ترى هذا؟ فقال: إنك لا تضرب بهذا أحدا إلا قتلته

١ - صحيح البخاري (٢١/٦)

٢ - رواه مالك / الموطأ ١٢٩/١، عبد الرزاق / المصنف ٥٢٧/١، وصححه الألباني في سنن أبي داود ح ٨٤٨.

٣ - رواه ابن أبي شيبة / المصنف ٣٠٣/١، ورجال إسناده ما بين ثقة وصدوق، ولكنه منقطع من رواية عروة بن الزبير عن عمر رضي الله عنه. فالأثر ضعيف.

٤ - أخرجه أحمد (٦٨/١)، رقم (٤٩١)، ومسلم (٤٥٤/١)، رقم (٦٥٦)، وابن حبان (٤٠٨/٥)، رقم (٢٠٥٩).

قال : وتحين أبولؤلؤة عمر فجاءه في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يقول : أقيموا صفوفكم فقال كما كان يقول فلما كبر وجأه أبو لؤلؤة في كتفه ووجأه في خاصرته فسقط عمر وطعن بخنجره ثلاثة عشر رجلا فهلك منهم سبعة وحمل عمر فذهب به إلى منزله وصاح الناس حتى كادت تطلع الشمس فنادى الناس عبد الرحمن بن عوف : يا أيها الناس الصلاة الصلاة قال : ففزعوا إلى الصلاة فتقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم بأقصر سورتين في القرآن فلما قضى صلاته توجهوا إلى عمر فدعا عمر بشراب لينظر ما قدر جرحه فأتي بنبذ فشربه فخرج من جرحه فلم يدر أنبيذ هو أم دم فدعا بلبن فشربه فخرج من جرحه فقالوا : لا بأس عليك يا أمير المؤمنين قال : إن يكن القتل بأسا فقد قتلت

فجعل الناس يثنون عليه يقولون : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين كنت وكنت ثم ينصرفون ويجيء قوم آخرون فيثنون عليه فقال عمر : أما والله على ما تقولون وددت أني خرجت منها كفافا لا علي ولا لي وإن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي فتكلم عبد الله بن عباس - وكان عند رأسه وكان خليطه كأنه من أهله وكان ابن عباس يقرئه القرآن - فتكلم ابن عباس فقال : لا والله لا تخرج منها كفافا لقد صحبت رسول الله ﷺ فصحبته وهو عنك راض بخير ما صحبه صاحب كنت له وكنت له وكنت له حتى قبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض ثم صحبت خليفة رسول الله فكنت تنفذ أمره وكنت له وكنت له ثم وليتها يا أمير المؤمنين أنت فوليتها بخير ما وليها وال وكنت تفعل وكنت تفعل فكان عمر يستريح إلى حديث ابن عباس فقال له عمر : كرر علي حديثك فكرر عليه.

فقال عمر : أما والله على ما تقول لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به اليوم من هول المطلاع قد جعلتها شورى في ستة : عثمان و علي بن أبي طالب و طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوام و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبي وقاص وجعل عبد الله بن عمر معهم مشيرا وليس منهم وأجلهم ثلاثا وأمر صهيبا أن يصلي بالناس رحمة الله عليه ورضوانه. (١)

الفصل الرابع: رهبان الليل

أفلا أكون عبدا شكورا

عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: صلي رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ قال أفلا أكون عبدا شكورا (٢)

وعن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل؛ فقالت كان ينام أول الليل ثم يقوم فإذا كان من السحر أوتر ثم أتي فراشه

^١ - صحيح ابن حبان (٣٣١ / ١٥) قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح

^٢ - أخرجه أحمد ح ١٨١٩٨ والحميدي (٧٥٩)، والبخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩) (٨٠)

فإذا كان له حاجة ألم بأهله فإذا سمع الأذان وبث فإن كان جنباً أفاض عليه الماء وإلا توضأ وخرج إلى الصلاة. (١)

ليلة مع النبي - صلى الله عليه وسلم -

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه بات عند ميمونة وهي خالته وقال :
فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ في طولها فنام رسول الله ﷺ حتى أنصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل فاستيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه وقرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن (٢) معلق فتوضأ منها فأحسن الوضوء ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقمتم إلى جنبه فوضع رسول الله ﷺ يده اليميني على رأسي ثم أخذ بأذني ففلتها فصلي ركعتين ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، قال معن : ست مرات ثم أوتر ثم أضجع . (٣)

لأرمن صلاة النبي ﷺ

وعن خالد زيد بن خالد الجهني: أنه قال: لأرمن صلاة النبي ﷺ فتوسدت عتبته أو فسطاطه فصلى طويلتين ثم ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين ، طويلتين ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة . (٤)

الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : أنه صلى مع النبي ﷺ من الليل قال : فلما دخل في الصلاة قال : الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ، ثم قرأ البقرة ، ثم ركع فكان ركوعه نحوا قيامه وكان يقول سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم ، ثم رفع رأسه فكان قيامه نحوا ركوعه وكان يقول لربي الحمد لربي الحمد ثم سجد فكان سجوده نحوا قيامه وكان يقول سبحان ربي الأعلى سبحان ربي الأعلى ثم رفع رأسه فكان بين السجدين نحوا من السجود وكان يقول رب اغفر لي رب اغفر لي حتى قرأ البقرة آل عمران والنساء والمائدة أو الأنعام شعبه الذي شك في المائدة والأنعام . (٥)

وأمر أهلك بالصلاة

أخرج مالك والبيهقي عن أسلم قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة ثم يقول لهم:

١ - أخرجه أحمد ح ٢٤٧٠٥ والبخاري رقم ٥٩٧ ومسلم رقم ١٢٩ .

٢ - الشن: القرية البالية .

٣ - مسند أحمد - (٥٩ / ٤) ح ٢١٦٤ والبخاري (١٨٣) و (٩٩٢) و (١١٩٨) ، ومسلم (٧٦٣) (١٨٢) ،

٤ - مسند أحمد - (٤١ / ٢٩٢) ح ٢٤٧٧٦ ، وأخرجه مسلم (٧٤٦) (١٤٠) ، والترمذي في "جامعه" (٤٤٥) ،

٥ - مسند أحمد - (٣٨ / ٣٩٣) ح ٢٣٣٧٦ ، وأخرجه الترمذي في "الشمائل" (٢٧٠)

الصلاة ويتلو هذه الآية " وأمر أهلك بالصلاة " إلى قوله " والعاقبة للتقوى " [طه: ١٣٢] (١)

كيف كانت صلاة عمر بالليل؟

عن الحسن أن عثمان بن أبي العاص (٢) (تزوج امرأة من نساء عمر بن الخطاب. فقال: والله ما نكحتها حين نكحتها رغبة في مال ولا ولد، ولكن أحببت أن تخبرني عن ليل عمر فسألها: كيف كانت صلاة عمر بالليل؟ فقالت: كان يصلي العتمة ثم يأمرنا أن نضع عند رأسه توراً (٣) من ماء نغطيه ويتعار من الليل فيضع يده في الماء فيمسح وجهه ويديه، ثم يذكر الله ما شاء أن يذكر ثم يتعار مراراً حتى تأتي الساعة التي يقوم فيها لصلاته. وقال الحافظ ابن كثير: كان عمر " يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر "

لو علمت لزيت كتاب الله بصوتي

قال ثابت عن أنس قدمنا مع أبي موسى فقام من الليل يتهدج فلما أصبح ، قيل له: أصلح الله الأمير لو رأيت إلى نسوتك وقرايتك وهم يستمعون لقراءتك ! فقال : لو علمت لزيت كتاب الله بصوتي ولحبرته تحبيراً " (٤)

لقد أعطي مزار من مزامير آل داود

وعن بريده رضي الله عنه قال : خرجت ليلة من المسجد فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم ، وإذا رجل يصلي فقال لي : يا بريده أترأه يرأني ، قلت الله ورسوله أعلم ، قال : " بل هو مؤمن منيب لقد أعطي مزار من مزامير آل داود " فأتيته فإذا هو أبو موسى فأخبرته " (٥)

أول من أحدث المصافحة

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ يقدم عليكم غدا قوم هم أرق قلوبا للإسلام منكم فقدم الأشعريون فلما دنوا جعلوا يرتجزون.

غدا نلقي الأحبة ** محمد وحزبه

فلما قدموا تصافحوا فكانوا أول من أحدث المصافحة. (٦)

إن عبد الله رجل صالح

وتأمل تلك الرؤيا التي تشهد بصلاحه وتقواه عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ ، فتمنيت أن أري رؤيا أقصها على

١ - الموطأ - رواية يحيى الليثي - (ح ٢٥٩) شعب الإيمان - (ح ٣٠٨٦)

٢ - واخرج الطبراني ورجالة ثقات كما قال الهيثمي [ج ٩ ص ٧٣]

٣ - الإناء من صفر أو حجر

٤ - سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٣ ، و الكامل في ضعفاء الرجال - لابن عدي - (٣ / ٣٦٦) تاريخ دمشق -

٥ - أخرجه مسلم رقم ١٦٦ أخرجه أبو يعلى (١٣٣/٧) ، رقم ٤٠٩٦ ، وابن عساكر (٤٩/٣٢) .

٦ - أخرجه أحمد ح ١٢٥٨٣ و قال شعيب الارنؤوط : حديث صحيح ،

النبي ﷺ وكنت غلاما أعزب وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر ، وإذا لها قرنان كقرني البئر وإذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار ، أعوذ بالله من النار فلقيهما ملك آخر فقال لي لن تراع لا تخف فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل.

قال سالم فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا ، وفي رواية إن عبد الله رجل صالح . (١)

اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم.

عن ثور بن يزيد قال: كان معاذ بن جبل إذا تهجد من الليل قال: اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم.
اللهم طلبي الجنة بطيء وهربي من النار ضعيف اللهم اجعل لي عندك هدي ترده إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. (٢)

ليلة في بيت أبي هريرة

عن أبي عثمان النهدي قال: تضيقت أبا هريرة سبعا فكان هو ومراته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثا يصلي هو ثم يوقظ هذا ثم يوقظ هذا.
وعن عكرمة قال: أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنتي عشر ألف تسبيحه ويقول : أسبح بقدر ديتي . (٣)

حبر الأمة

عبد الله بن عباس ؓ عن ابن أبي مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة فكان يصلي ركعتين فإذا نزل، قام شطر الليل ويرتل القرآن حرفا حرفا ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب (٤)

لأغلبن الليلة على المقام

قال عبد الرحمن بن عثمان التيمي - رحمه الله- قلت : لأغلبن الليلة على المقام فسبقت إليه فبينما أنا قائم أصلي إذا وضع رجل يده على ظهري فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان - رحمه الله- وهو خليفة فتنحيت عنه فقام فما برح قائما حتى فرغ من القرآن في ركعة لم يزد عليها فلما انصرفت قلت : يا أمير المؤمنين إنما صليت ركعة قال أجل وهي وتري أي ركعة الوتر . (٥)

١ - أخرجه البخاري ٣٧٣٨ ومسلم ٢٤٧٩ .

٢ - رواه أبو داود ١٥٢٢ والنسائي ٥٣/٣ والحاكم ٢٧٣/٣ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح ١٥٢٢

٣ - الإصابة في تمييز الصحابة - (٧ / ٤٤٢) وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال - (١ / ٤٦٢)

٤ - سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٤٢٣. و بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب - (١ / ١٨٥) البداية والنهاية -

٥ - أخرجه المبارك في الزهد ١٢٧٦ وعبد الرازق في مصنفه ٢٤/٣ وابن سعد في طبقاته ٧٥/٣ ،

وعن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين قتل لقد قتلتموه وأنه ليحي الليل كله بالقرآن في ركعة. (١)

يا أهل المقابر كنا وكنتم

الربيع بن خثيم -رحمه الله- يقول عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: مرحبا أبا يزيد لو أراك رسول الله ﷺ لأحبك ، ولأوسع لك إلى جنبه ثم يقول وبشر المخبتين . (٢) وها هو ليل الربيع بن خثيم: عن عيسى بن فروخ قال: كان الربيع إذا كان الليل ووجد غفلة الناس خرج إلى المقابر، فيقول: يا أهل المقابر كنا وكنتم، فإذا أصبح فكأنه نشر من قبر. (٣)

أم حسب الذين اجترحوا السيئات

عن نسير قال: بت بالربيع ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] فمكث ليلته حتى أصبح ما يجوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد (٤)

أخاف عذاب البيات

وعن سفيان قال: بلغنا أن أم الربيع كانت تنادي فتقول، يا بني يا ربيع ألا تنام؛ فيقول: يا أمه من جن عليه الليل وهو يخاف البيات حق له أن ينام، قال: فلما بلغ ورأت ما يلقي من البكاء والسهر نادته فقالت: يا بني لعلك قتلت قتيلا؛ فقال نعم يا والدة قتلت قتيلا، فقالت ومن هذا القتل يا بني نتحمل على أهله فيعفوك والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك، فيقول: يا والدتي هي نفسي. (٥) وعن مالك بن دينار قال : قالت ابنة الربيع بن خثيم : يا أبتاه مالي أرى الناس ينامون ولا تنام ؛ قال : يا بنيه ان أباك يخاف البيات (٦).

لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع أي من العبادة.

مسروق بن الأجدع الهمداني -رحمه الله- عن إسماعيل بن أمية قال: قيل لمسروق: لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع أي من العبادة. فقال: والله لو آتاني آت فأخبرني أن الله لا يعذبني لاجتهدت في العبادة قيل كيف ذلك ؛ قال : حتى تعذرني نفسي أن دخلت جهنم لا لألومها، وأما بلغك في قوله عز وجل {وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة: ٢] إنما لاموا أنفسهم حين صاروا

١ - الزهد للإمام أحمد ص ١٢٧. و الزهد لابن المبارك - (ح ١٢٧٧)

٢ - صفة الصفوة ج٢ ص ٥٢٦

٣ - مختصر صفة الصفوة - (١ / ١٩٨) المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين - (١ / ٢٦٦)

٤ - الزهد لأحمد بن حنبل - (١ / ٣٢٩) حلية الأولياء - (٢ / ١١٢) بغية الطلب في تاريخ حلب - (٣ / ٤٦٦)

٥ - الزهد لأحمد بن حنبل - (١ / ٣٤٠) حلية الأولياء - (٢ / ١١٤) بغية الطلب في تاريخ حلب - (٣ / ٤٦٥)

٦ - الورع - ابن حنبل - (١ / ٧٤) التهجد وقيام الليل - (١ / ١٦٥)

إلى جهنم واعتقبهم الزبانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون، وانقطعت عنهم الأماني ورفعت عنهم الرحمة وأقبل كل أمري منهم يوم نفسه (١) .

تبكي زوجته لشدة طاعته

وعن أنس وابن سيرين: أن امرأة مسروق قالت: كان يصلي حتى تورمت قدماه فربما جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه. (٢)

أربعين سنة لا يضع جنبه إلى الأرض

المستسلم بن سعيد الثقفي الواسطي -رحمه الله- قال: يزيد بن هارون مكث المستسلم بن سعيد أربعين سنة لا يضع جنبه إلى الأرض، قال: وسمعتة يقول لم أشرب الماء منذ خمسة وأربعين سنة . وفي رواية أخرى : قال يزيد بن هارون بت عند المستسلم بن سعيد وكان لا يكاد ينام ، وإنما هو قائم وقاعد ، وذكر أن لم يضع جنبه منذ أربعين سنة ، فظننت أنه يعنى بالليل ، فليل ولا بالنهار . (٣)

إذا رأيته ذكرت به الصدر الأول

أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي -رحمه الله- قال عنه المغيرة: كنت إذا رأيت أبا إسحاق ذكرت به الصدر الأول وقال أبو بكر بن عياش، سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول: يقول ذهبت الصلاة مني وضعفت ورق عظمي إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقر إلا بالبقرة وآل عمران. وقال العلا بن وسام العبدي: قال ضعف أبو إسحاق عن القيام فكان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يقام، فإذا أقاموا فاستقام قائما قرأ ألف آية وهو قائم. وقال سفيان: كان أبو إسحاق يقوم ليل الصيف كله، وأما الشتاء فأوله وآخره وبين ذلك هجعة قال سفيان: قال أبو إسحاق: أما أنا فإذا استيقظت لم أقلها. (٤)

الانشغال والإقبال على الله

قال وزار ابن سلم محمد بن جحادة ذات ليلة فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء، قال: ومحمد قائم يصلي ، فقام قيس بن مسلم من الناحية الأخرى يصلي فلم يزال على ذلك حتى طلع الفجر وكان قيس بن مسلم أمام مسجد ، قال : فرجع إلى الحي فأمهم ولم يلتقيا ، ولم يعلم محمد مكانه ، قال : فقال له بعض أهل المسجد زارك أخوك قيس بن مسلم فلم تنتقل إليه قال ، ما علمت بمكانه ، قال : فغدا عليه فلما رآه قيس بن مسلم مقبلا قام إليه فاعتنقه ثم خلوا جميعا يبكيان . (٥)

^١ - الزهد لابن المبارك - (١٥٠٦) السلوك في طبقات العلماء والملوك - (١ / ٨٧) محاسبة النفس - (١ / ١١٦)

^٢ - صفة الصفوة ج٢ ص ٥٠٨ والسير ج٥ / ٩٦ ، والطبقات الكبرى - (٦ / ٨١)

^٣ - صفة الصفوة ج٢ ص ٥٠٣ .

^٤ - صفة الصفوة ج٢ ص ٥٦٠ - ٥٦١ .

^٥ - صفة الصفوة - (٣ / ١٢٨)

شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات

سفيان بن سعيد الثوري - رحمه الله- .. قال عبد الرحمن بن مهدي : ما عاشرت في الناس رجلاً أرق من سفيان وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة فما كان ينام إلا أول الليل ثم ينتفض فزعا مرعوباً ينادي : النار النار ، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه : اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم ، وما أطلب إلا فكاك رقبتني من النار ، إلهي أن الجزع قد أرقني وذلك من نعمك السابغة علي ، إلهي لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين ثم يقبل على صلاته وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى أن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياء وهيبة له . (١)

ما أشد كرب الموت

عن عبد الرحمن بن المهدي قال: ليلة مات سفيان توضع تلك الليلة للصلاة ستين مرة فلما كان وجه السحر قال لي: يا أبا أيوب ضع خدي على الأرض فإني ميت ؟، يا بن مهدي ما أشد الموت، ما أشد كرب الموت، قال: فخرجت لأعلم حماد بن زيد وأصحابه فإذا هم قد استقبلوني، فقالوا أجرك الله فقلت من أين علمت؛ فقالوا: أنه ما منا أحد إلا أتى البارحة في منامه ف قيل له: ألا إن سفيان الثوري قد مات -رحمه الله-. (٢)

بيت يختم فيه القرآن كل ليلة

علي والحسن ابنا صالح بن حي رحمهما الله، قال وكيع بن الجراح: كان علي والحسن - ابنا صالح بن حي - وأمهم قد جزؤا الليل ثلاثة أجزاء فكان علي يقوم الثلث ثم ينام، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام وتقوم أمهما الثلث فماتت أمهما فجراً الليل فكانا يقومان به حتى الصباح، ثم مات علي فقام به الحسن كله. وقد روي لنا عن محمد بن صالح العجلي عن أبيه. قال: كان يختم القرآن في بيتهم كل ليلة، أمهم ثلث وعلي ثلث، وحسن ثلث، فماتت أمهما فكانا يختمانه، ثم مات علي، فكان حسن يختم كل ليلة. (٣)

يا نفس بهذا أمرت ولهذا خلقت

عامر بن عبد الله-رحمه الله -قال: المعلى بن زياد يقول: كان عامر بن عبد الله قد فرض على نفسه في كل يوم ألف ركعة، وكان إذا صلي العصر جلس وقد انتفخت ساقاه من طول القيام فيقول: يا نفس بهذا أمرت ولهذا خلقت، يوشك أن يذهب العناء، وكان يقول لنفسه: قومي يا مأوي كل سوء فوعزة ربك لأزحفن بك زحف

^١ - المصدر السابق جـ ٢ ص ٩٧٠.

^٢ - المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٧١.

^٣ - الثقات للعجلي - (١ / ٢٩٥) وصفة الصفوة - (٣ / ١٥٣) ومعرفة الثقات - (١ / ٢٩٥)

البعير ولئن استطعت أن لا يمس الأرض من زهمك لأفعلن ، ثم يتلوى كما تتلوى الحية على المقل ، ثم يقول فينادي اللهم أن النار قد منعني من النوم فاغفر لي . وقال بن وهب : وهبط واديا يقال له وادي السباع وفي الوادي عابد حبشي يقال له حممه ، فانفرد عامر من ناحية وحممه في ناحية يصليان ، لا هذا ينصرف إلى هذا ولا هذا ينصرف إلى هذا ، أربعين ليلة إذا جاء وقت الفريضة صليا ثم أقبلا يتطوعان ثم أنصرف عامر بعد أربعين يوما إلى حممه فقال : من أنت يرحمك الله فقال : دعني وهمي قال أقسمت عليك قال : أنا حممه ، قال عامر : لئن كنت أنت حممه الذي ذكر لي لأنت أعبد من في الأرض ، فأخبرني عن أفضل خصلة ، قال : إني لمقصر ولولا مواقيت الصلاة تقطع علي القيام والسجود لأحببت أن أجعل عمري راكعا ووجهي مفترشا حتى ألقاه ، ولكن الفرائض لا تدعني أفعل ذلك فمن أنت رحمك الله ؛ قال : أنا عامر بن عبد قيس ، قال : أن كنت عامرا الذي ذكر لي فأنت أعبد الناس ، فأخبرني بأفضل خصلة ، قال : إني لمقصر ولكن واحدة عظمت هيبة الله صدري حتى ما أهاب شيئا غيره ، واكتفته السباع فأثابه سبع منها فوئب عليه من خلفه فوضع يديه على منكبه وعامر يتلو هذه الآية {ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ} [هود: ١٠٣] فلما رأي السبع أنه لا يكثر له ذهب فقال حممه وبالله يا عامر ما هالك ما رأيت ، قال إني لا أستحي من الله عز وجل أن أهاب شيئا غيره ، قال حممه لولا أن الله تعالى ابتلانا بالبطن فإذا أكلنا لا بد لنا من الحدث ما رأي إلا ركعا أو ساجدا .

أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي

كان عامر بن عبد قيس يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ، وما رأيت مثل النار نام هاربها ، وكان إذا جاء النهار ، قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي ، وإذا جاء الليل قال : من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السري . وقال سعيد بن ميمون قيل لامرأة عامر بن عبد قيس يعني خادمته كيف كانت عبادة عامر ؛ قالت : ما صنعت له طعاما قط بالنهار ، فأكله إلا بالليل ، ولا فرشت له فراشا بالليل فاضطجع عليه إلا بالنهار (١)

يصلي في قبره

ثابت البناني - رحمه الله - قال فيه أنس بن مالك رضي الله عنه أن للخير أهلا وأن ثابتا هذا من مفاتيح الخير.

وعن عفان بن حماد بنم سلمه قال: كان ثابت يقول: اللهم أن كنت أعطيت أحدا الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري فيقال أن هذا الدعوة استحبت له، وأنه رأي بعد موته يصلي في قبره فيما قيل . (٢)

وعن شعبه قال : كان ثابت البناني يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ويصوم الدهر

١ - صفة الصفوة ج٢ ص ٥٩٦ - ٥٩٧ .

٢ - سير أعلام النبلاء ج٦ ص ٥٧ .

فما خيرهما إذا لم يبكي

قال: حماد بن زيد: رأيت ثابتا يبكي حتى تخلف أضلاعه وقال جعفر بن سليمان: بكى ثابت حتى كادت عينه تذهب فناه الكحال عن البكاء فقال: فما خيرهما إذا لم يبكي وأبي أن يعالج وقال حماد بن سلمة قرأ ثابت { أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا } [الكهف : ٣٧] . وهو يصلي صلاة الليل ينتحب ويردها (١)

مضي العابدون وقطع بي والهفاه

وعن سهل بن أسلم قال: كان ثابت يصلي كل ليلة ثلاث مائة ركعة فإذا أصبح ضممت يديه قدماه فيأخذ بيده فيعصرهما ثم يقول مضي العابدون وقطع بي والهفاه .

عن جعفر بن سليمان قال: حدثنا ثابت البناني قال: كان رجل من العباد يقول إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم أردت أن أعود إلى النوم فلا أنام الله عيناه، قال جعفر كنا نراه يعني نفسه .

يسمع القران من قبره

وعن شيبان بن جسر عن أبيه قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتا البناني لحده ومعى حميد الطويل أو رجل غيره شك محمد، قال فلما سويونا عليه اللبن سقطت لبنه فإذا أنا به يصلي في قبره، فقلت للذي معى ألا ترى؟ قال اسكت فلما سويونا عليه وفرغنا أتينا ابنته فقلنا ما كان عمل ثابت؟ قالت: ما رأيتم؛ فأخبرناها، قالت كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر، قال في دعائه اللهم أن كنت أعطيت أحد من خلقك الصلاة في قبره فأعطينها فما كان الله عز وجل ليرد ذلك الدعاء.

وقال إبراهيم بن الصمة المهلي قال حدثني الذين كانوا يمرون بالجص بالأسحار قالوا كنا إذا مررنا بجنابات قبر ثابت سمعنا قراءة القرآن. (٢)

لا يحسن أن بعصي الله عز وجل

سليمان بن طرخان التيمي -رحمه الله -يقول بن الجوزي: كان هو وأبنة المعتمر يدوران بالليل في المساجد فيصليان مرة في هذا المسجد ومرة في هذا المسجد حتى يصبحا.

وقال الهيثم أبو علي المفلوج: صلى سليمان التيمي الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة ولقد عمر سليمان أوقاته بالطاعات والمبادرة إلى العمل الصالح فهو يعلم أن الحياة دقائق وثوان وأن نفس العبد أن لم يشغلها بالطاعات شغلته بالمعصية . فعن حماد بن سلمة قال: ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاع الله عز وجل فيها إلا وجدناه مطيعا فإن كان في ساعة صلاة وجدناه مصلينا، فإن لم تكن ساعة

١ - المصدر السابق جـ ٥٨/٦ ، حلية الأولياء - (٢ / ٣٢٢)

٢ - صفة الصفوة جـ ٢ ص ٦٢٧-٦٢٨ .

صلاة وجدناه متوضاً أو عائداً أو مشيعاً لجنائز أو قاعداً يسبح في المسجد، قال: فكنّا نرى أنه لا يحسن أن بعصي الله عز وجل.^(١)

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا

وقال أبو علي البصر عن معمر مؤذن التيمي صلى إلى جانبي سليمان التيمي العشاء الآخرة وسمعته يقرأ

{ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ [الملك : ١] } قال فلما أتى على هذه الآية **{ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ [الملك : ٢٧] }** جعل يرددّها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا .

قال فخرجت وتركته قال : وعدت لأذن الفجر فإذا هو مقامه قال : فسمعت فإذا هو لم يخبرها وهو يقول **{ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا [الملك : ٢٧] }**^(٢)

أفلا تبكون خوفاً من النار

قال بكر بن مصاد سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: أخوتاه ألا تبكون شوقاً إلى الله عز وجل؛ ألا أنه من بكى شوقاً إلى سيده لم يحرمه النظر إليه، أفلا تبكون خوفاً من النار؛ ألا أنه من بكى خوفاً من النار أعاده الله منها، يا أخوتاه ألا تبكون؛ بلى فابكوا على الماء البارد أيام الدنيا لعله يسقموه في حظائر العرش مع الندماء الأصحاب من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ثم جعل يبكي حتى غشي عليه.^(٣)

قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور

عن حبان الأسود قال : حدثني عبد الواحد بن زيد قال : أصابتنى عله في ساقى فكنّت أتحامل عليها للصلاة ، قال : فقمت عليها من الليل فأجتهد وجعا فجلست ثم لففت إزاري في محرابي ووضعت رأسي عليه فنمت فبينما أنا كذلك إذا بجارية تفوق الدمى حسنا تخطر بين جوار مزيّنات حتى وقفت علي وهن خلفها فقالت لبعضهن : ارفعه ولا تهجنه فأقبلن نحوي فاحتملنني عن الأرض ، وأنا أنظر إليهن في منامي ثم قالت لغيرهن من الجوّاري اللائي معها : افرشنه ومهدنه ووطئن له وسدنه ، قال ففرشن سبع حشايا لم أر لهن في الدنيا مثيلا ووضعن تحت رأسي مرفق خضرا حسانا ثم قالت للائي حملتني اجعلنه على الفراش رويدا لا تهجنه قال فجعلت على تلك الفرش وأنا أنظر إليها وما تأمر به من شأني ثم قالت احففنه بالريحان ، قال : فأتي بياسمين فحففت به الفرش ثم قامت إلي فوضعت يدها على علتى التي كنت أجد بها في ساقى فمسحت ذلك المكان بيدها ثم قالت : قم

^١ - صفة الصفوة (٣/ ٢٩٧)

^٢ - صفة الصفوة ج٢ ص٦٤٨.

^٣ - التخويف من النار (ص: ٦٢)

شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور قال : فاستيقظت والله كأني قد نشطت من عقل فما اشتكيت تلك العلة ليلتي ، تلك ولا ذهبت حلاوة منطقتها من قلبي قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور . (١)

يا بن زيد جد في طلبي فإني في طلبك

قال أبو سليمان الدارني : ذكر لي عن عبد الواحد بن زيد قال : نمت عن وردي ليلة فإذا أنا بجارية لم أر أحسن وجها منها عليها ثياب حرير أخضر وفي رجليها نعلان والنعلان يسبحان والزمامان يقدسان وهي تقول : يا بن زيد جد في طلبي فإني في طلبك ثم جعلت تقول :

من يشتريني ومن يكن سكني * * يأمن فيربحه من الغبن

فقلت يا جارية ما ثمنك فأنشأت تقول:

تودد الله مع محبته * * وطول فكر يشاب بالحن

فقلت لمن أنت يا جارية: ف قالت.

لمالك لا يرد لي ثمننا * * من خاطب قد أتاه بالثمن

فانتبه، وآلي على نفسه أن لا ينام الليل (٢)

يبيل الأرض من دموعه

عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي -رحمه الله -

يقول -رحمه الله- من أطال قيام الليل هون الله عليه وقوف يوم القيامة يقول: ضمرة بن ربيعة حجنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة فما رأيته مضجعا في المحمل في ليل ولا نهار قط كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القتب. ويقول عنه أبو مسهر: ما رأي الأوزاعي باكيا قط ولا ضاحكا حتى تبدو نواجذه، وإنما كان يبتسم أحيانا، كما روي في الحديث وكان يحيي الليل صلاة وقرانا وبكاء، وأخبرني بعض أخواني من أهل بيروت أن أمه كانت تدخل منزل الأوزاعي وتتفقد موضع مصلاه فتجده رطبا من دموعه في الليل. (٣)

أيها الحيارى

صلة بن أشيم العدوى -رحمه الله - قال ثابت البناني : كان صلة بن الشيم يخرج إلى الجبان فيتعبد فيها فكان تمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم أخبروني عن قوم أرادوا سفرا فحادوا بالنهار عن الطريق وباتوا بالليل متى يقطعون سفرهم ؛ قال : فكان كذلك يمر بهم فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة ، فقال شاب منهم إنه والله ما يعني بهم غيرنا نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام ، ثم أتبع صلة فكان يختلف معه إلى الجبان ويتعبد معه حتى مات (٤)

^١ - تاريخ دمشق (٣٧ / ٢٢٦)

^٢ - صفة الصفوة ج٢ ص ٦٦١-٦٦٣. حلية الأولياء ٦ / ١٥٨ - ١٥٩ ، تاريخ دمشق - (٣٧ / ٢٣٣)

^٣ - سير أعلام النبلاء ج٧ ص ٨٧

^٤ - التبصرة - لابن الجوزي (٢ / ٢٨٦)

أيها السبع أطلب الرزق من مكان آخر

قال حماد بن جعفر بن يزيد : أن أباه أخبره قال : خرجنا في غزاه إلى كابل وفي الجيش صله بن أشيم فنزل الناس عند العتمة فقلت لأرمقن عمله فأنظر ما يذكر الناس من عبادته ، فصلي العتمة ثم أضطجع فالتمس غفلة الناس حتى قلت هدأت العيون ، وثبت فدخل غيضة قريبا منه ودخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي قال : وجاء أسد حتى دنا منه قال فصعدت على شجرة ، قال فتراه التفت ؛ أوعده جرذا حتى سجد فقلت الآن يفترسه فجلس ثم سلم ، فقال أيها السبع أطلب الرزق من مكان آخر فولي وأن له لزيئر تصدع الجبال منه فما زال كذلك ، فلما كان عند الصبح فحمدا الله عز وجل بمحامد لم أسمع بمثلها إلى ما شاء الله ثم قال اللهم أني أسألك أن تخبرني من النار أو مثلي يجترئ أن أسألك الجنة ؛ ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وأصبحت وبي من الفترة شيء به عليم (١)

لو أقسم على الله لأبره

أويس القرني خير التابعين -رحمه الله -عن أسير بن جبير قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه إمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى عليه أويس فقال أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم قال: ألك والدة؟ قال: نعم، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يأتي عليكم أويس بن عامر مع مداد اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والده هو بهابر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فأفعل (٢)

اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذني به

كان -رحمه الله- شديد العبادة والطاعة لربه سبحانه وتعالى. فعن إصبع بن يزيد قال: كان أويس إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح وكان إذا أمسى يقول هذا ليلة السجود فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ثم يقول: اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذني به ومن مات عريا فلا تؤاخذني به. (٣)

عجبت من الجنة كيف نام طالبها!

هرم بن حيان العبدى -رحمه الله -عن المعلى بن زياد قال: كان هرم يخرج في بعض الليل ينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها؛ وعجبت من النار كيف نام هاربها؛ ثم يقول {أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ أَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨)} الأعراف ٩٧. (٤)

١ - صفة الصفوة جـ ٢ ص ٦٠٢-٦٠٣ والسير جـ ٢ ص ٢٠

٢ - أخرجه مسلم رقم ٢٥٤٢ ، والحاكم (٤٥٦/٣) ، رقم (٥٧١٩) .

٣ - السير جـ ٧٠/ .

٤ - السير جـ ٥ ص ٨٢ .

يا بن رسول الله النار

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين -رحمه الله -عن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد فجعلوا يقولون: يا بن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى طفئت ف قيل له من ذلك، فقال ألهمتني عنها النار الأخرى.

ويروي عن جابر عن أبي جعفر كان أبي يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة ، فلما احتضر بكى ، فقلت يا أبت ما يبكيك ؟ قال بني انه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا كان لله فيه المشيئة أن شاء عذبه وأن غفر له (١)

اكنتم ما رأيتم

وهب بن منبه -رحمه الله -عن كثير أنه سار مع وهب فباتوا عند رجل، فخرجت بنت الرجل فرأت مصباحا، فاطلع صاحب المنزل فنظر إليه صافا قدميه في ضياء كأنه بياض الشمس، فقال الرجل، رأيته الليلة في هيئة وأخبره. فقال: اكنتم ما رأيتم.

وعن مسلم الزنجي قال: لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة والصبح وضوءا (٢)

عمرو بن دينار جزاء الليل ثلاثة أجزاء

عمرو بن دينار - رحمه الله - روى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن سفيان قال : كان عمرو بن دينار جزاء الليل ثلاثة أجزاء ، ثلثا ينام ، ثلثا يدرس حديثه ، وثلثا يصلي . (٣)

عمرو بن دينار جزاء الليل ثلاثة أجزاء

منصور بن المعتمر -رحمه الله - . قال خلف بن تميم حدثنا زائدة أن منصور صام أربعين سنة وقام ليلها، وكان يبكي فتقول له أمه يا بني: قلت قتيلا؛ فيقول أنا أعلم بما صنعت بنفسي، فإذا كان الصبح كحل عينه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج إلى الناس. (٤)

اللهم استعملنا وأوزعنا بهدية

^١ - المصدر السابق ج٥/ ٣٢٧ وقال الذهبي إسناده تالف قلت فيه جابر الجعفي وهو ضعيف.

^٢ - المصدر السابق ج٥ ص ٤٣٤-٤٣٥. الطبقات الكبرى - (٥ / ٥٤٣)

^٣ - السير ج٦ / ١٢٣.

^٤ - السير ج٦ / ٢١١.

أيوب السختياني - رحمه الله - روي ضمرة عن بن شوذب قال: كان أيوب يؤم أهل المسجد في شهر رمضان ويصلي بهم في الركعة قدر ثلاثين آية ويصلي لنفسه فيما بين الترويحيتين بقدر ثلاثين آية وكان يقول هو بنفسه للناس الصلاة ويوتر بهم ويدعو بدعاء القرآن ويومن من خلفه وآخر ذلك يصلي على النبي ﷺ ويقول اللهم استعملنا وأوزعنا بهدية واجعلنا للمتقين أماما ثم يسجد وإذا فرغ من الصلاة دعا بدعوات. (١)

خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل

موسى الكاظم - رحمه الله - قال : عمار بن أبان قال : حبس موسى بن جعفر عند السندي بن شاهك فسألته أخته أن تولي حبسه وكانت تدين ففعل فكانت على خدمته فحكى لنا أنها قالت : كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه ، فلم يزال كذلك حتى يزول الليل ، فإذا زال قام يصلي حتى يصلي الصبح ، ثم يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم يقعد على ارتفاع الضحى ، ثم يتهيا ويستأكل ويأكل ، ثم يرقد إلى قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلي العصر ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة ، فكانت تقول : خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل ، وكان عبدا صالحا . (٢)

هذا أبو حنيفة لا ينام الليل

أبو حنيفة النعمان - رحمه الله - قال أبو يوسف: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذا سمعت رجلا يقول للأخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل. فقال أبو حنيفة والله لا يتحدث عني بما لم أفعل، فكان يحيي الليل صلاة وتضرعا ودعاء؟.

وعن القاسم بن معن أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمَرٌ} [القمر: ٤٦]. ويبكي ويتضرع إلى الفجر. (٣)

ما رأيت أحدا الخوف أظهر على وجهه من الحسن بن صالح

الحسن بن صالح بن صالح - رحمه الله - عن أبي سليمان الدراني قال: ما رأيت أحدا الخوف أظهر على وجهه من الحسن بن صالح قام ليلة " عم يتسألون " فغشي عليها فلم يختمها إلى الفجر. (٤)

الحمد لله

أحمد الحواري - رحمه الله - قال محمد بن عوف الحمصي رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس فلما صلى العتمة قام يصلي فاستفتح بـ " الحمد لله "

^١ - السير ج٦/ ٢٨٨. تهذيب الكمال - (٢٩ / ٥٠)

^٢ - السير ج٦ ص ٤٧٨. تاريخ بغداد - (١٣ / ٣١) تهذيب الكمال - (٢٩ / ٥٠)

^٣ - السير ج٦ ص ٥٧٠-٥٧١. ترجمة الأئمة الأربعة - (١ / ١٦)

^٤ - السير ج٧ ص ٢٦٦. المجالسة وجواهر العلم - (٥ / ٤٠٣) المجالسة وجواهر العلم - (١ / ٤٩٠)

إلى " إياك نعبد وإياك نستعين " فطفت الحائط كلها ثم رجعت فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت ومررت في السحر إياك نعبد فلم يزل يردها إلى الصبح. (١)
أراك تحمل على نفسك

محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله - عن مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل يختم القرآن في رمضان في النهار كل يوم يختمه ويقوم بعد الترويح كل ثلاث ليال يختمه. وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشر ركعة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت أراك تحمل على نفسك، ولم توقظني قال أنت شاب ولا حب أن أفسد عليك نومك. (٢)

إلهي غارت النجوم ونامت العيون

حبيبة العدوية - رحمه الله - عن عبد الله المكي أبي محمد قال: كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها فقالت إلهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك فإذا كان السحر قالت: اللهم هذا أدبر وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهني أم رددت على فأعزى؛ فوعزت لك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني وعزت لك لو انتهزتني ما برحت على بابك ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك. (٣)

ذكر الموت لا يدعني أنام

عجدة العمية رحمه الله

عن رجاء بن مسلم العبدى كنا نكون عند عجدة العمية في الدار قال : فكانت تحي الليل الصلاة وربما قال تقوم من أول الليل إلى السحر ، فإن كان السحر نادى بصوت لها محزون إليك قطع العابدون دجي الليل بتبكير الدلج إلى ظلم الأسحار يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك ، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك وأن ترفعني إليك في درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك الصالحين ، فأنت أكرم الكرماء وأرحم الرحماء وأعظم العظماء ، يا كريم ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة . وقال بعض أهل الدار لو نمت من الليل شيئاً فبكت وقال ذكر الموت لا يدعني أنام . (٤)

أما تستحي من الله

^١ - السير جـ ١٠ ص ٧٩

^٢ - السير جـ ١٠ ص ٣٠٢-٣٠٣ ، تاريخ دمشق - (٥٢ / ٧١) طبقات الشافعية الكبرى - (٢ / ٢٢٠)

^٣ - صفة الصفوة جـ ٢ ص ٣١٧ .

^٤ - المصدر السابق جـ ٢ ص ٧١٢-٧١٣ . مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي - (١ / ١١١)

قال الهيثمي بن الجمار عن زوجته كان لي امرأة تقوم الليل وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا نعست ترش علي الماء في أثقل ما أكون من النوم وتنبهني وتقول : أما تستحي من الله ؛ إلى كم هذا الغطيظ فوالله إن كنت لا تستحي مما تصنع

فلو كان النساء كما ذكرن لفضلت النساء على الرجال

قال رسول الله - ﷺ - رحم الله رجل قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل وصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء (١)

أراني في شيء وأراك في شيء.

عفيرة العابدة رحمها الله: قال روح بن سلمه الوراق لعفيرة : بلغني أنك لا تنامين بالليل ، فبكت ثم قالت : ربما اشتبهت أن أنام فلا أقدر عليه وكيف يقدر وينام أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلا ولا نهارا ؛ قال : فأبكتني والله وقلت في نفسي : أراني في شيء وأراك في شيء . (٢)

قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار

عمرة امرأة حبيب العجمي-رحمه الله -

قال الحسين بن عبد الرحمن حدثني بعض أصحابنا قال: قالت امرأة حبيب أبي محمد، وانتبهت ليلة وهو نائم فأنبهته وقالت له: قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت قدمنا ونحن قد بقينا. (٣)

ليت شعري من غرني بك يا رياح

امرأة رياح القيسي -رحمه الله -قال أبو يوسف البزار تزوج رياح القيسي امرأة فبني بها فلما أصبح قامت إلى عجينها فقال : لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا ، فقالت : إنما تزوجت رياحا القيسي ولم أرني تزوجت جبارا عنيدا ، فلما كان الليل نام ليختبرها فقامت ربع الليل ثم نادته : قم يا رياحا فقال : أقوم . فقامت الربع الأخير ثم نادته فقالت: قم يا رياح فقال أقوم. فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون، وأنت نائم ليت شعري من غرني بك يا رياح، قال: وقامت الربع الباقي

عن سيار قال: حدثني رياح قال: ذكرت لي امرأة فتزوجتها فكانت إذا صليت العشاء الآخر تطيبت وتدخن ولبست ثيابها ثم تأتني فتقول: ألك حاجة؛ فإن قلت: نعم

١ - الحديث رواه أبو داود والنسائي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٤٩٤ ،

٢ - صفة الصفوة ج٢ ص ٤١٧

٣ - صفة الصفوة ج٢ ص ٧١٥.

كانت معي وإن قلت: لا قامت فنزعت ثيابها ثم صفت بين قدميها حتى تصبح.
(١)

اللهم قمت إليك أبتغي ما عندك من الخيرات

خليفة العبدى - رحمه الله -: قال هلال بن درام : كان خليفة العبدى جارا لنا بالبحرين فكان يقوم إذا هدأت العيون فيقول : اللهم قمت إليك أبتغي ما عندك من الخيرات ، ثم يعمد إلى محرابه فلا يزال يصلي حتى يطلع الفجر قال : وحدثني عجوز كانت تكون معه في الدار قالت كنت أسمعته يدعو في السجود يقول : هب لي أنابة وإخبات منيب وزيني في خلقك بطاعتك وحبيني لديك بحسن خدمتك وأكرمني إذا قدم إليك المتقون فأنت خير مسئول وخير معبود وخير مشكور وخير محمود قالت وكنت أسمعته إذا دعاء في السحر يقول : قام البطالون وقمت معهم قمنا إليك ونحن معترضون لجودك فكم من ذي جرم عظيم قد صفحت له عن جرمه وكم من ذي كرب عظيم قد خرجت له عن كربيه ، وكم من ذي ضر كثير قد كشفت له عن ضره فبعزتك ما دعانا إلى مسألتك بعدما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذي عرفتنا من جودك وكرمك ، فأنت المؤمل لكل خير والمرجو عند كل نائبه . (٢)

يا نفس جاء سرور المؤمن

منفية بنت أبي طارق - رحمه الله -

عن مسمع بن عاصم السمعى: قال : كانت بالبحرين امرأة عابدة يقال لها منفية فكانت إذا هجم الليل عليها قالت : بخ بخ يا نفس جاء سرور المؤمن فتتحزم وتلبس وتقوم إلى محرابها فكانها الجذع القائم حتى تصبح ، فإذا أصبحت ، وأمكنت الصلاة فإنما في صلاة حتى ينادي بالعصر ، فإذا صليت العصر هجعت إلى غروب الشمس هذا دأبها ، فليل لها لو جعلت هذه النوم في الليل كان أهدأ لبدنك فقالت : لا والله لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدنيا قال أبو سفيان فحدثني رجل من أهلها قال : فمكثت كذلك أربعين سنة ماتت . (٣)

إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي

محمد بن كعب القرظي - رحمه الله -: قالت أم محمد بن كعب القرظي لمحمد يا بني لولا أني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا لظننت أنك قد عملت ذنبا موبقا لما أراك تصنع بنفسك بالليل والنهار قال يا أمتاه وما يؤمني أن يكون الله قد اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي فمقتني فقال اذهب فلا أغفر لك مع أن عجائب القرآن ترد بي على أمور حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي (٤)

١ - صفة الصفوة ج٢ - ص ٧٢١.

٢ - صفة الصفوة ج٢ - ص ٧٣٨.

٣ - المصدر السابق ج٢ - ص ٧٣٩.

٤ - التهجد وقيام الليل [جزء ١ - صفحة ١٨٨]

طير ذكر جهنم نوم العابدين

طاووس- رحمه الله :- عن أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان قال كان طاووس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلّى كما تتقلّى الحبة على المقلّى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم العابدين (١)

بأبي الليل ما أطيبه

أم هارون : قال عبد العزيز عمير : قالت أم هارون وكانت من الخائفين العابدين قد أنزلت الدنيا منزلتها وكانت تأكل الخبز وحده ، قالت : بأبي الليل ما أطيبه إني لاغتم بالنهار حتى يجئ الليل ، فإذا جاء الليل قمت أوله ، فإذا جاء السحر دخل الروح قلبي (٢).

اللهم إن هذه اليهودية قد بكت رحمة لي ودينها مخالف لديني

أبو صخر يزيد بن أبي سمية الأيلي - رحمه الله - . قال محمد بن عمر: كان أبو صخر من العباد ، وكان يصلي ليلة أجمع ويبكي وكانت معه في الدار امرأة يهودية ساكنة تبكي رحمة له ، فقال ليلة في دعائه اللهم إن هذه اليهودية قد بكت رحمة لي ودينها مخالف لديني ، فأنت أولي برحمتي . (٣)

هذا يومي الذي أموت فيه

معاذه بنت عبد الله العدوية - رحمها الله - وتكني أم الصهباء : قال محمد بن فضيل : حدثنا أبي قال : كانت معاذه العدوية إذا جاء النهار قالت : هذا يومي الذي أموت فيه فما تنام حتى تمسي ، وإذا جاء الليل قالت : هذه ليلتي التي أموت فيها ، فيها فلا تنام حتى تصبح وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم وقال الحكم جبن سنان الباهلي : حدثني امرأة كانت تخدم معاذه العدوية قالت : كانت تحي الليل صلاة فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول يا نفس النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك في القبر على حسرة أو سرور ، قالت : فهي كذلك حتى تصبح وقالت آسية بنت عمرو العدوية قالت كانت : معاذه العدوية تصلي في كل يوم وليلة ستمائة ركعة وتقرأ جزءها من الليل وتقوم به وكانت تقول : عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور . (٤)

الأنوار الربانية

حفصة بنت سيرين - رحمها الله - عن عبد الكريم بن معاوية قال : ذكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن كل ليلة وكانت تصوم الدهر وتفطر العيدين

^١ - التهجد وقيام الليل [جزء ١ - صفحة ١٨٩]

^٢ - صفة الصفوة ج٢ ص ٨٧٢ .

^٣ - المصدر السابق ج٢ ص ٨٩٠ .

^٤ - صفة الصفوة ج٢ ص ٧٠٧ .

وأيام التشريق وعن هشام بن حسان قال : كانت حفصة بنت سيرين تسرج سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها فربما طفئ السراج فيضي لها البيت حتى تصبح . (١)

أما دعاك الشوق إلى مناجاة الملك

عابدة قانتة - رحمها الله - دخل السر السقطي سوق الناسخين قال : فرأيت جارية ينادى عليها بالبراءة من العيوب فاشتراها بعشرة دنانير ، فلما انصرفت بها إلى المنزل عرضت عليها الطعام فقالت لي : والله يا سيدي ما رأيت أحدا في دارنا أكل نهارا قط . قال : فخرجت فلما كان العشاء أتيتها بطعام فأكلت منه قليلا ، ثم قالت : يا مولاي بقيت لك خدمه ؛ قلت : لا ، قالت دعني لخدمة مولاي الأكبر قلت أي وكرامة : فانصرفت إلى بيت تصلي فيه ، وصليت العشاء الآخر وركدت ؛ فلما مضى من الليل الثلث ضربت علي الباب فقلت لها : ماذا تريدين ؛ قالت : يا مولاي أما لك حظ من الليل ؛ قلت : لا فمضت ، فلما مضى النصف منه ضربت علي الباب وقالت يا مولاي قام المتهجدون إلى وردهم ، قلت يا جارية : أنا بالليل خشبة بالنهار جلبة ، فلما بقي من الليل الثلث الأخير ضربت علي الباب ضربا عنيفا وقالت : أما دعاك الشوق إلى مناجاة الملك ، قم لنفسك وخذ مكانا فقد سبقك الخدام ، فهاج من كلامها خاطرا ، قمت فأسبغت الوضوء وركعت ركعات ثم تحست إليها فوجدتها ساجدة وهي تقول بحبك لي إلا غفرت لي ، فقلت لها : يا جارية ومن أين علمت أنه يحبك ؛ قالت : لولا محبته ما أناملك وأقامني ، فقلت : اذهبي فأنت حرة لوجه الله العظيم ، فدعت ثم خرجت وهي تقول : هذا العتق الأصغر بقي العتق الأكبر . (٢)

وتلك علامة من علامات محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد لربه سبحانه وتعالى . قال أبو جعفر المحبوبي : ولي الله المحب لا يخلوا قلبه من ذكر الله ولا يسأم من خدمته ، فإذا أعرض عنه ، وإذا أقبل إلى الله أقبل عليه برأفته .

اللهم همك عطل علي الهموم

داود الطائي - رحمه الله -

قال إسحاق السلولي حدثني أم سعيد بن علقمه وكانت طائية كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ و لربما سمعته يقول في جوف الليل " اللهم همك عطل علي الهموم ، وخالف بيني وبين السهاد ، وشوقي إلى النظر إليك وضع مني اللذات والشهوات ، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب "

^١ - المصدر السابق ج ٢-٤٤ ص ٧٧٠ .

^٢ - صفقات رابحة ص ٩٣-٩٤ .

قالت وربّما ترثّم بالسّحر بالقرآن، فأرى أنّ جميع نعيم الدنيا خرج في ترثّمه تلك الساعة. ، قالت: وكان يكون في الدار وحده وكان لا يصبح أي لا يسرج . (١)

الفصل الخامس

قصص عن المنفقين والمنفقات

لولا التشهد كانت لأؤه نعم

أنس بن مالك رضي الله عنه -قال: « ما سئل رسول الله - ﷺ - على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبَلين ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلمُوا ، فإن محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر ، وإن كان الرجل لَيُسَلِّمُ ما يُريد إلا الدنيا ، فما يلبثُ إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها .» (٢)

وأعطى غير واحد مائة من الإبل " وأعطى صفوان مائة ثم مائة " (٣) فهذا كان حال الحبيب - ﷺ -

ما قال لا إلا تشهده لولا التشهد كانت لأؤه نعم
إني لأراه قد فجعلكم بما له مع نفسه

أبو بكر الصديق رضي الله * عنه عن أسماء رضي الله عنها قالت لما خرج رسول الله - ﷺ - وخرج أبو بكر رضي الله عنه معه احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم فانطلق رضي الله عنه معه قالت فدخل علينا أبو قحافة رضي الله عنه وقد ذهب بصره فقال: والله! إني لأراه قد فجعلكم بما له مع نفسه، قالت: كلا يا أبت! انه قد ترك خيراً كثيراً، قالت وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوباً ثم اخذ بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت ، فوضع يده فقال : لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكن ، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن اسكن الشيخ بذلك " (٤)

اسكن حراء

عثمان بن عفان -رضي الله عنه -وهي لنرى ذي النورين فارس الميدان وسيد من سادات المنفقين: رجل تستحي منه ملائكة الرحمن ناصر الدين ومجهز المجاهدين عثمان بن عفان رضي الله عنه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال : انشد بالله من شهد رسول الله - ﷺ - يوم حراء إذ

١ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - (١٠ / ١٨١)

٢ - أخرجه مسلم ح ٣١٢

٣ - أخرجه مسلم ح ٢٣١٣

٤ - أخرجه أحمد ح ٢٧٠٠٢ قال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن

اهتز الجبل فوكزه برجله ثم قال " اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد وأنا معه ؟

* فانشد له رجال ، فقال انشد بالله من شهد رسول الله - ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين أهل مكة قال : هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع لي ؟ فانتشد له رجال ، ثم قال : انتشد بالله من شهد رسول الله - ﷺ يوم قال "من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد ببیت له في الجنة ؟ فابتعته من مالي فوسعت به المسجد ؟ فانتشدت له رجال قال وانشد بالله من شهد رسول الله - ﷺ - يوم جيش العسرة قال من ينفق اليوم نفقة متقبلة ؟ فجهزت نصف الجيش من مالي ؟ قال: فانتشد له رجال ، قال وانشد بالله من شهد بئر رومة يباع مأوها لابن السبيل فابتعتها من مالي وأبحثها ابن السبيل ؟ فانتشد له رجال "(١)

هذا خير من قرصك

إنفاق عائشة: رضي الله عنها - اخرج مالك في الموطأ انه بلغه عن عائشة زوج النبي- صلى الله عليه وسلم- أن مسكينا سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيتها إياه: قالت ففعلت فلما أمسينا اهدي لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدى لنا شاه وكتفها، فدعتني عائشة رضي الله عنها فقالت : كلى من هذا ، هذا خير من قرصك

ويحك انج بنا

إنفاق حكيم بن حزام رضي الله عنه اخرج الطبراني عن أبي حازم قال: ما كان بالمدينة أحد سمعنا به، كان أكثر حملا في سبيل الله من حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال لقد قدم إعرابيان المدينة يسالان من يحمل في سبيل الله؟

فدلا على حكيم بن حزام، فأتياه في أهله فسألها ما يريدان؟ فاخبراه ما يريدان ، فقال لهما :لا تعجلان حتى اخرج إليكما ، وكان حكيم بن حزام يلبس ثيابا يؤتى بها من مصر كأنها الشباك (٢) ثمنها أربعة دراهم ، ويأخذ عصاه في يده ، ويخرج معه غلامان له وكلما مر بكناسة أو قمامة فرأى فيها خرقة تصلح في جهاز الإبل التي يحمل عليها في سبيل الله أخذها بطرق عصاه فنفضها ثم قال لغلاميه ، امسكا بسلعتكما في جهازكما فقال الأعربيان أحدهما لصاحبه وهو يصنع ذلك ويحك انج بنا فوالله ما عند هذا إلا القط القشع (٣) ، فقال له صاحبه ويحك لا تجعل حتى تنظر فخرج بهما إلى السوق فنظر إلى ناقتين جليلتين سمينتين خلفيتين (٤) فابتاعهما وابتاع جهازكما ثم قال لغلاميه ، وما (٥) بهذه الخرق ما ينبغي المرمة

١ - أخرجه الترمذي ح ٣٦٩٩ والنسائي ح ٣٦٠٨ وأحمد ح ٤٢٢ وصححه الألباني في صحيح النسائي ح ٣٦٠٩

٢ - أي: رقيقة

٣ - القشع: أي الجلود اليابسة

٤ - خلفيتين: حاملتين

٥ - أصلها

من جهازكما ، ثم أوقرهما ^(١) طعاما وبراً ودكا وأعطاها نفقة ، ثم أعطاها الناقتين ، قال : يقول أحدهما لصاحبه : والله ما رأيت من لا قط قشع خيراً من اليوم ^(٢)

إنفاق سعيد بن عامر الجمحي رضي الله عنه

حسان بن عطية قال لما عزل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه معاوية عن الشام بعث سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي قال فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه فما لبث إلا يسيراً حتى أصابته حاجة شديدة قال فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار قال فدخل بها على امرأته فقال إن عمر بعث إلينا بما ترين فقالت لو أنك اشتريت لنا أدماً وطعاماً وادخرت سائرهما فقال لها أولاً أدلك على أفضل من ذلك نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه قالت فنعم إذا فاشترى أدماً وطعاماً واشترى بغيرين وغلامين يمتاران عليهما حوائجهم وفرقها في المساكين وأهل الحاجة قال فما لبث إلا يسيراً حتى قالت له امرأته إنه نفذ كذا وكذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشترت لنا مكانه قال فسكت عنها قال ثم عاودته قال فسكت عنها حتى آذته ولم يكن يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل قال وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله فقال لها ما تصنعين إنك قد آذيتيه وإنه قد تصدق بذلك المال قال فبكيت أسفاً على ذلك المال ثم أنه دخل عليها يوماً فقال على رسلك إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددت عنهم وأن لي الدنيا وما فيها ولو أن خيرة من خيرات الحسان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف ^(٣) تكسي خير من الدنيا وما فيها فلأنت أحرى في نفسي أن أدعك لهن من أن أدعهن لك قال فسمحت ورضيت ^(٤)

مرحبا بمن يحمل زادي إلى الآخرة

علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب - رضي الله عنهم -

وهذا علم من أعلام المنفقين سليل بيت النبوة علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين - كان إذا أتاه سائلاً رحب به وقال مرحبا بمن يحمل زادي إلى الآخرة " وعن محمد بن إسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به الليل.

وعن أبي حمزة الشمالي: قال: كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل "

^١ - أوقرهما: حمل لهما الناقتين

^٢ - مجمع الزوائد (٩/ ٦٤٢)

^٣ - النصيف: الخمار

^٤ - أخرج أبو نعيم في الحلية: ج ١ ص ٢٤٤

وعن عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سود في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة " (١)

صام أربعين سنة وما يعلم به أحد

أبو الحسين النوري - رحمه الله - كان من الصائمين القانتين الذين سعوا في مرضات ربهم وساروا على درب نبيهم، يقول ابن الجوزي - رحمه الله قال عبد الكريم: ثم حدثني أبو جعفر الفرعاني قال: مكث أبو الحسين النوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج ليمضي إلى السوق فيتصدق بالرغيفين ويدخل المسجد فلا يزال يركع حتى يجيء وقت السوق فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق فيظن أنه قد تغدى في بيته، ومن في بيته عندهم أنه قد أخذ معه غداءه، وهو صائم " (٢)

لولا المساكين ما تجرت

حسان بن أبي سنان: كان يقول - رحمه الله - لولا المساكين ما تجرت وانظر إلى سخائه وكرمه وجوده وكيف أنه كان يحب الإنفاق ويعطيهم ولا يخاف الفقر والفاقة فعن الوليد بشار قال: جاءت امرأة فسألت حسان بن أبي سنان، فقال لشريكه هكذا، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى فذهب شريكه يزن لها درهمين فوزن لها مائتين، فقالوا: يا أبا عبد الله، كنت ترضى بهذا كذا وكذا من سائل، فقال: إني ذهبت في شيء لم تذهبوا فيه إني رأيت بها بقية من الشباب وخشيت أن تحملها الحاجة على بعض ما أكره (٣)

لولاك وأصحابك ما اتجرت

عبد الله بن المبارك - رحمه الله - يقول ابن الجوزي: عن محمد بن علي بن الحسن بن شفيق قال سمعت أبي يقول كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مر

فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن ، فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها ثم يكتري لهم ويخرجهم من مروا إلى بغداد فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلو ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة ، حتى وصلوا إلى المدينة - فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة ، من طرفها ؟ فيقول كذا ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا مكة فقضوا حوائجهم قال: لكل رجل منهم ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟

١ - صفة الصفوة ج ١ ص ٢٩٨

٢ - المصدر السابق ج ١ ص ٢٩٨

٣ - صفة الصفوة (٣/ ٣٣٨)

فيقول كذا وكذا، فيشتري لهم ويخرجهم من مكة فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مرو، فإذا وصلوا إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها أسمه^(١) وقال ابن الجوزي أيضاً "بلغنا أنه قال " للفضيل لولاك وأصحابك ما اتجرت ، وقال : وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم^(٢)

أي شيء قضيتك؟

قال سعيد بن المسيب بن واضح: كنت عند عبد الله بن المبارك جالساً إذ كلموه في رجل يقضى عنه سبعمائة درهم دينا فكتب إلى وكيله، إذا جاءك كتابي هذا وقرأته فادفع إلى صاحب الكتاب سبعة آلاف درهم، فلما ورد الكتاب على الوكيل وقرأه، التفت إلى الرجل فقال: أي شيء قضيتك؟

فقال: كلموه أن يقضى عني سبعمائة درهم دينا، فقال: قد أصبت في الكتاب غلطاً، ولكن أقعد موضعك حتى أجرى عليك من مالي وأبعث إلى صاحبي فأوامره فيك فكتب إلى عبد الله بن المبارك أتاني كتابك وقرأته وفهمت ما ذكرت فيه، وسألت صاحب الكتاب فذكر أنه كلمك في سبعمائة درهم، وها هنا سبعة آلاف درهم، فإن يكن منك غلط فاكذب إلي حتى أعمل على حسب ذلك.

فكتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا وقرأته وفهمت ما ذكرت فيها فادفع إلى صاحب الكتاب، أربعة عشر ألفاً، فكتب إليه: إن كان هذا الفعل تفعل فما أسرع ما تبيع الضيعة، فكتب إليه عبد الله بن المبارك: إن كنت وكيل فأنفذ ما أمرك به، وإن كنت أنا وكيلك فتعال إلى موضعي حتى أصير إلى موضعك فأنفذ ما تأمرني به^(٣)

أنت المتكلم في المسجد؟

الليث بن سعد: قال ابن الجوزي: عن محمد ابن موسى الصائغ قال سمعت منصور بن عمار يقول: تكلمت في جامع مصر يوماً فإذا رجلاً قد وقفا على الحلقة فقالا: أجب الليث، فدخلت عليه، فقال أنت المتكلم في المسجد؟ قلت: نعم، قال رد على الكلام الذي تكلمت به، فأخذت في ذلك المجلس بعينه، فرق وبكى حتى رحمته ثم قال: ما اسمك؟

قلت منصور، قال ابن من؟

قلت: ابن عمار، قال أنت أبو السري؟

قلت نعم ، قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى رايتك ، ثم قال : يا جارية فجاءت فوقفت بين يديه فقال لها : جيئني بكيس كذا وكذا ، فجاءت بكيس فيه ألف دينار

^١ - صفوة الصفوة ج ٢ ص ٧٨١

^٢ - صفوة الصفوة ج ٢ ص ٧٨١

^٣ - صفوة الصفوة ج ٢ ص ٧٨٢

، فقلت يا أبا السري خذ هذا إليك وصن هذا الكلام أن تقف به على أبواب السلاطين ، ولا تمدح أحدا من المخلوقين بعد مدحتك لرب العالمين ، ولك في كل سنة مثلها فقلت : رحمك الله إن الله قد أحسن إليّ وأنعم ، قال : لا ترد على شيئا أصلك به ، فقبضتها وخرجت ، قال لا تبطئ علي ، فلما كان في الجمعة الثانية أتته فقال لي : اذكر شيئا فتكلمت فبكى وكثر بكاؤه فلما أردت أن أقوم ، قال : انظر ما في ثني هذه الوسادة وإذا خمسمائة دينار ، فقلت : عهدي بصلتك بالأمس ، قال : لا تردن علي شيئا أصلك به ، متى رأيتك ؟ قلت : الجمعة الداخلة ، قال : كأنك فتت عضو من أعضائي ، فلما كانت الجمعة الداخلة أتته مودعا فقال لي : خذ في شيء أذكرك به ، فتكلمت فبكى وكثر بكاؤه ، ثم قال لي يا منصور انظر ما في ثني الوسادة فإذا ثلثمائة دينار قد أعدها للحج ، ثم قال : يا جارية هاتي ثياب إحرام منصور فجاءت بإزار فيه أربعون ثوبا ، قلت : رحمك الله اكتفى بثوبين ، فقال لي : أنت رجل كريم ويصحبك قوم فأعطهم وقال للجارية التي تحمل الثياب معه وهذه الجارية لك" (١)

لقمة بلقمة

وفي تاريخ ابن النجار عن وهب بن منبه قال: بينما امرأة من بني إسرائيل، على ساحل البحر تغسل ثيابها، وصبي لها يدب بين يديها، إذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها، فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي، فجعلت تعدو خلفه وتقول: يا ذئب ابني يا ذئب ابني، فبعث الله ملكا فنزع الصبي من فم الذئب ورمى به إليها.

وقال: لقمة بلقمة. وهو في الحلية عن مالك بن دينار وقال: أخذ السبع صبيا لامرأة فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة. (٢)

فهل أشد من الريح؟

في مسند أحمد من حديث أنس بإسناد حسن مرفوعا " إن الملائكة قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟

قال: نعم الحديد. قالت: فهل أشد من الحديد؟

قال: نعم النار. قالت: فهل أشد من النار؟

قال: نعم الماء. قالت: فهل أشد من الماء؟

^١ - صفة الصفوة ج ٢ ص ٨٧٦

^٢ - حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٦٨)

قال: نعم الريح. قالت: فهل أشد من الريح؟

قال. نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله " ثم إن المقصود منه المبالغة في إخفاء الصدقة بحيث إن شماله مع قربها من يمينه وتلازمهما لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين لشدة إخفائها، فهو على هذا من مجاز التشبيه. (١)

داووا مرضكم بالصدقة

عن الإمام المحدث البيهقي - رحمه الله تعالى - أنه قال : (في هذا المعنى حكاية شيخنا الحاكم أبي عبد الله - رحمه الله - ، فإنه قرح وجهه وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب ، وبقي فيه قريباً من سنة ، فسأل الأستاذ الإمام " أبا عثمان الصابوني " أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة ، فدعا له وأكثر الناس التأمين ، فلما كان يوم الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها عادت إلى بيتها واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة ، فرأت في منامها رسول الله (كأنه يقول لها : " قولي لأبي عبد الله يوسع الماء على المسلمين " ، فجئت بالرقعة إلى الحاكم فأمر بسقاية بُنيت على باب داره وحين فرغوا من بنائها أمر بصب الماء فيها وطرح الجمد في الماء وأخذ الناس في الشرب ، فما مر عليه أسبوع حتى ظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان وعاش بعد ذلك سنين) (٢).

حفر بئراً للناس فشفاه الله من مرض شديد

سأل رجل عبد الله بن المبارك - رحمه الله تعالى - عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين وقد عالجه بأنواع العلاج وسأل الأطباء فلم ينتفع ، فقال له ابن المبارك : (اذهب واحفر بئراً في مكان يحتاج الناس فيه إلى الماء فإني أرجو أن تنبع هناك عين ويمسك عنك الدم) ففعل الرجل ذلك فشفاه الله تعالى . (٣)

تصدق على أم أيتام فشفاه الله من مرض السرطان

يُذكر أن رجلاً أصيب بالسرطان ، فطاف الدنيا بحثاً عن العلاج ، فلم يجده ، فتصدق على أم أيتام ، فشفاه الله تعالى . (٤)

شفاه الله من مرض السرطان لسعيها على أيتام

وشبيهه بالقصة السابقة تقول إحدى الأخوات الجزائريات الفاضلات - وهي مقيمة في السعودية - : (أصبت بمرض السرطان منذ عدة سنوات وتيقنت بقرب الموت

١ - الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٢ / ٤٥٩) وأخرجه أحمد في المسند ١٢٤/٣

٢ - الترغيب والترهيب (٢ / ٤٢)

٣ - سير أعلام النبلاء ، ٨ / ٤٠٧

٤ - داووا مرضاكم بالصدقة (ص : ٨)

، وكنت أنفق ما أكسبه من مهنة الطرازة على يتامي ، وكل ما أنفقته عليهم رده الله لي مضاعفاً ، وسخر لي المحسنين في الجزائر كي يعالجوني ، ثم سخر لي هنا في السعودية من يهتم بي ويرعاني ومع أي أحد لا أعرف أحداً في المملكة إلا أنني وجدت أخوات صالحات ، وقد واصلت علاجي إلى أن شُفيت تماماً بحمد الله تعالى ؛ ومع أي أحد لا أعرف أي أحد في هذا البلد إلا أن الله تعالى سخر لي كل شيء ويسره لي بسبب إنفاقي على هؤلاء الأيتام) . (١)

عقيدة تصدقت فرزقها الله بتوأمين :

ابتليت امرأة بالعمق وقد أيسها الأطباء من إمكانية الحمل وأنه لا علاج لها ! ، فوفقها الله تعالى إلى أن تتصدق على امرأة فقيرة ، وبعدما تصدقت عليها طلبت منها أن تدعو لها بالولد الصالح ، وما مضت ثلاثة أشهر إلا وهي حامل بتوأم ولدين ! . (٢)

أنقذه الله من الموت بصدقته: كانت إحدى الداعيات المشهورات تروي قصة في أثر الصدقة وتبدي عجبها فقالت لها إحدى الحاضرات : (لا تعجبي ! ، والدنا جاءه محتاج في خيمته فأعطاه حليب " في غضارة " وسقاه حتى شبع ، وبينما كان يتنقل تعطلت به السيارة وجلس تحت ظل شجرة وقد شارف على الموت وإذا برجل يأتيه وقد أعطاه حليب وشربه ، وإذا بهذا الرجل هو نفسه الذي سقاه والذي) اه ، ولعله ملك كريم تمثل في صورة الشخص الذي تصدق والدها عليه ، والله على كل شيء قدير .. ولا يضيع أجر من أحسن عملاً . (٣)

رجع بصرها كما كان بسبب صدقة والدتها عنها

كان صبي صغير يلعب مع أخته حاملاً بيده سكيناً ، وفجأة ضربها في عينها ، فنُقلت على الفور إلى المستشفى ، ولخطورة الإصابة حُوّلت منه إلى (الرياض) حيث الأطباء الاستشاريين ، وبعد الفحوصات والأشعة قرّر الأطباء أن إعادة (قرنية) عينها أمرٌ ضعيف والأمل يرجوع بصرها ضئيل ، وفي يوم تذكّرت الأم المرافقة مع ابنتها فضل الصدقة ، فطلبت من زوجها أن يُحضّر لها تلك القطعة من الذهب التي لا تملك غيرها وتصدقت بها على الرغم من ضعف حالتها المادية ودعت ربها الكريم الرحيم قائلةً : (ربي إنك تعلم أنني لا أملك غيرها فاجعل صدقتي بها سبباً في شفاء ابنتي) .

وفي الغد جاء الطبيب فعرضت عليه حالة البنت فكان قوله كسابقه وأنه لا أمل في الشفاء ، وبعد أيام جاء طبيب آخر فعرضت عليه ففكر وتأمل وكانت المفاجأة أن أجريت العملية ونجحت بفضل من الله تعالى ، ثم عادت الطفلة سليمة دون

١ - داوود مرضاكم بالصدقة (ص : ٩)

٢ - داوود مرضاكم بالصدقة (ص : ٩)

٣ - داوود مرضاكم بالصدقة (ص : ٩)

أي أثرٍ على وجهها وقد رجع بصرها - بحمد الله تعالى - كما كان . (١)

شفى الله بنته بسبب الصدقة

يقول الشيخ / سليمان المفرج - وفقه الله - : هذه قصة يرويها صاحبها لي حيث يقول : (لي بنت صغيرة أصابها مرض في حلقها ، فذهبت بها للمستشفيات وعرضتها على كثير من الأطباء ، ولكن دون فائدة ، فمَرَضُها أصبح مستعصياً ، وأكد أن أكون أنا المريض بسبب مرضها الذي أَرَّق كل العائلة ، وأصبحنا نعطيها إبراً للتخفيف فقط من آلامها حتى يؤسنا من كل شيء إلا من رحمة الله تعالى . إلى أن جاء الأمل وفتح باب الفرج ، فقد اتصل بي أحد الصالحين وذكر لي حديث رسول الله (: (داووا مرضاكم بالصدقة) فقلت له : " قد تصدقت كثيراً " .

فقال : " تصدق هذه المرة بنية شفاء ابنتك " ، وفعلاً تصدقت بصدقة متواضعة لأحد الفقراء ولم يتغير شيء ، فأخبرته فقال : " أنت ممن لديهم نعمة ومال كثير ، فلتكن صدقتك بحجم مالك " ، فذهبت للمرة الثانية وملأت سيارتي من الأرز والدجاج والخيرات بمبلغ كبير ووزعتها على كثير من المحتاجين ، ففرحوا بصدقتي ووالله لم أكن أتوقع أبداً أن آخر إبرة أخذتها ابنتي هي التي كانت قبل صدقتي ، فشُفِيَت تماماً بحمد الله . فأيقنت بأن الصدقة من أكبر أسباب الشفاء ، والآن ابنتي بفضل الله لها ثلاث سنوات ليس بها أي مرض على الإطلاق ، ومن تلك اللحظة أصبحت أكثر من الصدقة خصوصاً على الأوقاف الخيرية ، وأنا كل يوم أشعر بالنعمة والبركة والعافية في مالي وعائلتي ، وأنصح كل مريض بأن يتصدق من أعز ما يملك ، ويكرر ذلك فسيشفيه الله تعالى ، وأدين الله بصحة ما ذكرت ، والله لا يضيع أجر المحسنين . (٢)

تصدقت بكل ذهبها فشُفي ابنها:

دخل أحد الشباب المستشفى إثر مرضٍ شديد ألَمَّ به - نسأل الله السلامة والعافية لنا ولجميع المسلمين - ، وبعد الفحوصات قرر الأطباء أنه لا أمل في شفائه حيث قال الطبيب لأمه المرافقة : (خُذِي أغراضه فلا أمل في شفائه والعلم عند الله) ؛ فتأثرت الأم وتذكرت فلذة كبدها ومفارقته لها فقامت وباعت كل ما تملك من ذهبٍ وتصدقت بثمنه ، ولم تمض سوى عِدَّة أيام حتى أبدى الطبيب لأمه أن هناك أملاً في شفائه ، حتى تحسَّنت حالته شيئاً فشيئاً حتى خرجت بعد أيام سليماً مُعافى ، فحَمِد الجميع ربَّهم - تبارك وتعالى - على شفائه ولطفه . (٣)

١ - داووا مرضاكم بالصدقة (ص : ١٠)

٢ - داووا مرضاكم بالصدقة (ص : ١١)

٣ - داووا مرضاكم بالصدقة (ص : ١١)

أصببت طفلة بالحمى فشفاها الله بصدقة

ويقول الشيخ أيضاً: هذه قصة أخرى حدثني بها صاحبها فقال: (لقد اشتكت طفلي من الحمى والحرارة ولم تعد تأكل الطعام وذهبت بها لعدة مستوصفات فلم تنزل حرارتها وحالتها تسوء ، فدخلت المنزل مهموماً لا أدري ما أصنع ! ؛ فقالت لي زوجتي : " لتصدق عنها " ، فاتصلت بشخص له علاقة بالمساكين وقلت له : " أرجو أن تصلي العصر في المسجد وتأخذ مني ٢٠ كيس أرز و ٢٠ كرتون دجاج وتوزعها على المحتاجين " ، وأحلف بالله ولا أبالغ أنني بعد أن أقفلت سماعة الهاتف بخمس دقائق وإذا بطفلي تركض وتلعب وتقفز على الكنبات وأكلت حتى شبعت وشفيت تماماً بفضل الله تعالى ثم الصدقة ، وأوصي الناس بالاهتمام بها عند كل مرض) . (١)

امرأة مصابة بمرض نفسي أنجاه الله بالصدقة:

وهذه امرأة مُصابة بمرض نفسي قاهر، فقام أحد أقاربها -جزاه الله خيراً- وتصدق بنية شفاؤها على رجل صالح فقير يعول عائلتين وسأله الدعاء لها ، فما هي إلا أيام يسيرة حتى يسّر الله لها مَنْ ينتشلها مما هي فيه من البلاء ويكون سبباً في شفاؤها حيث يقول الأخ المتصدق: (والله لم يعلم أحدٌ من عائلتها بصدقتي وإنما جعلتها خالصة لوجه الله تعالى، ولكن الله تعالى أحدث في عائلتها وبعض العارفين بأمورها من أهل الخير استنفاراً كاملاً لرعايتها ولإنقاذها من مرضها -ولله الحمد والمنة -) انتهى. (٢)

الفصل السادس: قصص عن الصائمين

فإنها صوامة قوامه،

عن قيس بن زيد أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت، وقالت: والله ما طلقني عن شبع، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قال لي جبريل عليه السلام " راجع حفصة، فإنها صوامة قوامه، وإنها زوجتك في الجنة " (٣)

إن أخاك لا حاجة له في الدنيا،

وقال أبو جحيفة السوائي: آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فجاءه سلمان يعود، فإذا أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك قالت: إن أخاك أبا الدرداء

١ - داوود مرضاكم بالصدقة (ص: ١١)

٢ - داوود مرضاكم بالصدقة (ص: ١٣)

٣ - سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٩)

يقوم) الليل ويصوم النهار، وليس له في شيء من الدنيا حاجة، فجاء أبو الدرداء فرحب بسلمان وقرب إليه طعاماً، فقال سلمان: كل، قال: إني صائم، قال: أقسمت عليك لتفطرن، فأفطر، ثم بات سلمان عنده، فلما كان من الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم، فمنعه سلمان وقال: إن لجسدك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، صم وأفطر وصل وأت أهلك وأعط كل ذي حق حقه، فلما كان وجه الصبح قال: قم الآن إن شئت، فقاما وتوضأ ثم ركعا ثم خرجا، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي أمر سلمان، فقال له: يا أبا الدرداء إن لجسدك عليك حقاً مثل ما قال لك سلمان. وقال سالم بن أبي الجعد: قال أبو الدرداء: سلوني فوالله لئن فقدتموني لتفقدن رجلاً عظيماً. (١).

"صُم يوماً وأفطر يوماً"

(عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: زوّجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت عليّ جعلت لا أنحاش (٢) لها، ممّا بي من القوة على العبادة، من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كتنه (٣) ، حتّى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟. قالت: خير الرّجال، أو كخير البعولة، من رجل لم يفشّ لنا كنفاً، ولم يعرف لنا فراشا. فأقبل عليّ، فعذمني (٤)، وعصّني بلسانه، فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتها (٥)، وفعلت وفعلت، ثمّ انطلق إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم فشكاني، فأرسل إليّ النّبيّ ﷺ ، فأتيته، فقال لي: أتصوم التّهار؟. قلت: نعم، قال: وتقوم اللّيل؟. قلت: نعم، قال: لكّني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمسّ النّساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي، قال: اقرأ القرآن في كلّ شهر، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال- أحدهما إمّا حصين وإمّا مغيرة-: فقرأه في كلّ عشرة أيّام، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: فقرأه في كلّ ثلاث (٦) ، قال: ثمّ قال: صم في كلّ شهر ثلاثة أيّام، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: فلم يزل يرفعني حتّى قال: صم يوماً وأفطر يوماً، فإنّه أفضل الصّيام، وهو صيام أخي داود. قال حصين في حديثه- ثمّ قال ﷺ: «فإنّ لكلّ عابد شرّة (٧)، ولكلّ شرّة فترة فإمّا إلى سنّة، وإمّا إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنّة فقد

١ - صحيح، أخرجه البخاري ٤ / ١٨٢ ، ١٨٤

٢ - أنحاش: لا أنفر لها ولا أقبل عليها.

٣ - الكتنّة: امرأة الابن وجمعها كنانن

٤ - فعذمني: العذم الأخذ باللسان واللوم

٥ - فعضلتها: فقهرتها وضيقّت عليها.

٦ - أي في كلّ ثلاثة أيّام، إذا حذف المعداد جاز في العدد التذكير والتأنيت.

٧ - الشرّة: النشاط والرغبة. والفترة: الهدوء بعد الحدة.

اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك»، قال مجاهد: فكان عبد الله بن عمرو حيث ضعف وكبر، يصوم الأيام كذلك، يصل بعضها إلى بعض، ليتقوى بذلك، ثم يفطر بعد تلك الأيام، قال: وكان يقرأ في كلّ حظه كذلك، يزيد أحياناً، وينقص أحياناً، غير أنه يوفي العدد، إمّا في سبع، وإمّا في ثلاث، قال: ثمّ كان يقول بعد ذلك: لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحبّ إليّ ممّا عدل به أو عدل، لكنّي فارقتّه على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره)*. (١)

عثمان بن عفان-رضي الله عنه-

عن أبي سعيد مولى عثمان، أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً، ودعا بسرّاويل، فشدّها عليه ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام. قال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة وأبا بكر وعمر فقالوا لي: صبراً، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه.

عن ابن عمر أن عثمان أصبح يحدث الناس. قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام. قال: يا عثمان أفطر عندنا غداً فأصبح صائماً وقتل من يومه. (٢)

عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما

شرحبيل بن أبي عون، عن أبيه، قال: كان عبد الله بن الزبير قد قَسَمَ جلده على عظمه، كان يصوم الدهر، فإذا أَفْطَرَ، أَفْطَرَ على لَبَنِ الإبل، وكان يمكث الخمس والست لا يذهب لحاجته، وكان يشرب المسك، وكان بين عينيه سجدة مثل مَبْرُك العنز (٣)

أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها

عن قيس بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت، وقالت: والله ما طلقني عن شعب،

١ - أخرجه البخاري: ٤ / ١٨٩، ١٩١

٢ - عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند ٣٨٨/١، وأبو عرب: المحن ص ٦٤، وأبو يعلى كما في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي ق ١٦٤ / أ، وابن الأثير: أسد الغابة ٤٩٠/٣، وابن عساكر: تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٩٣. جميعهم عن مسلم أبي سعيد سكت عنه البخاري، ووثقه ابن حبان. (التاريخ الكبي ٢٦٢/٧، الثقت ٣٩٤/٥). قال الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٣٢/٧: "رواه عبد الله وأبو يعلى في الكبير، ورجالهما ثقات". وصحّ إسناده أحمد شاكراً في تخريجه لأحاديث المسند، رقم: ٥٢٦.

٣ - ابن عساكر ص ٤٧٣.

وجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قال لي جبريل عليه السلام " راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة " (١)

أبو موسى الأشعري- رضي الله عنه-

عن أبي بردة: أن أبا موسى الأشعري كان في سفينة في البحر مرفوع شراعها، فإذا رجل يقول: يا أهل السفينة قفوا . سبع مرات . فقلنا: ألا ترى على أي حالة نحن؟ فقال في السابعة: قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه، إن الله قضى على نفسه أنه من عطش نفسه في يوم حار من أيام الدنيا شديد الحر كان حقيقاً على الله أن يرويه يوم القيامة، فكان أبو موسى الأشعري يبتغي [اليوم] (٤) المعمعاني (٢) الشديد الحر فيصومه (٣)

أبو أمامة - رضي الله عنه-

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، غزوة فأتيته، فقلت: يا رسول الله، ادع الله لي بالشهادة، فقال: «اللهم سلمهم وغنمهم» ، فسلمنا وغنمنا، ثم أنشأ غزوة ثانية، فقلت مثل ذلك ومثل ذلك، ثم كذلك في الثالثة، ثم قلت: مرني يا رسول الله بعمل لعلي أبلغ به، قال: «عليك بالصوم، فإنه لا مثل له» ، فما رأيي أبو أمامة، ولا امرأته، ولا جاريته إلا صياماً، وكان إذا رأي في دارهم دخان قيل: اعتراهم ضيف، نزل بهم نازل، قال: فلبثت بذلك ما شاء (٤)

«عن مولاة لأبي أمامة قالت: كان أبو أمامة يحب الصدقة، ولا يقف به سائل إلا أعطاه، فأصبحنا يوماً وليس عنده إلا ثلاثة دنانير، فوقف به سائل، فأعطاه ديناراً، ثم آخر فكذلك، ثم آخر فكذلك، قلت: لم يبق لنا شيء، ثم راح إلى مسجده صائماً، فرققت له، واقتضت له ثمن عشاء، وأصلحت فراشه، فإذا تحت المرفقة ثلاثمائة دينار، فلما دخل ورأى ما هيأت له حمد الله وتبسم وقال: هذا خير من غيره، ثم تعشى، فقلت: يغفر الله لك جئت بما جئت به، ثم تركته بموضع مضبغة، قال: وما ذاك؟ قلت: الذهب. ورفعت المرفقة، ففزع لما رأى تحتها وقال: ما هذا ويحك! قلت: لا علم لي. فكثر فزعه.» (٥)

١ - حديث صحيح: أخرجه أبو داود "٢٢٨٣"، والنسائي "٢١٣/٦"، وابن ماجه "٢٠١/٦"، والحاكم "١٥/٤"، وابن سعد "٨٤/٨" في طبقاته، وله شواهد.

٢ - يوم معمعان ومعمعاني: شديد الحر.

٣ - تاريخ مدينة دمشق (٨٨/٣٢)

٤ - «سير السلف الصالحين - إسماعيل الأصبهاني» (٤٥٧/٢)

٥ - «تاريخ الإسلام - تدمري» (٢٢٩/٦)

ابن بطة - رحمه الله-

قال أبو حامد الدلوي: لما رجع ابن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة، لم يرفي سوق، ولا رؤي مفطرا إلا في عيد، وكان أمارا بالمعروف، لم يبلغه خبر منكر إلا غيره. (١)

صوم إبراهيم بن هانئ - رحمه الله

أبو بكر النيسابوري قال حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته فجعل يقول لابنه إسحاق يا إسحاق ارفع الستر قال يا أبة الستر مرفوع قال أنا عطشان فجاءه بماء قال غابت الشمس قال لا قال فردده ثم قال " لمثل هذا فليعمل العاملون " (١) ثم خرجت روحه قال (٢)

الأسود بن يزيد بن قيس أبو عمرو النخعي

عن علقمة بن مرثد، قال: كان الأسود يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يخضر ويصفّر، فلما احتضر بكى.

ف قيل له: ما هذا الجزع؟

فقال: ما لي لا أجزع، والله لو أتيت بالمغفرة من الله، لأهمني الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحيا منه.

وروى: شعبة، عن الحكم: أن الأسود كان يصوم الدهر - هذا صحيح عنه - وكأنه لم يبلغه النهي عن ذلك ، أو تأول. (٣)

مسروق بن عبد الرحمن - رحمه الله-

قال الشعبي: (غشي على مسروق في يوم صائف، وكانت عائشة قد تبنته فسمي بنته عائشة، وكان لا يعصى ابنته شيئا)، قال: (فنزلت إليه فقالت؛ يا أبتاه أفطر واشرب، قال؛ "ما أردت بي يا بنية؟"، قالت؛ الرفق، قال؛ "يا بنية، إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقدراه خمسين ألف سنة"). (٤)

عامر بن قيس - رحمه الله-

١ - سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٢ / ٤٦٤)

٢ - تاريخ دمشق لابن عساكر (٧ / ٢٥٦)

٣ - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤ / ٥٢)

٤ - سير أعلام النبلاء ط الحديث (٥ / ٢٦)

قال قتادة: لما احتضر عامر، بكى.

فقال: ما يبكيك؟

قال: ما أبكي جزعا من الموت، ولا حرصا على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام الليل (١)

عبد الله بن راحة

عن أبي الدرداء قال: " خرجنا مع النبي ﷺ ، في بعض أسفاره، في يوم حار. حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي، ﷺ ، وابن راحة " (٢)

ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟

عن عطية بن قيس، قال: دخل ناس من أهل دمشق على أبي مسلم وهو غاز في أرض الروم، وقد احتفر جورة في فسطاطه (٣)، وجعل فيها نطعا وأفرغ فيه الماء وهو يتصلق فيه (٤)، فقالوا: ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟ قال: لو حضر قتال لأفطرت، ولتهيات له وتقويت، إن الخيل لا تجري الغايات (٥) وهن بدن، إنما تجري وهن ضمير، ألا وإن أيامنا باقية جائية لها نعمل (٦)

راحة هذا الجسد أريد

عن علقمة بن مرثد قال انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الأسود بن يزيد كان مجتهدا في العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب هذا الجسد قال راحة هذا الجسد أريد فلما احتضر بكى فقل له ما هذا الجزع قال مالي لا أجزع ومن أحق بذلك مني والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لهنني الحياء منه مما قد صنعت إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيا منه ولقد حج الأسود ثمانين حجة (٧)

يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي

١ - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٩ / ٤)

٢ - أخرجه البخاري (١٩٤٥) في الصوم، رقم الباب: ٣٥

٣ - الفسطاط: البيت من الشعر.

٤ - تعلق: تقلب وتلوى على جنبه.

٥ - الغايات: النهايات، وفي الحديث: " أنه صلى الله عليه وسلم سبق بين الخيل وفضل القرع في الغاية.

٦ - سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤) الحلية ٢ / ١٢٧: وتاريخ ابن عساكر ٩ / ١٧ ب وتاريخ الإسلام ٣ / ١٠٤.

٧ - حلية الأولياء (١٠٣ / ٢)

عن الشعبي، قال: غشي على مسروق في يوم صائف، وكانت عائشة قد تبنته، فسمى بنته عائشة وكان لا يعصي ابنته شيئاً.

قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه أفطر واشرب.

قال: ما أردت بي يا بنية؟ قالت: الرفق، قال: يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم

كان مقداره خمسين ألف سنة. (١)

إنما أنا عبدٌ مملوكٌ

العلاء بن زياد * وقال هشام بن حسان: كان قوت العلاء بن زياد رغيفاً كل يوم، قال: وكان يصوم حتى يخضر، ويصلي حتى يسقط، فدخل عليه أنس والحسن فقالا: إن الله لم يأمرك بهذا كله، فقال: إنما أنا عبدٌ مملوكٌ لا أدع من الاستكانة شيئاً إلا جئته. (٢)

معروف الكرخي سأله رجل: يا أبا محفوظ كيف تصوم فبقي يغالطه ويقول: صوم نبينا صلى الله عليه وسلم كان كذا، وصوم داود كان كذا. فألح عليه فقال: أصبح دهري صائماً، فمن دعاني أكلت، ولم أقل إني صائم. (٣)

اللهم إذ حبستني عن ثلاث فلا تدعني في الدنيا ساعة.

قال مبارك بن فضالة قال: دخلت على ثابت في مرضه وهو في علو وكان لا يزال يذكر أصحابه فقال: يا إخوتاه لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أصلي ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي فأذكر الله كما كنت أذكره معهم ثم قال: اللهم إذ حبستني عن ثلاث فلا تدعني في الدنيا ساعة. وعنه قال: كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة. (٤)

لأصومن له أيام حياتي

زجلة العابدة مولاة معاوية

عن أحمد بن سهل الأزدي قال دخل على زجلة العابدة نفر من القراء فكلموها في الرفق بنفسها فقالت مالي وللرفق بها فإنما هي أيام مبادرة فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غدا والله يا إخوتاه لأصلين ما أفلتني جوارحي ولأصومن له أيام حياتي

١ - سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٨)

٢ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٤٤٧ / ٦)

٣ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٤٠٢ / ١٣)

٤ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٥٦ / ٨)

ولأبكين له ما حملت الماء عيناى ثم قالت ألكم يأمر عبده بأمر فىحب أن يقصر فىه

عباد بن عباد أبو عتبة الخواص قال دخلنا على زجلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عمشت وصلت حتى أقعدت وكانت صلاتها قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شىئا من العفو أردنا أن نهون عليها الأمر هناك فشهقت ثم قالت علمى بنفسى قرح فؤادى وكلم قلبى والله لوددت أن الله لم يخلقنى ولم أك شىئا مذكورا ثم أقبلت على صلاتها وتركناها فخرجنا من عندها (١)

أم أئمن رضى الله عنها

عن عثمان بن القاسم، وقال إنها (٢) خرجت من مكة ماشية مهاجرة إلى الله ورسوله، وليس معها زاد، وهى صائمة فى يوم شديد الحر، فأصابها عطش شديد حتى كادت تموت، وهى بالروحاء، فلما غابت الشمس سمعت على رأسها حفيفا، فرفعته فإذا هى بدلو من السماء مدلى، وذكره. (٢)

^١ - صفة الصفوة (٤٠ / ٤)

^٢ - مرآة الزمان فى تواريخ الأعيان (٤٢٩ / ٥)

الفصل السابع: قصص في رحاب الحج

يطوف بالبيت سباحة

عن مجاهد: ما كان باب من العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلفه ابن الزبير، ولقد جاء سيل طبق البيت، فطاف سباحة (١).

ما تعجبون من هذا

عن معاوية بن قرة، قال: كان مسلم بن يسار يحج كل سنة ويحجج معه رجالا من إخوانه، تعودوا ذلك، فأبطأ عاما حتى فاتت أيام الحج، فقال لأصحابه: اخرجوا، فقالوا: كيف ؟ قال: لابد أن تخرجوا، ففعلوا استحياء منه، فأصابهم حين جن عليهم الليل إعصار شديد حتى كاد لا يرى بعضهم، بعضا، فأصبحوا وهم ينظرون إلى جبال تهامة، فحمدوا الله، فقال: ما تعجبون من هذا في قدرة الله تعالى (٢)

حجة الأوزاعي

عن الوليد بن مسلم قال: ما رأيت أكثر اجتهدا في العبادة من الأوزاعي محمد بن سماعة الرملي: سمعت ضمرة بن ربيعة يقول: حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومئة، فما رأيت مضطجعا في المحمل في ليل ولا نهار قط، كان يصلي، فإذا غلبه النوم، استند إلى القتب (٣)

اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان

عن الحسن بن عمران بن عيينة ابن أخي سفيان بن عيينة قال حججت مع عمي سفيان آخر حجة حجها سنة سبع وتسعين ومائة فلما كنا بجمع وصلى استلقى على فراشه ثم قال قد وافيت هذا الموضع سبعين عاما أقول في كل سنة اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان وإني قد استحيت من الله من كثرة ما أسأله ذلك فرجع فتوفي في السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون وهو ابن إحدى وتسعين سنة (٤)

عبد الله أحمد بن الجلاء يقول: كنت بذي الحليفة، وأنا أريد الحج، والناس يحرمون، فرأيت شاباً قد صب عليه الماء يريد الإحرام، وأنا أنظر إليه، فقال: يا رب، أريد أن أقول: لبيك اللهم، فأخشى أن تجيبني: لا لبيك ولا سعديك! وبقي

^١ - تهذيب ابن عساكر " ٧ / ٤٠١.

^٢ - سير أعلام النبلاء (٤ / ٥١٢) ابن عساكر ١٦ / ٢٤٧

^٣ - سير أعلام النبلاء (٧ / ١١٩)

^٤ - صفة الصفوة (٢ / ٢٣٧) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٦٥)

يردد هذا القول مراراً كثيرة، وأنا أسمع عليه. فلما أكثر، قلت له: ليس لك بد من الإحرام. فقال: يا شيخ أخشى إن قلت: لبيك أجبني بلا لبيك ولا سعديك، فقلت له: أحسن ظنك، وقل معي: لبيك اللهم لبيك، فقال: لبيك اللهم، وطولها، وخرجت نفسه مع قوله اللهم، وسقط ميتاً.^(١)

اللهم إن كنت كتبتني في السعادة فأثبتني فيها

عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب -وهو يطوف بالبيت- يقول: اللهم إن كنت كتبتني في السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني على الشقوة فامحني منها وأثبتني في السعادة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب.^(٢)

تمن على ذي العرش ما شئت

عن عمار بن عثمان قال سمعت هدايا يقول رأيت رجلاً يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول في بطائه

تمن على ذي العرش ما شئت إنه غني كريم لا يخيب سائلاً

قال ثم شهق شهقة حتى ظننت أن نفسه ستخرج قال فقلت له ما شأنك رحمك الله قال أعظم الشأن شأني إني ندبت إلى أمر فقصرت عنه قال ثم غشي عليه^(٣)

يا خير من وفد الأنام إليه

عن محمد بن صالح قال بينا أنا في الطواف إذ نظرت إلى أعرابي بدوي متعلق بأستار الكعبة وقد شخص بصره نحو السماء وهو يقول يا خير من وفد الأنام إليه ذهبت أيامي وضعفت قوتي وقد وردت إلى بيتك المعظم المكرم بذنوب كثيرة لا تسعها الأرض ولا تغسلها البحار مستجيراً بعفوك منها وحططت رحلي بفنائك وأنفقت مالي في رضاك فماذا الذي يكون من جزائك يا مولاي ثم أقبل على الناس بوجهه فقال: يا معشر الناس أدعوا لمن وكزته الخطايا وغمرته البلايا ارحموا أسير ضر وغريب فاقه سألتكم بالذي عمتمكم الرغبة إليه إلا سألتكم الله تعالى أن يهب لي جرمي ويغفر لي ذنوبي ثم عاود فتعلق بأستار الكعبة، وقال إلهي وسيد عظيم الذنب مكروب وعن صالح الأعمال مردود وقد أصبحت ذا فاقه إلى رحمتك يا مولاي قال محمد بن صالح ثم رأيت بعرفات وقد وضع يساره على أم رأسه يصرخ

^١ - تاريخ بغداد (٥/ ٢٦٦)

^٢ - أصول الاعتقاد (٤/ ١٢٠٧) والإبانة (١٣١/٩-١٣٢/١٥٦٥) ومجموع الفتاوى (٨/ ٥٤٠).

^٣ - صفة الصفوة (٤/ ٤١٢)

ويبكي ويشهق ويقول إلهي وسيدي ومولاي أضحكت الأرض بالزهر وأمطرت السماء بالرحمة والذي أعطيت الموحدين إن نفسي لوائية لي ولهم منك بالرضا وكيف لا يكون كذلك وأنت حبيب من تحب إليك وقرة عين من لاذ بك وانقطع إليك يا مولاي حقا حقا أقول لقد أمرت بمكارم الأخلاق فاجعل وفودي إليك عتق رقبتني من النار (١)

ما رأيت أعز منه وهو ينظر وأذل مني وأنا أجمعها

إبراهيم الخواص قال رأيت شابا في الطواف متزرا بعباءة متشحا بأخرى كثير الطواف والصلاة فوق في قلبي محبته ففتح علي بأربعمائة درهم فجئت بها إليه وهو جالس خلف المقام فوضعتها على طرف عبائه وقلت له يا أخي اصرف هذه القطيعات في بعض حوائجك فقام وبددها في الحصا وقال يا إبراهيم اشترت هذه الجلسة من الله تعالى بسبعين ألف دينار عين تريد أن تخذعني عن الله عز وجل بهذا الوسخ قال إبراهيم فما رأيت أعز منه وهو ينظر وأذل مني وأنا أجمعها من بين الحصى ثم قام وذهب (٢)

مسلم بن يسار - رحمه الله-

عن معاوية بن قرة، قال: كان مسلم بن يسار يحج كل سنة، ويحجج معه رجلا من إخوانه، تعودوا ذلك، فأبطأ عاما حتى فاتت أيام الحج، فقال لأصحابه: اخرجوا. فقالوا: كيف؟

قال: لا بد أن تخرجوا.

ففعّلوا استحياء منه، فأصابهم حين جن عليهم الليل إعصار شديد، حتى كاد لا يرى بعضهم بعضا، فأصبحوا وهم ينظرون إلى جبال تهامة، فحمدوا الله، فقال: ما تعجبون من هذا في قدرة الله - تعالى (٣) -

الأوزاعي رحمه الله-

«ضمرة بن ربيعة يقول: حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة، فما رأيت مضطجعا في المحمل في ليل ولا نهار قط، كان يصلي، فإذا غلبه النوم، استند إلى القتب.» (٤)

^١ - صفة الصفوة (٤/ ٤١٢)

^٢ - صفة الصفوة (٤/ ٤١٣)

^٣ - «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥١٢) «ابن عساكر ١٦ / ٢٤٧»

^٤ - «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١١٩)

الفصل الثامن: قصص في رحاب القرآن

إني أشتهي أن أسمع من غيري

قد كان النبي -ﷺ حريصاً على قراءة القرآن والاستماع إليه من غيره وإليك طرفاً من ذلك، فقد أمر عبد الله أن يقرأ عليه القرآن، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله -ﷺ " اقرأ علي القرآن: قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: إني أشتهي أن أسمع من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت " {فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء: ٤١] فغمزني برجله فإذا عيناه تذرفان . (١)

وفي رواية البخاري " إني أحب أن أسمع من غيري " قال ابن بطال (يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلي وأنشط لذلك من القارئ لاشتغالها بالقراءة وأحكامها (٢)

تلك الملائكة دنت لصوتك

عن أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذا جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتراه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي -ﷺ فقال له: اقر ابن حضير اقرأ يا بن حضير، قال فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان قريباً فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها: قال وتدرى ما ذاك، قال: لا قال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم (٣)

سل تعطى

وها هو عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- يُحيي الليل بالقرآن ويسمع النبي -ﷺ فيدعو له عن عبد الله أن رسول الله -ﷺ مر بين أبي بكر وعمر وعبد الله قائم يصلي فافتتح سورة النساء يسجلها - يقرأها قراءة مفصلة - فقال " من أحب أن يقرأ القرآن غرض كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد (فأخذ) عبد الله في الدعاء، فجعل رسول الله -ﷺ يقول " سل تعطى (فكان) في ما سأل اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد ومرافقة نبيك محمد -ﷺ في أعلى جنات الخلد فقال عمر: لأغدو

١ - أخرجه أحمد (٣٨٠/١)، رقم (٣٦٠٦)، ومسلم (٥٥١/١)، رقم (٨٠٠)، والبخاري (١٩٢/٤)

٢ - فتح الباري ج ٨ ص ١٢.

٣ - أخرجه أحمد ح ١١٧٦٦، والبخاري ج ٥٠١٨. وأخرجه مسلم (٧٩٦)، والنسائي في "الكبرى" (٨٢٤٤)

على عبد الله ولأبشرنه بتأمين رسول الله ﷺ على دعاءه ، فأتى عمر " عبد الله " فوجد أبا بكر خارجاً قد سبقه فقال : إنك لسباق بالخير^(١)

لله سماني لك ؟

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأقرهم لكتاب الله أبي بن كعب " واسمع إلى منزلة حامل لواء القرآن وكيف أن الله ذكره لنبيه ﷺ ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي ﷺ لأبي بن كعب إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن وفي لفظ " أمرني أن أقرأك القرآن قال الله سماني لك ؟ قال نعم ، قال : وذكرت عند رب العالمين ؟ قال نعم " فزرت عيناه "(٢)

إن الليل إذا دخل علي هالني

عن سالم بن أبي بسطام قال: كان عمر بن المنكدر لا ينام الليل يكثر البكاء على نفسه فشق ذلك على أمه فقالت لأخيه محمد بن المنكدر إن الذي يصنع عمر يشق على فلو كلمته في ذلك، فاستعان عليه بأبي حازم فقالا له: إن الذي تصنع يشق على أمك، قال: فكيف أصنع؛ إن الليل إذا دخل علي هالني فاستفتح القرآن وما تنقضي نهمتي فيه، قال؛ فالبكاء؛ قال آية من كتاب الله قال وما هي؛ قال قوله

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] (٣)

قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمه

عن أحمد بن مسروق قال سمعت الحماني لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية التي في البيت قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمه (٤).

«تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (١٠ / ٢٠٧):

عن إبراهيم بن أبي بكر بن عياش قال: لما نزل بأبي الموت. قلت: يا أبة، ما اسمك؟

قال: يا بني، إن أباك لم يكن له اسم، وأنا أكبر من سفيان بأربع سنين، وإن أباك لم يأت فاحشة قط، وإنه يختم القرآن من ثلاثين سنة كل يوم مرة» (٥)

أبو حنيفة - رحمه الله -

«مسعر بن كدام، يَقُولُ: دخلت ذات ليلة المسجد فرأيت رجلاً يصلي، فاستحليت قراءته فقرأ سبعة، فَقُلْتُ: يركع، ثُمَّ قرأ الثالث، ثُمَّ النصف، فلم يزل يقرأ

^١ - أخرجه أحمد " ١ / ٤٤٥ ، ٤٥٤ ، وأخرجه الحاكم بنحوه ٣ / ٣١٧ ، انظر حديث رقم: ٥٩٦١ في صحيح الجامع .

^٢ - أخرجه مسلم ح ٧٩٩ ، وأخرجه الطيالسي (ص ٧٣ ، رقم ٥٣٩) ، وأحمد (١٣٢/٥) ، رقم (٢١٢٤١) ،

^٣ - صفة الصفوة ج١ ص ٣٢٠-٣٢١ .

^٤ - تاريخ بغداد - (١٤ / ٣٨٣) صفة الصفوة ج٢ ص ٥٧٧-٥٧٨ .

الْقُرْآنَ حَتَّى خَتَمَهُ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو حَنِيفَةَ وَقَالَ النُّخَعِيُّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَخْلَدٍ الْبَلْخِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ رَسْتَمٍ الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ خَارِجَةَ بْنَ مُصْعَبٍ، يَقُولُ: خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ أَرْبَعَةٍ مِنَ الْأَثْمَةِ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَتَمِيمُ الدَّارِي، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو حَنِيفَةَ. (١)

إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين

يقول عنه الإمام أحمد بن حنبل: حدثني يحيى القطان وما رأيت عينا مثله. وعن سفيان قال: قال علي: كان يحيى يختم القرآن في يوم وليلة ما بين المغرب والعشاء. وقال عنه يحيى بن معين: أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن في كل ليلة ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة وما رأيي يطلب الجماعة قط. وكان رحمه الله شديد الخوف من الله تعالى: إذا سمع القرآن اقشعر جلده ويلين قلبه من خشية الله تعالى.

عن علي بن عبد الله قال: كنا عند يحيى بن سعيد فقال لرجل اقرأ (حم) الدخان فلما أخذ في القراءة نظرت إلى يحيى ابن سعيد يتغير فلما بلغ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]. صعق يحيى وغشي عليه وارتفع صدره من الأرض وتقوس وانقلب فأصاب الباب فقار ظهره وسال الدم صرخ النساء، فخرجنا فوقفنا بالباب حتى أفاق بعد كذا وكذا، ثم دخلنا فإذا هو نائم على فراشه وهو يقول إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين قال علي: فما زالت به تلك القرحة حتى مات - رحمه الله-. (٢)

الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله-

«قال هلال بن العلاء: خرج الشافعي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى مكة، فلما أن صاروا بمكة نزلوا في موضع، فأما الشافعي فإنه استلقى، ويحيى بن معين أيضا استلقى، وأحمد بن حنبل قائم يصلي، فلما أصبحوا قال الشافعي: لقد عملت للمسلمين مائتي مسألة، وقيل ليحيى بن معين: أي شيء عملت؟ قال: نفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم مائتي كذاب. وقيل لأحمد بن حنبل: فأنت؟

قال: صليت ركعات ختمت فيها القرآن. (٣)

قال عبد الله: رأيت أبي لما كبر وأسنَّ، اجتهد في قراءة القرآن وكثرة الصلاة بين الظهر والعصر، فإذا دخلت عليه انفتل من الصلاة، وربما تكلم وربما سكت، فإذا رأيت ذلك خرجت فيعود لصلاته، ورأيت أنه وهو مختف أكثر ذلك يقرأ القرآن. (٤)

١ - «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٨٨) ت بشار

٢ - «صفة الصفوة» ج ٢ ص ٦٨٧ وسير أعلام النبلاء ج ٨/ ١١٢

٣ - «المناقب» لابن الجوزي ص ٣٥٨

٤ - «المناقب» لابن الجوزي ص ٣٦٠

يحيى بن سعيد

«وقال علي بن المديني: كنا عند يحيى بن سعيد، فقرأ رجل سورة الدخان، فصعق يحيى، وغشي عليه. قال أحمد بن حنبل: لو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه، لدفعه يحيى -يعني: الصعق-»^(١)

يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال

سالم مولى أبي حذيفة أحد القراء الأربعة الذين أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عنهم عاش بالقرآن ومع القرآن للقرآن ومات وهو يردد آياته فمن عاش على شيء مات عليه. ويبعث يوم القيامة عليه . وهو يردد آيات الرحمن ففي معركة اليمامة التي كانت بين المسلمين وبين مسيلمة الكذاب قام أبو حذيفة وسالم ﷺ يضربان المثل في الشجاعة والأقدام والبحث عن الشهادة في سبيل الله ، وكانت راية المهاجرين مع سالم وراية الأنصار مع ثابت بن قيس ، ودارت رحى معركة ضروس وأظهر بنوا حذيفة ثابت منقطع النظير ... وعندها أخذ الصحابة يوصي بعضهم بعض وينادي بعضهم بعضا يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم ، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقية وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحنط وتكفن فلم يزل ثابتا حتى قتل هناك ، وقال المهاجرين لسالم مولى أبي حذيفة أخشى أن نؤتى من قبلك ؛ فقال بئس حامل القرآن أنا إذا ، قال زيد بن خطاب : أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدما ، قال والله لا أتكلم حتى يهزمهم ، يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب ﷺ أما حامل لواء القرآن : فقد قام في وسط المعركة يشرق نور القرآن من وجهه ويردد آيات الرحمن حتى ثبت الأقدام . وقف سالم رضي الله عنه وهو حامل اللواء بيمينه فقطعت ثم تناولها بشماله فقطعت ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] آل عمران . إلى أن قتل ^(٢)

يختم القرآن في قبره قبل أن يموت

عن عبد الله بن مسلم العبدي قال: قال مطرف لما حضره الموت اللهم خر لي في الذي قضيته على من أمر الدنيا والآخرة. قال وأمرهم أن يحملوه إلى قبره فختم

^١ - «سير أعلام النبلاء» (٩ / ١٨٠)

^٢ - البداية والنهاية ج٦ / ٣٢٩ ، وأبو بكر الصديق - رضا - (١ / ٦٠) و عمر بن عبد العزيز - (١ / ٦٧) والكامل في التاريخ - (١ / ٣٧٤) و تاريخ الرسل والملوك - (٢ / ١٥٩)

فيه القرآن قبل أن يموت^(١) فرحمه الله ونور الله بالقرآن قبره حتى في حال السياق هو حريص على ختم القرآن في مكان لم يختم فيه أحد القرآن

أنوار سورة السجدة

وعن ثابت البناني ورجل آخر أنهما دخلا على مطرف وهو مغمي عليه قال: فسطعت معه ثلاثة أنوار من رأسه ونور من وسطه، ونور من رجله، فها لنا ذلك فأفاق فقلنا كيف أنت يا أبا عبد الله قال: صالح، فقيل: لقد رأينا شيئاً هالنا قال: وما هو؛ قلنا أنوار سطعت منك، قال: وقد رأيت ذلك؛ قالوا نعم، قال: تلك تنزيل السجدة، تسع وعشرون آية، سطع أولها من رأسي ووسطها من وسطي وآخرها من قدمي وقد صوت تشفع لي، فهذه ثوابه تحرسني. أ. هـ^(٢)

قد شربت الساعة

قال عبد الله بن موسى سمعت الحسن بن صالح يقول لما احتضر أخي رفع بصره ثم قال { مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } [النساء : ٦٩] .

وقال الحسن بن صالح: قال لي أخي وكنت أصلي يا أخي اسقيني قال فلما قضيت صلاتي أتته بماء فقال: قد شربت الساعة قلت من سقاك وليس في الغرفة غيرك وغيري؛ قال أتانى الساعة جبريل بماء فسقاني، وقال: أنت وأخوك وأهلك مع الذين أنعم الله عليهم وخرجت نفسه. ^(٣)

قَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا

أبو جهير مسعود الضرير-رحمه الله . .

عن إسماعيل بن نصر العبدى قال: نادى مناد في مجلس صالح المري ليقم الباكون والمشتاؤون إلى الجنة، فقام أبو جهير فقال أقرأ يا صالح { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا } (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا [الفرقان : ٢٣ ، ٢٤] فقال أبو جهير ردها يا صالح فما فرغ من الآية حتى مات أبو جهير ^(٤)

قتيل القرآن

علي بن الفضيل بن عياض .- رحمه الله .-

قتيل القرآن كثير البكاء غزير الدمع شجي القلب قال الفضيل: أشرفت ليلة على علي وهو في صحن الدار وهو يقول النار ومتى الخلاص منها ؟؟ !! وقال لي: يا أبة سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة ثم قال: لم يزل منكسر

^١ - تاريخ دمشق - (٥٨ / ٣٣٤) وكتاب المختصرين ١٢٦ .

^٢ - سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ١٨٧ و الطبقات الكبرى - (٧ / ١٤٥) ، وهو في الحلية ٢ / ٢٠٦ ،

^٣ - سير أعلام النبلاء - (٧ / ٣٧١) و . تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - (١٠ / ١٣٥)

^٤ - مصارع العشاق - ص (٦٥)

القلب حزينا ثم بكى الفضيل ثم قال: كان يساعدي على الحزن والبكاء، يا ثمرة قلبي شكر الله لك ما قد علمه فيك

وقال إبراهيم بن بشار الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في الأنعام {وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام : ٢٧]. مع هذا الموضع مات وكنت فيمن يصلي عليه (١)

عابد يموت عند سماع آية.

عن منصور بن عمار قال: حججت حجة فنزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت في ليلة مظلمة ، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول : إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ، وقد عصيتك إذا عصيتك ، وما أنا بنكالك جاهل ، ولكن خطيئة عرضت لي ، أعانني عليها شقائي وغرني سترك المرخي علي وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي ، ولك الحجة علي فالآن من عذابك من يستنقذني ؛ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك مني وا شباباه ! وا شباباه ! قال : فلما فرغ من قوله تلوت آية من كتاب الله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [التحریم : ٦] الآية فسمعت حركة شديدة ثم لم أسمع بعدها حسا فمضيت فلما كان الغد رجعت من مدرجتي فإذا بجنازة قد وضعت ، وإذا بعجوز كبيرة فسألتها عن أمر الميت ولم تكن عرفتني فقالت : هذا رجل لا جزاه الله وإلا جزاءه مر بابني البارحة وهو قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله فلما سمعها ابني تفتطرت مرارته فوقع ميتا (٢)

قتيل القرآن وقتيل المواعظ والأحزان

: قال رجاء بن ميسور بن المجاشعي . كنا في مجلس صالح المري وهو يتكلم فقال لفتى بين يديه اقرأ يا فتى فقرأ الفتى قول الله تعالى { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأُزْفَةِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ } [غافر : ١٨] { فقطع صالح عليه القراءة وقال كيف يكون لظالم حميم أو شفيع ، والمطالب له رب العالمين ؛ انك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى النار حفاة عراة مسودة وجوههم مزرقه عيونهم ، ذائبة أجسادهم ينادون يا ويلنا يا ثبور ما نزل بنا ؛ ماذا حل بنا ؛ أين يذهب بنا ؛ ماذا يريد منا ؛ الملائكة تسوقهم بمقامع النيران فمرة يجرون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين ، ومرة يقادون إليها مقرنين من بين باك دما بعد انقطاع الدموع ، ومن صارخ طائر القلب مبهوت أنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظرا لا يقوم له بصرك ولا يثبت له قلبك ولا تستقر لفضاعة هوله على قرار قدمك ثم نحب وصاح يا سوء منقلبا وبكى وبكى الناس

^١ - سير أعلام النبلاء - (٨ / ٤٤٦) وطبقات الصوفية " : ٢٧١ . تاريخ بغداد - (٤ / ٢٧٦) تهذيب الكمال - (٢١ / ١٠٥)

^٢ - المستدرک - للحاكم - (ح ٣٨٢٩) التوابين ص ٢٩٠ غذاء الألباب بشرح صفات أولي الألباب للمؤلف

فقام فتى من الأزدي فقال : أكل هذا في القيامة يا أبا بشر ؛ قال : نعم والله يا ابن أخي وما هو أكثر لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم ، فما يبقي منها إلا كهيئة الأنين من المدنف فصاح الفتى ، إنا لله وا غفلته عن نفسي أيام الحياة وا أسفاه على تفريطي في طاعتك يا سيدها وا أسفاه على تضييعي عمري في الدار الدنيا ، ثم بكى واستقبل القبلة وقال : اللهم أني أستقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالصها رياء لغيرك اللهم فاقبلني على ما كان في ، واعف عما تقدم من فعلي ، وأقل عثرتي وارحمي ومن حضرني وتفضل علينا بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين لك ألقيت معاهد الآثام من عنقي وإليك أنبت بجميع جوارحي صادقاً لذلك قلبي ، فالويل لي إن لم تقبلني ثم غلب فسقط مغشياً عليه فحمل بين القوم صريعاً فمكث . صالح وأخوته يعودونه أياماً ثم مات والحمد لله فحضره خلق كثير يبكون ويدعون له . فكان صالح كثيراً ما يذكره في مجلسه فيقول ، بأبي قتيل القرآن وبأبي قتيل المواعظ والأحزان. (١)

يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ

لشيخ أبي جعفر أحمد بن معتب بن أبي الأزهر -رحمه الله -نقل القاضي عياض عن أبي العز أن أبا جعفر بن أحمد بن معتب بن أبي الأزهر الأزدي ، كان عالماً بالحديث والرجال ، حسن التفسير ، نقل القاضي يونس عن أبي العرب أن ابن معتب كانت له صلاة طويلة بالليل بكاء ، حتى يسمع جيرانه بكاءه وصراخه . قال أبو بكر بن اللباد: حضرت مشهد الذكر يوم السبت لسبع خلون من ذي القعدة سنة سبع وستين ومائتين وأحمد بن معتب حاضر وكان له بكاء ونوح ، وكان القراء إذا علموا به تحركوا فقرأوا وغيرها وأخذوا في التغير.

دع الدنيا لمن جهل الصوابا فقد خسر المحب لها وخاب

فلما وصلوا.

يظل نهاره يبكي ببهث ويطوي الليل بالأحزان دابا

تحرك وبكى ثم قرأ قارئ { يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ [الزخرف : ٦٨ ، ٦٩] } .

فصاح بن معتب صيحة شديدة ، ثم سقط على وجهه فأقام ساعة وأسند إنسان إلى صدره وكلم فلم يتكلم ، وقد أغلق عينه ثم قاء شيئاً أخضر ، فلما أنقضي المجلس ، وختم بالدعاء أردنا أن نحمله على دابة فلم نستطع ، إذا كان لا يثبت ، فجئنا بمحمل على جمل واخرج من المسجد وكل من في المسجد يبكي كأنه مأتم حمل في شق الجمل وزامله ابن عم له ، ثم أتى به إلى داره فقاء شيئاً أخضر ولم يتكلم . وتركناه لشأنه فلما كان بعد العشاء الآخرة توفي -رحمه الله -وما تكلم وما فتح عينه. (٢) .

^١ - حلية الأولياء - (٦ / ١٦٦) ومشاهد الناس عند الموت ص ٩٩ وسكب العبرات ج١ ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

^٢ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك - (١ / ٣٢٩) ، و سكب العبرات ج١ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

- فرحمه الله - من سيد سمع القرآن بقلب شاهد وسمع حاضر فمات من خشية الله تعالى.

شاب يموت خوفا من الله عندما يسمع آية .

قال أبو الحسن علي بن محمد الأنصاري عن أبيه أنه قال : حضرت مسجد السبت القديم وكان مبنيا بالطوب ، فقال القوالون أشعارا في الزهد ، فبكى الناس بكاء عظيما حتى امتلأ المسجد بالبكاء وارتفعت بالبكاء أصواتهم فقال رجل جالس بجواري : لقد طاب المسجد اليوم فقال له رجل كبير السن شيخ : يا هذا حال المسجد عما كنا عاهدناه قبل هذا الوقت يعني تحول عم كان ثم قال أعرف أني حضرته يوما فقام بن السامة فقرأ { أَقْمَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [فصلت : ٤٠] .

فقام شاب من الركن يبكي ويصح الأمان بالله فرجع القارئ إلى الآية من أولها فقال الشاب: الأمان بالله فرجع القارئ مرة ثلاثة فصاح الشاب الأمان بالله وخر ميتا -رحمه الله تعالى- . (١)

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ

أبو حفص عمرو بن عبد الله بابن الأمام الصدفي -رحمه الله -.

لما احتضر أبو حفص دعا بشراب فأتي به، ثم أوماً بيده إلى السلام فقلنا رأيت الملائكة؛ قال: رأيت، وجعل يومي بيده حتى فاضت نفسه، وقال بعضهم لما حضرت أبا حفص الوفاة، قال بشرت. قلت: بماذا.

قال: أما تقرأ {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ} [التوبة : ٢١] { (٢)

نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي

«أحمد بن هلال قال: قال لي الشيباني: قال رجل ممن قرأ على نافع: إن نافعاً كان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك فقلت له: يا أبا عبد الله، أو يا أبا رويم تتطيب كلما قعدت تقرئ الناس؟ قال: ما أمس طيباً ولا أقرب طيباً، ولكني رأيت فيما يرى النائم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في في، فمن ذلك الوقت أشم من في هذه الرائحة، وقال المسيبي: قيل لنافع: ما أصبح وجهك وأحسن خلقك؟ قال: فكيف لا أكون كذلك، وقد صافحني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قرأت القرآن» (٣)

يزيد بن الققعاق الإمام أبو جعفر المخزومي المدني القارئ،

^١ - سكب العبرات جـ ١ ص ٤١١ ، ورياض النفوس جـ ١ ص ٤٩٦ .

^٢ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك - (١ / ٣٨٧) ، وسكب العبرات جـ ١ ص ٤٢٣ .

^٣ - «غاية النهاية في طبقات القراء - ط الخانجي» (٢ / ٣٣٢)

«وقال سليمان بن مسلم: شهدت أبا جعفر وقد حضرته الوفاة، جاءه أبو حازم الأعرج في مشيخة من جلسائه فأكبوا عليه يصرخون به فلم يجبههم، فقال شيبه، وكان ختنه على ابنة أبي جعفر: ألا أريكم عجباً؟ قالوا: بلى، فكشف عن صدره فإذا دواة بيضاء مثل اللبن فقال أبو حازم وأصحابه: هذا والله نور القرآن»
عن نافع قال: لما غسل أبو جعفر بعد وفاته نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف قال: فما شك أحد ممن حضر أنه نور القرآن، (١)

من عاش على شيء مات عليه

الشيخ عامر السيد عثمان شيخ القراء -رحمه الله -.
كما ذكرت قبل ذلك أن من عاش على شيء مات عليه وتلك من سنة الله تعالى قال رسول الله ﷺ (من مات على شيء بعث عليه). (٢) يقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في مقاله تباريح بالمجلة العربية حدثني أخي الشيخ محفوظ الشنقيطي مدير العلاقات بمجمع الملك فهد للمصحف الشريف عن شيخ القراء الشيخ عامر السيد عثمان - رحمه الله - تعالى أنه فقد حباله الصوتية في السنوات السبع الأخيرة من حياته وكان يدرس تلامذه القراءة فلا يفصح لهم إلا بشهيق وإيماء ثم مرض مرض الوفاة وكان طريح السرير الأبيض بالمستشفى ففوجئ أهل المستشفى بالرجل المريض فاقد الحبال الصوتية يقعد ويدندن بكلام الله بصوت جهوري جذاب مدة ثلاثة أيام ختم فيهن القراءة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ثم أسلم الروح إلى بارئها . (٣)

١ - «غاية النهاية في طبقات القراء - ط الخانجي» (٣٨٣ / ٢)

٢ - أخرجه أحمد (٣١٤/٣، رقم ١٤٤١٣)، وأبو يعلى (١٨٤/٤، رقم ٢٢٦٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٤١٩

٣ - سكب العبرات ج١ ص ٤٥١-٤٥٢. والمجلة العربية ع ١٧١ ص ٧٠-٧١.

الفصل التاسع: قصص المجاهدين في سبيل الله

ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم

* عثمان بن عفان رضي الله عنه أما عثمان بن عفان فقد كان من المجاهدين في دين الله حق جهاده شارك في جميع ميادين الجهاد ومن أعظم ما قدم عثمان للإسلام جهاده بالنفس والمال في غزوة تبوك إذ هو رضي الله عنه مجهز جيش العسرة فقد أخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقال : عثمان بن عفان : يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان بن عفان يا رسول الله عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء (١) .

وأخرج الترمذي عن أنس والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان إلي النبي عليه الصلاة والسلام بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجرة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين . (٢)

{هذان خصمان اختصموا في ربهم}

علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه البطل الذي ما فر في ميدان النزال ولا عرف الخوف له سبيل لأنه نذر حياته للدفاع عن الإسلام وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وها هي صور مشرقة من شجاعته وحرصه الشديد علي الجهاد في سبيل الله فعنه رضي الله عنه قال : ما تقدم يعني عتبة بن ربيعة وتبعه ابنه وأخوه فنادي : من يبارز ؛ فانتدب له شباب الأنصار فقال : من أنتم فأخبره فقال : لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمناء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حمزة ، قم يا علي ، قم يا عبيد بن الحارث ، فأقبل حمزة إلى عتبة وأقبلت إلى شيبة ، واختلف بين عبيده ، والوليد ضربتان فأثنى كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا علي الوليد فقتلناه واحتملنا عبيده . (٣)

وعن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة ، وقال قيس بن عباد : وفيهم أنزلت ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩] قال : هم الذين تبارزوا يوم بدر حمزة

١ - أخرجه أحمد ح ١٦٧٤٢ ، وأخرجه الطيالسي و قال الألباني : (ضعيف - المشكاة ٦٠٦٣) .

٢ - أخرجه الحاكم ح ٤٥٥٣ ، و البيهقي في دلائل النبوة و قال الألباني : إسناده حسن انظر المشكاة ح ٦٠٦٤

٣ - رواه أبو داود ٢٦٦٥ وأحمد ١ / ١١٧ و البزار ح ٧١٩ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح ٣٢٢١

وعلي وعبيده ، وأبو عبيده بن الحارث وشيبه بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . (١)

لأعطن الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله،

إن كان علي عليه السلام قتل عمرو بن ود كبش الكتيبة وفارس العرب فها هو في معركة خيبر يضرب لنا مثلاً آخر من الحرص الشديد على إعلاء كلمة الله، ففي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم قال: ثم أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي وهو أرمد فقال : لأعطن الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله ، قال : فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج ، مرحب فقال :-

**قد علمت خيبر أنني مرحب شاكي السلاح وبطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب**

فقال علي:

**أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كرية المنظره
أو فيهم بالصاع كيل السندرة**

قال: فضرب رأس: مرحب فقتله وكان الفتحة على يديه (٢)
يقول عنه ابن الجوزي: كان يشبه القمر الزاهر، والبحر الزاخر والأسد الحادر والربيع الباكر أشبه من القمر ضوءه وبهاءه، ومن الغراب حذره، ومن الديك سخاءه، ومن الأسد شجاعته ومضاءه، ومن الربيع خصبة وماءه ، بادر الفضائل فكان في الأوائل وخاض بحر الشجاعة فلم يرض بساحل ، وحاز العلوم فحار لجوابه السائل ، ولازم السهر ليسمع ، هل من سائل وزهد في الدنيا لأنها أيام قلائل (٣)

شهيد يمشي على وجه الأرض

عن عائشة قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : كان ذلك اليوم كله لطلحة ، قال : قال كنت أول من فاء فرأيت رجلاً يقاتل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقلت كن طلحة قلت : حيث فاتني يكون رجل من قومي بيني وبينه رجل من المشركين فإذا هو أبو عبيده فأنتهيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دونكما صاحبكما ، يريد طلحة فإذا هو قد قطعت إصبعه فلما أصلحنا من شأنه وعن جابر رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة فأدركه المشركون فقال النبي صلى الله عليه وسلم من للقوم ؛ قال طلحة : أنا ، قال كما أنت ، فقال رجل أنا ، قال : أنت فقاتل حتى قتل ، ثم التفت فإذا المشركون فقال : من لهم ، قال

١ - أخرجه البخاري رقم ٣٩٦٥ . وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٢/٧) ، رقم ٣٦٧١٠ والنسائي في الكبرى .

٢ - أخرجه مسلم رقم ١٨٠٧ ، والطبراني في الكبير ح ٦٢٥٨ ، و مسند أبي عوانة - (٤ / ٣١٢)

٣ - التبصرة ج١ ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

طلحة أنا ، قال : كما أنت فقال رجل من الأنصار : أنا ، قال : أنت فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله " طلحة " فقال : من القوم ؛ قال طلحة : أنا فقاتل قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه فقال " حس " فقال رسول الله ﷺ لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون ، ثم رد الله المشركين . (١) فنال الشرف والتكريم من الله ورسوله ﷺ وأعطاه النبي ﷺ هذا الوسام فقال : من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله . (٢)

البطل الكرار

الزبير يوم اليرموك.

يقول ابن كثير -رحمه الله- : (وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام وهو أفضل من هناك من الصحابة وكان من فرسان الناس وشجعانهم فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا : ألا تحمل فنحمل معك ، فقال : أنكم لا تثبتوا فقالوا : بلي فحمل وحملوا : فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه ، ثم جاء وإليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه وفي رواية جرح ، وقد روي البخاري معني ما ذكرناه في صحيحة . (٣) إنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار، تلك شهادة الأعداء والفضل ما شهدت به الأعداء.

رهبان بالليل فرسان بالنهار

قال يحيى بن يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قال : لما نزل المسلمون بناحية الأردن ، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك ، فبينما نحن فيها إذا أرسل إلينا بطريقها فجئناه ، فقال : أنتما من العرب ؛ قلنا نعم ؛ قال : وعلى النصرانية ؛ قلنا : نعم فقال : ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورايهم ، وليثبت الآخر على متاع صاحبة ، ففعل ذلك أحدهما فلبث مليا ثم جاء فقال : جئتكم من عند رجال دقاق يركبون خيولا عتاقا ، أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان يرشون النبل ويبرونها ، ويثقفون القنا ، لو حدثت جليسا حديثا ما فهمه عنك لما علا من أصواتهن بالقرآن والذكر ، قال فالتفت إلى أصحابه وقال أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به . (٤)

ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم

١ - وأخرجه أحمد ح ١٤٠١ ، وعبد بن حميد (١٠٤) ، والنسائي وقال الألباني في الصحيحة رقم ٢١٧١

٢ - أخرجه الحاكم (٤٢٤/٣) ، رقم ٥٦١٢ ، وابن ماجه (٤٦/١) ، رقم ١٢٥ ، وابن عساكر (٨٦/٢٥) ،

٣ - البداية والنهاية ج٤ ص ١٦ .

٤ - البداية والنهاية-دار إحياء التراث العربي (٢٠ / ٧)

عن أبي إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على إنطاكية لمل قدمت منهزمة ، ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ؛ أليسوا بشرا مثلكم ، قالوا بلى قال : فأنتم أكثر أم هم ؛ قالوا : بلى نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن ، قال فما بالكم تنهزمون ؛ قال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ، من أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونرتكب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض فقال : أنت صدقتني (١)

والله إني لأرجو أن استشهد

عمرو بن الجموح: (رضي الله عنه) كان أعرج شديد العرج وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله ﷺ فلما توجه إلى أحد أراد أن يخرج معه فقال له بنوه : أن الله جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد ، فأتي عمرو رسول الله ﷺ فقال : أن بني هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك ووالله إني لأرجو أن استشهد ، فأطا بعرجتي في الجنة فقال له : رسول الله : أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد ، وقال لبنيه : وما عليكم أن تدعوه لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة ، فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدا . (٢)

وعن أبي ضحي: أن عمرو بن الجموح قال لبنيه: أنتم منعموني الجنة يوم بدر، والله لئن بقيت، لأدخلن الجنة، فلما كان يوم أحد قال عمر: لم يكن لي هم غيره ، فطلبته فإذا هو في الرعيل الأول . (٣)

هكذا يكون طلب الشهادة

عبد الله بن جحش (رضي الله عنه)

عن سعيد بن المسيب قال: قال عبد الله بن جحش: اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غدا فيقتلونني ويجدعوا أنفي وأذني ثم تسألني بما ذاك فأقول فيك، قال: سعيد بن المسيب إني لأرجو أن يبرأ آخر قسمه كما برأ أوله (٤).

لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع

*** حرص أنس بن النضر (رضي الله عنه)**

عن أنس بن مالك قال : غاب عمي أنس بن النضر ، عن قتال بدر فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين : لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد أنكشف المسلمون ، قال : اللهم إني أعترض إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم

١ - البداية والنهاية ج٤ ص٢٢. و تاريخ دمشق - (٢ / ٩٧) ، و عيون الأخبار - (١ / ٥٤)

٢ - رواه ابن هشام ١٣٩/٨ عن ابن إسحاق وبعضه في المسند ٢٩٩/٥ ، وصحح الألباني إسناده في تحقيق السيرة هامش ٢٨١.

٣ - السير ج٣ ص١٥١

٤ - الخصائص الكبرى - (١ / ٣٦٦) و دلائل النبوة للبيهقي - (٣ / ٢٧٣) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي -

فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد ، قال : سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا بضعا وثمانين ضربه بالسيف أو طعنه بالرمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه . (١)

سقيناهموا كأسا سقونا بمثلها ولكننا كنا على الموت أصبرا.

مع بطل لا كالأبطال، ومع سيرة لا كالسير.

يقول عنه الأمام الذهبي: البطل الكرار صاحب رسول الله (ﷺ) وأخو خادم النبي (ﷺ) شهدا أحد وباع تحت الشجرة. وقيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش لا تستعملوا البراء على جيش فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم.

لسان حال البراء

رضينا بك اللهم ربا وخالقا وبالمصطفى المختار نورا وهاديا

فأما حياة نظم الوحي سيرها وإلا فموت لا يسر ألا عاديا

وهيا لنقرأ تلك الصفحات التي تشهد له بالشجاعة والحرص على إعلاء كلمة الحق والموت في سبيل الله

البراء وحديقة الموت

يقول الذهبي-رحمه الله :- بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحملوه على ترس على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة فاقتحم إليهم وشد عليهم وقاتلهم حتى فتح باب الحديقة فخرج يومئذ بضعة وثمانين جرحا، ولذلك أقام خالد بن الوليد عليه شهرا يداوي جراحه حاله. (٢)

سقيناهموا كأسا سقونا بمثلها ولكننا كنا على الموت أصبرا.

أتخشى علي أن أموت على فراشي

عن ابن سيرين، قال: قال الأشعري - يعني في حصار تستر - للبراء بن مالك: إنا قد دللنا على سرب يخرج إلى وسط المدينة، فانظر نفرا يدخلون معك فيه

فقال البراء لمجزأة بن ثور: انظر رجلا من قومك طريفا جلدا

فسمه لي

١ - أخرجه البخاري ج-٣٥٤/٧ ومسلم، وأخرجه الطيالسي (ص ٢٧٢، رقم ٢٠٤٤)، والترمذي (٣٤٨/٥)

٢ - سير أعلام النبلاء - (١ / ١٩٧)

قال: ولم؟ قال: لحاجة

قال: فإني أنا ذلك الرجل

قال: دللنا على سرب، وأردنا أن ندخله

قال: فأنا معك

فدخل مجزأة أول من دخل، فلما خرج من السرب، شدخوه بصخرة، ثم خرج الناس من السرب، فخرج البراء، فقاتلهم في جوف المدينة، وقتل، رضي الله عنه، وفتح الله عليهم ()

وعن أنس أنه دخل علي أخيه البراء وهو يتغني فقال : تغني ؛ قال : أتخشى علي أن أموت على فراشي وقد قتلت تسعة وتسعين نفسا من المشركين مبارزة سوي ما شاركت فيه المسلمين ؛ وفي رواية يا أخي تتغنى بالشعر وقد أبدلك الله بالقرآن (١)

يا للأنصار كرة كيوم حنين

أبو عقيل الأنبي (رضي الله عنه)

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم الهمداني (رضي الله عنه) قال : لما كان يوم اليمامة كان أول الناس جرح أبو عقيل الأنبي (رضي الله عنه) رمي بسهم فوق بين منكبيه وفؤاده فشطب في غير مقتل فأخرج السهم ووهن له شقة الأيسر لما كان فيه وهذا أول النهار وجر إلى الرحل فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رجالهم وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدي (رضي الله عنه) يصيح بالأنصار : الله أكبر والكرة على عدوكم وأعتق معن يقدم القوم وذلك حين صاحت الأنصار أخلصونا أخلصونا فأخلصوا رجلا ، رجلا يميزون ، قال عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) فنهض أبو عقيل يريد قومه فقلت ما تريد يا أبا عقل ما فيك قتال ؛ قال : نوه المنادي باسمي ، قال ابن عمر فقلت : إنما يقول يا للأنصار ، لا يعني الجرحى ، قال أبو عقيل : أنا رجل من الأنصار ، وأنا أجيبه ولو حبوا ، قال عمر : فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجردا ، ثم جعل ينادي : يا للأنصار كرة كيوم حنين فاجتمعوا رحمهم الله جميعا يقدمون المسلمين دربة دون عدوهم حتى اقتحموا عدوهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بينهم قال ابن عمر : فنظرت إلي أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحا كلها قد خلصت إلى مقتل ، وقتل عدو الله مسيلمة

^١ - سير أعلام النبلاء - (١ / ١٩٨)

قال ابن عمر : ف وقعت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت : يا أبا عقيل : فقال لبيك بلسان ملتاث (١) لمن الدبرة ؛ قال قلت : أبشر ورفعت صوتي ، قد قتل عدو الله فرفع إصبعة إلى السماء يحمد الله ومات ، قال ابن عمر فأخبرت عمر (رضي الله عنه) بعد أن قدمت خبرة كله ، فقال-رحمه الله -ما زال يسأل الشهادة ويطلبها وإن كان ما علمت من خيار أصحاب نبينا (صلي الله عليه وسلم) وقديم إسلام (٢)

خل عني يا خالد فإنه قد كان لك مع رسول الله سابقة

أخرج يعقوب بن أبي سفيان، وابن عساكر عن ثابت البناني (رضي الله عنه) أن عكرمة ابن أبي جهل (رضي الله عنه) ترحل يوم كذا وكذا فقال له خالد بن الوليد (رضي الله عنه) لا تفعل فأن قتلك على المسلمين شديد فقال خل عني يا خالد فإنه قد كان لك مع رسول الله سابقة وإنني وأبي كنا من أشد الناس على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فمشي حتى قتل (٣)

من يبايع على الموت؟

وعن سيف بن عمر عن أبي عثمان عن أبيه (رضي الله عنه) قال : قال عكرمة بن أبي جهل (رضي الله عنه) يوم اليرموك ، قاتلت رسول الله (ﷺ) في موطن وأفر منكم اليوم ، ثم نادي : من يبايع علي الموت ؛ فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور (رضي الله عنهما) في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم قدام فسطاط خالد رضي الله عنه حتى أثبتوا جميعا جراحا وقتل منهم خلق منهم ضرار ابن الأزور - رضي الله عنه- قال الذهبي : قال أبو إسحاق السبيعي : نزل عكرمة يوم اليرموك فقاتل قتالا شديدا ، ثم استشهد فوجدوا به بضعا وسبعين من طعنة ورمية وضربة . (٤)

أنا أسد الله

حمزة  يوم بدر . عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمير قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار في زمن معاوية غازيين فمررنا بحمص ، وكان وحشي بها ، فقال ابن عدي : هل لك أن تسأل وحشا كيف قتل حمزة ؛ فخرجنا نريده ... فسألنا عنه فقبل لنا : إنكما ستجدانه بفناء دار علي طنفسة له ، وهو رجل قد غلب عليه الخمر ، فان تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا فأتيناه ، فإذا نحن بشيخ

^١ - لسان ملتاث : لا يستطيع النطق ولا يحسنه .

^٢ - الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء - (٣ / ٦٣) والطبقات الكبرى - (٣ / ٤٧٤)

^٣ - أخرجه ابن عساكر (٦٩/٤١) . التاريخ الصغير - (١ / ٧٣) وتاريخ دمشق - (٤١ / ٦٩) و

^٤ - السير للذهبي ح ٣ ص ١٩٣ ، و الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء - (٣ / ٢٨٥)

كبير أسود مثل البغاث (١) على طنفسة له ، وهو صاح فسلمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبید الله بن عدي فقال : ابن عدي والله ابن الخيار أنت ؛ قال : نعم فقال : والله ما رأيته منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوي وهي علي بغيرها فلمعت لي قدماك ، قلنا : أنا أتينا لتحدثنا كيف قتلت حمزة ؛ قال سأحدثكم بما حدث به رسول الله ﷺ كنت عبد جبر بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قتل يوم بدر فقال لي : أن قتلت حمزة ، فأنت حر ، وكنت صاحب حرب أرمي ، قلما أخطي بها ، فخرجت مع الناس فلما التقوا أخذت حربتي وخرجت أنظر حمزة ، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هذا ، ما يليق به شيئا فوالله إني لأتهدأ له إذا تقدمني إليه سباع بن عبد العزي الخزاعي فلما رآه حمزة قال : هلم إلي يا ابن مقطعة البطور ثم ضربة حمزة فوالله لكأن ما أخطأ رأسه ما رأيته شيئا قط كان أسرع من سقوط رأسه فهزرت ، حربتي حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه ، فوقعت ثنته (٢) حتى خرجت من بين رجله ، فوقع فذهب لينوء ، فغلب فتركته إياها ، حتى إذا مات قمت إليه فأخذت حربتي ثم رجعت إلي العسكر ، فقعدت فيه ولم يكن لي حاجة بغيره .. (٣)

وعن سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسد الله. (٤)

والله ما ولدت النساء مثله

بسر بن أرطاة

عن العلاء بن سفيان الحضرمي قال : غزا بسر بن أرطاة الروم فجعلت ساقته لا تزال تصاب فيكمن لهم الكمين ، فيصاب الكمين ، فلما رأى ذلك تخلف في مائة من جيشه ، فانفرد يوما في بعض أودية الروم فإذا براذين (٥) مربوطة نحو ثلاثين والكنيسة إلى جانبهم فيها فرسان البراذين الذين كانوا يعقبونه في ساقته ، فنزل عن فرسه فربطه ، ثم دخل الكنيسة فأغلق عليه وعليهم بابها ، فجعلت الروم تتعجب من إغلاقه ، فما استقلوا إلى رماحهم حتى صرع منهم ثلاثة وفقده أصحابه فطلبوه فأتوا فعرفوا فرسه ، وسمعوا الجلبة في الكنيسة ، فأتوهم فإذا بابها مغلق فقلعوا بعض السقف ونزلوا عليهم وبسر ممسك طائفة من أمعائه بيده اليمنى فلما تمكن أصحابه من الكنيسة سقط بسر مغشيا عليه ، فأقبلوا علي أولئك فأسروا وقتلوا فأقبلت عليهم الأسارى.

١ - البغاث : طائر أصغر من لرحم .

٢ - الفئة : ما بين السرة والعانة .

٣ - أخرجه البخاري رقم ٤٠٧٢ ، و أسد الغابة - (١ / ١١٠٤) وتاريخ دمشق - (٦٢ / ٤٠٨) وسيرة ابن هشام -

٤ - سير أعلام النبلاء - (١ / ١٧٧) وأخرجه ابن سعد ٣ / ١ / ٦ ، والحاكم ٣ / ١٩٤ وصححه ووافقه الذهبي .

٥ - البراذين : جمع برذون ويطلق علي غير العربي من الخيل والبغال عظيم الخلقة .

فقالوا : ننشدكم الله من هذا ؛ فقالوا والله ما ولدت النساء مثله فعمدوا إلى أمعائه فردوه في جوفه ولم ينخرق منه شيء ، ثم عصبوه بعمائمهم ثم خاطوه فسلم وعوفي . (١)

حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة

عبد الله بن حذافة السهمي

عن أبي رافع قال: وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشا إلى الروم، وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب النبي ﷺ فأسرهم الروم فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد، فقال له الطاغية: هل لك أن تتنصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟ فقال له عبد الله: " لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ما ملكته العرب - وفي رواية القطان : وجميع مملكة العرب - على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ، ما فعلت " ، قال : إذا أقتلك ، قال : " أنت وذاك " ، قال : فأمر به فصلب ، وقال للرماة : ارموه قريبا من يديه قريبا من رجله وهو يعرض عليه ، وهو يأبى ، ثم أمر به فأنزل ، ثم دعا بقدر وصب فيها ماء حتى احترقت ، ثم دعا بأسيرين من المسلمين ، فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى ، ثم أمر به أن يلقي فيها ، فلما ذهب به بكى ، فقبل له : إنه بكى فظن أنه رجع ، فقال : ردوه فعرض عليه النصرانية فأبى ، قال : فما أبكاك ؟ قال : " أبكاني أنني قلت هي نفس واحدة تلقى هذه الساعة في هذا القدر فتذهب ، فكنت أشتي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى هذا في الله عز وجل " ، قال له الطاغية : هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك ؟ قال عبد الله : " وعن جميع أسارى المسلمين ؟ " قال: وعن جميع أسارى المسلمين، قال عبد الله: " فقلت في نفسي عدو من أعداء الله أقبل رأسه ويخلي عني وعن أسارى المسلمين لا أبالي قال فدنا منه وقبل رأسه " ، فدفع إليه الأسارى، فقدم بهم على عمر فأخبر عمر بخبره، فقال: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ فقام عمر فقبل رأسه (٢)

قوموا إلى الجنة عرضها السماوات والأرض

عمير بن الحمام

عن أنس ؓ قال انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدرن وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه " فدنا المشركون فقال : رسول الله ﷺ قوموا إلى الجنة عرضها السماوات والأرض قال عمير بن الحمام : يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض !! قال نعم قال : بخ بخ .

١ - تهذيب الكمال - (٤ / ٦٣) ومختصر تاريخ دمشق - (٢ / ١٧٦)

٢ - السير ج٣ ص ٣٥٠ . وأسد الغابة " ٣ / ٢١٢

رسول الله ﷺ " ما يملكك على قولك بخ بخ ؛ قال " لا والله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال " فأنتك من أهلها فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال أن أناحييت حتى أكل تمرات هذه أنها لحياة طويلة فرمي بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل . (١)

من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليتنظر إلى هذا

*مالك بن سنان: في يوم أحد امتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته ﷺ حتى أنقاه، فقال مجه، فقال والله لا أمجه أبدا ثم أدبر يقاتل، فقال النبي ﷺ من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليتنظر إلى هذا فقتل شهيدا (٢) .

غسيل الملائكة

حنظلة بن عامر غسيل الملائكة : تزوج " حنظله " جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول فأدخله في الليلة التي صبيحتها كان قتال أحد وكان ، قد استأذن الرسول ﷺ أن يبيت عندها فأذن له ، فلما صلي غدا يريد رسول الله ﷺ بأحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها جامعها ، وكانت أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها فقبل لها في ذلك فقالت : رأيت كأن السماء قد فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت فقلت هذه الشهادة ، وعلقت بعبد الله بن حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوق أبو سفيان فحمل رجل منهم علي حنظلة فأنفذه بالرمح فقال رسول الله ﷺ أني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة . قال أبو سيد الساعدي : فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أنه خرج وهو جنب ، فولده يقال لهم : " بنو غسيل الملائكة " وفي رواية " فسألوا صاحبتة عنه زوجته فقالت : انه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب(٣)

حرص أم عمارة رضي الله عنها.

ذكر بن هشام عن سعيد بن أبي زيد الأنصاري (رضي الله عنه) قال: أن أم سعد بنت سعد الربيعي رضي الله عنها كانت تقول: دخلت على أم عمارة رضي الله عنها فقلت يا خالة: أخبريني خبرك.

فقالت : خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ومعني سقاء فيه ماء فانتهايا إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقامت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليّ ، قالت : فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور

١ - أخرجه أحمد ح ١٢٣٩٨ ، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٧٢) ، ومسلم (١٩٠١) ، وأبو داود (٢٦١٨)

٢ - تاريخ الإسلام ج ١ ص ٢١١

٣ - رواه الحاكم في المستدرک ٣ / ٢٠٤ الطبقات الكبرى - (٥ / ٦٦) و تاريخ دمشق - (٢٧ / ٤٢٢)

، فقلت لها : من أصابك هذا ؛ قالت : ابن قمئة أقمأة الله (١) لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول : دلوني على محمد ﷺ لانجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير (رضي) وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان . (٢)

ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي: عن ضمرة بن سعيد (رضي) قال: أتى عمر بن الخطاب (رضي) بمروط وكان فيه مرط جيد واسع، فقال بعضهم إن هذا المرط لثمن كذا وكذا فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر: صفية بنت أبي عبيد - رضي الله عنهم - وذلك حدثان (٣) ما دخلت علي ابن عمر رضي الله عنهما ، فقال : أبعث به إلى من هو أحق به منها : أم عمارة نسيبه بنت كعب - رضي الله عنها - سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني . (٤)

صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها عمة رسول الله ﷺ

أخرج ابن سعد عن هشام عن أبيه أن صفية رضي الله عنها جاءت يوم أحد وقد أنهزم الناس وببيدها رمح تضرب به في وجههم فقال النبي ﷺ يا زبير (رضي) المرأة - أي حافظ عليها وهي أم الزبير - . صفية رضي الله عنها يوم الخندق (٥).

مالي بسلبه يا ابنة عبد المطلب

أخرج ابن إسحاق عن عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها في فارح حصن حسان بن ثابت (رضي) قالت : وكان حسان (رضي) معنا فيه مع النساء والصبيان ، فمر بنا رجل من يهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحدا يدفع عنا ورسول الله صلي الله عليه وسلم و المسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا ، وإذا أتانا آت فقلت يا حسان : إن هذا اليهودي كما ترى يطفئ بالحصن واني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فاقتله ، قال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت : فلما قال لي ذلك ولم أر

١ - أقمأة الله : أذله الله .

٢ - السيرة النبوية لابن كثير - (٣ / ٦٧) وسيرة ابن هشام - (٢ / ٨١) عيون الأثر في فنون المغازي

٣ - حدثان : أي أول زواجها .

٤ - أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨ / ٣٠٣ وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٧٥/٨٩). و السيرة الحلبية

٥ - الإصابة في تمييز الصحابة - (٧ / ٧٤٤) والطبقات الكبرى - (٨ / ٤١) ونساء حول الرسول - (١ / ١١٤)

عنده شيئاً احتجرت (١) ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربتة بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان انزل فاسلبه فإنه يمنعني من سلبه إلا أنه رجل قال : مالي بسلبه يا ابنة عبد المطلب . (٢)

إن دني مني مشرك بقرت بطنه

أم سليم الغميصاء-رضي الله عنها -

عن أنس (رضي الله عنه) أن أم سليم أعدت خنجراً يوم حنين فقال أبو طلحة يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجراً !!! فقالت يا رسول الله إن دني مني مشرك بقرت بطنه. (٣)

هذا ابني يقاتل عنك

امراً من الأنصار تقدم صبيها ليجاهد في سبيل الله.

أخرج ابن أبي شيبه عن الشعبي أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حمله، فشددته على ساعده بنسعة ثم أتت به النبي ﷺ قالت: يا رسول الله ﷺ هذا ابني يقاتل عنك فقال النبي ﷺ أي بني أحمل هاهنا أي بني أحمل هاهنا فأصابته جراحه فصرع فأتى به النبي ﷺ فقال ﷺ أي بني لعلك جزعت قال : لا يا رسول الله . (٤)

إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ

الأطفال الأبطال يسارعون للانضمام إلى صفوف المقاتلة في سبيل الله.

أخرج بن عساكر عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: رد رسول الله ﷺ عمير بن أبي وقاص (رضي الله عنه) عن مخرجه إلى بدر واستصغره فبكي عمير بن أبي وقاص ﷺ فأجازه ، قال سعد : فقعدت عليه حمالة بسيفه ولقد شهدت بدرًا وما في وجهي ألا شعره واحدة أمسحها بيدي . (٥)

وأخرج ابن سعد، عن سعد بن أبي وقاص: (رضي الله عنه) قال : رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى فقلت مالك يا أخي ؛ قال إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرنى فيردني ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة .

قال : فعرضني على رسول الله ﷺ فردّه فبكي ، فأجازه .

١ - احتجرت أي شددت وسطي .

٢ - أسد الغابة - (١ / ٢٥٦) إسناده قوي أخرجه ابن إسحاق في السيرة ٢ - ١٣٧

٣ - أخرج مسلم رقم ١٨٠٩ وأحمد ٣ - ١٠٩ - ٢٧٩ وغيرهما . سير أعلام النبلاء - (٢ / ٣٠٤)

٤ - حياة الصحابة للكأندهلوى - (٢ / ١٣٣)

٥ - السيرة النبوي لأبي فارس ، ص ٣١٧ نقل عن صفة الصفوة (١ / ٢٩٤) والمستدرک (٣ / ١٨٨) والإصابة (٣ / ٣٥) .

فكان سعد (رضي الله عنه) يقول فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره فقتل وهو ابن ست عشر سنة . (١)

غزوة أحد واستعراض النبي ﷺ جيشه .

عندما وصل النبي ﷺ إلى مقام يقال له " الشيخان " استعرض جيشه فرد من استضغره ولم يره مطبقا للقتال ، وكان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأسامة بن زيد ، وأسيد بن ظهير ، وزيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، وعرابة بن أوس ، ويذكر في هؤلاء البراء بن عازب ولكن حديثه في البخاري يدل على شهوده القتال في ذلك اليوم وأجاز رافع بن خديج وسمرة بن جندب علي صغر سنهما ، وذلك أن رافع بن خديج كان ماهرا في رماية النبل فأجازه فقال سمرة : أنا أقوي من رافع أنا أصرعه فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك أمرهما أن يتصارعا أمامه فتصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه أيضا (٢)

الجيش المكفن

ألب أرسلان.

في عام ٤٣٦٩ هـ سار ملك الروم " أرمانوس " إلى بلاد المسلمين بمائتي ألف مقاتل على أقل تقدير للمؤرخين ويضم هذا الجيش الكثيف أخلاطا من الروم والفرنجة والروس والصرب ، والأرمن ، والبوشناق ، واتخذ طريقة إلى العراق ، وقد أقطع بطارقه الأرض حتى بغداد وعين له نائب على بغداد قبل أن يسير أستوصى نائبه بالخليفة خيرا فقال له : أرفق بهذا الشيخ فانه صاحبنا . وقد عزم " أرمانوس " أن يبيد الإسلام وأهله وإذا انتهى من العراق وخراسان مال على الشام وأهله ميلا واحدة فأباد المسلمين فيها ، وخرج " أرمانوس " من القسطنطينية متجها نحو الشرق فوصل إلى (ملاذكرد) في شرق تركيا اليوم على مقربة من بحيرة (وان) وأتى الخبر إلى

(ألب أرسلان) السلطان السلجوقي وهو في " أذربيجان " وقد عاد من (حلب) فلم يتمكن من جمعه لجند لبعده عن مقر حكمه ولقرب العدو منه ، فسار بمن معه وهم خمسة عشر ألفا ، لقاء العدو متوكلا على الله وقال ، إنني أقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله وان كانت الشهادة فان ابني ملكشاه ولي عهدي . وجد في السر وأرسل مقدمته أمامه فالتقت عند مدينة " خلاط " بمقدمة الروس وكان عدوهم عشر آلاف فهزم الروس بإذن الله وأسرقائدهم ، واقترب الجمعان بعضها من بعض وأرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه الهدنة فقد خافه لكثرة من معه ، إذ يعادل جند ملك الروم خمسة عشر مثلا من المسلمين ، غير أن

^١ - الإصابة في تمييز الصحابة - (٤ / ٧٢٥)

^٢ - مغازي الواقدي - رقمية - (١ / ٢١٦) والسيرة الحلبية - (٢ / ٤٩٣) وتاريخ الرسل والملوك - (١ / ٤٧٠)

ملك الروم قد أخذته العزة بالآثم فقال ، لا هدنة إلا في الري - طهران اليوم - ولم يدر أنه يقدم قومه إلى الهاوية فتأثر السلطان من هذا الرد المتعطر فاستشار أمام جنده أبا نصر محمد بن عبد الملك البخاري ، فأجابه انك تقاقل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر ، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر ، والدعاء مقرون بالإجابة ، وكان يومها يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة وجاء يوم الجمعة وكان وقت الزوال فصلي " أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري " بالناس فبكى السلطان وبكى الناس لبكائه ، ودعا ودعوا معه بعد الصلاة وقال لهم : من أراد الانصراف فليصرف فما هاهنا سلطان يأمر وينهي وإنما جهاد ورغبة في لقاء الله وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف ولبس البياض وتحنط وقال " إن قتلت فهذا كفني ، وزحف إلى الروم ، وزحفوا إليه فلما اقترب منهم ترجل ومرغ وجهه في التراب وبكى وأكثر الدعاء ، وطلب النصر من الله ثم ركب وحمل على الروم وحمل المسلمون حتى واصلوا إلى وسط الروم وحجز الغبار بينهم ، وما هي إلا جولة حتى أنزل الله نصره وهزم الروم ومنحوا المسلمين أكتافهم ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا حتى امتلأت الأرض بالجثث ، وقدر عدد القتلى بمائة وخمسين ألفا ، أي أن كل مسلم قد قتل عشرة من الروم ، ووقع ملك الروم " أرمانوس " وبطارقته جميعا أسرى بأيدي المسلمين وحمل " أرمانوس " إلى السلطان " ألب أرسلان " فلما وقف بين يديه ضربه بيده ثلاث مقارع وقال : لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل ؛ قال : كل قبيح ، قال فما ظنك بي ؛ قال : إما أن تقتل بعد أن تشهر بي في بلادك ، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتعيدني قال : ما عزمت على غير العفو والفداء ، فافتدي نفسه بمليون ونصف من الدنانير ، فقام بين يدي السلطان وسقاه شربة ماء وقبل الأرض بين يديه ، وقد ترك له السلطان عشر آلاف دينار ليتجهز بها وأطلق معه جماعة من البطارقة الأسرى. (١)

لعل الله يرى ذلك فيغفر لي

فقد أخرج ابن الجوزي وابن النحاس تلك القصة التي يقصها علينا أبو قدامه الشامي يقول -رحمه الله -: كنت أميرا على الجيش في بعض الغزوات قد خلت بعض البلدان فدعوت الناس إلى الجهاد ورغبتهم في الثواب وذكرت فضل الشهادة ثم تفرق الناس ، وسرت إلى منزلي فإذا بامرأة من أحسن الناس تنادي ، يا أبا قدامه فقلت هذه مكيدة من الشيطان فلم أجبها فعادت تنادي فلم أجبها فقالت : ما هكذا يفعل أرباب الصلاح بأهل الإرادة ، فوفقت لها : فجاءت ودفعت إلي رقعة وحزمة مشدودة ثم انصرفت وهي تبكي قال : فنظرت إلى الورقة وإذا

^١ - سير أعلام النبلاء - (١٨ / ٣١٦) وتاريخ الإسلام للذهبي ، حوادث ووفيات ٤٧٠ ، ٤٦١ ، ص ٢٠٠ . والكامل في التاريخ - (٤ / ٢٩٨) دولة

مكتوب فيها : دعوت الناس إلى الجهاد وحرصتهم على الثواب وأنا امرأة ولا قدره لي على الجهاد وقد ، قطعت أحسن ما في وهما ضفيريّتي وقد ، أتيت بهما لتجعلهما قيّدا لفرسك ، لعل الله يرى ذلك فيغفر لي فلما كانت ليلة القتال أخرجت الضفريّتين فقيدت بهما فرسي فلما طلع الفجر ووقع القتال فإذا أنا بـغلام حسن الوجه صبور على الشدائد فتقدمت إليه : يا بني أنت راجل ولا أمن عليك أن تجول الخيل فتطؤك بأرجلها فارجع إلى موضعك ، قال : فالتفت إلي وقال : كيف أرجع وقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ﴾ [الأنفال ١٥] قال : فأعطيته قوسا كان معي ، فقال : يا أبا قدامه أقرضني ثلاثة أسهم فقلت ما هذا القرض ؛ فقال : بالله عليك أقرضني قال : فأعطيته سهما فوضعه في قوسه فقتل روميا ، فقلت : أنا شريك في هذا الثواب ، قال فقال : نعم : فأعطيته سهما آخر فقتل به روميا آخر ، ثم ناولته سهم بين عينيه فخر صريعا ، فوقفت عليه ، وقلت يا ولدي لا تنسني فأنتك عاهدتني فقال : نعم ، ثم قال : يا أبا قدامه لي حاجة إذا دخلت المدينة ، فأت والدتي وسلم عليها عني وناولها هذا الخرج ، فقلت : ومن والدتك .

قال : التي قطعت شعرها وقالت اجعله قيّدا لفرسك ، قال فاشتغلت بالبكاء فقضى نحبـه-رحمه الله- ، فدفنته فلما أنقضي القتال وعدت إلى قبره رأيته على وجه الأرض قد قذفته فحفرت له حفرة أخرى فدفنته ثانيا ، فقال : أصحابنا دعه فهو غلام لعله خرج من غير أذن والدته ، قال : فوقعت في حيرة ، فأذن مؤذن العشاء فقامت فصليت وجعلت أتضرع إلى الله وأبكي وأقول يا رب ما ادري ما أصنع به ، قال : فسمعت صوتا ينادي : يا أبا قدامه دع ولي الله وذهب ، فتركته فنزلت طيور فأكلته وأنت السباع فابتلعت العظام ، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى بيت والدته فطرقت الباب فخرجت طفلة صغيرة ، فلما رأت الخرج رجعت ونادت يا أماه : جاء أبو قدامه بخرج أخي أصبنا في العام الأول بأبي وفي الثاني بأخي : وفي هذا بأخي الآخر ، قال : فكدت أتلّف من البكاء فخرجت تلك المرأة وهي تقول : أمهنيّا جئت أما معزيا ؛ أن كان ولدي قد استشهد فهنيي ، فقلت : لا والله بل استشهد ، فقالت وما علامة ذلك ؟

قلت : قتل قالت : قبلته الأرض أم لا ؛ قلت لا والله ، قالت الحمد لله ثم فتحت صندوق وأخرجت مسحاً أسود ، وغلا من حديد ، وقالت انه كان إذا جنه الليل يلبس هذا المسح ويغل يده بهذا الغل ، ويقول : إلهي : احشرنني من حواصل الطير وبطنون السباع فمالي عين تراك ، وقد استجاب الله منه ذلك .

أم إبراهيم الهاشمية وولدها إبراهيم.

وها هي عابدة من عابدات البصرة أم إبراهيم الهاشمية أغار العدو على ثغر من ثغور المسلمين فانتدب الناس للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد البصري في الناس

خطيبا فحضرهم على الجهاد وكانت أم إبراهيم حاضرة في مجلسه، وتمادى عبد الواحد في الكلام ثم بدأ يصف الحور العين، وذكر ما قيل فيهن
 عادة ذات دلال ومرح
 يجد الناعت فيها ما اقترح
 خلقت من كل شيء حسن طيب
 ما الليث فيها مقترح
 زانها الله بوجه جمعت فيه أوصاف الملح
 فبدأ يصف أكثر وأكثر فماج الناس بعضهم في بعض فوثبت أم إبراهيم من وسط
 الناس ، وقالت يا أبا عبيد ألسنت تعرف ولدي إبراهيم عظماء أهل البصرة
 يخطبونه على بناتهم وأنا أضن به عليهم فقد والله أعجبتني هذه الجارية وأرضاها
 عرسا لولدي ، فكرر ما ذكرت من حسناتها وجمالها فأخذ عبد الواحد في الوصف .
 فقال : تولد نور النور من نور وجهها .

فمازج طيب الطيب من خالص العطر .
 فأخذ يصف أكثر فأكثر فاضطرب الناس فوثبت أم إبراهيم فقالت : لعبد الواحد :
 يا أبا عبيد والله لقد أعجبتني هذه الجارية فأنا أرضاها عرسا لولدي إبراهيم فهل
 لك أن تزوجه منها وتأخذ مهرها ، عشر آلاف دينار ويخرج معك ولدي في هذه
 الغزوة فلعل الله أن يرزقه الشهادة فيكون شفيعا لي ولأبيه في القيامة .
 قال عبد الواحد: لئن فعلت لتفوزن أنت وولدك وأبو ولدك فوزا عظيما فنادت
 فقالت: يا إبراهيم فوثب من وسط الناس فقال لبيك يا أماه فقالت: أي بني
 أرضيت بهذه الجارية زوجة لك ببذل مهجتي في سبيل الله وترك العود في
 الذنوب فقال الفتى: أي والله يا أماه رضيت أي رضي.
 فقالت اللهم إني أشهدك أنني زوجت ولدي هذا من هذه الجارية ببذل مهجته في
 سبيلك وترك العود في الذنوب فتقبله مني يا الله ثم انصرفت وجاءت بعشرة
 آلاف دينار .

وقالت : يا أبا عبيد :

هذا مهر الجارية ، فجهز به الغزاة في سبيل الله وانصرفت فاشتريت لولدها فرسا
 جيد واستجادة له سلاحا فلما خرج عبد الله الواحد ، خرج إبراهيم يعدو وحوله
 القراء يقولون قول الله تعالى ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم**
الجنة ﴾ [التوبة ١١١] فلما أرادت أم إبراهيم فراق ولدها ، دفعت إليه كفنا
 وحنوطا وقالت له : أي بني إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن وتحنط بهذا
 الحنوط وإياك أن يراك الله مقصرا في سبيله ثم ضمته إلى صدرها وقبلت بين
 عينيه وقالت : يا بني ما جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات يوم القيامة
 .

قال عبد الواحد فلما بلغنا بلاد العدو وبرز الناس للقتال بزر إبراهيم في المقدمة فقتل من العدو خلقا كثيرا ثم اجتمعوا عليه فقتلوه ، فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابي لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء لئلا تجزع فيذهب أجرها .

قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقوننا وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج فلما، أبصرتني قالت: يا أبا عبيد: هل قبلت مني هديتي، فأهنا أم ردت علي فأعزي؟ فقلت لها: قد قبلت والله هديتك وان إبراهيم حي مع الشهداء إن شاء الله فخرت ساجدة لله شكرا .

وقالت ، الحمد لله الذي لم يخيب ظني وتقبل نسكي مني .. (١)

الباب الرابع الأخلاق الحسنة والمعاملات

الفصل الأول: قصص عن الشهامة

أنا النبي لا كذب

عن أبي إسحاق أنه قال: قال رجل للبراء، يا أبا عمارة أفررتم يوم حنين؟ قال: لا والله، ما ولي رسول الله ﷺ ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح، أو كبير سلاح، فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن وبني نصر، فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء. وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به فنزل فاستنصر وقال:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

ثم صفهم (١)

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

عن سلمة بن الأكوع قال: ((بعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أنديه مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ، فاستاقه أجمع، وقتل راعيه، قال: فقلت: يا رباح، خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه، قال: ثم قمت على أكمة، فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثا: يا صباحاه، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز، أقول: أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع، فألحق رجلا منهم فأصك سهما في رحله، حتى خلص نصل السهم إلى كتفه، قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع قال: فوالله، ما زلت أرميهم وأعقر بهم، فإذا رجع إلي فارس أتيت شجرة، فجلست في أصلها، ثم رميته فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل، فدخلوا في تضايقه، علوت الجبل فجعلت أرميهم بالحجارة، قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري، وخلصوا بيني

^١ - أحمد (٣/ ٤٦٧-٤٦٨) وهو في الطبراني الكبير (٢/ ١٧٨) / ١٧٢٦، وطرفه عند أبي داود (٣/ ٥٦) / (٢٦٧٨). وقال في المجمع: رواه أحمد

والطبراني ورجاله ثقات (٦/ ٢٢).

وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة، وثلاثين رمحا، يستخفون ولا يطرحون شيئا إلا جعلت عليه آrama من الحجارة يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حتى أتوا متضايقا من ثنية، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري، فجلسوا يتضحون - يعني يتغدون - وجلست على رأس قرن، قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح، والله، ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا، قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة، قال: فصعد إلي منهم أربعة في الجبل، قال: فلما أمكنوني من الكلام، قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع، والذي كرم وجهه محمد ﷺ، لا أطلب رجلا منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني، قال أحدهم: أنا أظن، قال: فرجعوا، فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر، قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي، على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي، قال: فأخذت بعنان الأخرم، قال: فولوا مدبرين، قلت: يا أخرم، احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه، قال: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق، والنار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة، قال: فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحول على فرسه ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن، فطعنه فقتله، فوالذي كرم وجهه محمد ﷺ، لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ولا غبارهم شيئا حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له: ذو قرد ليشربوا منه وهم عطاش، قال: فنظروا إلي أعدو وراءهم، فخليتهم عنه - يعني أجليتهم عنه - فما ذاقوا منه قطرة، قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية، قال: فأعدو فألحق رجلا منهم فأصكه بسهم في نغض كتفه، قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع قال: يا ثكلته أمه، أكوعه بكرة؟

قال: قلت: نعم يا عدو نفسه، أكوعك بكرة، قال: وأردوا فرسين على ثنية، قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ، قال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن، وسطيحة فيها ماء، فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي حلأتهم عنه، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم، وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها. قال: قلت: يا رسول الله، خلني فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار، فقال: يا سلمة، أترأك كنت فاعلا؟ قلت: نعم، والذي أكرمك.

فقال: إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان، قال: فجاء رجل من غطفان، فقال: نحر لهم فلان جزورا فلما كشفوا جلدها رأوا غبارا

فقالوا: أتاكم القوم، فخرجوا هاربين، فلما أصبحنا . رسول الله ﷺ: كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة، قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس، وسهم الراجل، فجمعهما لي جميعاً، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة^(١)

النبي ﷺ يغزو بني قينقاع من أجل إغاثة امرأة

عن أبي عون قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوقهم، وجلست إلى صائغ بها. فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فلم تفعل. فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعهده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فأغضب المسلمون ووقع الشر. (السيرة لابن هشام)

قام رسول الله والمسلمين بحصار اليهود ١٥ ليلة حتى وافقه على حكمه وحاول أحد المنافقين التوسط فغضب الرسول (ﷺ) وأجلاهم عن المدينة.

المعتصم يجيش جيشاً من أجل امرأة

أمير المؤمنين، المعتصم أخو المأمون وابن هارون الرشيد والمعتصم هو الخليفة العسكري يقول أهل التاريخ: لم يكن أقوى منه جسماً، قالت المرأة: وامعتصماه! فتضحك الروم، وقالوا: انتظري للمعتصم حتى يأتي على فرسه الأبلق لينصرك في هذا المكان، بيننا وبين المعتصم ما يقارب ألف ميل، فذهب هذا الأعراي من السوق إلى بغداد ودخل، قال: أريد الإذن من أمير المؤمنين، قال الحرس: ماذا تريد؟ قال: أمرٌ خطيرٌ، فأدخلوه، ومثل أمامه، قال: يا أمير المؤمنين! كنت يوم كذا وكذا في سوق عمورية، فضربت امرأة مسلمة بين الكفار، فصرخت باسمك من عمورية تقول: وا معتصماه! فتضحكوا، وقالوا: انتظريه على فرسه الأبلق لينصرك، فوثب من على الكرسي، وثبة معناها أن يقف له التاريخ، قال: والذي لا إله إلا هو لا يصل رأسي ماءً من جنابة حتى أنصهرها بإذن الله، القتال القتال، أعلنوا في الأقاليم من يستطيع حمل السلاح ويتخلف فإن عقوبته الإعدام، وجهز جيشاً عرمرماً عداده تسعون ألفاً، وجعل إمامه في الصلاة أبا يوسف القاضي الحنفي العالم، وبدأ الاستغفار والتوبة والعودة إلى الله، ثم مضى بالجيش، ولما وصل حدود الروم بدأ يحرقها مدينة مدينة، أول مدينة وصل إليها بدأت النيران تشتعل في الروم، ثم قال: أين عمورية ؟ قالوا: يا أمير المؤمنين! في الشمال، قال: يأتيها حسابها.

لما رأت أختها بالأمس قد خربت كان الخراب لها أعدى من الجرب

^١ - أخرجه أحمد ٤٨/٤ (١٦٦٢٨). و"البخاري" ٨١/٤ (٣٠٤١) و"النسائي" في "عمل اليوم والليلة" ٩٧٨.

يقول أبو تمام : كل مدينة تغار من الأخرى، يقول: فالخراب يسعى فيها أعدى من الجرب في الغنم، ووصل إليها هناك، قال: هذه عمورية ؟ قالوا: نعم، قال: الله أكبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، قالوا: نفاوضك على الصلح، قال: حتى أرى حريقاً في المدينة ، لا صلح حتى أرى الحصون تحترق، وبدأت الحصون تحترق، وأتى فارس الروم، فقال: من يبارز؟ قال المعتصم : أنا أبارزك، فنزل المعتصم ، فلما برز، قام المعتصم -من الشجاعة- فخلع الدرع من على صدره وقد كان من أشجع الناس، فالتقى بالرومي، فضربه الرومي، فنشب سيف الرومي في درع المعتصم فأخذ المعتصم سيفه، فضرب الرومي، فقسمه نصفين، ثم بدأت المعركة، فسحقهم سحقاً عظيماً، فلما دخلها قال: لن أخرج من المدينة حتى يأتي الرجل الذي ضرب المرأة، فاجتمعوا وقالوا: هذا هو المجرم، فأتوا به، قال: أين المرأة؟ فأتوا بالمرأة، قال: يا أمة الله! أنا المعتصم ، وهذا هو الرجل الذي لطمك، فهو عبدٌ لك إن شئت أعتقته لوجه الله يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، وإن شئت فهو مولى لك، قالت: قد أعتقته يا أمير المؤمنين! (خطب عائض القرني)

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتيم
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

ابن ميمون

يقول حجبت على أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد فرأيت في الحج امرأة تبكي بكاءً مُرّاً، فاقترت منها، فسمعتها تقول: أيا عمرو فيم تجنبتني سكبت دموعي وعذبتني فلو كنت يا عمرو أخبرتني أخذت حذار فما نلتني، قال: فقلت لها: من عمرو هذا يا أمة الله؟

ففزعت عندما فوجئت بوجودي فقلت لها: لا تخافي، إنّما أنا عبدٌ من عباد الله، لعلّي أكون في حاجتك فمن عمرو؟

قالت: عمرو هذا هو زوجي، وقد تبعني قبل الزواج، وامتنعت عنه واحتال على الزواج مني كلّ حيلة، حتى شاء الله وتزوجته، ولكنه هجرني.

قلت: أهجرك لموجدةٍ أو نفور؟

قالت: لا والله، بل لشدة حبّ. فقد ضاق بنا العيش، وأشفق عليّ. فذهب يلتمس عملاً، قد يكون فيه سعة لي وله. قلت: وأين هو؟ قالت: في (جدة) يعمل في البحر. قلت: سأجمع بينكما إن شاء الله، فصفه لي. قالت: لا تهزأ بي يا عبد الله. قلت: إنني فاعل إن شاء الله، ولن يخيب الله مسعائي، قالت: هو أحسن من تراه، طلق محياه، مليئةً بالحبّ عيناه، وليس في القلب سواه.

قال إبراهيم: ركبت وذهبت إلى جدّة ... وناديت عند المكان الذي حددته، يا عمرو. يا عمرو. فخرج إليّ رجل ما ارتبت لحظةً في أنه هو. ولما اقترب منّي، أنشدته ما سمعت من زوجته. فعانقني وقال: إنما أنت رسولها. قلت: نعم. فهل تعود معي إليها؟ .

قال: والله إنّ هذا لأحبُّ شيء إلى نفسي، لكنّي أسعى إلى السعة. قلت: كم يكفيك لمعاشك في العام؟

قال: ثلاثمائة دينار. قلت: فهذه ثلاثة آلاف لعشر سنين، فإذا نفدت أو أوشكت فأرسل إليّ بمن يحمل إليك غيرها. وأعدته إلى زوجته، ولم يكن أحدٌ أسعد منهما بذلك إلا أنا.

عثمان رضي الله عنه فعن ابن عباس قال: قحط الناس في زمان أبي بكر، فقال أبو بكر: لا تمسون حتى يفرج الله عنكم، فلما كان من الغد جاء البشير إليه قال: قدمت لعثمان ألف راحلة برأ وطعاماً، قال: فغدا التجار على عثمان فقرعوا عليه الباب فخرج إليهم وعليه ملاءة قد خالف بين طرفيهما على عاتقه فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: قد بلغنا أنه قد قدم لك ألف راحلة برأ وطعاماً، بعنا حتى نوسع به على فقراء المدينة، فقال لهم عثمان: ادخلوا. فدخلوا فإذا ألف وقر قد صب في دار عثمان، فقال لهم: كم تربحوني على شرائي من الشام؟

قالوا العشرة اثني عشر، قال: قد زادوني، قالوا: العشرة أربعة عشر، قال: قد زادوني. قالوا: العشرة خمسة عشر، قال: قد زادوني، قالوا: من زادك ونحن تجار المدينة؟

قال: زادني بكل درهم عشرة، عندكم زيادة؟

قالوا: لا!!

قال: فأشهدكم معشر التجار أنها صدقة على فقراء المدينة قال عبد الله بن عباس: فبت ليلتي فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي وهو على برذون أشهب يستعجل؛ وعليه حلة من نور؛ وبيده قضيب من نور؛ وعليه نعلان شراكهما من نور، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد طال شوقي إليك، فقال صلى الله عليه وسلم: إني مبادر لأن عثمان تصدق بألف راحلة، وإن الله تعالى قد قبلها منه وزوجه بها عروسا في الجنة، وأنا ذاهب إلى عرس عثمان.

وانظر إلى موقف عثمان بن طلحة مع السيدة أم سلمة - رضي الله عنها - في حادث الهجرة؛ (علما بأن هذا الموقف كان قبل إسلامه) تقول السيدة أم سلمة: "لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَحَلَ لِي بَعِيرُهُ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ وَحَمَلَ مَعِيَ ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ

بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْرُومٍ قَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبَتْنا عَلَيْهَا ، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ هَذِهِ ؟ عَلَامَ نَتْرُكَ تَسِيرَ بِهَا فِي الْبِلَادِ ؟
قَالَتْ فَتَزْعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذُونِي مِنْهُ . قَالَتْ وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ لَا نَتْرُكَ ابْنَتَنَا عِنْدَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا .

قَالَتْ فَتَجَادَبُوا بَنِي سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ وَانْطَلَقَ رَوْحِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ . قَالَتْ فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَوْحِي وَبَيْنَ ابْنِي . قَالَتْ فَكُنْتُ أُخْرِجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطَحِ فَمَا أَرَأَى أَبُوكَ ، حَتَّى أَمْسَى سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي ، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمُسْكِينَةَ فَرَفُتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَوْحِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا قَالَتْ فَقَالُوا لِي : الْحَقِّي بِرَوْحِكَ إِنْ شِئْتَ . قَالَتْ وَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إِلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي . قَالَتْ فَارْتَحَلْتُ بِبَعِيرِي ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي ، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ رَوْحِي بِالْمَدِينَةِ . قَالَتْ وَمَا مَعِيَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ .

قَالَتْ فَقُلْتُ : أَتَبْلُغُ بِمَنْ لَقِيتُ حَتَّى أَقْدِمَ عَلَيَّ رَوْحِي ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَقَالَ لِي : إِلَى أَيْنَ يَا بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ ؟

قَالَتْ فَقُلْتُ : أُرِيدُ رَوْحِي بِالْمَدِينَةِ . قَالَ أَوْ مَا مَعَكَ أَحَدٌ ؟
قَالَتْ فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَبُنَيَّ هَذَا .

قَالَ وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَثْرَكٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ فَانْطَلَقَ مَعِيَ يَهْوِي بِي ، فَوَاللَّهِ مَا صَحَبْتُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ قَطُّ ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ كَانَ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي ، حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي ، فَحَطَّ عَنْهُ ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرَةِ ، ثُمَّ تَنَحَّى وَقَالَ ازْكَبِي . فَإِذَا رَكَبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ فَقَادَهُ حَتَّى يَنْزِلَ بِي .

فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ قَالَ رَوْحُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ - وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا - فَأَدْخِلَهَا عَلَيَّ بَرَكَهَ اللَّهُ ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ .

قَالَ فَكَانَتْ تَقُولُ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ "سيرة ابن هشام"

فصل في إغاثة الملهوف

عمر بن الخطاب [?] : وهذا الفاروق وخدمته الفائقة للرعية وإغاثة الملهوفين منهم: خرج ذات ليلة سيدنا عمر بن الخطاب في جولة من جولاته التي كان يخرج

بها وحيداً، والناس نيام ليطمئن على قومه ويرى أحوالهم، وعند مشارف المدينة رأى كوخاً ينبعث منه أنين امرأة فاقترب يسعى، ورأى رجلاً يجلس على باب الكوخ، وعلم منه أنه زوج السيدة التي تن، وعلم أنها تعاني كرب المخاض، وليس معها أحد يعينها، لأن الرجل وزوجته من البادية، وقد حطا رحالهما هنا وحيدين غريبين، رجع عمر إلى بيته مسرعاً، وقال لأم كلثوم زوجته بنت الإمام علي: يا أم كلثوم، هل لك في مثوبة ساقها الله إليك؟

هل ترغبين في عمل صالح؟

، قالت: خيراً، قال: امرأة غريبة تمخض، وليس معها أحد.

قالت: نعم إن شئت. وقام فأعد من الزاد والماعون ما تحتاجه المرأة من دقيق وسمن ومزق ثياب يلف بها الوليد، وحمل أمير المؤمنين القدر على كتف والدقيق على كتف، وقال لزوجته: اتبعيني، ويأتيان الكوخ، وتدخله أم كلثوم زوج أمير المؤمنين لتساعد المرأة في مخاضها، أما أمير المؤمنين فجلس خارج الكوخ، وينصب الأثافي (ثلاثة أحجار للطبخ)، ويضع فوقها القدر، ويوقد تحتها النار، وينضج للمرأة طعاماً، والزوج يرمقه شاكراً ولعله كان يحدث نفسه هو الآخر بأن هذا العربي الطيب أولى بالخلافة من عمر .

وفجأة صدح في الكوخ صراخ الوليد لقد وضعت أمه بسلام، وإذا بصوت أم كلثوم ينطلق من داخل

الكوخ عالياً، يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام، ويفيق الأعراي من الدهشة، ويستأخر بعيداً على استحياء، ويحاول أن ينطق بالكلمتين "أمير المؤمنين"، لكن شفتيه لا تقويان على الحركة من فرط المفاجأة، ويلحظ عمر كل هذا، فيشير إلى الرجل أن ابق مكانك، لا ترع، ويحمل أمير المؤمنين القدر، ويقترّب من باب الكوخ منادياً زوجته: خذي القدر يا أم كلثوم، وأطعمي الأم وأشبعيها، وتطعمها أم كلثوم حتى تشبع، وترد القدر إلى عمر بما بقي من طعام، فيضعها عمر بين يدي الأعراي، ويقول: كل واشبع، فإنك قد سهرت طويلاً، وعانيت كثيراً، ثم ينصرف هو وزوجته بعد أن يقول للرجل: إذا كان صباح الغد فأنتي بالمدينة لأمر لك من بيت المال بما يصلحك، ولنفرض للوليد حقه.

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ

وَمَنْ إِذَا رِيبَ الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وإغاثة الملهوف

عن جرير قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءَ عُرَاةٍ مُجْتَابِي النَّمَارِ -أَوْ الْعَبَاءِ- مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، غَامَتْهُمْ مِنْ مُضَرِّ بَلِّ كُلِّهِمْ مِنْ مُضَرِّ، فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا، فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ صَعِدَ مِنْبَرًا

صَغِيرًا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَنْتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِيَّارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ: (وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ).
 قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلٌّ قَدْ عَجَزَتْ.
 قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ.
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ).

الفصل الثاني: قصص عن الإيثار

والله ما سألته إياها إلا لتكون كفني يوم أموت

عن سهل: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ ببردة منسوجة منها حاشيتها ثم قال أتدرون ما البردة قالوا: الشملة قال نعم فقالت: نسجت هذه بيدي فجئت لأكسوكها فلبسها رسول الله ﷺ محتاجا إليها فخرج وإنها لإزاره أو رداؤه شك أبو إبراهيم فجلسها فلان بن فلان لرجل قد سماه يومئذ فقال : ما أحسن هذه البردة أكسنيها!

قال: «نعم». فلما دخل رسول الله ﷺ طواها فأرسل بها إليه فقال له القوم: والله ما أحسنت لبسها رسول الله ﷺ محتاجا إليها، ثم سألته إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلا فقال: والله ما سألته إياها إلا لتكون كفني يوم أموت.

قال سهل: وكانت كفنه يوم مات. (١)

قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة

عن أبي هريرة قال جاء رجلٌ إلى النبي {ﷺ} فقال إني مجهودٌ فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ فقال من يضيف هذا الليلة فقام رجلٌ من الأنصار فقال أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله {ﷺ} وفي حديث جرير بن عبد الحميد هل عندك شيء فقالت إلا قوت صبياني فقال فعلليهم بشيء وفي حديث أبي أسامة وإذا أراد الصبية العشاء فنومهم فإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه قال فقعدوا وأكل الضيف وفي حديث عبد الله بن داود فباتا طاويين

^١ - السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (٣ / ٤٠٤)

فلما أصبح غداً على النبي ﷺ فقال قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة.^(١)

أتدرون ما البردة؟

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ((جاءت امرأة ببردة، قال: أتدرون ما البردة؟ ف قيل له: نعم، هي الشملة منسوجة في حاشيتها. قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال رجل من القوم: يا رسول الله اكسنيها. فقال: نعم. فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إيّاها، لقد علمت أنه لا يرد سائلاً! فقال الرجل: والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانت كفنها)).^(٢)

ويؤثرون على أنفسهم

عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: أهدي لرجل من أصحاب النبي ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا، قال: فبعث إليه فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول، ونزلت (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) إلى آخر الآية.^(٣)

الإيثار حتى في الرmq الأخير

عن حذيفة العدوي، قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي، ومعني شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رmq سقيته، ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أن نعم، فإذا رجل يقول: آه... فأشار ابن عمي إليّ أن انطلق به إليه فجئته، فإذا هو هشام بن العاص. فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه... فأشار هشام انطلق به إليه، فجئته، فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي، فإذا هو قد مات، رحمة الله عليهم أجمعين.^(٤)

لو كان غير الجنة لآثرتك به

عن سليمان بن بلال -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعاً الخروج معه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأمر أن يخرج أحدهما. فاستهما، فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد -رضي الله عنهما-: إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم، فأقم مع نساءك.

^١ - أخرجه مسلم (١٦٢٤/٣)، رقم (٢٠٥٤)، وابن حبان (٩٥/١٢)، رقم (٥٢٨٦).

^٢ - أخرجه البخاري (٢٠٩٣).

^٣ - بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب (١/ ٢٤٥).

^٤ - إحياء علوم الدين، للغزالي ٣ (٢٥٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٨).

فقال سعد: لو كان غير الجنة لآثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما، فخرج سهم سعد؛ فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، فقتله عمرو بن عبد ود^(١).

إيثار عبد الغني المقدسي بطعامه:

قال منصور الغضاري: (شاهدت الحافظ في الغلاء بمصر وهو ثلاث ليالٍ يؤثر بعشائه ويطوي!) . (٢).

إيثار العز بن عبد السلام وامرأته:

حكى بدر الدين بن جماعة أن العز بن عبد السلام لما كان بدمشق وقع مرة غلاءً كبيراً حتى صارت البساتين تُباع بالثمن القليل، فأعطته زوجته مُصاعاً لها وقالت: اشتر لنا به بُستاناً نُصَيِّفُ به، فأخذ ذلك المُصاعَ وباعه وتصدق بثمنه، فقالت: يا سيدي اشتريت لنا؟ قال: نعم، بُستاناً في الجنة، إني وجدتُ الناس في شدة فتصدقتُ بثمنه، فقالت له: جزاك الله خيراً.

وحكى أنه كان مع فقره كثير الصدقات، وأنه ربما قطع من عمامته وأعطى فقيراً يسأله إذا لم يجد معه غير عمامته. (٣).

إيثار بعض محبي ابن باز:

كان الشيخ ابن باز قريباً من الناس محبباً إليهم، ومن أعجب قصص الإيثار التي حصلت مع الشيخ قصتان:

أولاهما: لرجلٍ مسلمٍ من بلجيكا وهو مغربي الأصل، قدم على سماحة الشيخ، فلما مثل أمام سماحته قال:

يا سماحة الشيخ، أنا فلان من محبيك، وقد جئتُك مُهدياً لك إحدى عيني، ولقد سألتُ طبيباً مختصاً فقال لي: لا مانع. وسوف أذهبُ إلى المستشفى، وإلى الطبيب المختص لنزعها وإهدائها لك.

فقال له سماحة الشيخ: يا أخي بارك الله لك في عينيك، ونفعك بهما، نحن راضون بما كتب الله لنا.

^١ - أسد الغابة: (٢/ ٢٧٥) بتصرف.

^٢ - ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٤٥٧/٢١).

^٣ - ((طبقات الشافعية الكبرى)) للسبكي (٨/ ٢١٤).

- وفي عام ١٤١٨ هـ جاء رجلٌ من السودان، وأخذ يتجول بين المكاتب في دار الإفتاء في الرياض، وهو يقول: لم أجد من يتجاوبٌ معي ولا من يدخلني على سماحة الشيخ.

قال الشيخ محمد بن موسى الموسى: فقلتُ له: وما تريد من سماحته؟ فقال: أنا أتيتُ إلى سماحته مُهدياً إليه إحدى عيني، أدخلوني على سماحته، فأخذت بيده وأدخلته عليه، فلما رآه وسلّم عليه قال: يا سماحة الشيخ أنا من بلاد السودان، جئتُ إليك مُهدياً إحدى عيني، فتفضل بقبولها وخذ إحداها.

فشكر له سماحة الشيخ صنيعه ومحبتّه، وقال: بارك الله لك في عينيك، نحن راضون بما كتب الله لنا. (١).

إيثار الكلب على النفس

- خرج عبد الله بن جعفر إلى صبيعة له، فنزل على نخيل قوم، وفيه غلام أسود يعمل فيه، إذ أتى الغلام بقوة فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام، فرمى إليه الغلام بقرص فأكله، ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله، وعبد الله ينظر إليه.

فقال: يا غلام، كم قوتك كل يوم؟

قال: ما رأيت. قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟! قال: ما هي بأرض كلاب، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً، فكرهت أن أشبع وهو جائع!

قال: فما أنت صانع اليوم؟! قال: أطوي يومي هذا!

فقال عبد الله بن جعفر: ألام على السخاء! إن هذا الغلام لأسخى مني! فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات، فأعتق الغلام ووهبه منه! (٢).

الإيثار الجماعي

- عن أبي الحسن الأنطاكي: أنه اجتمع عنده ثياف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الرّي، ومعهم أرغفة معدودة لا تُشبع جميعهم، فكسروا الرغفان، وأطفؤوا السراج، وجلسوا للطعام، فلما رفع فإذا الطعام بحاله، لم يأكل منه أحد شيئاً إيثاراً لصاحبه على نفسه! (٣).

إيثار الحسن بن يحيى

^١ - يُنظر: ((جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله)) لمحمد بن إبراهيم الحمد (٥٠٦-٥٠٧).

^٢ - ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢٥٨/٣).

^٣ - يُنظر: ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (٢٩/١٨).

- قال الهيثم بن جميل: جاء فضيل بن مرزوق - وكان من أئمة الهدى زهدًا وفضلًا - إلى الحسن بن حبي، فأخبره أن ليس عنده شيء.

فقام الحسن، فأخرج سئة دراهم، وأخبره أنه ليس عنده غيرها، فقال: سبحان الله أليس عندك غيرها وأنا آخذها؟! فأخذ ثلاثة وترك ثلاثة. (١).

بين مسروق و خيثمة رضي الله عنهما

- وروي أن مسروقًا أدان دينًا ثقیلاً، وكان على أخيه خيثمة دين، قال: فذهب مسروق فقاضى دين خيثمة وهو لا يعلم، وذهب خيثمة فقاضى دين مسروق وهو لا يعلم! (٢).

إيثار بشر بن الحارث

- وقال عباس بن دهقان: ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحارث؛ فإنه أتاه رجل في مرضه، فشكا إليه الحاجة، فنزع قميصه وأعطاه إيّاه، واستعار ثوبًا فمات فيه! (٣).

إيثار الأخيار

- عن أبي جعفر محمد بن عبد الرحمن الصيرفي، قال: (بعث إليّ الحكم بن موسى في أيام عيد أنه يحتاج إلى نفقة، ولم يك عندي إلا ثلاثة آلاف درهم، فوجهت إليه بها، فلما صارت في قبضته وجه إليه خلاد بن أسلم أنه يحتاج إلى نفقة، فوجه بها كلها إليه، واحتجت أنا إلى نفقة فوجهت إلى خلاد: إني أحتاج إلى نفقة، فوجه بها كلها إليّ، فلما رأيتها مصرورة في خرقتيها وهي الدراهم بعينها أنكرت ذلك، فبعثت إلى خلاد: حدثني بقصة هذه الدراهم؟ فأخبرني أن الحكم بن موسى بعث بها إليه، فوجهت إلى الحكم منها بألف، ووجهت إلى خلاد منها بألف، وأخذت أنا منها ألفًا! (٤).

إيثار بالنفس

^١ - يُنظر: ((تهذيب الكمال)) للمزي (٣٠٨/٣٢).

^٢ - ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (١٧٤/٢).

^٣ - ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢٥٨/٣).

^٤ - أخرجه الخطيب في ((تاريخ بغداد)) (٩/ ٣٠٤، ٣٠٥).

- عن محمد بن داود قال: (سمعتُ أبا بكرٍ الفُوطيَّ وأبا عمرو بنَ الأدميَّ يقولانِ، وكنا يتواخيان في الله تعالى: خرَجنا من بغداد نريدُ الكوفةَ، فلمَّا صرنا في بعض الطريقِ إذا نحن بسبُعَيْنِ رابضَيْنِ على الطريقِ.

فقال أبو بكرٍ لأبي عمرو: أنا أكبرُ سنًّا منك، دَعني حتَّى أتقدِّمَكَ، فإن كانت حادثةُ اشتغلوا بي عنك ونجوت أنت! فقال أبو عمرو: نفسي ما تسامحني بهذا، ولكنْ نكونُ جميعًا في مكانٍ واحدٍ، فإن كانت حادثةُ كُنَّا جميعًا، فجازا جميعًا في وَسْطِ السَّبُعَيْنِ فلم يتحرَّكا، ومَرَّا سَالِمَيْنِ!). (١).

إيثارُ أحمدَ بنِ حنبلٍ:

(قال هارونُ المُستَملي: لقيتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ، فقلتُ: ما عندنا شيءٌ. فأعطاني خمسةَ دراهمٍ، وقال: ما عندنا غيرها. قال المروزي: رأيتُ أبا عبد الله قد وهبَ لرجُلٍ قميصه، وقال: ربَّما واسى من قوته!). (٢).

يؤثر بجهاز ابنته غيرها

وهذا أنموذج من نماذج علو الهمة في النفقة في سبيل الله وفي الإيثار: فقد جاء إلى عبد الله بن طالب رجل يشكو إليه أنه لا يجد لابنته جهازاً يجهزها به لزواجها، وكان لابن طالب ابنة تخرج إليه من وقت إلى آخر تزوره، فقال لأُمها: أحب أن تزيني ابنتي وتلبسها ثيابها وحليها.

ففعلت، وأخرجتها إليه، فرحب بها واستبشر، ثم قال لها ولأُمها: إن فلاناً شكاً إلي كذا - يعني: شكاً إلي أنه لا يجد جهازاً لابنته التي ستتزوج - وأنا أحب أن أدفع له جميع ما على ابنتي من حلي وثياب يجهز به ابنته، وعلي أن أعوض ابنتي منه بما هو أكثر، يعني: أدفع لهذا الرجل الآن كل ما تحمله ابنتي من الحلي والذهب، وألتزم بأن أعوضها بما هو أكثر من ذلك فيما بعد، فدفعها له. (٣)

١ - أخرجه الخطيب في ((تاريخ بغداد)) (١٦ / ٥٦٢).

٢ - ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١١ / ٢١٩).

٣ - علو لهمة لمحمد بن إسماعيل

الفصل الثالث: قصص عن الرحمة إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال (لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ، ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئاً) (١).

لا تقتلن امرأة ولا صبياً

عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال: "خرج رسول الله ﷺ في غزاة واستعمل خالد بن الوليد على مقدمته، فرأى امرأة مقتولة فقال: من قتل هذه؟ قالوا: قتلها خالد. فقال رسول الله ﷺ لرجل: الحق خالد بن الوليد فقل له: لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا عسيفاً والعسيف: الأجير التابع. (٢)

الحمد لله الذي أنقذه من النار

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال

^١ - أخرجه البخاري ١٣٩/٤ و ١٤٤/٩. و"مسلم" ١٨١/٥

^٢ - إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٦٣/٥)

له: أطع أبا القاسم عليه السلام ، فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار (١)

ما عندك يا ثمامة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال : (ما عندك يا ثمامة) . فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال، فسلب منه ما شئت. فترك حتى كان الغد، فقال: (ما عندك يا ثمامة). فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكرك فتركه حتى كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة فقال: عندي ما قلت لك فقال: (أطلقوا ثمامة).

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب دين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله، لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم (٢)

لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: (لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه) . فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: (أين علي). فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لك يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: (على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم) (٣) .

اللهم اهد أم أبي هريرة "

١ - أخرجه أحمد ١٧٥/٣ (١٢٨٢٣) و"البخاري" ١٣٥٦ و٥٦٥٧، وفي (الأدب المفرد) ٥٢٤.

٢ - أخرجه أحمد ٣٠٤/٢ (٨٠٢٤) و"البخاري" ١٢٥/١ (٤٦٢) و"مسلم" ١٥٨/٥.

٣ - أخرجه أحمد ٣٣٣/٥ (٢٣٢٠٩) و"البخاري" ٥٧/٤ (٢٩٤٢) و"مسلم" ١٢١/٧ (٦٣٠٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام وهي مشركة. فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره. فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي. قلت: يا رسول الله! إني كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام فتأبى علي. فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره. فادع الله أن يهدي أُمَّ أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ " اللهم اهد أُمَّ أبي هريرة " فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله ﷺ. فلما جئت فصرت إلى الباب. فإذا هو مجاف. فسمعت أُمِّي خشف قدمي. فقالت: مكانك! يا أبا هريرة! وسمعت خضخضة الماء.

قال فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها. ففتحت الباب. ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال قلت: يا رسول الله! أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أُمَّ أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً. قال قلت: يا رسول الله! ادع الله أن يحببني أنا وأُمِّي إلى عبادة المؤمنين، ويحببهم إلينا. قال فقال رسول الله ﷺ " اللهم! حبب عبيدك هذا -يعني أبا هريرة- وأمه إلى عبادك المؤمنين. وحبب إليهم المؤمنين " فما خلق مؤمن يسمع بي، ولا يراني، إلا أحبني (١)

اللهم اهد دوسا وأت بهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه، على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوسا عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، قال: (اللهم اهد دوسا وأت بهم) . (٢)

اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ،

يروى أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه فيقول: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لِلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ". فَالْتَفْتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حُرٌّ لَوْجِهَ اللَّهِ. فَقَالَ: "أَمَّا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلْفَحْتُكَ النَّارَ أَوْ لَمَسْتُكَ النَّارَ". (٣)

يا أنيس اذهب حيث أمرتك:

عن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب. وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ قال: فخرجتُ حتى أمرتُ على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قابض

١ - أخرجه أحمد ٣١٩/٢ (٨٢٤٢). و"البخاري" في الأدب المفرد (٣٤). و"مسلم" ١٦٥/٧.

٢ - أخرجه الحميدي (١٠٥٠) وأحمد ٢٤٣/٢ (٧٣١٣). و"البخاري" ٥٤/٤ (٢٩٣٧) وفي الأدب المفرد (٦١١)، و"مسلم" ١٨٠/٧.

٣ - أخرجه أحمد ١٢٠/٤ (١٧٢١٥) و(عبد بن حميد) ٢٣٩. و"البخاري" في "الأدب المفرد" ١٧١. و"مسلم" ٤٣١٩.

بقفاي من ورائي؛ فنظرت إليه، وهو يضحك فقال: "يَا أُتَيْسُ، اذْهَبْ حَيْثُ أَمَرْتُكَ". قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله.

قال أنس: والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين، ما علمتُ قال لشيء صنعت: لم فعلت كذا وكذا، ولا لشيء تركت: هلاً فعلت كذا وكذا" (١)

مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرَحَمُ

قَبَّلَ النبي ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قَبَّلْتُ منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: "مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرَحَمُ". (٢)

يطيل السجود رحمة بالصبي:

عن شداد بن الهاد قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء، وهو حامل حَسَنًا أو حُسينًا، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كَبَّرَ للصلاة، فصَلَّى فسجد بين ظهراي صلاته سجدة أطالها. قال أبي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراي صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يُوحى إليك. قال: "كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجَلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ". (٣)

كَيْفَ رَأَيْتَنِي أَنْقَذْتُكَ مِنَ الرَّجُلِ؟

اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ رضي الله عنها - ابنته- عَالِيًا، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاولَهَا لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ: أَلَا أَرَاكَ تَرْفَعِينَ صَوْتَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْجِرُهُ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغَضَّبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: "كَيْفَ رَأَيْتَنِي أَنْقَذْتُكَ مِنَ الرَّجُلِ؟"

قَالَ: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَهُمَا قَدْ اضْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا: "أَدْخَلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "قَدْ فَعَلْنَا قَدْ فَعَلْنَا". (٤)

اذهب فأطعمه أهلك:

١ - أبو داود (٤٧٧٣)، وقال الألباني (٩٠٧ / ٣): حسن.

٢ - أخرجه عبد الرزاق (٢٠٥٨٩) و"أحمد" (٧١٢١) ٢٢٨/٢. و"البخاري" ٥٩٩٧، وفي "الأدب المفرد" ٩١. و"مسلم" ٦٠٩٧.

٣ - أخرجه أحمد ٤٩٣/٣ (١٦١٢٩) و٤٦٧/٦ (٢٨١٩٩) و"النسائي" ٢٢٩/٢، وفي "الكبرى" ٧٣١.

٤ - أبو داود (٤٩٩٩) واللفظ له، وقال الهيثمي (١٢٧ / ٩): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ورواه الطبراني بإسناد ضعيف.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: هلكت! فقال: "وَمَا ذَاكَ؟" قال: وقعت بأهلي في رمضان. قال: "تَجِدُ رَقَبَةً؟" قال: لا. قال: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟" قال: لا. قال: "فَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟" قال: لا. قال (أي الراوي): فجاء رجل من الأنصار بعرق -والعرق: المكتل- فيه تمر، فقال: "اذهَبْ بِهِذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ". قال: أعلى أحوج منا يا رسول الله؟! والذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت أحوج منا. ثم قال: "اذهَبْ، فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ". (١)

إن منكم منفرين:

عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني -والله- لأتأخر عن صلاة الغداة؛ من أجل فلان مما يطيل بنا فيها. قال: فما رأيت النبي ﷺ قط أشد غضبًا في موعظة منه يومئذٍ، ثم قال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ" (٢)

فإن الله قد غفر لك

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في المسجد ونحن قعود معه إذ جاء رجل، فقال: يا رسول الله، إني أصبت حدًا، فأقمه عليّ. فسكت عنه رسول الله ﷺ، ثم أعاد فقال: يا رسول الله، إني أصبت حدًا فأقمه عليّ. فسكت عنه، وأقيمت الصلاة، فلما انصرف نبي الله ﷺ قال أبو أمامة: فاتبع الرجل رسول الله ﷺ حين انصرف، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر ما يرد على الرجل، فلحق الرجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أصبت حدًا فأقمه عليّ. قال أبو أمامة: فقال له رسول الله ﷺ: "أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ" قال: بلى يا رسول الله. قال: "ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا". فقال: نعم يا رسول الله. قال: فقال له رسول الله ﷺ: "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ -أو قال- ذَنْبَكَ" (٣)

في كل كبد رطوبة أجر

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال

١ - أخرجه مالك "الموطأ" ١٩٨ . وعبد الرزاق (٧٤٥٧) و"الحميدي" ١٠٠٨ و"أحمد" ٢٠٨/٢ (٦٩٤٤) و"البخاري". و"مسلم" ٢٥٦٤

٢ - أخرجه ، وأحمد (١١٨/٤) ، رقم (١٧١٠٦) ، والبخاري (٢٤٩/١) ، رقم (٦٧٢) ، و"مسلم" (٣٤٠/١) .

٣ - أخرجه أحمد (٢٢٥١٦) و"مسلم" (١٠٣/٥) (٧١٠٧) . و"أبو داود" (٤٣٨١) و"النسائي" في "الكبرى" ٧٢٧٢

الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منى. فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له». قالوا يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجرا فقال «في كل كبد رطبة أجر». (١)

الرحمة بالحيوان

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته إياه فغفر لها به». (٢)

رحمة أبي بكر رضي الله عنه:

وتتجلى رحمة أبي بكر في مواقف عديدة؛ فقد كان رضي الله عنه رقيقاً رحيماً، ومن أبرز تلك المواقف موقفه من أسرى المشركين يوم بدر حين سأله رسول الله ﷺ ماذا يصنع معهم.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ((فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العجم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار؛ فعسى الله أن يهديهم للإسلام)). (٣)

ومن رحمته رضي الله عنه سعيه في عتق رقاب أصحابه الضعفاء، وإنقاذهم من تعذيب صناديد قريش وتسلطهم عليهم. عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلدًا يمنعونك ويقومون دونك. فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد. لما نزلت هذه الآيات فيه {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} [الليل: ٦] إلى قوله عز وجل: {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [الليل: ١٩]. (٤)

رحمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عرف بشدته وقوته، تُغيّر الرحمة من طباعه، فيصبح رقيقاً يمتلي قلبه رحمة، ويُفيض فؤاده شفقة، ومما يدل على ذلك

١ - أخرجه مالك في "الموطأ" ٢٦٨٨ و"أحمد" ٣٧٥/٢ (٨٨٦١). و"البخاري" ١٧٣. و"مسلم" ٥٩٢١

٢ - أخرجه أحمد ٥٠٧/٢ (١٠٥٩١). و"البخاري" ٣٤٦٧. و"مسلم" ٥٩٢٢

٣ - أخرجه مسلم (١٧٦٣).

٤ - أخرجه الحاكم (٣٩٤٢) واللفظ له. صححه الحاكم على شرط مسلم. وأخرجه أحمد في ((فضائل أحمد)) (٦٦)، وابن أبي الدنيا في ((مكارم الأخلاق)) (٤١٥)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٦٩/٣٠) من طريق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله.

قوله لعبد الرحمن بن عوفٍ حينما أتاه يَكْلُمُهُ في أن يُلِين؛ لَأَنَّهُ أَخَافَ النَّاسَ حَتَّى خَافَ الْأَبْكَارُ فِي خُدُورِهِنَّ، فَقَالَ: (إِنِّي لَا أَجِدُ لَهُمْ إِلَّا ذَلِكَ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ عِنْدِي مِنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ لَأَخَذُوا ثَوْبِي عَنْ عَاتِقِي). (١).

- وَرَأَى عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ يَوْمًا يُقْبَلُ أَحَدَ أَبْنَائِهِ، وَقَدْ وَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ وَهُوَ يَحْنُو عَلَيْهِ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ: (أَتَقْبَلُ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟! لَوْ كُنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قَبَّلْتُ لِي وَلَدًا، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَلَّهِ؟ أَلَلَّهِ؟ حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا أَصْنَعُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ). (٢).

- وَاشْتَهَى الْحَوْتَ يَوْمًا، فَقَالَ: لَقَدْ خَطَرَ عَلَى قَلْبِي شَهْوَةُ الطَّرِيٍّ مِنْ حَيْتَانِ، فَخَرَجَ يَرْفَأُ فِي طَلَبِ الْحَوْتِ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَرَحَلَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ لَيْلَتَيْنِ مُدْبِرًا، وَلَيْلَتَيْنِ مُقْبِلًا، وَاشْتَرَى مَكْتَلًا، وَجَاءَ بِالْحَوْتِ، ثُمَّ غَسَلَ يَرْفَأُ الدَّابَّةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا عُمَرُ فَرَأَى عَرَقًا تَحْتَ أُذُنِهَا، فَقَالَ: عَذَّبَتْ بِهِيمَةً مِنَ الْبَهَائِمِ فِي شَهْوَةِ عُمَرَ! لَا وَاللَّهِ لَا يَذُوقُهُ عُمَرُ، عَلَيْكَ بِمَكْتَلِكَ. (٣).

(وَمَرَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَاهِبٍ فَوْقَ، وَنُودِيَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَاطَّلَعَ فَإِذَا إِنْسَانٌ بِهِ مِنَ الضُّرِّ وَالْاجْتِهَادِ وَتَرِكَ الدُّنْيَا، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ بَكَى! فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ نَصْرَانِيٌّ، فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ عَلِمْتُ، وَلَكِنِّي رَحِمْتُهُ، ذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية: ٣- ٤] رَحِمْتُ نَصَبَهُ وَاجْتِهَادَهُ وَهُوَ فِي النَّارِ). (٤).

رحمةُ أبي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- وَهَذَا أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ رَحِمَتِهِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَفْنَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ غُدُوَّةً، وَجَفْنَةٌ عَشِيَّةً، لِلْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ (٥).

رحمةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ:

(كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى حَيَّانَ بِمِصْرَ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ بِمِصْرَ إِبِلًا نَقْلَاتٍ، يُحْمَلُ عَلَى الْبَعِيرِ مِنْهَا أَلْفُ رِطْلٍ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَلَا أَعْرِفَنَّ أَنَّهُ

^١ -رواه أبو بكر الدَّيْنَوْرِيُّ فِي ((الْمَجَالِسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ)) (١١٩٩)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي ((تَارِيخِ دِمَشْقَ)) (٢٧٠/٤٤).

^٢ -رواه عبد الرزاق (٢٠٥٩٠).

^٣ -رواه عبد الرزاق (٢٠٥٩٠).

^٤ -رواه عبد الله بن أحمد فِي ((زَوَائِدُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ)) (٤٤٣) وَالْفَلْظُ لَهُ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي ((تَارِيخِ دِمَشْقَ)) (٣٠١/٤٤).

^٥ -رواه ابنُ سَعْدٍ فِي ((الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى)) (٥٥٦٩)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي ((تَارِيخِ دِمَشْقَ)) (٩٩/٦٢).

يُحْمَلُ عَلَى الْبَعِيرِ أَكْثَرُ مِنْ سِتِّمِائَةِ رِطْلٍ، وَكُتِبَ إِلَى صَاحِبِ السَّكِّ أَنْ لَا يَحْمِلُوا أَحَدًا بِلِجَامٍ ثَقِيلٍ مِنْ هَذِهِ الرِّسْتَنِيَّةِ، وَلَا يُنْخَسَ بِمَقْرَعَةٍ فِي أَسْفَلِهَا حَدِيدَةٌ). (١)

رحمةُ بِشْرِ الحَافِي:

دَخَلُوا عَلَى بِشْرِ الحَافِي فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ، وَقَدْ تَجَرَّدَ وَهُوَ يَنْتَفِضُ، فَقَالُوا: مَا هَذَا يَا أَبَا نَصْرٍ؟ فَقَالَ: ذَكُرْتُ الْفُقَرَاءَ وَبَرَدَهُمْ وَلَيْسَ لِي مَا أُوَاسِيهِمْ بِهِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُوَاسِيَهُمْ فِي بَرَدِهِمْ. (٢).

رحمةُ شُعْبَةَ:

وَعَنْ مُسْلِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: (كَانَ شُعْبَةُ إِذَا قَامَ فِي مَجْلِسِهِ سَائِلٌ لَا يَحْدُثُ حَتَّى يُعْطَى، فَقَامَ يَوْمًا سَائِلٌ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُ؟ قَالُوا: ضَمِنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ أَنْ يُعْطِيَهُ دِرْهَمًا). (٣).

الفصل الرابع: قصص عن الحلم جذبه أعرابي فأمر له بعتاء!

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِي فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُزِلِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ﷺ فَضَحَكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بَعْتَاءَ (٤).

إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: ((لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعُقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِيَالِيلَ ابْنِ عَبْدِكَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ [١]، فَقَالَ

^١ - (سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه) لأبي محمد المصري (ص: ١٤١).

^٢ - (الفوائد) لابن القيم (ص: ١٧١).

^٣ - أخرجه الخطيب في (تاريخ بغداد) (١٠ / ٣٦٠).

^٤ - البخاري-الفتح ١٠ (٦٠٨٨). ومسلم (١٠٥٧).

النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)). (١)

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ((كنا في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فسمعه الله رسوله ﷺ قال: ما هذا؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فقال النبي ﷺ: دعوها؛ فإنها منتنة، قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد، فقال عبد الله بن أبي: أوقد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأدل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق! قال النبي ﷺ: دعه؛ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)). (٢)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، قال: فانطلق إليه، وركب حماراً، وانطلق المسلمون وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نثن حمارك، قال: فقال رجل من الأنصار: والله، لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه، قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال، قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما [الحجرات: ٩])). (٣)

يرحم الله موسى

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَسَمَ رسول الله ﷺ قَسَمًا، فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: ((يرحم الله موسى، قد أودى بأكثر من هذا فصبر)). (٤)

اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربته قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: ((اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون)). (٥)

حلم معاوية رضي الله عنه:

١ - أخرجه البخاري (٣٢٣١) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٥).

٢ - أخرجه البخاري (٤٩٠٧) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٤).

٣ - أخرجه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩) واللفظ له.

٤ - «مسند أحمد» (١٩ / ٧ ط الرسالة) «وأخرجه الطيالسي (٢٥٨)، والبخاري (٦٠٤٤)، والنسائي في «المجتبى» ١٢٢ / ٧»

٥ - أخرجه البخاري (٦٩٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٢).

عن قبيصة بن جابر قال: (صحبْتُ مُعاويةَ بنَ أبي سُفيانَ، فما رأيتُ رجلاً أثقلَ حِلْماً، ولا أبطأَ جَهلاً، ولا أبعدَ أناةً منه). (١)

وكان الرَّجلُ يقولُ لمُعاويةَ رضي اللهُ عنه: واللهِ لَتَسْتَقِيمَنَّ بنا يا مُعاويةُ أو لَنُقَوِّمَنَّكَ، فيقولُ: بماذا؟

فيقولونَ: بالخَشَبِ، فيقولُ: إذا اسْتَقِيمَ . (٢)

وأسمعه رجُلٌ كلامًا شديدًا، ف قيل له: لو عاقبته، فقال: (إنِّي أَسْتَحِي أن يَضِيقَ حِلْمِي عن ذَنْبِ أَحَدٍ مِن رَعِيَّتِي). (٣)

حِلْمُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي اللهُ عنه:

قال رجلٌ لعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي اللهُ عنه: واللهِ لَأَتَفَرَّغَنَّ لَكَ، قال: هنالك وقعتُ في الشُّغْلِ.

قال: كأنَّكَ تُهَدِّدُنِي، واللهِ لئن قلتَ لي كلمةً لأقولَنَّ لَكَ عَشْرًا، فقال عَمْرُو: وأنتَ واللهِ لئن قلتَ لي عَشْرًا لم أَقلْ لَكَ واحدةً. (٤)

حِلْمُ أَبِي الدرداءِ رضي اللهُ عنه:

وأسمع رجُلًا أبا الدرداءِ رضي اللهُ عنه كلامًا، فقال: "يا هذا، لا تَغْرَقَنَّ في سَبِّنا، ودع للصُّلحِ موضعًا؛ فإنَّا لا نكافئُ مَنْ عصى اللهَ فينا بأكثرَ من أن نطيعَ اللهَ فيه". (٥)

حِلْمُ أَبِي ذَرٍّ رضي اللهُ عنه:

قال أبو ذرٍّ رضي اللهُ عنه لغلَامِهِ: "لِمَ أرسلتَ الشاةَ على عَلفِ الفَرَسِ؟"، قال: أردتُ أن أَغِيظَكَ، قال: "لأَجْمَعَنَّ مع الغِيظِ أَجْرًا؛ أنتَ حرٌّ لوجهِ اللهِ تعالى"؛ (٦)

حِلْمُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما:

سَبَّ رجلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما فلما فرغَ قال: "يا عكرمة، هل للرجل حاجةٌ فنقضُيها؟ فَتَنَكَّسَ الرجلُ رَأْسَهُ واستَحَى"؛ (٧)

حِلْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه:

^١ - ((المعرفة والتاريخ)) للفسوي (١/ ٤٥٨).

^٢ - رواه ابن عساکر في ((تاريخ دمشق)) (١٨٤/٥٩).

^٣ - رواه ابن أبي الدنيا في ((حلم معاوية)) (١٤)، وابن عساکر في ((تاريخ دمشق)) (١٧٩/٥٩).

^٤ - ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢٧٥/٢).

^٥ - ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (١٧٨/٣).

^٦ - ((البيان والتبيين)) (١/ ٤٠٦)، والمستطرف: (٢٠١).

^٧ - ((المستطرف: ٢٠١)).

سبَّ رجلٌ أبا هريرة، فلمَّا انتهى قال له أبو هريرة رضي الله عنه: "انتهيت، قال الرجل: نعم، وإن أردت أن أزيدك زدتك، فقال أبو هريرة: يا جارية، ائني...، فسكن الرجل، وقال في نفسه: بماذا سيأمرها؟

فقال: أبو هريرة ائني بوضوء، فتوضأ أبو هريرة وتوجَّه إلى القبلة، فقال: اللهم إنَّ عبدك هذا سبَّنِي، وقال عني ما لم أعلمه من نفسي، اللهم إن كان عبدك هذا صادقًا فيما قال عني، اللهم فاغفر لي، اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا فيما قال عني، اللهم فاغفر له، فانكبَّ الرجل على رأس أبي هريرة رضي الله عنه يُقَبِّلُها". (١)

ما الحيلةُ عندكم حتَّى أنبلَ

عن عبد الله بن البواب قال: (كان المأمونُ يحلُمُ حتَّى يغيظنا في بعض الأوقات، جالسٌ يستاكُ على دجلةٍ من بغدادٍ من وراءِ سُترةٍ ونحن قيامٌ بين يديه، فمرَّ ملاحٌ وهو يقولُ بأعلى صوته: أَتَظُنُّونَ أنَّ هذا المأمونُ ينبلُ في عيني وقد قتل أخاه؟! قال: فوالله ما زاد على أن تبسم).

وقال لنا: ما الحيلةُ عندكم حتَّى أنبلَ في عيني هذا الرجلُ الجليلُ؟ (٢)

حلم عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

أسمَعَ رجلٌ عمرَ بن عبد العزيز كلامًا يكرهه، فقال عمر: "أردت أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان، فأنا منك اليوم ما تناله مني غدًا (يوم القيامة) انصرف رحمك الله". (٣)

حلم زين العابدين بن علي بن الحسين - رضي الله عنهم -

وخرج زين العابدين بن علي بن الحسين - رضي الله عنهم - إلى المسجد فسبه رجلٌ في الطريق، فقصده غلمان زين العابدين ليضربوه ويؤدبوه فنهاهم، وقال لهم: كفوا أيديكم عنه، ثم التفت إلى ذلك الرجل وقال: يا هذا أنا أكثر مما تقول، وما لا تعرفه عني أكثر مما عرفت، فإن كان لك حاجة في ذكره - يعني ذكر معايبي - ذكرته لك، فخجل الرجل واستحيا، فخلع زين العابدين قميصه له، وأمر له بألف درهم، فانصرف الرجل وهو يقول: أشهد أن هذا ولد رسول الله - ﷺ - (٤).

﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ﴾

وها هو زين العابدين علي بن الحسين رحمهما الله:

١ -

٢ - أخرجه الخطيب في ((تاريخ بغداد)) (١١ / ٤٣٨).

٣ - يُنظر: ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢٧٩/٢)، ((المشيخة)) لابن الأبنوسي (١ / ٢٠٩) رقم (١١٢)، ((المسالك)) لابن العربي (٧ / ٢٦٠)،

((تاريخ دمشق)) لابن عساكر (٤٥ / ٢٠٦).

٤ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك لأبي حامد الغزالي (٧/١).

يُذَكِّرُ أَنَّ جارية له جعلت تسكب عليه الماء، فتهياً للصلاة فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجّه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله عز وجل يقول: ﴿فَقَالَ لَهَا: قَدْ كَظَمْتُ غِيظِي، قَالَتْ: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، فَقَالَ لَهَا: قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، قَالَتْ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قال: اذهبي فأنتِ حرّة"؛^(١)

، ولقيه رجلٌ مرّة في الطريق فسبّه، فثارت إليه العبيد فقال: مهلاً، ثمّ أقبل على الرجل فقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها، فاستحيا الرجل، فألقى عليه خميصه كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنّك من أولاد الرسول. (٢)

أمجنون أنت؟

ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة، فمر برجل نائم، فعثر به، فرفع رأسه وقال: أمجنون أنت؟

فقال عمر: لا، فهمّ به الحرس فقال عمر: مه، إنما سألتني: أمجنون؟ فقلت: لا، وقال رجل لوهب بن منبه: إن فلاناً شتمك، فقال: ما وجد الشيطان بريداً غيرك^(٣).

وهذا الإمام الشافعي - رحمه الله - يتمثل حال الحلماء فيقول:

إذا سبني نذل تزايدت رفعة وما العيب إلا أن أكون مساببه
ولو لم تكن نفسي علي عزيزة لمكنتها من كل نذل تحاربه

حلم صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله -

- قال ابن الأثير في تاريخه وهو يتحدث عن صلاح الدين الأيوبي: "وكان رحمه الله كريماً، حليماً، حسن الأخلاق، متواضعاً، صبوراً على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك، ولا يتغير عليه، وبلغني أنه كان يوماً جالساً وعنده جماعة، فرمى بعض المماليك بعضاً بسرموز - أي بحذاء - فأخطأته ووصلت إلى صلاح الدين فأخطأته ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه ليتغافل عنها"^(٤).

حلم عبد الله بن المبارك رحمه الله:

^١ - (البيهقي في "الشعب": ٨٣١٧)

^٢ - «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٨٤)

^٣ - مختصر منهاج القاصدين (٤٥/٣).

^٤ - الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢١٤/٥).

يقول نوح بن حبيب: "كنتُ عند ابن المبارك فألحُّوا عليه، فقال: هاتوا كتبكم حتى أقرأ، فجعلوا يرمون إليه الكتب من قريبٍ ومن بعيد، وكان رجلٌ من أهل الريّ يسمع كتاب الاستئذان، فرمى بكتابه فأصاب صلعة ابن المبارك حرفُ كتابه، فانشقَّ وسال الدَّم، فجعل ابن المبارك يعالج الدَّم حتى سكن، ثمَّ قال: سبحان الله! كاد أن يكون قتال، ثمَّ بدأ بكتاب الرجل فقرأه"؛^(١).

حلم إبراهيم بن أدهم رحمه الله:

خرج يوماً يمشي فمرَّ على رجلٍ من اليهود وكان معه كلب، فأراد الرجل أن يُغضب إبراهيم، فقال الرجل لإبراهيم: يا إبراهيم، لحيتك هذه أطهر من ذنب كلبك أم ذنب كلبك أطهر من لحيتك؟

فإذا إبراهيم يقول: إن كنتُ من أهل الجنة فإنَّ لحيتي أطهر من كلبك، وإن كنتُ من أهل النار فذنب كلبك أفضل من لحيتي.

فقال الرجل: هذه أخلاق النبوة، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
(٢)

من يمنعك مني؟

يروى جابر بن عبد الله، يقول: قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ خَصْفَةَ^(٣) بَنَخْل، فَرَأَوْا مِنْ الْمُسْلِمِينَ غَرَّةً؛ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: "اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ".

فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟" قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ.

قَالَ: "أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟"

قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونُ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ. فَخَلَّى سَبِيلَهُ. قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ"^(٤)

دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه:

يقول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: "... ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا الصُّلْحَ حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ وَاصْطَلَحْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ تَبِيعًا لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَسْقِي

^١ - (رواه البيهقي في الشعب: ٨٣٢٠).

^٢ - (رواه البيهقي في الشعب: ٨٣٢٠).

^٣ - محارب خصفه بن قيس بن غيلان من بطون عدنان.

^٤ - أخرجه أحمد ٣/٣٦٤ (١٤٩٩١). و"عبد بن حميد" ١٠٩٦. والبخاري (٤١٣٦)

فَرَسَهُ وَأَحْسَهُ وَأَخْدِمَهُ وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

قَالَ: فَلَمَّا اضْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَخْتُ شَوْكَهَا فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا. قَالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَبْغَضْتُهُمْ، فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى وَعَلَقُوا سِلَاحَهُمْ وَاضْطَجَعُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ! قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ.

قَالَ: فَاخْتَرْتُ سَيْفِي ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ، فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ فَجَعَلْتُهُ ضِعْفًا (١) فِي يَدِي. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا صَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ.

قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسُوقَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ (٢) بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ (٣) يُقَالُ لَهُ: مَكْرَرٌ يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ (٤) فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثَنَاهُ" (٥). "فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ". (٦)

أعطوه سنا مثل سنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا"، ثُمَّ قَالَ: "أَعْطُوهُ سِنًا مِثْلَ سِنِّهِ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أُمْتَلَّ مِنْ سِنِّهِ. فَقَالَ: "أَعْطُوهُ؛ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً" (٧)

لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما:

قال زيد بن سعة -وكان من أحبار اليهود قبل أن يسلم-: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت ألتطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله.

^١ - الضَّغْتُ: أي حُرْمَةُ. انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٩٢/٣.

^٢ - هو عامر بن سنان الأنصاري، عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، استشهد يوم خيبر، وهو الذي جعل يرتجز حين خرج يومها ويقول: بالله لولا الله ما اهتدينا... ولا تصدقنا ولا صلينا. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة ١٩/٢، وابن حجر: الإصابة، الترجمة (٤٣٩١).

^٣ - الْعَبَلَات: مِنْ قُرَيْشٍ، وَهِيَ أُمِّيَّة الصُّغْرَى، وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِمْ (عَبَلِي)؛ لِأَنَّ اسْمَ أُمِّهِمْ عَبْلَةُ. انظر: شرح النووي على مسلم ٢٦٧/٦.

^٤ - أَي عَلَيْهِ تَجَفَّافٌ بِكسر التاء، وهو ثوب يلبسه الفرس ليقويه من السَّالَاح. انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

^٥ - الْبَدْءُ: أي ابتداءه، وثناه: أي عودته ثانية.

^٦ - مسلم (١٨٠٧).

^٧ - البخاري-الفتح ٤ (٢٣٠٦) واللفظ له. ومسلم (١٦٠١).

قال: فخرج رسول الله ﷺ من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب، فأثاه رجل على راحلته كالبدوي، فقال: يا رسول الله، قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت أخبرتهم أنهم إن أسلموا آتاهم الرزق رغداً، وقد أصابهم شدة وقحط من الغيث، وأنا أخشى -يا رسول الله- أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن تُرسل إليهم من يُغيثهم به فعلت. قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى رجل جانبه -أراه عمر- فقال: ما بقي منه شيء يا رسول الله.

قال زيد بن سعة: فدنوت إليه، فقلت له: يا محمد، هل لك أن تبيعني تمرًا معلومًا من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا؟ فقال: "لَا يَا يَهُودِيَّ، وَلَكِنْ أَبِيعَكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا، وَلَا أُسَمِّي حَائِطَ بَنِي فَلَانٍ". قلت: نعم. فبايعني ﷺ، فأطلقت همياني^(١)، فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، قال: فأعطاها الرجل وقال: "اغْجَلْ عَلَيْهِمْ وَأَغْثُهُمْ بِهَا".

قال زيد بن سعة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة، خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، ونفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة دنا من جدار فجلس إليه، فأخذت بمجامع قميصه، ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا تقضييني يا محمد حقي؟

فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب بمَظِلٍّ، ولقد كان لي بمخالطتكم علم!!

قال: ونظرتُ إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره وقال: أيّ عدو الله! أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل به ما أرى؟! فوالذي بعثه بالحق، لولا ما أحاذر قوته لضربت بسيفي هذا عنقك. ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، ثم قال: "إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ، أَذْهَبَ بِهِ يَا عُمَرُ فَأَقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدَهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُغِّتُهُ".

قال زيد: فذهب بي عمر فقضاني حقي، وزادني عشرين صاعاً من تمر. فقلت: ما هذه الزيادة؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رُغِّتَكَ. فقلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا، فمن أنت؟ قلت: أنا زيد بن سعة. قال: الحَبْر؟ قلت: نعم، الحبر. قال: فما دعاك أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت، وتفعل به ما فعلت؟

فقلت: يا عمر، كل علامات النبوة قد عرفتُها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أختبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فقد اختبرتهما، فأشهدك -يا عمر- أني قد رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وأشهدك أن شطر مالي -فإنني أكثرها مالاً- صدقة على أمة محمد ﷺ.

^١ - الهميان: كيس للنفقة يشد في الوسط. انظر: المعجم الوسيط ١/٩٩٦.

فقال عمر: أو على بعضهم؛ فإنك لا تسعهم كلهم. قلت: أو على بعضهم. فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ " (١).

تُسَوِّدُ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ

كان سَلَمُ بن نوفل سيّد بني كنانة قد ضربه رجلٌ من قومه بسيفه، فأخَذَ، فَأَتَى به إليه فقال له: ما الذي فعلت، أما خشيت انتقامي؟ قال: لا. قال: فَلِمَ؟ قال: ما سَوَّدَنَاكَ إِلَّا أَنْ تَكْظُمَ الْغَيْظَ وَتَعْفُوَ عَنِ الْجَانِي، وَتَحْلُمَ عَلَى الْجَاهِلِ، وَتَحْتَمِلَ الْمَكْرُوهَ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ. فَخَلَّى سَبِيلَهُ. فقال قائلهم: تُسَوِّدُ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ. (٢)

تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ

- قال الأحنف بن قيس: تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ، إِنْ لِي لَجَالِسٌ مَعَهُ فِي فَنَاءِ بَيْتِهِ وَهُوَ يَحْدُثُنَا إِذْ جَاءَتْ جَمَاعَةٌ يَحْمِلُونَ قَتِيلًا، وَمَعَهُمْ رَجُلٌ مَأْسُورٌ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا ابْنُكَ قَتَلَهُ أَخُوكَ. فَوَاللَّهِ مَا قَطَعَ حَدِيثُهُ، وَلَا حَلَّ حَبْوَتِهِ (٣) حَتَّى فَرَّغَ مِنْ مَنْطِقَتِهِ (٤)

يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَلَا أَنْتَصِرَ لَكَ؟

رُويَ أَنَّ رَجُلًا أَسْرَعَ فِي شَتْمِ بَعْضِ الْأَدْبَاءِ وَهُوَ سَاكِتٌ، فَحَمَى لَهُ بَعْضُ الْمَارِّينَ فِي الطَّرِيقِ، وَقَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَلَا أَنْتَصِرَ لَكَ؟ قَالَ: لا. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنِّي وَجَدْتُ الْحِلْمَ أَنْصَرَ لِي مِنَ الرِّجَالِ، وَهَلْ حَامَيْتَ (٥) لِي إِلَّا لِحِلْمِي؟

وَاللَّهُ لَا أَنْبَحَ ضَيْفِ أَهْلِ اللَّيْلَةِ

- وقال عبد الله بن عمر: إِنْ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اسْتِضَافَ قَوْمًا فَأَضَافُوهُ، وَلَهُمْ كَلْبَةٌ تَنْبَحُ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَنْبَحَ ضَيْفِ أَهْلِ اللَّيْلَةِ. فَعَوَى جَرَاؤُهَا فِي بَطْنِهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيًّا لَهُمْ أَوْ قَتِيلًا (٦) مِنْ أَقْيَالِهِمْ، فَقَالَ: مَثَلُ هَذَا مَثَلُ أُمَّةٍ تَكُونُ بَعْدَكُمْ، تَظْهَرُ سَفَهَاؤُهَا عَلَى حُلَمَائِهَا (٧).

قَدِيمًا شَتَمَ اللَّئَامَ الْكَرَامَ فَأَبْغَضُوهُمْ

^١ - ابن حبان (٢٨٨)، والحاكم (٦٥٤٧)، والبيهقي (١١٠٦٦)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

^٢ - غرر الخصائص الواضحة (ص: ٢٠٧)

^٣ - الحيوة والحيوة: الثوب الذي يُحْتَبَى به، والاحتباء: أَنْ يَضُمَّ الْإِنْسَانُ رِجْلَيْهِ إِلَى بَطْنِهِ بَثُوبٍ يَجْمَعُهُمَا بِهِ مَعَ ظَهْرِهِ وَيَشُدُّهُ عَلَيْهَا. انظر: ابن منظور: اللسان ١٤/١٦٠.

^٤ - أبو بكر الطرشوشي: سراج الملوك، الباب الثامن والعشرون: الحلم.

^٥ - حاميت: أي غضبت. انظر: ابن منظور: اللسان ١٤/١٩٧.

^٦ - القَتِيل: الْمَلِكُ، وَجَمْعُهُ أَقْيَالٌ وَقُيُولٌ. انظر: ابن منظور: اللسان ١١/٥٧٢.

^٧ - [أبو بكر الطرشوشي: سراج الملوك، باب الحلم.

مَرَّ عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بناس من بني جمح، فنالوا منه، فبلغه ذلك، فمَرَّ بهم وهم جلوس، فقال: يا بني جمح، قد بلغني شتمكم إِيَّاي، وانتهاكم ما حَرَّمَ الله، وقديماً شتم اللئام الكرام فأبغضوهم، وأيم الله ما يمنعني منكم إلاَّ شِعْرُ عرض لي، فذلك الذي حزنني عنكم. فقال رجل منهم: وما الشعر الذي نهاكم عن شتمنا؟ فقال(١):

فوالله ما عطفاً عليكم تركتكم ولكنني أكرمت نفسي عن الجهل
 نأوت بها عنكم وقلت لعاذلي على الحلم دعني قد تداركني عقلي
 وجللني شيب القذال(٢) ومن يشب يكن قِمْنًا من أن يضيق عن العذل
 وقلت لعلَّ القوم أخطأ رأيهم فقالوا وخالوا الوعث كالمنهج السهل
 فمهلاً أريحوا الحلم بيني وبينكم بني جمح لا تشربوا أكدر الضُّحْل(٣) .
 يا معشر طيِّبٍ مَنْ سَيِّدكم

عن شيخ من طيِّبٍ، قال: قال معاوية: يا معشر طيِّبٍ مَنْ سَيِّدكم؟ قالوا: خريم بن أوس: من احتمل شتمنا، وأعطى سائلنا، وحلم عن جاهلنا، واغتفر، فضلَّ ضربنا إِيَّاه بعضيَّنَا(٤)

ما الحيلة عندكم حتى أنبل

قال عبد الله بن البَوَّاب: كان المأمون يحلم حتى يغيظنا في بعض الأوقات، جلس يستاك على دجلة من وراء ستر، ونحن قيام بين يديه، فمَرَّ مَلَّاحٌ وهو يقول: أَتُظَنُّونَ أَنَّ هذا المأمون ينبل في عيني وقد قَتَلَ أخاه.
 قال: فوالله ما زاد على أن تبسَّم، وقال لنا: ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل(٥) .

اذهي فأنت حُرَّة

جاءت جاريةً لمنصور بن مِهْران بِمَرْقَةٍ فَهَرَّاقَتْهَا عليه، فلَمَّا أَحَسَّ بِحَرِّهَا نظر إليها، فقالت: يا معلم الخير، اذكر قول الله. قال: وما هو؟ قالت: {وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ}. قال: كظمت. قالت: واذكر {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}. قال: قد عفوت. قالت: واذكر {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤]. قال: اذهبي فأنت حُرَّة (٦) .

١ - الأبيات من الطويل.

٢ - القذال: جماع مؤخر الرأس وأول العنق.

٣ - ابن أبي الدنيا: الحلم ص ٤٤.

٤ - ابن أبي الدنيا: الحلم ص ٤٠.

٥ - ابن الجوزي: أخبار الظراف والمتماجنين ص ٨٨، ٨٩.

٦ - أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ٢٦١/١.

حلم ابن عُثيمين:

كان ابنُ عُثيمينَ يمشي مرَّةً في طريقِ العودةِ مِنَ المسجدِ وَطَلَّابُهُ يقرؤونَ عليه، فجاءَ أعرابيٌّ مِنَ الخَلْفِ ودَفَعَ الطَّالِبِينَ عن يمينِ ويسارِ الشَّيخِ، وأمسَكَ الشَّيخَ مِنْ كَتِفِهِ، وجَبَذَهُ بِقُوَّةٍ، فاستدارَ جسدُ الشَّيخِ لِقُوَّةِ الجَبَذَةِ، فقالَ بعضُ الطُّلَّابِ: الآنَ ينفجرُ الشَّيخُ، لكنَّ الشَّيخَ ابتَسَمَ في وَجهِه الأعرابيُّ، وسأله عن حاجتِهِ، فقالَ: هذه حاجتي مكتوبةٌ في هذه الورقةِ، أنتَ ما تتفرَّغُ لي؟ فاعتذرَ ابنُ عُثيمينَ عن قضاءِ حاجتِهِ الآنَ لانشغاله، فلم يقبلِ الأعرابيُّ العذرَ، وأصرَّ على أن تُقضى حاجتُهُ فوراً، فأجابَهُ لذلكَ ابنُ عُثيمينَ (١)

الفصل الخامس: في رياض الشاكرين

الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم

عن زهير بن محمد عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي ﷺ فانطلقا معه فلما طعم وغسل يده أو قال: قال الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافئ ولا مكفور ولا مستغني عنه الحمد لله الذي أطعم من الطعام وسقي من الشراب وكسى من العري وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً الحمد لله رب العالمين (٢)

فقال يا داود أتعجبك نفسك

عن أبيه عن صدقة بن يسار قال: بينا داود عليه السلام في محرابه إذ مرت به دودة فنظر إليها وفكر في خلقها وعجب منها وقال ما يعبأ الله بهذه قال فأنطقها الله فقامت يا داود أتعجبك نفسك فوالذي نفسي بيده لأنا على ما أتاني الله من فضله أشكر منك على ما أتاك الله من فضله (٣)

سبحانك وبحمدك منتهى علمك

عن أنس بن مالك قال: إن داود نبي الله ظن في نفسه أن أحدا لم يمدح خالقه أفضل مما مدحه وأن ملكا نزل وهو قاعد في المحراب والبركة إلى جانبه.

١ - ((الدعوة)) العدد (١٧٧٧).

٢ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ١٠)

٣ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ١٧)

فقال يا داود افهم إلى ما تصوته الضفدع فانصت فإذا الضفدع يمدحه بمدحة لم يمدحه بها داود .

فقال له: الملك كيف ترى يا داود أفهمت ما قالت قال نعم قال فماذا قالت قال سبحانك وبحمدك منتهى علمك يا رب قال داود والذي جعلني نبيه أني لم أمدحه بهذا (١)

علام تحمد الله

عن أبي عثمان عن سليمان: أن رجلا بسط له في الدنيا فانزع ما في يديه فجعل يحمد الله ويثني عليه حتى لم يكن له فراش إلا بوري فجعل يحمد الله ويثني عليه وبسط لآخر في الدنيا فقال لصاحبه البوري أرايتك أنت علام تحمد الله؟

قال أحمدته على ما لو أعطى به الخلق لم أعطهم إياه به قال وما ذاك قال أرايت بصرك أرايت لسانك أرايت يديك أرايت رجلك (٢)

أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم

عن سعيد بن عامر أو غيره من البصريين قال: جاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله فقال له يونس أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم قال الرجل لا قال فبيديك مائة ألف قال الرجل لا قال فبرجلك قال الرجل لا قال فذكره بنعم الله عليه وقال يونس أرى عندك مئين ألوف وأنت تشكو الحاجة (٣)

ما شكر العينين

عن بعض أصحابه قال: قال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: إن رأيت بهما خيرا أعلنته وإن رأيت بهما شرا سترته قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقا لله هو فيهما قال فما هو شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعاما وأعله علما،

قال: فما شكر الفرج؟ قال: كما قال الله عز وجل {إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} (٦) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ [المؤمنون: ٦، ٧] قال: فما شكر الرجلين؟

قال: إذا رأيت حيا غبطته استعملت بهما عمله وإن رأيت ميتا مقتته كففتها عن عمله وأنت شاكر لله فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل

^١ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ١٧)

^٢ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٣٦)

^٣ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٣٦)

رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر (١)

أحدثت له هذا التواضع

عن عبد الرحمن رجل من صنعاء قال : أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان وهو جالس على التراب قال جعفر وأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال فلما رأى ما في وجوهنا قال أني أبشركم بما يسرني أنه جاءني من نحو أرضكم عين لي فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيه وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كأي أنظر إليه كنت أرعى به لسيدي رجل من بني ضمرة أبله فقال له جعفر : مالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الإملاق؟ قال : أنا نجد فيما أنزل الله عز وجل على عيسى - عليه السلام - إن حقا على عباد الله أن يحدثوا لله تواضعا عندما يحدث لهم نعمة فلما أحدث الله لي نصر نبيه ﷺ أحدثت له هذا التواضع (٢)

هل قصدت إليه في أمر كربك فخذلك؟

عن عبد الله بن أبي نوح قال: قال لي رجل على بعض السواحل: كم عاملته تبارك اسمه بما يكره فعاملك بما تحب قلت ما أحصي ذلك كثرة قال فهل قصدت إليه في أمر كربك فخذلك؟

قلت: لا والله ولكنه أحسن إلي فأعاني قال: فهل سألته شيئا قط فأعطاك؟ قلت: وهل منعي شيئا سألته ما سألته شيئا قط إلا أعطاني ولا استعنت به إلا أعاني

قال: رأيت لو أن بن آدم فعل بك بعض هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك قلت ما كنت أقدر له على مكافأة ولا جزاء، قال: فربك أحق وأحرى أن بذلك نفسك له في أداء شكر نعمه عليك وهو المحسن قديما وحديثا إليك والله لشكره أيسر من مكافأة عبادته أنه تبارك وتعالى رضي بالحمد من العباد شكرا (٣)

عبادتك خمسين سنة تعدل سكون هذا العرق

عبد الله بن صفوان وهو بن بنت وهب قال: قال: وهب بن منبه: عبد الله عابد خمسين عاما وأوحى الله أني قد غفرت لك قال يا رب وما تغفر لي ولم أذنّب فأذن الله عز وجل لعرق في عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصل ثم سكن فنام فأتاه

١ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٤٤)

٢ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٤٥)

٣ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٤٨)

ملك فشكا إليه فقال ما لقيت من ضربان العرق فقال الملك إن ربك عز وجل يقول عبادتك خمسين سنة تعدل سكون هذا العرق (١)

-هذا من البدء إلى البقاء

عبد الله بن لوني قال: كنا بطريق مكة فأصابنا عطش شديد فاكترينا دليلا يخرج بنا إلى موضع ذكر لنا أن فيه ماء فبينما نحن نسير بنادر الماء بعد طلوع الفجر إذا بصوت نسمعه وهو يقول ألا تقولون قال يحيى فأجبتة وماذا نقول فقال: اللهم ما أصبح بنا من نعمة أو عافية أو كرامة في دين أو دنيا جرت علينا فيما مضى أو هي جارية علينا فيما بقى فهي منك وحدك لا شريك لك فلك الحمد عليها ولك المن ولك الفضل ولك الحمد عدد ما أنعمت علينا وعلى جميع خلقك من لدنك إلى منتهى علمك لا إله إلا أنت ثم قال هذا من البدء إلى البقاء (٢)

الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره

عن علي بن أبي طالب قال : أتى بختنصر بدانيال النبي عليه السلام فأمر به فحبس وضري أسدين فألقاهما في جب معه وطبق عليه وعلى الأسدین ثم حبسه خمسة أيام مع الأسدین ثم فتح غيبته بعد خمسة أيام فوجد دانيال قائما يصلي والأسدين في ناحية الجب لم يعرضا له فقال له بختنصر أخبرني ماذا قلت فدفعت عنك قال: قلت : "الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحمد لله الذي لا يخيب من رجاه الحمد لله الذي لا يكل من توكل عليه إلى غيره الحمد لله الذي هو يقينا حين تنقطع عنا الحيل الحمد لله الذي هو رجاؤنا يوم تسوء ظنوننا وأعمالنا الحمد لله الذي يكشف حزننا عن كربنا الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاه" (٣)

أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن

عن إبراهيم بن عبد الله المديني قيل للحسن: ههنا رجل لم نره قط جالسا إلى أحد ولا رأينا أحدا جالسا إليه إنما هو أبدا خلف سارية وحده قال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني به فمروا به ذات يوم ومعهم الحسن فأشاروا إليه فقالوا ذاك الرجل الذي أخبرناك به فقال امضوا حتى آتية فلما جاءه قال يا عبد الله أراك حببت إليك العزلة فما يمنعك من مخالطة الناس فقال ما أشغلي عن الناس قال فأت ذا الرجل الحسن لتجلس إليه قال ما أشغلي عن الحسن وعن الناس؟

قال له الحسن فما الذي يشغلك يرحمك الله عن ذلك قال إني أصبح وأمسي بين ذئب ونعمة فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار من الذنب وشكر الله

١ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٥١)

٢ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٥٥)

٣ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٦٠)

على النعمة فقال الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه (١)

أنا الداعي الذي أجبته فلك الحمد

عن عنبسة بن الأزهر قال كان محارب بن دثار قاضي أهل الكوفة قريب الجوار مني فربما سمعته في بعض الليل يقول ويرفع صوته: أنا الصغير الذي ربيته فلك الحمد وأنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد وأنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد وأنا الساغب الذي أشبعته فلك الحمد وأنا العاري الذي كسوته فلك الحمد وأنا المسافر الذي صاحبتة فلك الحمد وأنا الغائب الذي أدبته فلك الحمد وأنا الراجل الذي حملته فلك الحمد وأنا المريض الذي شفيته فلك الحمد وأنا الداعي الذي أجبته فلك الحمد ربنا ولك الحمد ربنا حمدا لك على كل نعمة (٢)

الفصل السادس: من رائع حفظ الأمانات

رد الأمانات إلى أهلها عند الهجرة:

عن عائشة -رضي الله عنها- في هجرة النبي ﷺ قالت: وأمر -تعني رسول الله -عليًا أن يتخلف عنه بمكة؛ حتى يؤدِّي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس. وكان رسول الله وليس بمكة أحدٌ عنده شيء يُخشى عليه إلا وضعه عنده؛ لما يُعلم من صدقه وأمانته... فخرج رسول الله ﷺ وأقام علي بن أبي طالب ثلاث ليالٍ وأيامها؛ حتى أدَّى عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق رسول الله ﷺ (٣)

رد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة:

عن ابن جريج قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨]، قال: نزلت في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، قبض منه النبي ﷺ مفتاح الكعبة، ودخل به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح (٤)

لا يأكل ثمرة ربما سقطت من الصدقة:

١ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٦٦)

٢ - الشكر لعبد الله القرشي (ص: ٦٨)

٣ - السيرة النبوية لابن هشام (٧٠ / ٢)

٤ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (١ / ٢٢٣)

عن أبي هريرة، عن محمد رسول الله ﷺ أنه قال: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي - أَوْ فِي بَيْتِي - فَأَرْفَعُهَا لَأَكَلْهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً - أَوْ مِنْ الصَّدَقَةِ - فَأُلْقِيهَا" (١).

السلام عليك أيها الأجير

دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان، فقال: السلام عليك أيها الأجير.

فقالوا: قُلِ السلام عليك أيها الأمير.

فقال: السلام عليك أيها الأجير.

فقالوا: قُلِ أيها الأمير.

فقال: السلام عليك أيها الأجير.

فقالوا: قُلِ الأمير.

فقال معاوية: دعوا أبا مسلم، فإنه أعلم بما يقول.

فقال: إنما أنت أجير استأجرك ربُّ هذه الغنم لرعايتها، فإن أنت هَنَأَتْ جرباها، ودأويت مرضاها، وحبست أولاها على أخراها، وفأك سيِّدُها أجرها، وإن أنت لم تهناً جرباها، ولم تدأو مرضاها، ولم تحبس أولاها على أخراها، عاقبك سيِّدُها (٢)

إني مكلمك بكلامٍ فاحتمله

قام أعرابيٌّ إلى سليمان بن عبد الملك، فقال له: يا أمير المؤمنين، إني مكلمك بكلامٍ فاحتمله إن كرهته، فإنَّ من ورائه ما تحبُّه إن قبلته.

قال: هات يا أعرابي.

قال: فإني سأطلق لساني بما خَرِسْتُ عنه الألسن من عظتك بحق الله، وحقِّ إمامتك، إنه قد اكتنفك رجالٌ أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهم حربُ الآخرة سِلْمُ الدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه؛ فإنهم لم يألو الأمانة إلاّ تضييعاً، والأمة إلاّ عسفاً، والقرى إلاّ خسفاً، وأنت مسئول عمّا اجترحوا، وليسوا مسئولين عمّا اجترحت، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك، فأعظم الناس غبنًا يوم القيامة مَنْ باع آخرته بدنياه غيره.

١ - خرجه عبد الرزاق (٦٩٤٤) . وأحمد ٣١٧/٢ (٨١٩١) . و"البخاري" ٢٤٣٢ . و"مسلم" ٢٤٤٤ .

٢ - المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين (١٨٨ / ٢)

فقال له سليمان: أمّا أنت يا أعرابي فقد نصحت، وأرجو أن الله يُعين على ما تقلّدنا^(١)

إن من أكبر همّي لديني

عن هشام بن عروة، عن عبد الله بن الزبير، قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني، فقممت إلى جنبه، فقال: يا بني، إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أُراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همّي لديني، أفترى يُبقي دَيْننا من مالنا شيئاً؟ فقال: يا بني، بع ما لنا فاقض ديني. وأوصى بالثلث وثلثه لبنيه -يعني بني عبد الله بن الزبير- يقول: ثلث الثلث فإن فضل من مالنا فضل بعد قضاء الدين فثلثه لولدك. قال هشام: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير خبيثاً وعَبَّاداً، وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه، ويقول: يا بني، إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه مولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبت، مَنْ مولاك؟ قال: الله.

قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقض عنه دينه. فيقضيه، فقتل الزبير - رضي الله عنه -، ولم يدع ديناً ولا درهماً إلا أرضين منها الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر، قال: إنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف، فإني أخشى عليه الضيعة، وما ولي إمارة قط، ولا جباية خراج، ولا شيئاً إلا أن يكون في غزوة مع النبي، أو مع أبي بكر، وعمر، وعثمان - رضي الله عنهم -، قال عبد الله بن الزبير: فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف.

قال: فلقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير، فقال: يا ابن أخي، كم على أخي من الدين؟ فكتمه، فقال: مائة ألف. فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تسع لهذه. فقال له عبد الله: أفرأيتك إن كانت ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي. قال: وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف، فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف، ثم قام، فقال: مَنْ كان له على الزبير حق فليوافنا بالغابة. فأتاه عبد الله بن جعفر، وكان له على الزبير أربعمائة ألف، فقال لعبد الله: إن شئتم تركتها لكم. قال عبد الله: لا. قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخّرتكم. فقال عبد الله: لا. قال: فاقطعوا لي قطعة. فقال عبد الله: لك من ها هنا إلى ها هنا. قال: فباع منها، فقضى دينه فأوفاه وبقي منها أربعة أسهم ونصف، فقَدِمَ على معاوية وعنده عمرو بن عثمان، والمنذر بن الزبير، وابن زمعة، فقال له معاوية: كم قومت الغابة؟ قال: كل سهم مائة ألف. قال: فكم بقي؟

^١ - أحمد بن مروان الدينوري: المجالسة وجواهر العلم ص ١٣٤.

قال: أربعة أسهم ونصف. قال المنذر بن الزبير: قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف. قال عمرو بن عثمان: قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف. وقال ابن زمعة: قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف. فقال معاوية: كم بقي؟ فقال: سهم ونصف. قال: أخذته بخمسين ومائة ألف.

قال: وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف، فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه، قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. قال: لا والله، لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين ألا مَنْ كان له على الزبير دَيْنٌ فليأتنا فلنقضه. قال: فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلَمَّا مضى أربع سنين قسم بينهم، قال: فكان للزبير أربع نسوة، وَرَفَعَ الثُّلُثَ، فأصاب كلَّ امرأة ألف ألف ومائتا ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف (١)

حتى تُسَلِّمَهُ لصاحبه

- قال أبو حنيفة: كنتُ مجتازًا فأشارتُ إليَّ امرأةٌ إلى شيء مطروح في الطريق، فتوهَّمتُ أنها خرساء وأنَّ الشيء لها، فلَمَّا رفعتهُ إليها، قالت: احفظه، حتى تُسَلِّمَهُ لصاحبه (٢)

عمران بن عد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قال: لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين، بعد قتل عبد الله بن الزبير استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقربه في المنزلة فلم يزل على حاله عنده، حتى خرج إلى عبد الملك زائرًا له فخرج معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئًا، فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه، فدخل على عبد الملك فلم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال: قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز، لم أدع له والله فيها نظيرًا في كمال المروءة والأدب والديانة، ومن الستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة، مع القرابة ووجوب الحق: إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقد أحضرته بابك لتسهل عليه إذنك وتلقاه ببشرك وتفعل ما تفعل بمثله ممن كانت مذهبته مثل مذهبته، فقال عبد الملك: ذكرتنا حقًا واجبًا ورحمًا قريبًا، يا غلام ائذن لإبراهيم بن طلحة، فلما دخل عليه قربه حتى أجلسه على فرشه، ثم قال له: يا ابن طلحة! إن أبا محمد أذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المذهب، مع قرابة الرحم ووجوب الحق، فلا تدعن حاجة في خاص أمرك ولا عامته إلا ذكرتها، قال: يا أمير المؤمنين! إن أولى الأمور أن تفتتح بها حوائج وترجى بها الزلف ما كان لله عز وجل رضا، ولحق نبيه صلى الله عليه وسلم أداء، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة، وإن عندي نصيحة لا أجد بداً من ذكرها ولا يكون البوح بها إلا وأنا خال، فأخطني ترد عليك نصيحتي، قال: دون أبي محمد؟ قال: نعم، قال: قم يا حجاج، فلما جاوز الستر قال: قل يا بن طلحة نصيحتك، قال: الله

^١ - البخاري: كتاب الخمس، باب بركة الغازي في ماله حيًا وميتًا مع النبي (٢٩٦١).

^٢ - ابن نجيم: الأشباه والنظائر ص ٤٢٥، وابن الجوزي: أخبار الظراف والمتماجين ص ١٥٢.

أمير المؤمنين أمير المؤمنين، قال: الله، قال: إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعترسه، وتعجرفه وبعده عن الحق وركونه إلى الباطل، فوليته الحرمين، وفيهما من فيهما، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار، والموالي المنتسبة الأخيار، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء الصحابة، يسومهم الخسف، ويقودهم بالعسف، ويحكم فيهم بغير السنة، ويطوهم بطغام أهل الشام، ورعاع لا روية لهم في إقامة حق، ولا إزاحة باطل، ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك، وفيما بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلصك إذا جاثاك للخصومة في أمته، أما والله لا تنجو إلا بحجة تقيم لك النجاة، فابق على نفسك أو دع، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" فاستوى عبد الملك جالساً وكان متكئاً، فقال: كذبت - لعمر الله - ومننت ولؤمت فيما جئت به، قد ظن بك الحجاج ما لم يجد فيك، وربما ظن الخير بغير أهله، قم فأنت الكاذب المائن الحاسد، قال: فقامت والله ما أبصر طريقاً، فلما خلفت الستر لحقني لاحق من قبله، فقال للحاجب: احبس هذا، أدخل أبا محمد للحجاج، فلبثت ملياً لا أشك أنهما في أمري، ثم خرج الأذن فقال: قم يا ابن طلحة فادخل، فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج فاعتنقني وقبل ما بين عيني، ثم قال: إذا جرى الله المتحابين بفضل تواصلهم فجازاك الله أفضل ما جرى به أخاً، فوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرک، ولأعلن كعبك، ولأتبعن الرجال غبار قدمك، قال: فقلت: يهزأ بي، فلما وصلت إلى عبد الملك أدناني حتى أجلسني مجلسي الأول، ثم قال: يا ابن طلحة لعل أحد من الناس شاركك في نصيحتك؛ قال: قلت: لا والله، ولا أعلم أحداً كان أظهر عندي معروفاً ولا أوضح يداً من الحجاج ولو كنت محابياً أحداً بديني لكان هو، ولكن آثرت الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، فقال: قد علمت أنك آثرت الله عز وجل، ولو أردت الدنيا لكان لك بالحجاج أمل، وقد أزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استصغاراً لهما، ووليته العراقين لما هنا من الأمور التي لا يرحضها إلا مثله، وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له عليهما استزادة له ليلزمه من ذمامك ما يؤدي به عني إليك أجز نصيحتك، فاخرج معه فإنك غير ذام صحبتته مع تقرظه إياك ويدك عنده، قال: فخرجت على هذه الجملة. (١) .

قصة الهيمان

عن الشيخ الصالح أبو القاسم عبد الله بن أبي الفوارس محمد بن علي بن حسن الخزاز الصوفي البغدادي ببغداد قال: سمعت القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز الأنصاري يقول: كنتُ مجاوراً بمكة - حرسها الله تعالى - فأصابني يوماً من الأيام جوع شديد لم أجد شيئاً أدفع به عني الجوع، فوجدتُ كيساً من

^١ - المعافى بن زكريا: الجليس الصالح والأنيس الناصح ص ١٤.

إبريسم مشدودًا بشرابة من إبريسم أيضًا فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدت فيه عقدًا من لؤلؤ لم أر مثله، فخرجت فإذا الشيخ ينادي عليه، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فأخذ هذا الذهب فأنفَع به، وأرد عليه الكيس، فقلت له: تعالى إليّ، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشربة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذي هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه. فسلم إليّ خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب عليّ أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاء، فقال لي: لا بد أن تأخذ. ألح عليّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركتني ومضى.

وأما ما كان مني: فإني خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلك أموالهم، وسلمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة في البحر لا أدري أين أذهب، فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال: علمني القرآن. فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال. قال. ثم إني رأيت في ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها فقالوا لي: تحسن تكتب؟.

فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنت أعلمهم، فحصل لي أيضًا من ذلك شيء كثير فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبيّة يتيمة، ولها شيء من الدنيا نريد أن نتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لا بل، وألزموني، فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إليّ مددت عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه. فقالوا: يا شيخ، كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم. فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت في الدنيا مسلمًا إلا هذا الذي رد عليّ هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، والآن قد حصلت، فبقيت معها مدة ورزقت منها بولدين.

ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة ألف دينار. وهذا المال الذي ترون معي من بقايا ذلك المال.^(١)

أنكحوا الغلام الجارية

^١ - ذيل طبقات الحنابلة (ص: ٧٩).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اشترى رجل من رجل عقارا له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني؛ إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب. وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها. فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام. وقال الآخر: لي جارية. قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا». (١).

يا غلام، هل من لبن؟

عن ابن مسعود قال: كنت أرى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، فقال: ((يا غلام، هل من لبن؟ قال: قلت: نعم، ولكنني مؤتمن)) (٢)

إن الذي أدى هذا لأمين!

لما أتى عمر بسوازي كسرى، جعل يقلب بعض ذلك بعضا، ثم قال: إن الذي أدى هذا لأمين! فقال له رجل: أنا أخبرك، أنت أمين الله وهم يؤدون إليك ما أدت إلى الله عز وجل، فإذا رتعت رتعو! قال: صدقت، ثم فرقها (٣).

يخيل لي أن في لبنها ملوحة

قال مسعر: جاء مجمع بشاة إلى السوق يبيعها، قال: يخيل لي أن في لبنها ملوحة (٤).

، فمن أمانته أوضح عيب الشاة قبل بيعها، ثم ترك الخيار للمشتري؛ إن شاء اشترى، وإن شاء انصرف.

الفصل السابع: قصص عن الوفاء

^١ - «مسند أحمد» (١٣/ ٥١٦ ط الرسالة) أخرجه البخاري (٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١)، وأبو عوانة ٢٣/ ٤ - ٢٤ وابن حبان (٧٢٠)،

^٢ - أخرجه الإمام أحمد (٣٥٩٨)، وأبو يعلى (٤٩٨٥)، وابن حبان (٦٥٠٤)، والطبراني (٨٤٥٦). حسنه النخشي في ((فوائد الحنائي)) (١١٥/١)، والوادعي في ((صحيح دلائل النبوة)) (١٣٠) والأرنؤوط في تخريج ((سير أعلام النبلاء)) (٤٦٥/١)، وقال الألباني في ((صحيح الموارد)) (١٨٠٤): حسن صحيح.

^٣ - أخرجه الشافعي في ((الأم)) (٣٥٣/٥)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (١٣٤١٤).

^٤ - يُنظر: ((الجامع لشعب الإيمان)) للبيهقي (٢٢٧/٧).

لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما

قال أبو رافع -رضي الله عنه -: بعثني قريشٌ إلى رسول الله ﷺ ، فلما رأيتُ رسولَ الله ﷺ أُلقيَ في قلبي الإسلامُ، فقلتُ: يا رسول الله، لا أُرْجِعُ إليهم أبداً، فقال رسولُ الله ﷺ : «إني لا أخيسُ بالعهدِ (١)، ولا أخبسُ البردَ (٢)، ولكن أرجع ، فإن كان في نَفْسِكَ الذي في نفسك الآن فارْجِعْ» ، قال : فذهبتُ ، ثم أتيتُ رسولَ الله ﷺ ، فأسلمتُ. (٣).

انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم

حذيفة بن اليمان: قال ما منعني أن أشهد بداراً إلا أني خرجت أنا وأبي الحسيل قال فأخذنا كفار قريش فقالوا إنكم تريدون محمداً ﷺ فقلنا ما نريده وما نريد إلا المدينة قال فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم. (٤)

وفاء صلى الله عليه وسلم لزوجاته:

فمن وفائه ﷺ في هذا الباب، أنه كان يكرم صديقات زوجته خديجة رضي الله عنها بعد موتها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتى بالشيء يقول: ((اذهبوا به إلى فلانة؛ فإنها كانت صديقة خديجة، اذهبوا به إلى بيت فلانة؛ فإنها كانت تحب خديجة)). (٥)

عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- أنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد -أخت خديجة - على رسول الله ﷺ فعرف النبي ﷺ استئذان خديجة، فارتاح لذلك، وفي لفظ " فارتاح لذلك " فقال: اللهم، هالة بنت خويلد قالت: فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلك في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها. (٦)

نماذج من وفاء الصحابة -رضي الله عنهم-

لقد وفي أصحابُ رسول الله ﷺ بالعهود والمواثيق، والتزموا بالمبايعات التي أخذها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

^١ -أخيس بالعهد: يقال: خاس بالعهد: إذا نقضه، وخاس بوعده إذا أخلفه.

^٢ -أحبس البرد: البرد: جمع بريد، وهو الرسول الوارد عليك من جهة، يقول: لا أحبسهم عن أصحابهم، وأمنعهم من العود إليهم.

^٣ - أخرجه أحمد (٨/٦)، رقم (٢٣٩٠٨)، وأبو داود (٨٢/٣)، رقم (٢٧٥٨)

^٤ - أخرجه مسلم (١٧٨٧)

^٥ -أخرجه البخاري، في (الأدب المفرد)

^٦ - فضائل الصحابة (٥١/٩)

(فقد بايع رسول الله ﷺ صحابته في عدة مناسبات، وهذه هي العهود والمواثيق التي ذكرها الله في أكثر من آية، حيث خصَّ بعضها بالذكر كبيعة الرضوان،... وأخذ عليهم العهد في بيعتي العقبة، وبيعة الرضوان، وبايعهم على الإسلام، وبايع النساء بيعة خاصة، كما بايع بعض صحابته على الجهاد، وبايع آخرين على السمع والطاعة، وبايع بعضهم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم... ومما يجدر التنبيه إليه هنا، ما ذكره سبحانه في سورة الأحزاب، مادحًا أصحاب تلك العهود والمواثيق ومثنياً عليهم: { مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَصَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا } [الأحزاب: ٢٣] نعم لقد وفي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعهودهم، والتزموا مواثيقهم، ولم يكونوا كبني إسرائيل الذين أصبحت الخيانة والغدر من سماتهم، وأبرز سجايهم وطباعهم.

لقد كان من وفاء أصحاب رسول الله ﷺ، أن أحدهم يسقط سوطه وهو راكب على دابته، فينزل ليأخذ سوطه ولا يطلب من أحد أن يناوله؛ لأنه بايع رسول الله ﷺ على ألا يسأل الناس شيئاً أعطوه، أو منعهوه.

هذه هي الطاعة، وهذا هو الوفاء، وبمثل هؤلاء تسعد البشرية وتصل إلى مدارج الرقي وسمو الأخلاق، لقد كان جيلاً قرآنياً فذاً، لم تعرف البشرية جيلاً كذلك الجيل، ولا صفوة كتلك الصفوة { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَاهُ } [الأنعام: ٩٠] { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ } [الزمر: ١٨] .

وفاء-أبي بكر= رضي الله عنه- بديون النبي ﷺ ووعوده:

عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما - قال: ((قال لي رسول الله ﷺ لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً، فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله ﷺ، فلما قدم على أبي بكر أمر منادياً فنادى من كان له عند النبي ﷺ دين، أو عدة فليأتني، قال جابر: فجئت أبا بكر فأخبرته أن النبي ﷺ قال: لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً.

قال: فأعطاني. قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطني ثم أتيته فلم يعطني، ثم أتيته الثالثة فلم يعطني، فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني ثم أتيتك فلم تعطني ثم أتيتك فلم تعطني، فإما أن تعطيني، وإما أن تبخل عني، فقال: أقلت تبخل عني، وأي داء أدوأ من البخل؟- قالها ثلاثاً - ما منعك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك)) (١).

وفاءه في إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه:

^١ - أخرجه الحميدي (١٢٣٣). و"أحمد" ٣٠٧/٣ (١٤٣٥٢). و"البخاري" ٢٥٩٨ و٣١٣٧. و"مسلم" ٧٥/٧ (٦٠٩٠ و٦٠٩١).

قام أبو بكر رضي الله عنه، بتنفيذ جيش أسامة بن زيد، الذي قرره رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليسير إلى تخوم البلقاء من الشام.

(فخرجوا إلى الجرف فخيّموا به، وكان بينهم عمر بن الخطاب، ويقال: وأبو بكر الصديق، فاستثناه رسول الله منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاموا هنالك، فلما مات عظم الخطب، واشتدّ الحال، ونجم النفاق بالمدينة، وارتدّ من ارتدّ من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق... وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام، لم يفروا ولا ارتدوا، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور، أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة؛ لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأنّ ما جهز بسببه، في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحلّ عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أنّ الطير تخطّفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أنّ الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزّن جيش أسامة) (١).

وفاء السموأل

يذكر أن امرأ القيس الكندي، لما أراد المضي إلى قيصر ملك الروم، أودع عند السموأل دروعًا وسلاحًا، وأمتعة تساوي من المال جملة كثيرة، فلما مات امرؤ القيس، أرسل ملك كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموأل، فقال السموأل: لا أدفعها إلا لمستحقها. وأبى أن يدفع إليه منها شيئًا، فعاوده فأبى، وقال: لا أغدر بذمتي، ولا أخون أمانتي، ولا أترك الوفاء الواجب علي. فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل في حصنه، وامتنع به. فحاصره ذلك الملك، وكان ولد السموأل خارج الحصن، فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرًا، ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل. فأشرف عليه من أعلى الحصن. فلما رآه قال له: إن ولدك قد أسرته، وها هو معي، فإن سلمت إليّ الدروع والسلاح التي لامرؤ القيس عندك، رحلت عنك، وسلمت إليك ولدك، وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر، فاختر أيهما شئت. فقال له السموأل: ما كنت لأخفر ذمامي، وأبطل وفائي، فاصنع ما شئت، فذبح ولده وهو ينظر، ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبًا، واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر، محافظة على وفائه، فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم إليهم الدروع والسلاح، ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب إليه من حياة ولده وبقائه، فصارت الأمثال في الوفاء تضرب بالسموأل، وإذا مدحوا أهل الوفاء في الأنام ذكر السموأل في الأول. وكم أعلى

^١ - تهذيب الكمال ليويسف المزي (٣/ ٢٩٠)

الوفاء رتبة من اعتقله بيديه، وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه، واستنطق الأفواه لفاعله بالثناء عليه، واستطلق الأيدي المقبوضة عنه بالإحسان إليه).^(١)

لا خير فيمن ينسى إذا وعد وعدًا،

مالك بن عماره اللخمي، قال: (كنت جالسًا في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان، وقبيصة بن ذؤيب، وعروة ابن الزبير، وكنا نخوض في الفقه مرة، وفي المذاكرة مرة، وفي أشعار العرب، وأمثال الناس مرة، فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة، والتصرف في فنون العلم، وحسن استماعه إذا حدث، وحلاوة لفظه إذا حدث، فخلوت معه ليلة فقلت له: والله إني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك، وحسن حديثك، وإقبالك على جليسك، فقال: إن تعش قليلاً فسترى العيون طامحة إليّ، والأعناق نحوي متطاوله، فإذا صار الأمر إلي فلعلك أن تنقل إليّ ركابك فلأملأنّ يدك، فلما أفضت إليه الخلافة، توجهت إليه، فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر، فلما رأيته أعرض عني، فقلت: لعله لم يعرفني، أو عرفني وأظهر لي نكره، فلما قضيت الصلاة، ودخل بيته، لم ألبث أن خرج الحاجب فقال: أين مالك بن عماره؟ فقممت فأخذ بيدي وأدخلني عليه، فمد إليّ يده، وقال: إنك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه إلا ما رأيته، فأما الآن فمرحبًا وأهلاً، كيف كنت بعدي؟ فأخبرته، فقال: أتذكر ما كنت قلت لك؟

قلت: نعم. فقال: والله ما هو بميراث وعيناه، ولا أثر رويناه، ولكني أخبرك بخصال مني سميت بها نفسي إلى الموضع الذي ترى، ما خنت ذا ودّ قط، ولا شمتُ بمصيبة عدوّ قط، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي حديثه، ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذًا بها، فكنت أوّمل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتي؛ وقد فعل، ثم دعا بسلام، فقال له: يا سلام بؤته منزلًا في الدار، فأخذ الغلام بيدي وأفرد لي منزلًا حسنًا، فكنت في الدّ حال، وأنعم بال، وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه، ثم أدخل عليه في وقت عشائه وغدائه؛ فيرفع منزلتي ويقبل عليّ ويحادثني، ويسألني مرة عن العراق ومرة عن الحجاز، حتى مضت لي عشرون ليلة، فتغديت يومًا عنده فلمّا تفرّق الناس، نهضت قائمًا، فقال: على رسلك. فقعدت، فقال: أيّ الأمرين أحبُّ إليك: المقام عندنا مع النصفة لك في المعاشرة، أو الرجوع إلى أهلك ولك الكرامة؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، فارقت أهلي، وولدي على أنني أزور أمير المؤمنين وأعود إليهم، فإن أمرني أمير المؤمنين، اخترت رؤيته على الأهل والولد. فقال: لا، بل أرى لك الرجوع إليهم، والخيار لك بعد في زيارتنا، وقد أمرنا لك

^١ - المستطرف في كل فن مستظرف للأشبهبي (١/ ٤٣٣)

بعشرين ألف دينار، وكسوناك، وحملناك، أتراني قد ملأت يديك؟! فلا خير فيمن ينسى إذا وعد وعداء، وزرنا إذا شئت، صحبتك السلامة). (١)

ما أدري أيكما أكرم وأوفى

كان النعمان قد سكر في بعض الأيام وله نديمان يقال لأحدهما خالد بن المضلل وللآخر عمرو بن مسعود بن كدة فأمر بقتلهما. ولما صحا سأل عنهما فأخبر بخبرهما فحزن عليهما حزناً عظيماً لأنه كان يحبهما محبة شديدة وأمر بدفنهما وبنى فوقهما بناءين طويلين يقال لهما الغريّان وجعل لنفسه كل سنة يوم بؤس ويوم نعيم يجلس فيهما بين الغريّين. فكان يكرم من وفد عليه في يوم النعيم ويقتل من وفد عليه في يوم البؤس. ولما وفد عليه حنظلة وافق وفده يوم البؤس. فلما نظر إليه النعمان ساءه وفوده في ذلك اليوم وقال له: يا حنظلة هلا أتيت في غير هذا اليوم؟ - فقال أبيت اللعن لم يكن لي علم بما أنت فيه - فقال: لو سرح لي في هذا اليوم قابوس لم أجد بداً من قتله، فأطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدا لك فإنك مقتول لا محالة - وقال: أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسي - فقال النعمان: لا سبيل إلى غير ذلك - قال: إن كان لابد منه فأجلني حتى أعود إلى أهلي فأوصي إليهم وأقضي ما عليّ ثم أنصرف إليك - قال: فأقم لك كفياً - قال: فالتفت الطائي إلى شريك

بن عمرو بن قيس الشيباني وكان يكنى أبا الحوفزان وهو صاحب الردافة فقال:

يا شريكاً يا ابن عمرو هل من الموت محاله

يا أخا كل مصابٍ يا أخا من لا أخا له

يا أخا النعمان فيك ال يوم عن شيخ بكفاله

ابن شيبان كريم أنعم الرحمن باله

فأبى شريك أن يكفله. فوثب إليه قراد بن أجدع الكلبي وقال للنعمان: أبيت اللعن عليّ ضمانه. فرضي النعمان بذلك وأمر للطائي بخمس مائة ناقة. فانصرف الطائي وقد جعل الأجل حولاً كاملاً من ذلك اليوم إلى مثله من القابل. فلما حال الحول وقد بقي من الأجل يوم واحد، قال لنعمان لقراد: ما أراك إلا هالكاً غداً فقال قراد:

فإن يك صدر هذا اليوم ولّي فإن غداً لناظره قريب

فذهب قوله مثلاً. ولما أصبح النعمان ركب كما كان يفعل حتى أتى الغريين فوقف بينهما وأمر بقتل قراد. فقال له وزراؤه: ليس لك أن تقتله حتى تستوفي يومه. فتركه النعمان وهو يشتهي أن يقتله ليسلم الطائي. فلما كادت الشمس تغيب وقراد قائم مجرد في إزارٍ على النطع والسياق إلى جانبه رفع له شخص من بعيد. وكان النعمان قد أمر بقتل قراد، فقليل له: ليس لك أن تقتله حتى يتبين الشخص. فكفّ

^١ - الإمتاع والمؤانسة لأبو حيان التوحيد (ص: ٩٢) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ٢٩١)

عنه حتى دنا وإذا هو الطائي. فلما نظر إليه النعمان، قال: ما الذي جاء بك وقد أفلت من القتل قال: الوفاء -قال: وما دعاك إلى الوفاء! -قال: ديني -قال وما دينك؟ -قال: النصرانية -قال: فاعرضها علي. فعرضها، فتنصر النعمان وأهل الحيرة جميعاً وكان قبل ذلك على دين العرب. وترك تلك السنة من ذلك اليوم وأمر بهدم الغريين وعفا عن قراد والطائي وقال: ما أدري أيكما أكرم وأوفى. أهذا الذي نجا من السيف فعاد إليه أم هذا الذي ضمنه. وأنا لا أكون ألأم الثلاثة. (١)

أشهدكم أني قد زوجته ابنتي

لما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة، قال: إنه كان خطب إليّ ابنتي رجل من قريش، وقد كان مني إليه شبه الوعد، فوالله لا ألقى الله بثلاث النفاق، أشهدكم أني قد زوجته ابنتي (٢).

والله لو دعوتني إلى الجنة عياناً لما غدرت،

حكى أن الخليفة المأمون لما وليّ عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه، دخل على المأمون بعض إخوانه يوماً، فقال: يا أمير المؤمنين، إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي طالب، وهواه مع العلويين، وكذلك كان أبوه قبله. فحصل عند المأمون شيء من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهر، فتشوّش فكره، وضاق صدره، فاستحضر شخصاً وجعله في زيّ الزهاد والنسك الغزاة، ودسّه إلى عبد الله بن طاهر، وقال له: امض إلى مصر، وخالط أهلها، وداخل كبراءها، واستملهم إلى القاسم بن محمد العلوي، واذكر مناقبه، ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر، ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك، وادّعه إلى القاسم بن محمد العلوي، واكشف باطنه، وابحث عن دفين نيّته، واثني بما تسمع.

ف فعل ذلك الرجل ما أمره به المأمون، وتوجّه إلى مصر ودعا جماعة من أهلها، ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها إلى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه، فلما نزل من الركوب وجلس في مجلسه خرج الحاجب إليه، وأدخله على عبد الله بن طاهر وهو جالس وحده، فقال له: لقد فهمت ما قصدت، فهات ما عندك. فقال: ولي الأمان؟

قال: نعم. فأظهر له ما أراده، ودعاه إلى القاسم بن محمد، فقال له عبد الله: أوتنصفني فيما أقوله لك؟

قال: نعم. قال: فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الإحسان والمنة؟

قال: نعم. قال: فيجب عليّ وأنا في هذه الحالة التي تراها من الحكم والنعمة والولاية ولي خاتم في المشرق وخاتم في المغرب، وأمري فيما بينهما مطاع،

^١ - مجلة «الزهور» المصرية (٢/ ١٢٤)

^٢ - الغزالي: إحياء علوم الدين ٩/ ١٥٨٠.

وقولي مقبول، ثم إنني ألتفت يميناً وشمالاً فأرى نعمة هذا الرجل غامرة وإحسانه فائضاً عليّ، أفتدعوني إلى الكفر بهذه النعمة، وتقول: اغدر وجانب الوفاء، والله لو دعوتني إلى الجنة عياناً لما غدرت، ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له. فسكت الرجل، فقال له عبد الله: والله ما أخاف إلا على نفسك، فارحل من هذا البلد. فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع إلى المأمون، فأخبره بصورة الحال، فسره ذلك، وزاد في إحسانه إليه، وضاعف إنعامه عليه. (١)

ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك

قال الشعبي: قال عمرو بن معد يكرب: خرجت يوماً حتى انتهيت إلى حي، فإذا بفرسٍ مشدودةٍ، ورمحٍ مركوز، وإذا صاحبه في وهديةٍ يقضي حاجة له، فقلت له: خذ حذرک، فإنني قاتلك. قال: ومن أنت؟ قلت: أنا ابن معدي كرب. قال: يا أبا ثور، ما أنصفتني، أنت على ظهر فرسك وأنا في بئر، فأعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وأخذ حذري. فأعطيته عهداً أنني لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره، فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه وجلس، فقلت له: ما هذا؟ قال: ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك، فإن نكثت عهداً فأنت أعلم. فتركته ومضيت، فهذا أحيل من رأيت. (٢)

إنما هو رزق عرضه الله لك

عن المطلب بن عبد الله بن حنطب أن عبد الله بن عامر: أرسل إلى عائشة بنفقة وكسوة فقالت للرسول: إني لا أقبل من أحد شيئاً فلما خرج الرسول: قالت: ردوه إني ذكرت شيئاً إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يا عائشة من أعطاك عطاء من غير مسألة فاقبله فإنما هو رزق عرضه الله لك) (٣)

ما منعك أن تسألني

عن زيد بن عتبة قال: قال له الحجاج: ما منعك أن تسألني؟ فقال: قال سمرة بن جندب: قال رسول الله ﷺ: (إن هذه المسائل كد يكذبها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل ذا سلطان أو ينزل به أمر لا يجد منه بدا (

١ - الأبشيهي: المستطرف ٢٨٨/١.

٢ - ابن الجوزي: أخبار الزراف والمتماجنين ص ١١٣.

٣ - القناعة والتعفف (ص: ٢١)

قال: فإني ذو سلطان فهلّم حاجتك قال: ولد لي الليلة غلام؟ قال: أعطوه ألف درهم (١)

قبيصة إن المسألة حرمت إلا في ثلاث

قبيصة بن مخارق قال: تحملت بحمالة فأتيت النبي ﷺ أسأله فيها فقال: (نؤديها عنك إذا جاءت نعم الصدقة يا قبيصة" إن المسألة حرمت إلا في ثلاث: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يؤديها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فسأل حتى يصيب سدادا من عيش أو قواما من عيش ثم يمسك ورجل أصابته حاجة أو فاقة حتى تكلم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه فيسأل حتى يصيب قواما من عيش ثم يمسك وما سوى ذلك فهو سحت" (٢)

اليد العليا خير من اليد السفلى

عن حكيم بن حزام: أنه سمع النبي ﷺ يقول: (اليد العليا خير من اليد السفلى) قلت: ومنك يا رسول الله؟ قال: (ومني)

قلت: والذي بعثك بالحق لا آخذ من أحد بعدك عطية

قال: (وليبدأ أحدكم بمن يعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله)

قال: قلت: ومنك يا رسول الله؟

قال: (ومني)

قلت: والذي بعثك بالحق لا تكون يدي تحت يد رجل من العرب بعدك ما حييت أبدا

قال: (فما رزأ من النبي ﷺ شيئا حتى قبضه الله تعالى إليه ولا من أبي بكر ولا من عمر ولا عثمان حتى مات رضي الله عنه) (٣)

لو تعلمون من المسألة ما أعلم

عن عائذ بن عمرو المزني قال: بينا نحن مع نبينا ﷺ إذا أعرابي قد ألح عليه في المسألة يقول: يا رسول الله أطعمني فقام رسول الله ﷺ وأخذ بعضادتي الحجرة وأقبل علينا بوجهه فقال: (والذي نفس محمد بيده لو تعلمون من المسألة ما أعلم ما سأل رجل رجلا وهو يجد ليلة تبيته) ثم أمر له بطعام (٤)

١ - القناعة والتعفف (ص: ٢٤)

٢ - القناعة والتعفف (ص: ٢٥)

٣ - القناعة والتعفف (ص: ٢٦)

٤ - القناعة والتعفف (ص: ٣٠)

وفاء جرير بن عبد الله

عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، قال: قال جرير: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، وعلى أن أنصح لكل مسلم. قال: وكان جرير إذا اشترى الشيء وكان أعجب إليه من ثمنه، قال لصاحبه: تعلمن والله لما أخذنا أحب إلينا مما أعطيناك، كأنه يريد بذلك الوفاء (١).

الذي استلف ألف دينار

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - «أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: «اثنتي بالشهداء أشهدهم».

فقال: «كفى بالله شهيدا».

قال: «فأنتي بالكفيل».

قال: «كفى بالله كفيلا».

قال: «صدقت».

فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها.

ثم أتى بها إلى البحر فقال: «اللهم إنك تعلم أنني كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا فرضي بك، وسألني شهيدا فقلت: كفى بالله شهيدا فرضي بك، وأناي جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها»، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده.

فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة.

ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: «والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه».

قال: «هل كنت بعثت إلي بشيء؟»

قال: «أخبرك أنني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه».

^١ - رواه الإمام أحمد (١٩١٥٣) وسنده حسن، ورواه الإمام أحمد (١٩١ / ١٢)، والنسائي (٤١٨٦) بنحوه، إلا أنه قال: «وعلى فراق المشرك» بدل ((وتبرأ من الكافر)). وسنده صحيح.

قال: «فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار راشدا»^(١).

أوفى من فكيهة:

وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة، كان من وفائها أن السليك بن سلكة غزا بكر بن وائل، فلم يجد غفلة يلتمسها، فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا: إن هذا الأثر قدم ورد الماء، فقصدوا له، فلما وافى حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها، فأدخلته تحت درعها فانتزعوا ضمارها فنادت إختها فجاءوا عشرة، فمنعوه منها^(٢).

أوفى من أم جميل

هي من رهط ابن أبي بردة من دوس، وكان من وفائها أن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل رجلاً من الأزد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهري ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها، فقامت في وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها^(٣).

أوفى من الحارث بن عباد:

وكان من وفائه أنه أسر عدي بن ربيعة ولم يعرفه، فقال له: دلني على عدي بن ربيعة ولك الأمان، فقال: أنا آمن أن دلتك عليه، قال: نعم. قال: فأنا عدي بن ربيعة فخلاه^(٤).

أين الوفاء بالعهد الذي بيني وبينك؟

قال الأبشيهي: (ومما يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم ما رواه حمزة بن الحسين الفقيه في تاريخه قال: قال لي أبو الفتح المنطقي كنا جلوسا عند كافور الأخشدي وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفوذ الأمر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا ولما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الساعة إلى عقبة النجارين وسلوا عن الشيخ منجم أعور كان يقعد هناك فإن كان حيا فأحضروه وإن كان قد توفي فسلوا عن أولاده واكشفوا أمرهم قال فمضينا إلى هناك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك

^١ - أخرجه أحمد ٣٤٨ / ٢ (٨٥٧١). و"البخاري" ٣ / هامش ٧٣ ح. و"النسائي" في "الكبرى" ٥٨٠٠

^٢ - ((المحاسن والأضداد)) للجاحظ (ص: ٤٧).

^٣ - ((المحاسن والأضداد)) للجاحظ (ص: ٤٧).

^٤ - ((المحاسن والأضداد)) للجاحظ (ص: ٤٨).

بنتين إحداهما متزوجة والأخرى عاتق فرجعنا إلى كافور وأخبرناه بذلك فسير في الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا وأعطاها ما لا جزيلا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأظهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعلمون سبب هذا؟ قلنا لا.

فقال اعلموا أنني مررت يوما بوالدهما المنجم وأنا في ملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة رثة فوقفت عليه فنظر إلي واستجلبني وقال أنت تصير إلى رجل جليل القدر وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا ثم طلب مني شيئا فأعطيته درهمين كانا معي ولم يكن معي غيرهما فرمى بهما إلي وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين!

ثم قال وأزيدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكروني إذا صرت إلى الذي وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال عاهدني أنك تفي لي ولا يشغلك ذلك عن افتقادي معاهدته ولم يأخذ مني الدرهمين ثم إني شغلت عنه بما تجدد لي من الأمور والأحوال وصرت إلى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أكلنا اليوم ونمت رأيته في المنام قد دخل علي وقال لي أين الوفاء بالعهد الذي بيني وبينك وإتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم ثم زاد في إحسانه إلى بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعده (١).

الفصل الثامن: رحاب العفة

ما أتيت فاحشة وما هممت بها

قال جعفر بن محمد: أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار، وكانت تهواه، فلما لم يساعدوا احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صفارها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيهما، ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي، وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعالة. فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني.

فهم بعقوبة الشاب فجعل يستغيث، ويقول: يا أمير المؤمنين، تثبت في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما، فنظر علي إلى ما على الثوب.

^١ - (المستطرف) للأبشيبي (١ / ٤٣١).

ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه واشتمه وذاقه، فعرف طعم البيض وزجر المرأة، فاعترفت. (١)

مالي ولعبيد بن عمير

يقول ابن الجوزي - رحمه الله - صالح بن أحمد بن عبد الله بن مسلم العجلي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله، قال: كانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرأة، فقالت لزوجها: أترى أحداً يرى هذا الوجه لا يفتتن به، قال: نعم، قالت: ومن؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فأذن لي فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لك. قال: فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام. قال: فأسفرت عن وجهه مثل فلقة القمر. فقال لها: استتري يا أمة الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال: أخبريني، لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو أدخلت قبرك فأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فلو أن الناس أعطوا كتبهم فلا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أو بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فلو أردت الممر على الصراط فلا تدرين تنجين أم لا تنجين، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين، أيسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت. قال: فلو وقفت بين يدي الله تعالى للمساءلة، كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فاتق الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك. قال: فرجعت إلى زوجها، قال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطل ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة.

١ - الطرق الحكمية - (ج ١ / ص ٦٩)

قال: فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت لي في كل ليلة عروساً، فصيرها راهبة. (١)

هل كل في فراش وطيء وعيش رخي

محمد بن إسحاق قال نزل السري بن دينار في دار بمصر كانت فيه امرأة جميلة تفتن الناس بجمالها فعلمت المرأة فقالت لأفتننه فلما دخلت من باب الدرب كشفت وأظهرت نفسها

فقال السري مالك قالت هل لك في فراش وطيء وعيش رخي

فأقبل عليها وهو يقول

وكم ذي معاص نال منهن لذة ومات فخلاها وذاق الدواھيا

تصرم لذات المعاصي وتنقضي وتبقى تباعات المعاصي كما هيا

فوا سوءتاه والله راء وسامع لعبد بعين الله يغشى المعاصيا (٢)

أبو بكر المسكي

ذكر ابن الجوزي في "المواعظ": أن شاباً فقيراً، كان بائعاً يتجول في الطرقات، فمرّ ذات يوم ببيت، فأطلت امرأة وسألته عن بضاعته فأخبرها، فطلبت منه أن يدخل لترى البضاعة، فلما دخل أغلقت الباب، ثم دعتة إلى الفاحشة، فصاح بها، فقالت: والله إن لم تفعل ما أريده منك صرخت، فيحضر الناس فأقول هذا الشاب، اقتحم عليّ داري، فما ينتظرك بعدها إلا القتل أو السجن.

فخوّفها بالله فلم تنزجر، فلما رأى ذلك، قال لها: أريد الخلاء.

فلما دخل الخلاء: أقبل على الصندوق الذي يُجمع فيه الغائط، وجعل يأخذ منه ويلقي على ثيابه، ويديه وجسده، ثم خرج إليها، فلما رآته صاحت، وألقت عليه بضاعته، وطردته من البيت، فمضى يمشي في الطريق والصبيان يصيحون وراءه: مجنون، مجنون، حتى وصل بيته، فأزال عنه النجاسة، واغتسل.

فلم يزل يُشَمُّ منه رائحة المسك، حتى مات -رحمه الله... (٣)

الموت لا معصية ربي

١ - المنتظم - (ج ٢ / ص ٢٧٧)

٢ - ذم الهوى (ص: ٢٣٤) و صور مشرقة من الثبات على الايمان للمؤلف ص ١٤٠

٣ - المواعظ و المجالس ص ٢٢٤ و صور مشرقة من الثبات على الايمان ص ١٤٢-١٤٣

روى أن بعض النبلاء علم برجل مجاب الدعوة عند الله - سبحانه وتعالى - فذهب إليه وتظاهر بمظهر الضيفان فأضافه وقام عنده ثلاث ليالي فلم يرى منه شيئاً غريباً من طاعه الله أو عباده فسأله عن سبب إجابة دعائه

فقال: يا هذا تلك دعوة نفس عضها الجوع و صدقت لله تعالى في سجودها وركوعها فأجاب الله دعاها وأعطاه منها؛ فقال: وكيف ذلك ؟

فحدثه انه حصل في بلد قحط في عام من الأعوام وفي ليله قرع الباب قارع فخرجت وإذا بشابة جميلة جداً تبدو كأنها الشمس في وسط النهار فشكت لي جوعها فحدثتها ثم راوتها عن نفسها .

فقالت: الموت لا معصية ربي ثم رجعت من حيث أتت وبعد أيام عادت وتوسلت إلي فقلت كما قلت أولاً فبكت ثم دخلت وقد أشرفت على الهلاك ثم قالت: تطعمني لوجه الله ؟

فقلت: لا إلا أن تمكيني من نفسك فقالت الموت خير من عذاب الله ثم قامت فسرت خلفها فسمعتها تقول:

أيا واحداً إحسانه شمل الخلقا بسمك ما أشكو بعينك ما ألقى

لقد صدمتني شدة وخصاصة ونازلي ما بعضه يمنع النطقا

كأنني ظمآن ترى الماء عينه فلا غله تروى ولا شربة تسقى

تنازعني نفسي إلى نيل أكله لذاذتها تفنى وغصتها تبقا

أعصيك بعد الفضل والجود والهدى وكيف وبالطاعات استجلب الرزقا

فجزعت لما سمعت ذلك ثم دخل قلبي الإيمان بالله وحب الخير

فقلت لها: عودي وكلي ما شئت الموت لا معصية ربي فعدت وهي في حالة ضعف لا تكاد يسمع لها صوت فقدمت لها الطعام .

فقالت: (اللهم كما أنرت قلبه وهديت ليه فأجب دعاءه ولا ترده خائباً) فكان ما دعت به ثم تزوجتها وصارت لي زوجة والحمد لله. (١)

إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم

كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد وكان أحد الزهاد فنزل في جوار قوم من النخع فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله ونزل بها

^١ - صور مشرقة من الثبات على الايمان ص ١٤٣-١٤٤

مثل الذي نزل به فأرسل يخطبها من أبيها فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها واشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى فأرسلت إليه الجارية قد بلغني شدة محبتك لي وقد اشتد بلائي بك لذلك مع وجدي بك فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي فقال للرسول لا واحدة من هاتين الخصلتين { **إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** } الزمر ١٣ { أخاف نارا لا يخبو سعيها ولا يخمد لهبها فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ما قال قالت وأراه مع هذا زاهدا يخاف الله تعالى والله ما أحد أحق بهذا من أحد وإن العباد فيه لمشركون ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها ولبست المسوح وجعلت تعبد وهي مع ذلك تذب وتتحل حبا للفتى وأسفا عليه حتى ماتت شوقا إليه فكان الفتى يأتي قبرها فرآها في منامه وكأنها في أحسن منظر فقال كيف أنت وما لقيت بعدي فقالت :

نعم المحبة يا حبيبي حبكا حب يقود إلى خير وإحسان

فقال على ذلك إلى ما صرت فقالت:

إلى نعيم وعيش لا زوال له في جنة الخلد ملك ليس بالفاني

فقال لها اذكريني هناك فإني لست أنساك فقالت ولا أنا والله أنساك ولقد سألتك ربي مولاي ومولاك فأعني على ذلك بالاجتهاد ثم ولت مدبرة فقلت لها متى أراك قالت ستأتينا عن قريب فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات رحمه الله (١)

أم كيف بك لو قد ساءلك منكر ونكير؟

يُحكى: أن قوما أمروا امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم فلعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك، فغيرت ما أرى من لونك، وبهجتك؟

أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت، فقطع منك حبل الوتين؟

أم كيف بك لو قد ساءلك منكر ونكير؟

^١ - من كتاب التوايين لأبن قدامه المقدسي (٢٦٦_٢٦٧)

فصرخت صرخة فسقطت مغشيا عليها، فوالله لقد أفقت وبلغت من عبادة ربها أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق (١)

اللهم إني دعيت إلى معصيتك

يروى: أن شابا في بني إسرائيل لم يكن فيهم شاب أحسن منه، كان يبيع المكاتل، فبينما هو ذات يوم يطوف بمكاتله، إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل، فلما رأيته رجعت مبادرة، فقالت لابنة الملك: إني رأيت شابا بالبواب يبيع المكاتل لم أر شابا قط أحسن منه، قالت: أدخله، فخرجت، فقالت: أدخل فدخل، فأغلقت الباب دونه، ثم قالت: أدخل فدخل فأغلقت بابا آخر دونه، ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها، فقال لها: استتري عافاك الله، فقالت: إنا لم ندعك لهذا إنما ندعوك لكذا وراودته عن نفسه، فقال لها: اتقي الله، قالت: إنك إن لم تطاوعني على ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت تكبرني على نفسي، قال لها: فضعي لي وضوءا.

فقالت: أعلي تتعلل يا جارية، ضعي له وضوءا فوق الجوسق، مكانا لا يستطيع أن يفر منه، فلما صار في الجوسق، قال: اللهم إني دعيت إلى معصيتك وإني أختار أن ألقى نفسي من هذا الجوسق ولا أركب معصيتك، ثم قال: بسم الله وألقى نفسه من أعلاه، فأهبط الله ملكا أخذ بضبعيه فوقع قائما على رجليه، فلما صار في الأرض.

قال: اللهم إن شئت رزقتني رزقا يغنيني عن بيع هذه المكاتل، فأرسل الله عليه رجلا من جراد من ذهب فأخذ منه حتى ملأ ثوبه، فلما صار في ثوبه، قال: اللهم إن كان هذا رزقا رزقتنيه من الدنيا فبارك لي فيه، وإن كان ينقصني مما لي عندك في الآخرة فلا حاجة لي فيه، فنودي إن هذا الذي أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءا لصبرك على إلقاءك نفسك، فقال: اللهم فلا حاجة لي فيما ينقصني مما لي عندك في الآخرة، فرجع الجراد (٢).

هل رأيت قبيحا ؟

كان أبو خراش الهذلي من رجال قومه فخرج في سفر له فمر بامرأة من العرب ولم يصب طعاما قبل ذلك بثلاث أو أربع فقال: يا ربة البيت هل عندكم من طعام؟

^١ - صفة الصفوة (٣/ ١٩١).

^٢ - روضة المحبين، ص (٤٥٣).

قالت: نعم فجاءت بعمرس -يعني حملا من الغنم -وقالت: اذبحه فذبحه ثم سلخه ثم حشه ثم أقبل به ولما وجد ريح الشواء قرقر بطنه قال: وإنك لتقرقر من رائحة الطعام يا ربة البيت هل عندكم من صبر؟

قالت: نعم وما تصنع به؟

قال: شيء أجده في بطني فأنته بصبر فملاً راحته ثم قال: إن بطني تقرقر إذا وجدت رائحة الطعام ثم ارتحل .

فقالت: يا عبد الله هل رأيت قبيحا؟

قال: لا والله ولا سوءا ثم أنشأ يقول:

وإني لأثوي الجوع حتى يملني حياء ولم تدنس ثيابي ولا جرمني
واصطبج الماء القراح وألتقي إذا الزاد أمسى للمدلج ذا طعم
أرد شجاع الجوع كي تعلمينه وأوثر غيري من عيالك بالأدم
مخافة إذ أحيا برغم وذلة وللموت خيرا من حياة على رغم (١)

قال: الأصمعي: أضاف أعرابي قوما فحلب إبله وجعل يبدأ يسقي الأغنياء منهم في صحن له أولا حتى وصل إلى آخر القوم رجل عليه أظمار له فضرب الصحن بظهر كفه ثم أنشأ يقول:

إني رأيت ردي الثوب منطرحا بالي الثياب عراه الهم والعدم
ضربت صحنك إزراء بهيئته والله يعلم أنني حيث ما اقتحموا
أبدي وأظهر نارا عند مكreme جنح العشاء إذا ما أقبل القتم
فاصرف إنائك عني إنني رجل يأبى الدنية مني العز والكرم (٢)

كانت لك ثم صارت لغيرك

عن عبد الملك بن مروان قال: كنت جالسا عند معاوية فأتني بطعامه فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه ثم حدث نفسه ثم أخذها فرفعها إلى فيه ثم حدث نفسه فوضعها فتناولها وأكلها فطلبها فلم يجدها فخطب الناس فيها فقال: أيها الناس اتقوا الله فإنه ما لامرئ منكم إلا ما كتب الله له ووالله إن أحدكم ليرفع اللقمة إلى فيه مرة ومرتين ثم تقضى لغيره (٣)

من يستعف يعفه الله

١ - القناعة والتعفف (ص: ٣٤)

٢ - القناعة والتعفف (ص: ٣٥)

٣ - القناعة والتعفف (ص: ٣٩)

قال هلال بن حصن أتيت المدينة فنزلت دار أبي سعيد فضمني إياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عنده طعام وأصبح قد عصب على بطنه حجرا من الجوع وقال: فقالت امرأتي اتت النبي ﷺ فسله فقد أتاه فلان فأعطاه وأتاه فلان فأعطاه فأبيت وقلت : حتى ألتمس شيئا فذهبت أطلب فأنتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب ويقول : (من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن سألنا شيئا فوجدناه أعطيناه وواسيناه ومن استعف عنا واستغنى فهو أحب إلينا ممن سألنا)

قال: فرجعت وما سألت شيئا فرزقنا الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منا (١)

اللهم يا رازق ابن عامر ارزقني

خرج إلى عبد الله بن كريز بن عامر -وهو عامل العراق لعثمان بن عفان -رضي الله عنه -رجلان من أهل المدينة أحدهما: جابر بن عبد الله الأنصاري والآخر من ثقيف فكتب به إلى عبد الله بن عامر فيما يكتب به من الأخبار فأقبلا يسيران حتى إذا كانا بناحية البصرة قال الأنصاري للثقيفي: هل لك في رأي رأيته؟

قال: اعرضه قال: رأيت أن ننيخ رواحلنا ونتناول مطاهرنا فنتوضأ ثم نصلي ركعتين ونحمد الله تعالى على ما قضى من سفرنا

قال: هذا الذي لا يرد فتوضينا وصلينا ركعتين فالتفت الأنصاري إلى الثقيفي فقال : يا أخا ثقيف : ما رأيك ؟

قال: وأي موضع رأي هذا قضيت سفري وأنضيت بدني وأنصبت راحلتي ولا مؤمل دون ابن عامر فهل لك رأي غير هذا؟

قال: نعم قال: إني لما صليت هاتين الركعتين فكرت فاستحييت من ربي أن يراني طالبا رزقا من غيره اللهم يا رازق ابن عامر ارزقني من فضلك ثم ولي راجعا إلى المدينة ودخل الثقيفي البصرة فمكث أياما فأذن له ابن عامر فلما رآه رحب به ثم قال: ألم أخبر أن ابن جابر خرج معك فخبره خبره فبكي ابن عامر ثم قال : أما والله ما قالها أشرا ولا بطرا ولكن مجرى الرزق ومخرج النعمة فعلم أن الله الذي منحك ذاك فسأله من فضله فأمر للثقيفي وهو يقول :

أمامة ما حرص الحريص بزاهر فتिला ولا زهد الضعيف بضائر

خرجنا جميعا من مساقط رؤوسنا على ثقة منا بخير ابن عامر

فلما أنخنا الناعجات ببابه تأخر عني اليثربي ابن جابر

وقال : ستكفيني عطية قادر على ما يشاء اليوم للخلق قاهر

^١ - القناعة والتعفف (ص: ٤٤)

وإن الذي أعطى العراق ابن عامر لربي الذي أرجو لسد معاقر
 فلما رأيته سال عنه صباة إليه كما حنت ضراب الأباعر
 فأضعف عبد الله إذ غاب حظه على حظ لهفان من الحرص فاغر
 فأنتيت وقد أيقنت أن ليس نافعي ولا صائر شيء خلاف المقادر (١)

ما لي أراكم متغيرة ألوانكم ميتة قلوبكم

أن قوما من الأعراب زرعوا زرا فلما بلغ أصابته آفة فذهبت به فاشتد ذلك عليهم
 حتى روي فيهم فخرجت أعرابية منهم فقالت: ما لي أراكم متغيرة ألوانكم ميتة
 قلوبكم هو ربنا فليفلعل بنا ما يشاء ورزقنا عليه يأتي به من حيث يشاء ثم أنشدت
 تقول:

لو كان في صخرة في البحر راسية صماء ملمومة ملس نواحيها
 رزق نفس براها الله لانفلقت حتى تؤدي إليه كل ما فيها
 أو كان بين طباق السبع مسلكها لسهل الله في المرقى مراقيها
 حتى تنال الذي في اللوح خط لها فإن أتته وإلا سوف يأتيها (٢)

عفة عمر بن عبد العزيز عن مال المسلمين

أنت عمة عمر بن عبد العزيز إلى امرأته فاطمة، فقالت: إني أريد كلام أمير
 المؤمنين.

قالت لها: اجلسي حتى يفرغ، فجلست، فإذا بسلام قد أتى فأخذ سراجا، فقالت لها
 فاطمة: إن كنت تريدينه فالآن، فإنه إذا كان في حوائج العامة كتب على الشمع،
 وإذا صار إلى حاجة نفسه دعا بسراج.

فقامت، فدخلت عليه، فإذا بين يديه أقراص وشيء من ملح، وزيت، وهو يتعشى،
 فقالت: يا أمير المؤمنين أتيت بحاجة لي، ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي.

قال: وما ذاك يا عمة؟

قالت: لو اتخذت لك طعاما ألين من هذا.

قال: ليس عندي يا عمة، ولو كان عندي لفعلت.

١ - القناعة والتعفف (ص: ٤٧)

٢ - القناعة والتعفف (ص: ٥٢)

قالت: يا أمير المؤمنين، كان عمك عبد الملك يجري عليّ كذا وكذا، ثم كان أخوك الوليد فزادني، ثم وليت أنت فقطعته عني.

قال: يا عمة، إن عمي عبد الملك، وأخي الوليد، وأخي سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذاك المال لي فأعطيكه، ولكنني أعطيك مالي إن شئت.

قالت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال: عطائي مائتا دينار، فهو لك؟

قالت: وما يبلغ مني عطاؤك؟

قال: فليس أملك غيره يا عمة.

قالت: فانصرفت عنه (١).

إن أبي يخشى علي حر اللهب

وكانت ابنة عمر بن عبد العزيز تقول له: يا أبت إن البنات يعيرنني، فيقلن: لم لا يحليك أبوك بالذهب؟

فيقول: يا بنية قولي لهن: إن أبي يخشى علي حر اللهب (١).

ألا كان هذا قبل القراءة

عن عطاء بن السائب قال: كان رجل يقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، فأهدى له تلميذه فرسا فردها وقال: ألا كان هذا قبل القراءة!

هكذا كانوا

أمر أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور لأبي حنيفة بعشرة آلاف درهم فما رضي بأخذها، فجاء إليه بهذا المال رسول الحسن بن قحطبة الوالي فدخل عليه فلم يكلمه، فوضع المال في جراب في زاوية البيت فكان أن أوصى الإمام أبو حنيفة ابنه قائلاً له: إذا مت ودفنتموني، فخذ هذا المال واذهب به إلى الحسن بن قحطبة فقل له: خذ وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة.

قال ابنه: ففعلت ذلك.

فقال الحسن: رحمة الله على أبيك، فلقد كان شحيحاً على دينه. (٢).

١ - مائة موقف من حياة العظماء ٣٨.

٢ - أخلاق الدعاة ٥٩.

ربما وقع هذا الدينار من غيري،

وذكر الإمام النووي أن أبا إسحاق الشيرازي دخل يوما مسجدا ليأكل طعاما على عادته، فنسي فيه دينارا فذكره في الطريق، فرجع فوجده، ففكر ساعة وقال: ربما وقع هذا الدينار من غيري، فتركه ولم يمسه (١).

الفصل التاسع: قصص عن المروءة

قصص عن مروءة النبي ﷺ

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل)) . (٢).
- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: ((كنا في سفر مع النبي ﷺ... الحديث، وفيه: سار النبي ﷺ فاشتكى إليه الناس من العطش، فنزل فدعا فلانا - كان يسميه أبو رجاء نسيه عوف- ودعا عليا فقال: اذهب فابتغيا الماء، فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين -أو سطاحتين - من ماء على بغير لها، فقالا لها: أين الماء؟ قالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلوفا، قالا لها: انطلقي إذا. قالت: إلى أين؟

قالا: إلى رسول الله ﷺ . قالت: الذي يقال له الصابئ؟!

قالا: هو الذي تعنين، فانطلقني، فجاءا بها إلى النبي ﷺ وحدثاه الحديث، قال: فاستنزلوها عن بغيرها. ودعا النبي ﷺ بإناء ففرغ فيه من أفواه المزادتين أو السطاحتين، وأوكأ أفواههما وأطلق العزالي ونودي في الناس: اسقوا واستقوا، فسقى من شاء واستقى من شاء، وكان آخر ذاك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء، قال: اذهب فأفرغه عليك، وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها، وإيم الله لقد أقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملأة منها حين ابتدأ فيها! فقال النبي ﷺ : اجمعوا لها، فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما، فجعلوها في ثوب وحملوها على بغيرها ووضعوا الثوب بين يديها، قال لها: تعلمين ما رزئنا من مائك شيئا، ولكن الله هو الذي أسقانا! فأتت أهلها وقد احتبست عنهم، قالوا: ما حبسك يا فلانة؟! قالت: العجب! لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابئ، ففعل كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر الناس من بين

١ - أخلاق الدعاة ٣٥.

٢ - أخرجه مسلم (٢٣٢٨).

هذه وهذه -وقالت بإصبعيها الوسطى والسبابة فرفعتهما إلى السماء، تعني السماء والأرض- أو إنه لرسول الله حقاً، فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين، ولا يصيبون الصرم الذي هي منه، فقالت يوماً لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمداً، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها فدخلوا في الإسلام)) . (١).

- عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: ((بعث رسول الله ﷺ جيشاً ... فأمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا إلي ابني أخي، قال: فجيء بنا كأنا أفرخ، فقال: ادعوا لي الحلاق، فجيء بالحلاق فحلق رؤوسنا، قال: أما محمد فشبيهه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيهه خلقي وخلقي، ثم أخذ بيدي فأشالها فقال: اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه، قالها ثلاث مرار، قال: فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا، وجعلت تفرح له، فقال: العيلة تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟!)) . (٢).

- وعن أنس رضي الله عنه قال: ((كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت! وهو يقول: لن تراعوا، لن تراعوا! وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج! في عنقه سيف، فقال: لقد وجدته بحراً، أو: إنه لبحر)) . (٣).

- وعن أبي إسحاق قال: جاء رجل إلى البراء، فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمار؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولي، ولكنه انطلق أخفاء من الناس وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: ((أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزل نصرك!))، قال البراء: (كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي صلى الله عليه وسلم) . (٤).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهم به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: دعوه؛ فإن لصاحب الحق مقلاً، ثم قال: أعطوه

^١ -أخرجه البخاري (٣٤٤) واللفظ له ومسلم (٦٨٢).

^٢ -أخرجه أبو داود (٤١٩٢) مختصراً، وأحمد (١٧٥٠) واللفظ له. صححه الذهبي في ((تاريخ الإسلام)) (٤٣٠/٥)، والنووي في ((المجموع))

(٢٩٦/١)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤١٩٢)، وفي ((فقه السيرة)) (٣٧٠)، والوادعي في ((صحيح دلائل النبوة)) (١٦٥).

^٣ -أخرجه أبو داود (٤١٩٢) مختصراً، وأحمد (١٧٥٠) واللفظ له. صححه الذهبي في ((تاريخ الإسلام)) (٤٣٠/٥)، والنووي في ((المجموع))

(٢٩٦/١)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤١٩٢)، وفي ((فقه السيرة)) (٣٧٠)، والوادعي في ((صحيح دلائل النبوة)) (١٦٥).

^٤ -أخرجه البخاري (٦٠٣٣) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٧).

سنا مثل سنه، قالوا: يا رسول الله، لا نجد إلا أمثل من سنه، فقال: أعطوه؛ فإن من خيركم أحسنكم قضاء)) . (١).

- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ((غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدركته القائلة، وهو في واد كثير العضاء، فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبيننا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا، فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال: إن هذا أتاني وأنا نائم، فاختلط سيفي، فاستيقظت وهو قائم على رأسي، مختلط سيفي صلتا، قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فشامه ثم قعد، فهو هذا. قال: ولم يعاقبه رسول الله ﷺ)) . (٢).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ((بعث رسول الله ﷺ خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ قال: عندي يا محمد خير؛ إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ فأعاد مثل هذا الكلام، فتركه حتى كان بعد الغد فذكر مثل هذا، فقال رسول الله ﷺ: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل فيه، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟! قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتیکم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ)) . (٣).

مروءة أبي بكر رضي الله عنه:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما! فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟

^١ - أخرجه البخاري (٢٣٠٦) واللفظ له، ومسلم (١٦٠١).

^٢ - أخرجه البخاري (٤١٣٩) واللفظ له، ومسلم (٨٤٣).

^٣ - أخرجه البخاري (٤٣٧٢) واللفظ له، ومسلم (١٧٦٤).

قال: أبقيت لهم الله ورسوله! قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً)). (١).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ((لما توفي النبي ﷺ واستخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله.

قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق)). (٢).

مروءة عمر رضي الله عنه:

عن أسلم مولى عمر قال: (خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة، فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبية صغاراً، والله ما ينضجون كراعاً، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم. فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحباً بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً في الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً، وحمل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها! قال عمر: ثكلتك أمك! والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصراً حصناً زماناً فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سهمانها فيهما). (٣).

- وعن زيد بن ثابت (أن عمر بن الخطاب جاءه يستأذن عليه يوماً، فأذن له ورأسه في يد جارية له ترجله، فنزع رأسه، فقال له عمر: دعها ترجلك، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إلي جئتكم! فقال عمر: إنما الحاجة لي). (٤).

مروءة عثمان رضي الله عنه.

^١ - أخرجه أبو داود (١٦٧٨) واللفظ له، والترمذي (٣٦٧٥). صححه الترمذي، والحاكم على شرط مسلم في ((المستدرک)) (١٥١٠)، والنووي في ((المجموع)) (٢٣٦/٦). وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٣٦٧٥). والوادعي في ((الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (٩٩٦).

^٢ - أخرجه البخاري (١٣٩٩، ١٤٠٠) واللفظ له، ومسلم (٢٠).

^٣ - أخرجه البخاري (٤١٦٠، ٤١٦١).

^٤ - أخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) (١٣٠٢) واللفظ له، والدارقطني (٩٣/٤). والبيهقي (١٢٧٩٩). صححه الألباني في ((صحيح الأدب المفرد)) (٩٧٨).

عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: ((لما حصر عثمان أشرف عليهم فوق داره، ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن حراء حين انتفض قال رسول الله ﷺ: اثبت حراء؛ فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. قالوا: نعم. قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: من ينفق نفقة متقبلة؟، والناس مجهدون معسرون، فجهزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم. ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللهم نعم، وأشياء عددها)) . (١).

مروءة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ((أن عبد الله هلك، وترك تسع بنات -أو قال: سبع- فتزوجت امرأة ثيباً، فقال لي رسول الله ﷺ: يا جابر، تزوجت؟

قال: قلت: نعم، قال: فبكر أم ثيب؟

قال: قلت: بل ثيب يا رسول الله، قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك!، أو قال: تضاحكها وتضاحكك، قال: قلت له: إن عبد الله هلك، وترك تسع بنات -أو سبع- وإني كرهت أن آتيهن أو أجيئهن بمثلهن، فأحببت أن أجيء بامرأة تقوم عليهن وتصلحن.

قال: فبارك الله لك، أو قال لي خيراً)) . (٢).

مروءة سلمان الفارسي رضي الله عنه:

عن أبي قلابة (أن رجلاً أتى سلمان الفارسي فوجده يعتجن، فقال أين الخادم؟ فقال: أرسلته في حاجة، قال: لم يكن ليجمع عليه شيئاً؛ أن نرسله ولا نكفيه عمله!) . (٣).

مروءة عيسى التمار:

عن رباح بن الجراح العبدي قال: (جاء فتح الموصلي إلى صديق له يقال له: عيسى التمار، فلم يجده في المنزل، فقال للخادم: أخرجني إلي كيس أخي، فأخرجته له

^١ -أخرجه الترمذي (٣٦٩٩) واللفظ له، وابن حبان (٦٩١٦)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (١١٧٠). صححه ابن حبان، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٣٦٩٩)، وقال الترمذي: (حسن صحيح غريب). وقوله: "اثبت حراء" أصله في صحيح مسلم (٢٤١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: "اسكن حراء".

^٢ -أخرجه البخاري (٥٣٦٧)، ومسلم (٧١٥) واللفظ له.

^٣ -أخرجه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٨٩٢١) واللفظ له، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٤٧/٢١).

فأخذ درهمين، وجاء عيسى إلى منزله فأخبرته الخادم بمجيء فتح وأخذه الدرهمين، فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة! فنظر فإذا هي صادقة فعتقت). (١).

يا بَنِيَّ، لا تفقدوا إخواني

لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة قال: يا بَنِيَّ، لا تفقدوا إخواني مني عنكم عين وجهي، أَجْرُوا عليهم ما كُنْتُ أَجْرِي، واصنعوا بهم ما كنت أصنع، ولا تُلْجِئُوهم للطلب؛ فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه، وارتعدت فرائصه، وَكَلَّ لسانه، وبدا الكلام في وجهه، اكفوهم مئونة الطلب بالعطية قبل المسألة؛ فإنني لا أجد لوجه الرجل يأتي يتقلقل على فراشه ذاكراً موضعاً لحاجته فعدا بها عليكم لا أرى قضى حاجته عوضاً من بذل وجهه، فبادروهم بقضاء حوائجهم قبل أن يسبقوكم إليها بالمسألة. (٢)

ليس من المروءة أن آخذ منك شيئاً

قال عبيد الله بن محمد التيمي: سمعت ذا النُّون يقول بمصر: من أراد أن يتعلَّم المروءة والظرف، فعليه بسقاة الماء ببغداد.

قيل له: وكيف ذلك؟

قال: لَمَّا حُمِلْتُ إلى بغداد رُمي بي على باب السلطان مقيّداً، فمرَّ بي رجلٌ مَنَزَّرُ بمنديل مصري، معتمٌ بمنديل دَبِيقِيٍّ، بيده كيزان خزفٍ رقاقٍ وزجاج مخروط، فسألت: هذا ساقِي السلطان؟

فقال لي: لا، هذا ساقِي العامة. فأومأت إليه: اسقني. فتقدَّم وسقاني، رائحة المسك، فقلت لمن معي: ادفع إليه ديناراً. فأعطاه الدينار، فأبى وقال: لست آخذ شيئاً. فقلت له: ولم؟

فقال: أنت أسيرٌ، وليس من المروءة أن آخذ منك شيئاً. فقلت: كَمَل الظرف في هذا. (٣)

أنا حائر في أمري ممن أتعجب

كان أحدهم مسافراً بأسرته في صحراء مترامية الأطراف، وإذا بعطل مفاجئ يحدث في سيارته، وقد حاول تشغيلها لكن دون جدوى، وجلس الرجل حائراً في أمره، ولم يمض وقت طويل حتى أوقف أحدهم سيارته، وترجل منها قائلاً: "خير ما الذي حدث؟!، وحاول معه مرة أخرى في تشغيل السيارة... ثم قال للرجل:

^١ - (الإخوان) لابن أبي الدنيا (ص: ٢٠٥).

^٢ - المتحابين في الله للمقدسي (ص: ٨١)

^٣ - تاريخ بغداد لأبي بكر البغدادي (١/ ١١١)

"هذه سيارتي أكمل سفرك فيها مع أسرتك، وأنا أجلس هنا عند سيارتك حتى ترسل لي "سطحة" من مدينتك نحمل عليها سيارتك".

قال صاحبنا: "هذا غير معقول، لأنه يعني أنك ستجلس هنا قرابة عشر ساعات".

قال الرجل: "لا بأس أنا شخص، وأنتم عائلة!"، وأخذ صاحبنا سيارة الرجل الشهم ورقم هاتفه ومضى، وفي صباح اليوم التالي وضع سيارته في ورشة الإصلاح، وأعاد السيارة الأخرى إلى صاحبها.

ومرت الأيام، وتذكر صاحب السيارة المعطوبة المعروف الذي صنعه معه صاحبه، فاتصل عليه ليسأل عنه، فقالت زوجته: "هو في السجن"، وذكرت له اسم السجن، وفهم منها أنه سجن بسبب الديون التي عليه.

وفي اليوم التالي أخذ الرجل معه مئة ألف ريال وذهب إلى السجن وأعطاهم لضابط السجن، وقال: "هذه لقضاء ديون فلان وإخراجه من عندكم"، قال الضابط: "من أنت؟"، قال له: "لا داعٍ لأن أذكر لك اسمي" ومضى.

بعد عشرين يوماً اتصل ببيت صاحبه ليطمئن عليه فقالت له زوجته: "ما زال في السجن".

فما كان منه إلا أن سارع إلى السجن، وسأل الضابط عن سبب عدم إطلاق سراح صاحبه، فقال: "الدين الذي عليه ثلاثة ملايين وليس مئة ألف"، ثم أردف قائلاً: "أنا حائر في أمري ممن أتعجب، هل أتعجب منك حين جئت بمئة ألف ريال دون أن تذكر اسمك؟

أو أتعجب من صاحبك السجين حين قال لي: المئة ألف لن تصنع لي شيئاً، فأرجو أن تطلق بها سراح بعض زملائي المسجونين ممن عليه خمسة آلاف وعشرة آلاف وقد أطلقت بها فعلاً اثني عشر مسجوناً".

قال صاحبنا: "خير إن شاء الله"، وغاب قرابة شهر ثم عاد وقد جمع الملايين الثلاثة من مدخراته ومن بعض المحسنين، وأطلق بها سراح صاحب المروءة. (١)

سترك الله كما سترتني

قال أحمد بن مهدي: جاءتني امرأة ببغداد ليلة، فذكرت أنها من بنات الناس، وأنها امتحنت بمحنة: وأسألك بالله أن تسترني، فقد أكرهت على نفسي، وأنا حبلي، وقلت: إنك زوجي، فلا تفضحني.

فنكست عنها ومضت. فلم أشعر حتى جاء إمام المحلة والجيران يهنوني بالولد الميمون. فأظهرت التهلل.

^١ - منتديات أشواق الجنة

ووزنت في اليوم الثاني للإمام دينارين وقلت:

أعطها للمرأة نفقة، فإني فارقتها. وكنت أعطيه كل شهر دينارين يوصلها لها.

إلى أن أتى على ذلك سنتان. فمات الولد، وجاءني الناس يعزونني. فكنت أظهر لهم التسليم والرضا. فجاءتني المرأة بعد شهر ومعها تلك الدنانير لردها وقالت: سترك الله كما سترتني.

فقلت: هذه كانت صلة مني للمولود. وهي لك لأنك ترثينه، فاعلمي بها ما تريدين.^(١)

ما أكمل مروءة أبيك

عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: قال لي رجاء بن حيوة: ما أكمل مروءة أبيك، سمريت عنده ذات ليلة فعشي السراج، فقال لي: ما ترى السراج قد عشي، قلت: بلى، قال: وإلى جانبه وصيف راقد، قلت: ألا أنبهه؟

قال: لا، قلت: أفلا أقوم؟ قال: ليس من مروءة الرجل استخدامه ضيفه، فقام إلى بطة الزيت وأصلح السراج، ثم رجع، وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز^(٢).

حافظ على مروءتك حتى ترفعك للأمام

مرَّ رجلٌ بالقرب من بائع خضار، فراح يسأله، وأخذ في الحديث، وفي تلك الأثناء مرَّت امرأةٌ تحمِلُ صرَّةً كبيرة، وكادت تسقط لثقل هذه الصرَّة، فلما رآها الرجل سألها: من أين هي قادمة؟

فردَّت - بصوتٍ خافتٍ، وهي تلتقط أنفاسها -: من مملكةٍ بعيدة تدعى مملكة الدراق، فأخذ الرجل منها الصرَّة، وسألها: إلى أين ستذهبين؟

فردَّت: ليس لي مكانٌ أبِيتُ فيه؛ فأنا لستُ إلا جارية لا تملك مالاً ولا مأوى، وأنا هنا في انتظار أخي حتى يأخذني، ولا أعلم متى سيعود؟

فقال الرجل: إذا هلاًّ تعودين معي إلى منزلي، وسأعرفكِ بزوجتي حتى عودة أخيك؟ فوافقت المرأة، وشكرت الرجل على مروءته، وأخذها معه، وعرفها على زوجته؛ فأحبت زوجته تلك المرأة، وتعلقت بها، وكانت تُكرِّمها أشدَّ الكرم، وبعد أسبوع طرق باب الرجل زائرٌ، وكان هو أخ المرأة، وقال للرجل بأسفٍ: والله - يا أخي - لو كان معي مالٌ لأعطيْتُك إِيَّاه كله، ولكن ما عساي غير الشكر، فردَّ الرجل: لا

^١ - " الوافي بالوفيات " ٨ / ١٩٩.

^٢ - المعرفة والتاريخ ١ / ٥٧٧ - ٥٧٨.

بأس؛ فأخُتِكَ مثل أختي، وكان واجباً عليّ إكرامها، وأخرج من جيبه بعضَ المال وقَدَّمه لأخ المرأة، ولكنه رفضه، وشكر الرجل، وذهب هو وأخته، وقبل ذهابه سأله عن اسمه، فأجاب الرجل قائلاً: عمر بن ميسرة، ومضى الأخ في طريقه.

وبعد عام جاء للرجل رسولٌ من مملكة الدراق يحمل له رسالة جاء فيها: إن الملك يُقرِّئك السلام، ويستدعيك للقصر الليلة في تمام السابعة مساءً؛ فتعجَّب الرجل؛ لأنه لم يكن هناك أي صلةٍ تربطه بالملك، وظنَّ أنه سيسجن فهدَّأته زوجته، وقالت له: إن شاء الله خير.

وعند السابعة خرج الرجل من منزله قاصداً القصر، وعندما وصل تفاجأ بالمرأة وأخيها جالسين على العرش، وأمامهما الكثير من الأموال والذهب، واتَّضح أنهما مَلِكَا مملكة الدراق، وكنا يبحثان عن رجل ذي مروءة، وكان هو هذا الرجل، فقالا له: خُذْ هذا الذهب، وهذه الأموال التي أمامك، وبلِّغ تحياتنا لزوجتك، ولا تنسَ أن تُكرِّمها وتُسعدّها؛ فهي أعلى ما تملك، ولا تجعل المال ينسبك ربَّك، وحافظ على مروءتك حتى ترفعك للأمام؛ فخرج الرجل من القصر وهو مسرور، وشكر الله، ثم الملكين، وعاش وزوجته في سلام. (١).

الفصل العاشر: قصص عن العزة الأنفة

- عن المِسْوَرِ بْنِ مَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالَ: ((خرج رسولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحَدِيبِيَّةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بَبْعُضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ، فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةِ الْجَيْشِ، فَاَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يَهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَالْحَتْ ، فَقَالُوا: خَلَاتِ الْقَصَوَاءُ ، خَلَاتِ الْقَصَوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا خَلَاتِ الْقَصَوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوُثِّبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحَدِيبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا ، فَلَمْ يُلْبِثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشَكِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ، فَاَنْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ! فَبَيْنَمَا هُمْ

كذلك إذ جاء بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خِزَاعَةٍ، وَكَانُوا عَيْبَةً نَصَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةٍ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحَدِيبِيَّةِ، وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ، وَهُمْ مَقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مَعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قَرِيشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ، وَأَضْرَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُوا فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جُمُوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلِيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ...)). (١)

- قَالَ الشَّعْبِيُّ: (كَانَتْ دِرَّةٌ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَهْيَبَ مِنْ سَيْفِ الْحَجَّاجِ، وَلَمَّا جَاءَ بِالْهُرْمُزَانَ -مَلِكِ خَوْزِسْتَانَ- أَسِيرًا إِلَى عُمَرَ، لَمْ يَزَلِ الْمَوْكَلُ بِهِ يَقْتَفِي أَثَرَ عُمَرَ، حَتَّى عَثَرَ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ نَائِمًا مَتَوَسِّدًا دِرَّتَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ الْهُرْمُزَانُ قَالَ: هَذَا هُوَ الْمَلِكُ؟! وَاللَّهِ إِنِّي خَدَمْتُ أَرْبَعَةً مِنَ الْمُلُوكِ الْأَكَاسِرَةِ أَصْحَابِ الثِّيَجَانِ، فَمَا هَبْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَهَيْبَتِي لِصَاحِبِ هَذِهِ الدَّرَّةِ) ! (٢)

أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ قَالَ: ((كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَحَبَّ رَجُلٍ مِنَ النَّاسِ إِلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا نُبِّئَ ﷺ وَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، شَهِدَ حَكِيمُ الْمَوْسِمَ وَهُوَ كَافِرٌ، فَوَجَدَ حُلَّةً لَذِي يَزِينَ تُبَاعٌ، فَاشْتَرَاهَا لِيُهِدِيَهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ، فَأَرَادَهُ عَلَى قَبْضِهَا هَدِيَّةً، فَأَبَى، فَقَالَ: إِنَّا لَا نَقْبَلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَيْئًا، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخَذْتُهَا مِنْكَ بِالْثَمَنِ، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا حِينَ أَبِي عَلِيٍّ الْهَدِيَّةَ، فَلَبِسَهَا، فَرَأَيْتُهَا عَلَيْهِ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ أَعْطَاهَا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَرَأَاهَا حَكِيمٌ عَلَى أَسَامَةَ، فَقَالَ: يَا أَسَامَةُ، أَنْتَ تَلْبَسُ حُلَّةَ ذِي يَزِينَ؟! فَقَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَأَنَا خَيْرٌ مِنْ ذِي يَزِينَ، وَلَأَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ! قَالَ حَكِيمٌ: فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، أَعْجَبَهُمْ بِقَوْلِ أَسَامَةَ). (٣)

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: وَجَّهَ عُمَرُ جَيْشًا إِلَى الرُّومِ، فَأَسْرَوْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تَنْصَرَّ،

^١ - أخرجه البخاري (٢٧٣١) و(٢٧٣٢).

^٢ - (أقباس روحانية. نقلًا من صلاح الأمة) (٢٧٧/٣-٢٧٨) بتصرف.

^٣ - (أقباس روحانية. نقلًا من صلاح الأمة) (٢٧٧/٣-٢٧٨) بتصرف.

وأعطيتك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ملك العرب، ما رجعت عن دين محمد طرفة عين! قال: إذا أقتلك. قال: أنت وذاك!

فأمر به، فصلب، وقال للزُمامة: ارموه قريباً من بدنه، وهو يعرض عليه ويأبى، فأنزله ودعا بقدر، فصب فيها ماءً حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فألقي فيها، وهو يعرض عليه النصرانية، وهو يأبى! ثم بكى. ف قيل للملك: إنه بكى. فظن أنه قد جزع، فقال: ردوه.

ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدة تُلقي الساعة فتذهب، فكنت أشتي أن يكون بعدد شعري أنفُسُ تُلقي في النار في الله! فقال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي، وأخلي عنك؟

فقال له عبد الله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم. فقبل رأسه، وقدم بالأسارى على عمر، فأخبره خبره.

فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ، فقبل رأسه!

ويلكم لا تنظروا إلى الثياب

دخل ربي بن عامر على رستم، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرايى الحرير، وأظهر اليواقيت واللالئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب.

ودخل ربي بثياب صفيقة، وسيف، وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه، ودرعه، وبيضته على رأسه.

فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوگاً على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله.

قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.

فقال رستم: قد سمعت مقالتيكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحب إليكم؟ يوماً أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا.

فقال: ما سنّ لنا رسول الله أن نؤخّر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل. فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم. فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعزّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكّل، ويصنون الأحساب.^(١)

ألقى بيديه إلى التهلكة

عن أسلم أبي عمران التجيبي، قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، على أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صفّ الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله! ألقى بيديه إلى التهلكة. فقام أبو أيوب، فقال: يا أيها الناس، إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعزّ الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرّا دون رسول الله: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعزّ الإسلام وكثر ناصروه، فلما أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها أنزل الله على نبيه يردّ علينا ما قلنا: **{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}** [البقرة: ١٩٥]. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دُفن بأرض الروم^[٢].

وَرَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَمَسَّهُ

فَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (حَدَّثَنِي أُمُّ أَيْمَنَ قَالَتْ: كَانَتْ بُوَانَةُ صَنَمًا تَحْضُرُهُ قُرَيْشٌ وَتَعْظُمُهُ وَتَنْسُكُ لَهُ وَتَحْلُقُ عِنْدَهُ وَتَعْكُفُ عَلَيْهِ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ فِي كُلِّ سَنَةٍ). فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَحْضُرُهُ مَعَ قَوْمِهِ، وَيَكْلِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَحْضُرَ ذَلِكَ الْعِيدَ مَعَهُمْ، فَيَأْتِي ذَلِكَ. قَالَتْ: حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا طَالِبٍ غَضِبَ عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ عَمَاتِهِ غَضِبْنَ يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ الْغَضَبِ، وَجَعَلْنَ يَقُلْنَ: إِنَّا لَنَخَافُ عَلَيْكَ مِمَّا تَصْنَعُ مِنْ اجْتِنَابِ آلِهَتِنَا، وَيَقُلْنَ: مَا تُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَحْضُرَ لِقَوْمَكَ عِيدًا وَلَا تَكْثُرَ لَهُمْ جَمْعًا. فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى ذَهَبَ فَعَابَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَجَعَ مَرْغُوبًا فَرِحًا، فَقُلْنَا: مَا دَهَاكَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي لَمَمٌ». فَقُلْنَا: مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَبْتَلِكَ بِالشَّيْطَانِ وَكَانَ فِيكَ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ مَا كَانَ، فَمَا الَّذِي رَأَيْتَ؟ قَالَ: «إِنِّي كُلَّمَا دَنَوْتُ مِنْ

^١ - البداية والنهاية (٧/ ٤٧)

^٢ - سنن الترمذي: تفسير القرآن الكريم، سورة البقرة (٢٩٧٢)، وقال الألباني: صحيح. والحاكم (٣٠٨٨)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وابن حبان (٤٧١١)، والنسائي (١١٠٢٩)، والبيهقي (١٧٧٠٤).

صَنِمَ مِنْهَا، تَمَثَّلَ لِي رَجُلٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ يَصِيحُ بِي: وَرَأَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ لَا تَمَسَّهُ». قَالَتْ: فَمَا عَادَ إِلَى عِيدِ لَهُمْ، حَتَّى تَتَّبَعَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ (١).

اعتزاز الرسول بالإسلام

فقد جاء وفد من كفار قريش لعم رسول الله ﷺ أبي طالب يستنكرون على رسول الله، وقالوا له: "وَأَنَا وَاللَّهِ لَا نَضْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَيْءٍ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتَّى تَكْفَهُ عَنَّا، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ".

فبعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبقي عليّ، وعلى نفسك، ولا تحملي من الأمر ما لا أطيع. فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه.

فقال رسول الله ﷺ: «يَا عَمَّ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ».

ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولّى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي. فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً (٢).

عزة الرسول بعبادته لربه

لقد كان النبي ﷺ يتحمل الأذى من المشركين، ولكنه كان يوقفهم عند حدودهم، ولا يسمح لهم بتجاوزها، فهو وإن كان مأموراً بالصبر عليهم والإعراض عنهم، فإنه -أيضاً- عزيز لا يرضى الله له المهانة، وعندما تجرأ كفار قريش عليه ﷺ دعا عليهم عند الكعبة، فوجموا وخافوا دعوته، وكان دعاؤه ﷺ من نصيبهم، فقتلوا جميعاً يوم بدر؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ ووضعته على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئاً لو كان لي منعة. قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة، فطرحته عن ظهره..

فرفع رأسه ثم قال: "اللهم عليك بقريش" ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم. قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى "اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأممية بن خلف،

١ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ١٤٩)

٢ - سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٦) الروض الآنف الرقمية للسيهيلي (٣/ ١٠)

وعقبة بن أبي معيط". وعَدَّ السابع فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عَدَّ رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر^(١).

عزة الرسول في قتال المشركين

ففي غزوة أحد عصا الرماة أمر رسول الله ﷺ فانقلبت الدائرة على المسلمين، وصعد رسول الله ﷺ فوق جبل أحد، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال الرسول ﷺ: «لا تجيبوه». فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «لا تجيبوه». فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقي الله عليك ما يخزيك. قال أبو سفيان: اُعلُ هُبَل.

فقال النبي ﷺ: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟

قال: «قولوا لله أعلى وأجل». قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا لله مولانا ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤني^(٢).

من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم

يقول ابن الأثير: "فلما استوثقت الروم لنقفور كتب إلى الرشيد: "من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كانت حقيقاً بحمل أضعافها إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من أموالها، وافدد نفسك به من المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك.

فلما قرا الرشيد الكتاب استغزه الغضب، حتى لم يقدر أحد أن ينظر إليه دون أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه، فدعا بداوة، وكتب على ظهر الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم" من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، لقد قرأت كتابك يا ابن الكفرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه، والسلام".

ثم سار من يومه حتى نزل هرقله ففتح وغنم واحرق وخرب، فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فأجابه إلى ذلك.

^١ - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (ص: ٣٦) السيرة لابن حبان (ص: ٦٩)

^٢ - أخرجه أحمد ٢٩٣/٤ (١٨٧٩٤). و"البخاري" ٧٩/٤ (٣٠٣٩) و"أبو داود" و"النسائي"، في "الكبرى" ٨٥٨١

فلما قفل راجعا بلغه أن نقفور نقض العهد فكر الرشيد راجعا إليه وأقام في بلاده حتى شفى نفسه منهم، ولم يبرح حتى رضي وبلغ ما أراد. (١)

يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟

موقف أم حبيبة . رضي الله عنها . مع أبي سفيان قبل إسلامه: دخل أبو سفيان على ابنته أم حبيبة- رضي الله عنها- فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجسٌ مشركٌ، فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شرٌّ. (٢)

والله لا نعطيهم إلا السيف

موقف سعد بن معاذ رضي الله عنه مع النبي ﷺ يوم الأحزاب: لما اشتد على الناس البلاء يوم الأحزاب بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المروضة . المجاذبة . فلما أراد الرسول ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى السعدين فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال: لا بل شيءٌ أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب رمتكم عن قوسٍ واحدٍ وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما . فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرةً واحدةً إلا قرئ أو بيعاً أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال النبي ﷺ: أنت وذاك فتناول سعد بن معاذ رضي الله عنه الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال - رضي الله عنه - : ليجهدوا علينا . (٣)

لأي شيء سميت الفاروق؟

موقف إسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- : عندما قذف الله الإسلام في قلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ سيفه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فإذا هو عمر متوشحٌ بالسيف فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو

١ - العبر في خبر من غير (ص: ٥٥) تاريخ الطبري (٦/ ٥٠١) الكامل في التاريخ (٢٥/ ٥٧)

٢ - الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٦٥٣)

٣ - الروض الأنف (٦/ ٢٠٩)

فزع فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف، فقال حمزة- رضي الله عنه- : فأذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ : " أذن له "، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع رداءه ثم جذبه جذبةً شديدةً، فقال ﷺ : " ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟

فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعةً "، قال عمر: يا رسول الله جئتكم لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله !

قال: " فكبر رسول الله ﷺ تكبيرةً. فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عَزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه :لأي شيء سميت الفاروق ؟

قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام . ثم قصَّ عليه قصة إسلامه وقال في آخره . قلت :. أي حين أسلمت يا رسول الله: ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟

قال: بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق وإن متم وإن حييتم، قال: قلت: ففيم الاختفاء ؟

والذي بعثك بالحق لنخرجن. فأخرجنا في صفين حمزة رضي الله عنه في أحدهما وأنا في الآخر له كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد قال: فنظرت إليَّ قريشٌ وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها. سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ. (١)

إِنَّا كُنَّا أَذِلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ

موقف عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- مع أبي عبيدة رضي الله عنه : عن طارق بن شهاب قال : خرج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - إلى الشام ومعنا أبو عبيدة فأتوا على مخاضةٍ، وعمر على ناقته فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة . فقال أبو عبيدة رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا ؟ تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك . فقال عمر -رضي الله عنه- : أوَّه ! لو قال ذا غيرك أبا عبيدة لجعلته نكالا لأمة محمد ﷺ. إِنَّا كُنَّا أَذِلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله. (٢)

١ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٢١) .

٢ - نثر الدر للآبي (١/ ١١٤) ، بترقيم الشاملة آليا)

يا أماه إني على شديد حبي لك لأشدُّ حباً لله ورسوله

موقف سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- مع أمه: لَمَّا أسلم سعدُ رضي الله عنه وعلمت أمه بخبر إسلامه ثارت ثائرتها وأقبلت عليه تقول: يا سعد ما هذا الدين الذي اعتنقته فصرفك عن دين أمك وأبيك؟ والله لتدعن دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فيتفطر فؤادك حزناً عليّ ويأكلك الندم على فعلتك التي فعلت وتعيرك الناس بها أبد الدهر. فقال لها سعدُ رضي الله عنه: لا تفعلني يا أماه فأنا لا أدع ديني لأي شيء، لكنها مضت في وعيدها فاجتنبت الطعام والشراب ومكثت أياماً على ذلك لا تأكل ولا تشرب فهزل جسمها ووهن عظمها وخارت قواها، فجعل سعد رضي الله عنه يأتيها ساعةً بعد ساعة ويسألها أن تتبلع شيئاً من الطعام أو قليلاً من الشراب فتأبى ذلك أشد الإباء، وتقسم ألا تأكل أو تشرب حتى تموت أو يودّع سعدُ -رضي الله عنه- دينه، فقال سعد -رضي الله عنه-: يا أماه إني على شديد حبي لك لأشدُّ حباً لله ورسوله ووالله لو كان لك ألف نفس فخرجت منك نفساً بعد نفس ما تركت ديني هذا لشيء، فلما رأت الجد من سعدٍ -رضي الله عنه- أذعنت للأمر وأكلت وشربت على كرهٍ منها . (١)

لكني والله لا أكره أن أهرق دمك

موقف علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- مع عمرو بن عبد ود: لَمَّا كان يوم الخندق خرج عمرو بن عبد ود فنادى: من يبارز؟ فقام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقال: أنا لها يا نبي الله، فقال ﷺ: إنه عمرو اجلس، ثم نادى عمرو: ألا رجلٌ يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تُبرزون إليّ رجلاً؟ فقام علي -رضي الله عنه- فقال: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: اجلس، ثم نادى الثالثة وأنشد أبياتاً من الشعر، فقام علي -رضي الله عنه- فقال: يا رسول الله أنا، فقال ﷺ: إنه عمرو، فقال رضي الله عنه: وإن كان عمراً، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى إليه حتى أتاه وهو يردد أبياتاً من الشعر، فقال له عمرو: من أنت؟ فقال: أنا علي، فقال عمرو: ابن عبد مناف. فقال علي -رضي الله عنه-: أنا علي بن أبي طالب، فقال عمرو: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أهرق دمك؟

فقال له علي -رضي الله عنه-: لكني والله لا أكره أن أهرق دمك! فغضب فنزل وسلّ سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضباً واستقبله علي بدرقته فضربه عمرو في درقته ففقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي -رضي الله عنه- فقتله. (٢)

١ - أسد الغابة لأبو الحسن الشيباني (٢/ ٤٣٦)

٢ - البداية والنهاية (٤/ ١٢٢)

إن في أذني صمماً عن سماع

موقف حبيب بن زيد -رضي الله عنه- مع مسيلمة الكذاب: أرسل الرسول ﷺ حبيب بن زيد رضي الله عنه إلى مسيلمة الكذاب برسالة يزجره فيها عن غيّه فلما وصل حبيب رضي الله عنه إلى مسيلمة ودفع الرسالة إليه فلما قرأها مسيلمة انتفخ صدره ضغينةً وحقدًا وبدا الشر والغدر على قسمات وجهه الدميم الأصفر، وأمر بحبيب -رضي الله عنه- أن يقيد وأن يؤتى به إليه ضحى اليوم التالي. فلما كان الغد تصدر مسيلمة مجلسه وجعل عن يمينه وعن شماله الطواغيت من كبار أتباعه وأذن للعمامة بالدخول عليه ثم أمر بحبيب -رضي الله عنه- فجاء به إليه وهو في قيوده. وقف حبيب -رضي الله عنه- وسط هذه الجموع الحاشدة الحاقدة مشدود القامة مرفوع الهامة شامخ الأنف وأحكموا تقويمه، فالتفت إليه مسيلمة وقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فقال حبيب -رضي الله عنه-: نعم أشهد أن محمد رسول الله فاجتأز مسيلمة غيظاً، وقال: وتشهد أنني رسول الله؟

فقال حبيب -رضي الله عنه- في سخرية لاذعة: إن في أذني صمماً عن سماع ما تقول. فامتقع وجه مسيلمة وارتجفت شفتاه حنقاً، وقال لجلاده: اقطع قطعة من جسده فأهوى الجلاد على حبيب -رضي الله عنه- بسيفه وبتر قطعة من جسده فتدحرجت على الأرض، ثم أعاد مسيلمة عليه السؤال نفسه فكان جواب حبيب رضي الله عنه نفس الجواب، فأمر بأن تقطع من جسده قطعة أخرى فقطعت فتدحرجت على الأرض إلى جانب أختها والناس شاخصون بأبصارهم مذهولون من تصميمه وعناده. ومضى مسيلمة يسأل والجلاد يقطع وحبيب -رضي الله عنه- يقول: أشهد أن محمداً رسول الله حتى صار نحو من نصفه قطعاً مقطعةً منشورةً على الأرض ونصفه الآخر كتلةً تتكلم، ثم فاضت روحه وعلى شفثيه الطاهرتين اسم النبي الذي بايعه ليلة العقبة. (١)

" لا نسجد إلا لله "

موقف جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- مع النجاشي: قال جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- للنجاشي في قصته الطويلة عندما هاجر الصحابة إلى الحبشة وجاء نفرٌ من قريشٍ في طلبهم حتى يردهم النجاشي إليهم: " لا نسجد إلا لله ". (٢)

والله لأنا خيرٌ من ذي يزن

موقف أسامة بن زيد -رضي الله عنه- مع حكيم بن حزام رضي الله عنه : عن حكيم بن حزام -رضي الله عنه- قال : كان رسول الله ﷺ أحب رجلٍ من الناس إليّ

١ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٢٥)

٢ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٢٥)

في الجاهلية فلما نبي ﷺ وخرج إلى المدينة شهد حكيم الموسم وهو كافر فوجد حُلَّةً لذي يزن تباع فاشترها ليهديها لرسول الله ﷺ فقدم بها عليه المدينة فأرادته على قبضها هدية فأبى . فقال ﷺ : " إنا لا نقبل من المشركين شيئاً ولكن إن شئت أخذتها منك بالثمن " فأعطيته إياها حين أبى علي الهدية بالثمن فلبسها فرأيتها عليه على المنبر، فلم أر شيئاً أحسن منه يومئذ، ثم أعطاها أسامة بن زيد فرآها حكيماً على أسامة -رضي الله عنه- فقال : يا أسامة أنت تلبس حلة ذي يزن ؟ فقال أسامة-رضي الله عنه-: نعم والله لأنا خيرٌ من ذي يزن ولأبي خير من أبيه. قال حكيم -رضي الله عنه -: فانطلقت إلى أهل مكة أعجبهم بقول أسامة -رضي الله عنه- . (١)

إِنَّا نخشاهم عليك

موقف عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه -عندما جهر بالقرآن: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله في مكة وكانوا قلةً مستضعفين فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجلٌ يسمعهم إياه؟

فقال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: أنا أسمعهم إياه. فقالوا: إِنَّا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة تحميه وتمنعه منهم إذا أرادوه بشر، فقال: دعوني فإن الله سيمنعني ويحميني، ثم غدا إلى المسجد حتى أتى مقام إبراهيم في الضحى وقريش جلوس حول الكعبة فوقف عند المقام وقرأ: " الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الضحى (٢) الْفُرْقَانَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " ومضى يقرأها فتأملت قريش وقالت: ماذا قال ابن أم عبد ؟

تباً له إنما يتلو بعض ما جاء به محمد وقاموا إليه وجعلوا يضربون وجهه وهو يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه والدم يسيل منه، فقالوا له: هذا الذي خشيناه، فقال: والله ما كان أعداء الله أهون في عيني منهم الآن وإن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً، قالوا: لا حسبك، لقد أسمعتمهم ما يكرهون. (٢)

كيف أنت يا هشام

موقف طاوس بن كيسان- رحمه الله- مع هشام بن عبد الملك: عن ابن خلكان قال: " وحكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى بيت الله الحرام فلما دخل الحرم قال إيتوني برجل من الصحابة فقل يا أمير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فأتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بأمرة المؤمنين ولم يكنه وجلس إلى جانبه بغير إذنه وقال كيف أنت يا هشام فغضب من ذلك غضباً شديداً حتى هم بقتله فقليل يا أمير المؤمنين أنت في حرم الله وحرم رسوله ﷺ لا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما حملك على ما

^١ - السيرة النبوية - شمس الدين بن عثمان الذهبي (١/ ٣١٥)

^٢ - رجال حول الرسول ص (ص: ٧٧)

صنعت قال وما صنعت فاشتد غضبه له وغيطه وقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت يا هشام كيف أنت قال أما خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي وأما ما قلت لم تسلم علي بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك فخفت أن أكون كاذبا وأما ما قلت لم تكنني فإن الله عز وجل سمى أنبياءه قال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى أعداءه فقال تبت يدا أبي لهب وتب وأما قولك جلست بإزائي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له عظمي قال إني سمعت أمير المؤمنين رضي الله عنه يقول إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام وخرج". (١)

إنما يقوم الناس لرب العالمين

موقف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب . رحمه الله . مع المهدي: قال أبو العيناء: لما حجَّ المهدي دخل مسجد رسول الله ﷺ فلم يبق أحدٌ إلا قام إلا ابن أبي ذئب.

فقال له المسيب بن زهير: قم هذا أمير المؤمنين. فقال: إنما يقوم الناس لرب العالمين. فقال المهدي: دعه فلقد قامت كل شعرة في رأسي. (٢)

إني استحيي من الله أن أسأل في بيته غيره

موقف سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . رحمه الله . مع هشام بن عبد الملك: قال ابن عيينة دخل هشام الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله فقال: سلني حاجة. قال: إني استحيي من الله أن أسأل في بيته غيره. فلما خرجا، قال: الآن فسليني حاجة. قال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ قال: من حوائج الدنيا. قال: والله ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسألكها من لا يملكها. (٣)

يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به

موقف مالك بن أنس . رحمه الله . مع هارون الرشيد: قال مالك بن أنس . رحمه الله : وجّه إليّ هارون الرشيد فسألني أن أحدثه

١ - فيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٢/ص ٥١٠،

٢ - تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ١٠٧) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ١٤٣)

٣ - إسعاف المبطأ برجال الموطأ لعبد الرحمن السيوطي (ص: ١١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٤٦٦)

فقلت: يا أمير المؤمنين إن العلم يؤتى ولا يأتي فصار إلى منزلي فاستند معي في الجدار. فقلت له: يا أمير المؤمنين إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم. قال: فقام فجلس بين يدي.

فقال لي بعد مدة: يا أبا عبدالله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع به. وكان سفيان يأتيهم إلى بيوتهم فيأخذ دراهم. (١)

إني لا أدلُ العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين

موقف الإمام البخاري . رحمه الله . مع أمير بخارى: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل البخاري: أن احمل إليّ كتاب الجامع والتاريخ لأسمع منك.

فقال البخاري لرسوله: قل له: إني لا أدلُ العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين فإن كانت له حاجةٌ إلى شيءٍ منه فليحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطانٌ فامنعني من المجلس ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة: أني لا أكتُم العلم فكانت سبب الوحشة بينهما. (٢)

خيرٌ لك أيها الحاكم ألا تتعرض للأمة في دينها

موقف الشيخ عبد الحميد الجزائري . رحمه الله . مع المندوب السامي: استدعى المندوب السامي الفرنسي .

في سوريا . الشيخ عبد الحميد الجزائري وقال له: إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار وإلا أرسلت جنوداً لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السموم ضدنا وإخماد أصواتك المنكرة.

فأجاب الشيخ عبد الحميد: أيها الحاكم إنك لا تستطيع ذلك.

واستشاط الحاكم غضباً، كيف لا أستطيع؟

قال الشيخ: إذا كنت في عرسٍ هنأت وعلمت المحتفلين، وإذا كنت في مأتمٍ وعظت المعزين، وإن جلست في قطارٍ علّمتُ المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني ألهمت مشاعر المواطنين، وخيرٌ لك أيها الحاكم ألا تتعرض للأمة في دينها ولغتها. (٣)

والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده

١ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٤٧)

٢ - التاريخ الصغير لمحمد للبخاري (١/ ١٦)

٣ - منتديات أرض اليمن

موقف العز بن عبدالسلام . رحمه الله . مع رسول السلطان: عندما قال له رسول السلطان بينك وبين أن تعود لمناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير، قال: " والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده ، يا قوم أنتم في وادٍ وأنا في وادٍ والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكُم به " . (١)

إن الذي يمدُّ رجله لا يمد يده

موقف أحد علماء الأزهر مع السلطان عبدالعزيز: لما قدم السلطان عبدالعزيز مصر زار الجامع الأزهر وصحبه الخديوي إسماعيل فلحظ الخديوي على شيخ بالجامع كأنه غير مهتم، فهو مسندٌ ظهره مادُّ رجله فأسرع بالسلطان عنه، ثم كلف أحد رجاله .

وقد أراه الشيخ . أن يذهب له بصُرَّة يريد أن يعرف حاله، فلما جاء الرسول ليعطيه قبض الشيخ عنه يده، وقال له: قل لمن أرسلك: إن الذي يمدُّ رجله لا يمد يده. (٢)

أرجو منك المعذرة

- أسر العالم والداعية المجاهد التركي "بديع النورسي" رحمه الله تعالى خلال جهاده الروس أيام الخلافة العثمانية ففي يوم من الأيام زار نيقولا نيقولا فيج معسكر الأسر للتفتيش فقام له الأسرى احتراماً
- وعندما مر من أمام بديع الزمان لم يحرك ساكناً ولم يهتم به، مما لفت نظر القائد العام، فرجع ومر من أمامه بحجة أخرى، فلم يكثرث به أيضاً.
- وفي المرة الثالثة وقف أمامه، وجرى بينهما المحاورة الآتية بوساطة المترجم:
- أما عرفتني؟
 - نعم أعرفك إنك نيقولا نيقولا فيج، خال القيصر والقائد العام لجبهة القفقاس.
 - فلمَ إذن قَصَدت الإهانة؟
 - كلا! معذرة. إنني لم استهن بك. وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي.
 - وماذا تأمر العقيدة؟
 - إنني عالم مسلم أحمل في قلبي الإيمان، فالذي يحمل الإيمان في قلبه أفضل ممن لا يحمله. فلو أنني قد قمت لك احتراماً لكنك إذن قليل الاحترام لعقيدتي. ولهذا لم أقم لك.

- إذن فأنت بإطلاقك صفة عدم الإيمان عليّ تكون قد أهنتني وأهنت جيشي وأهنت أمتي والقيصر فلتشكّل حالاً محكمة عسكرية للنظر في استجوابه.

١ - طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب السبكي (٨ / ١٣٨)

٢ - موقع إسلام ويب.

وتتشكل محكمة عسكرية بناء على هذا الأمر، ويأتي الضباط الأتراك والألمان والنمساويون للإلحاح على بديع الزمان بالاعتذار من القائد الروسي وطلب العفو منه، إلا أنه أجابهم بالآتي:

إنني راغب في الرحيل إلى دار الآخرة والمثول بين يدي الرسول الكريم ﷺ

فأنا بحاجة إلى جواز سفر فحسب للآخرة

ولا أستطيع أن أعمل بما يخالف إيماني... وتجاه هذا الكلام يؤثر الجميع الصمت منتظرين النتيجة

وتنهي المحكمة أعمالها بإصدار قرار الإعدام بموجب مادة إهانة القيصر والجيش الروسي. وتحضر مفرزة يقودها ضابط روسي لأخذه إلى ساحة الإعدام. ويقوم بديع الزمان إلى الضابط الروسي قائلاً له بابتهاج: اسمحوا لي خمس عشرة دقيقة فقط لأودي واجبي.

فيقوم إلى الوضوء وأثناء أدائه الصلاة، يحضر نيقولا نيقولا فيج ويخاطبه:

- أرجو منك المعذرة، كنت أظن أنكم قمتم بعملكم هذا قصد إهانتني

فاتخذت الإجراءات القانونية بحقكم ولكن الآن أدركت أنكم تستلهمون هذا العمل من إيمانكم وتنفذون ما تأمركم به عقيدتكم لذا أبطلت قرار الحكم بحقكم إنكم تستحقون كل تقدير وإعجاب لصلاحكم وتقواكم أرجو المعذرة فقد أزعجتكم وأكرر رجائي مراراً: أرجو المعذرة (١)

الفصل الحادي عشر: قصص عن حفظ اللسان

هذا أوردني المورد

عن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر بن الخطاب اطلع على أبي بكر-رحمهما الله - وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال هذا أوردني المورد إن رسول الله ﷺ قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته (٢)

يا لسان قل خيراً تغنم

عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله أنه لبي على الصفا، ثم قال: يا لسان قل خيراً تغنم، واصمت تسلم من قبل أن تندم. قالوا: يا أبا عبد الرحمن، هذا شيء تقولهُ أو سمعته قال: لا، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أكبر خطايا ابن آدم في لسانه» (٣)

١ - كتاب بديع الزمان النورسي

٢ - الورع للبغدادي (ص: ٧٦)

٣ - الآداب للبيهقي (١/ ٣٨٦) الزهد لأحمد الشيباني (ص: ٢٤)

يحك قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن سوء تسلم،

وقال ابن بريدة: رأيت ابن عباسٍ آخذٌ بلسانه وهو يقول: ويحك قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنّك ستندم، قال: فقل له: يا ابن عباسٍ، لم تقول هذا؟ قال: إنّه بلغني أنّ الإنسان - أراه قال - ليس على شيءٍ من جسده أشدّ حنقًا أو غيظًا يوم القيامة منه على لسانه إلا ما قال به خيرًا، أو أملى به خيرًا (١).

صمت لقمان

قال عمرو بن قيس الملائي: مرّ رجل بلقمان والنّاس عنده، فقال له: ألسنت عبد بني فلان؟ قال بلى، قال: الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا؟ قال: بلى، فقال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال صدق الحديث وطول السّكوت عمّا لا يعنيني (١).

أسكت فأسلم وأسمع فأعلم

كان أعرابي يجالس الشعبي ويطيل الصمت، فقال له الشعبي يوماً: ألا تتكلم فقال: أسكت فأسلم وأسمع فأعلم؛ إن حظ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره (٢).

صمت العبي

- (كان رجل يجلس إلى أبي يوسف فيطيل الصمت. فقال له أبو يوسف: ألا تتكلم؟ فقال: بلى متى يفطر الصائم. قال: إذا غابت الشمس، قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ قال: فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صمتك، وأخطأت أنا في استدعاء نطقك، ثم تمثّل:

عجبت لإزراء العبيّ بنفسه وصمت الذي قد كان للقول أعلماً

وفي الصمت ستر للعبي، وإنّما صحيفة لب المرء أن يتكلما (٣)

صمت إبراهيم بن أدهم-رحمه الله -

- عن أبي إسحاق الفزاري قال: (كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يطيل السكوت؛ فإذا تكلم ربما انبسط قال: فأطال ذات يوم السكوت فقلت: لو تكلمت؟ فقال: الكلام على أربعة وجوه: فمن الكلام كلام ترجو منفعتَه وتخشى عاقبته، والفضل في هذا السلامة منه، ومن الكلام كلام لا ترجو منفعتَه ولا تخشى عاقبته، فأقل ما لك في تركه خفة المؤنة على بدنك ولسانك، ومن الكلام كلام ترجو

^١ - (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) ملا علي القاري (٧ / ٣٠٥٤).

^٢ - ((وفيات الأعيان)) لابن خلكان (٣ / ١٤).

^٣ - ((تاريخ بغداد وذيوله)) للخطيب البغدادي (١٤ / ٢٥١).

منفعته وتأمين عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره، قال خلف: فقلت لأبي إسحاق: أراه قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام؟ قال: نعم (١).

شداد بن أوس رضي الله عنه-

«عن حسان بن عطية قال: كان شداد بن أوس في سفر فقال لغلامه: آتينا بالسفرة نعبث بها، فأنكرت منه فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطئها وأزعمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها عليّ. واحفظوا عني ما أقول لكم، سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكثروا هذه الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرُك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب.» (١)

ما أحب أن أشتم نفسي بلساني

قال رجل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما - وكان أميراً - بلغني أن فلاناً أعلم الأمير أنني ذكرته بسوء، قال: قد كان ذلك.
قال فأخبرني بما قال حتى أظهر كذبه عندك؟
قال: ما أحب أن أشتم نفسي بلساني، وحسبي أنني لم أصدقته فيما قال، ولا أقطع عنك الوصال. (٢)

اطلبه في المسجد

كان إبراهيم النخعي إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية: قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي له ليس هاهنا كيلا يكون كذباً (٣)

إنما خلق لك أذنين ولسانا واحداً

حكى عن بعض الحكماء رأى رجلاً يُكثر الكلام ويُقل السكوت، فقال: إن الله - تعالى - إنما خلق لك أذنين ولسانا واحداً، ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به. (٤)

ولم أطمع نفسي في السمعة من الناس

^١ - سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٦٥.

^٢ - إحياء علوم الدين لمحمد الغزالي (٣/ ١٥٧)

^٣ - إحياء علوم الدين لمحمد الغزالي (٣/ ١٤٠)

^٤ - أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٣٠٦)

روى الربيع بن صبيح أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد إني أرى أمراً أكرهه، قال: وما ذاك يا ابن أخي، قال: أرى أقواماً يحضرون مجلسك يحفظون عليك سقط كلامك ثم يحكونك ويعيبونك، فقال: يا ابن أخي: لا يكبرن هذا عليك، أخبرك بما هو أعجب، قال: وما ذاك يا عم؟

قال: أطمعت نفسي في جوار الرحمن وملوك الجنان والنجاة من النيران، ومرافقة الأنبياء ولم أطمع نفسي في السمعة من الناس، إنه لو سلم من الناس أحد لسلم منهم خالقهم الذي خلقهم، فإذا لم يسلم من خلقهم فالمخلوق أجدر ألا يسلم. (١)

أما وجد الشيطان أحداً يستخف به غيرك؟

قال جبير بن عبد الله: شهدت وهب ابن منبه وجاءه رجل فقال: إن فلاناً يقع منك.

فقال وهب: أما وجد الشيطان أحداً يستخف به غيرك؟ فما كان بأسرع من أن جاء الرجل، فرفع مجلسه وأكرمه. (٢)

اذهبي قولي خيراً

حدث أبو حيان التميمي عن أبيه قال: رأيت ابنة الربيع بن خثيم أتته فقالت: يا أبتاه، أذهب ألعب؟ قال: يا بني، اذهبي قولي خيراً. (٣)

ذكر القطن إذا وُضع على عينيك

اغتاب رجل عند معروف الكرخي فقال له: اذكر القطن إذا وُضع على عينيك. (٤)

ما رعيت حق مجالسة الرجل

قال رجل لعمر بن عبيد: إن الأسواري مازال يذكرك في قصصه بشر، فقال له عمرو: يا هذا، ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يُعْمِنَا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا، والله - تعالى - يحكم بيننا وهو خير الحاكمين (٥)

كان يكره أنين المرض

^١ - أحكام القرآن للجصاص (٥ / ٢٩١)

^٢ - الورع لأحمد الشيباني (ص: ١٨٦)

^٣ - (الصمت ص ٢١٨)

^٤ - تعليق من أمالي ابن دريد (ص: ٢٢) جمهرة الأمثال لأبو هلال العسكري (ص: ٢٠٦)

^٥ - البداية والنهاية لإسماعيل القرشي (٩ / ٢٤٢)

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا ويكتب عليه حتى أنينه في مرضه، فلما مرض الإمام أحمد ف قيل له: إن طاووساً كان يكره أنين المرض، فتركه. (١)

لو أردت أن أخبركم بكل شيء تكلمت

قال بشر بن منصور: كنا عند أيوب السخيتاني فغلطنا وتكلمنا، فقال لنا: كفوا....
لو أردت أن أخبركم بكل شيء تكلمت به اليوم لفعلت. (٢)

ما أحوج الناس إلى غيث

رؤي بعض الأكابر من أهل العلم في النوم فسئل عن حاله، فقال: أنا موقوف على كلمه قُلْتُهَا، قُلْتُ: ما أحوج الناس إلى غيث.

فقيل لي: وما يدريك؟

أنا أعلم بمصلحة عبادي. (٣)

أنت في حل إن لم تعد

قال عبد الله بن محمد بن زياد: كنت عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله قد اغتبتك، فاجعلني في حل.

قال: أنت في حل إن لم تعد، فقلت له: أتجعله في حل يا أبا عبد الله وقد اغتباك؟

قال: ألم ترني اشترطت عليه. (٤)

أستغفر الله أراني قد اغتبتك

قال طوق بن منبه: دخلت على محمد بن سيرين فقال: كأي أراك شاكياً؟
قلت: أجل.

قال: اذهب إلى فلان الطبيب فاستوصفه ثم قال: اذهب إلى فلان فإنه أطب منه، ثم قال: أستغفر الله أراني قد اغتبتك. (٥)

بلغني أنك أهديت إلي حسناتك

^١ - حلية الأولياء لأبو نعيم الأصبهاني (١/ ٣٩١)

^٢ - آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة (٤/ ٢٥)

^٣ - آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة (٤/ ٢٥)

^٤ - ستة مجالس لأبي يعلى الفراء (ص: ٨٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (١١/ ٢٥٦)

^٥ - المعرفة والتاريخ لأبي يوسف البسوي (٢/ ٢٩) المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين (٢/ ١٣٦)

روي عن الحسن أن رجلاً قال: إن فلاناً قد اغتابك، فبعث إليه طبقاً من الرطب، وقال: بلغني أنك أهديت إليّ حسناتك، فأردت أك أكافئك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام. (١)

هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها

قال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدواً له قط، فقال: هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها. (٢)

إن شئت نظرنا في أمرك

روي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [الحجرات: ٦] وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية { هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ } [القلم: ١١] وإن شئت عفونا عنك ؟ فقال: العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبداً . (٣)

الفصل الثاني عشر: قصص عن حفظ السمع

أكره أن أرى من يعصى الله

كثير بن هشام قال: كان سفيان الثوري قاعد بالبصرة فقليل له هذا مساوور بن سوار يمر وكان على شرطة محمد بن سليمان فوثب فدخل داره وقال أكره أن أرى من يعصى الله ولا أستطيع أن أغير عليه (٤)

يا نافع أسمع

عن سليمان بن موسى عن نافع قال: كنت مع عمر في طريق فسمع زمارة راعي فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق ثم قال يا نافع أسمع قلت لا فأخرج أصبعيه من أذنيه ثم عدل عن الطريق ثم قال يا نافع أسمع قلت لا فأخرج

^١ - وفيات الأعيان (٧١ / ٢) التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص: ١٢)

^٢ - وفيات الأعيان وأنباء الزمان (٧ / ٢٢٠) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٦٣)

^٣ - الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢ / ٢٧٦)

^٤ - الورع للبغدادي (ص: ٦٧)

أصبعيه من أذنيه ثم عدل إلى الطريق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع (١)

أخبرني ما حال أختي

حدثنا الحكم بن سنان عن عمرو بن دينار قال : كان رجل من أهل المدينة له أخت في باحة المدينة فهلكت وأتى السوق يجهزها ولقيه رجل معه كيس فيه دنانير فجعلته في حجرته فلما دفنها ورجع إلى منزله ذكر الكيس في القبر فاستعان برجل من أصحابه فنبشاً فوجد الكيس فقال الرجل لصاحبه تنح حتى على الرجال أختي فرفع ما على اللحد وإذا القبر يشتعل نارا فردده ودعا الرجل فسوى معه القبر ثم رجع إلى أمه فقال أخبريني ما حال أختي قالت وما تسأل عنها السر قد مات قال أخبريني قالت كانت أختك تؤخر الصلاة ولا تصلي فيما كتب الوضوء وتأتي أبواب الجيران إذا ناموا فتلقم أذنهم أبوابهم فتخرج حديثهم (٢)

جزاء من لم يعدل في استماعه

عن محمد بن فضيل عن عبيد الله قال: كان القاضي إذا مات في بني إسرائيل جعل في أوج أربعين سنة فإن تغير منه شيء علموا أنه قد جار في حكمه فمات بعض قضائهم فجعل في أوج عينها القيم يقوم عليه إذا أصابت المكنسة طرف أذنه فانفجرت صديدا فشق ذلك على بني إسرائيل فأوحى الله إلى نبي من أنبيائهم أن عبيد هذا لم يكن به بأس ولكنه استمع يوما في أحد أذنيه من الخصم أكثر مما استمع من الآخر فمن ثم فعلت به هذا (٣)

الفصل الثالث عشر: قصص عن غض البصر

وما عليك من النظر؟

قال الأصمعي: رأيت جارية بالطواف كأنها مهاة رمل، فجعلت أنظر إليها، وأملأ عيني من محاسنها، فقالت لي: يا هذا، ما شأنك؟ قلت: وما عليك من النظر؟ فأنشأت تقول:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أسلمتك المحاجر

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر (٤)

تعالوا حتى أعلمكم خشية الله تعالى

١ - الورع للبغدادي (ص: ٦٨)

٢ - الورع للبغدادي (ص: ٧٢)

٣ - الورع للبغدادي (ص: ٧٢)

٤ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٢٨٩)

قال مالك بن دينار: «قال داود عليه السلام:» يا معشر الأبناء، تعالوا حتى أعلمكم خشية الله تعالى، أيما عبد منكم أحب أن يحيى ويرى الأيام الصالحة فليحفظ عينيه أن ينظر أسواء، ولسانه أن ينطق بالإفك (١)

وانهوا جوارحكم عن الآثام

قال أبو الفضل العباس، عن بعض أصحابه قال: «حججت في سنة من السنين، فإني لبالربذة، إذ وقفت علينا جارية على وجهها برقع .

فقلت : يا معشر الحجيج ، نفر من هذيل ذهب بنعمهم السيل، وتمرست بهم الأيام ، حتى ما بهم نجعة ، ولا لهم قعدة ، فمن يراقب فيهم الدار الآخرة ، ويعرف لهم حق الإصره جزي خيرا قال : قال : فرضخنا لها ، فقلت لها : هل قلت في ذلك شيئا ؟

فأنشأت تقول :

كف الزمان توسدتنا عنوة شلت أناملها عن الأعراب

قوم إذا حل العفاة ببابهم ألقوا نوافلهم بغير حساب

فقلت: لو أمتعتينا بالنظر إلى وجهك قال: فكشفت البرقع عن وجه لا تهتدي العقول لوصفه، فلما رأتنا قد بهتنا ننظر إليها، أنشأت تقول:

الضر أبدى صفحة قد صانها

فتمتعوا بعيونكم في حسننها وانهوا جوارحكم عن الآثام

ثم ولت منصرفه» (٢)

لا تفتوا الرجال بهذا

عن عبد الله بن شودة قال: «دخلت امرأة جميلة على الحسن البصري، فقلت: يا أبا سعيد، ينبغي للرجال أن يتزوجوا على النساء؟

قال: نعم قالت: وعلى مثلي؟

قال: ثم أسفرت عن وجه لم ير مثله حسنا، وقالت: يا أبا سعيد، لا تفتوا الرجال بهذا، ثم ولت، فقال الحسن: ما على الرجل كانت هذه في زاوية بيته ما أقبل عليه من الدنيا» (٣)

إنك في مشعر من مشاعر الله عظيم

^١ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٢٩٠)

^٢ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٢٩٥)

^٣ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣٠٩)

عبد الرحمن بن أبي الخنيس قال : خرج أبو حازم يرمي الجمار ومعه قوم متعبدون وهو يكلمهم ويحدثهم ويقص عليهم ، فبينما هو يمشي وأولئك معه إذ نظروا إلى فتاة مستترة بخمارها ، وهي التي ليس على نحرها منه شيء ترمي الناس بطرفها يمنة ويسرة ، وقد شغلت الناس ، وهم ينظرون إليها مبهوتين ، وقد خبط بعضهم بعضا في الطريق ، فرآها أبو حازم ، فقال : يا هذه ، اتقي الله ، إنك في مشعر من مشاعر الله عظيم ، وقد فتنت الناس ، فاضربي بخمارك على جيبك ، فإن الله عز وجل يقول : **{وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ}** [النور: ٣١] فأقبلت تضحك من كلامه ، وقالت : إني والله يا فذر من اللائي لم يحججن يبغيين حجة ، ولكن ليقتلن البريء المغفلا ، فأقبل أبو حازم على أصحابه فقال : يا هؤلاء ، تعالوا ندع الله تعالى لا يعذب هذه الصورة الحسناء بالنار ، فجعل يدعو وأصحابه يؤمنون^(١)

أوكل هذا قد بلغ بك ؟

عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : حج عبد الملك بن مروان وحج معه خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان من رجال قريش المعدودين وعلمائهم ، وكان عظيم القدر عند عبد الملك ، فبينما هو يطوف بالبيت إذ بصر برملة بنت الزبير بن العوام ، فعشقا عشقا شديدا ، ووقعت بقلبه وقوعا متمكنا ، فلما أراد عبد الملك القفول هم خالد بالتخلف عنه ، فوقع بقلب عبد الملك تهمة ، فبعث إليه فسأله عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رملة بنت الزبير رأيته تطوف بالبيت قد أذهلت عقلي ، والله ما أبديت إليك ما بي حتى عيل صبري ، ولقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله ، والسلوى^(٢) على قلبي فامتنع ، فأطال عبد الملك التعجب من ذلك ، وقال : ما كنت أقول إن الهوى يستأسر مثلك ، فقال : وإني لأشد تعجبا من تعجبك مني ، ولقد كنت أقول : إن الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس : الشعراء والأعراب ، فأما الشعراء فإنهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء والغزل ، فمال طمعهم إلى النساء ، فضعفت قلوبهم عن دفع الهوى ، فاستسلموا إليه منقادين ، وأما الأعراب فإن أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغلب عليه غير حبه لها ، ولا يشغله شيء عنه ، فضعفوا عن دفع الهوى فتمكن منهم ، وجملة أمري فما رأيت نظرة حالت بيني وبين الحزم وحسنت عندي ركوب الإثم مثل نظرتي هذه ، فتبسم عبد الملك وقال : أوكل هذا قد بلغ بك ؟ فقال : والله ما عرفتني هذه البلية قبل وقتي هذا ، فوجه عبد الملك إلى آل الزبير يخطب رملة على خالد ، فذكروا لها ذلك ، فقالت : لا والله ، أو يطلق نساءه ، فطلق امرأتين كانتا عنده ، إحداهما من قريش والأخرى من الأزد ، فظعن بها إلى الشام وفيها يقول : أليس يزيد الشوق في كل ليلة وفي كل يوم من حبيبتنا قريبا خليلي ما من ساعة تذكراها

^١ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣١١)

^٢ - السَّلْوَى : طائر أبيض، حسن اللون، طويل

من الدهر إلا فرجت عني الكربا أحب بني العوام طرا لحبها ومن أجلها أحببت
أخوالها كلبا تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخلا يجول ولا قلبا^(١)

والله أنا ممن قل صبره

عن عبد الملك بن قريش قال: كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون:
قد جاءت، قد جاءت، فتحول الناس، فقامت معهم للنظر، فإذا جارية قد وردت
الماء، ما رأيت مثلها قط حسن وجهه وتمام خلق، فلما رأت تشوق الناس إليها
والحاحهم عليها أرسلت برقعها فكأنه غمامة غطت شمساً، فقلت: لم تمنعين
النظر إلى وجهك هذا الحسن؟
فأنشأت تقول:

وكننت متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أسلمتك المحاج

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

قال: ونظر إليها أعرابي، فقال: والله أنا ممن قل صبره، وأنشأ يقول:

أوحشية العينين أين لك الأهل؟ أب الحزن حلوا أم محلهم السهل؟

وأية أرض أخرجتك فإنني أراك من الفردوس أنسأك الأصل

أم البدر أنشأك المنير فإن يكن لبدر الدجى نسل فأنت له نسل

حسنت فأما الوجه منك فمشرق وعينان كحلوان زينههما كحل

قفي خبرينا ما طعمت وما الذي شربت ومن أين استقل بك الرجل

فإن علامات الجنان مبنية عليك وإن الشك يشبهه الشكل^(٢)

قد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها

عن الهيثم بن عدي، عن محمد بن زياد قال: أخبرني شيخ من كندة، قال: خرج
الحارث بن السليل الأزدي زائراً لعلقمة بن جرير الطائي، وكان حليفاً له، فنظر إلى
ابنة له تدعى الرباب، وكانت من أجمل النساء فأعجب بها، وعشقها عشقاً حال
بينه وبين الانصراف إلى أهله.

، فقال: أتيت خاطباً، وقد ينكح الخاطب، ويدرك الطالب، ويمنع الراغب قال:
أنت امرؤ كفؤ^(٣) كريم، فأقم ننظر في أمرك، ثم انكفأ إلى أم الجارية.

^١ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣١٢)

^٢ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣٢٥) زهر الأكم في الأمثال والحكم (ص: ٣٠٤)

^٣ - الكفؤ والكفؤ بسكون الفاء وضمها: النظير والمثل

فقال لها : إن الحارث سيد قومه حسباً ومنصباً وبيتاً ، فلا ينصرفن من عندنا إلا بحاجته ، فأريدي ابنتك عن نفسها في أمره ، فقالت لها : أي بنية ، أي الرجال أعجب إليك ؟ الكهل (١) الحجاج الفاضل المياح أم الفتى الوضاح الملول ؟ قالت : الفتى الوضاح ، فقالت : إن الفتى الوضاح يغيرك ، وإن الشيخ يميرك (٢) ، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحديث السن الكثير المن . قالت : يا أمتاه ، أحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلأ (٣) .

قالت : أي بنية ، إن الفتى شديد الحجاب كثير العتاب.

قالت : يا أمتاه ، أخشى من الشيخ أن يدنس أثوابي ويبلّي شبابي ، ويشمت بي أتراقي ، فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحارث على خمسين ومائة من الإبل وخادم وألف درهم ، فبنى (٤) بها ، وكانت عنده كأحب ما كان إليه ، فارتحل بها إلى أهله ، فإنه لجالس ذات يوم بفناء مظلمته ، وهي إلى جانبه ، إذ أقبل فتية يعتلجون الصراع ، فتنفست الصعداء ثم أرسلت عينيها بالبكاء ، فقال : ما يبكيك ؟

قالت : ما لي وللشيوخ الناهضين كالفرخ ، فقال : ثكلتك أمك ، قد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، فصارت مثلاً ، أي لا تكون ظئراً (٥) ، وكان أول من نطق بها ، ثم قال : أما وأبيك ، لرب غارة (٦) شهدتها ، وسبية (٧) أردفتها ، وخمرا شربتها ، الحقي بأهلك ، فلا حاجة لي فيك ثم أنشد يقول :

تهزأت إذ رأيتني لابساً كبرا وغاية النفس بين الموت والكبر

فإن بقيت رأيت الشيب راغمه وفي التعرف ما يمضي من الغير

وإن يكن قد علا رأسي وغيره صرف الزمان وتفنين من الشعر

فقد أروح للذات الفتى جذلاً وقد أصيب بها عينا من البقر (٨)

دعيه يتعلل

١ - الكهل : الشخص الذي جاوز الثلاثين إلى الخمسين وتم عقله وحلمه

٢ - يمير : يجمع الطعام والميرة لغيره

٣ - الكلأ : الثّبات والعُشب رطباً كان أو يابساً

٤ - البناء : الدخول بالزوجة

٥ - الظئر : المرضعة لغير ولدها ، ويطلق على زوجها أيضاً

٦ - الغارة : الهجوم على العدو

٧ - السبي : الأسرى من النساء والأطفال

٨ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣٢٩)

عن محمد بن سلمة الضبي قال: «حجبت فلما صدرت من الحج تيممت منها (١) من المناهل، فإذا ببیت ناحية عن الطريق فأنخت بفنائها، فقلت: أنزل؟ فقالت ربة البيت: إنزل، فقلت: أدخل؟

فقالت: ادخل، فإذا جارية أحسن من الشمس، فجلست أحدثها وكأن الدر ينتثر من فيها، فبينما أنا كذلك إذ خرجت عجوز مؤتزة بعباءة مشتملة بأخرى، فقالت: يا عبد الله، ما جلوسك هاهنا عند هذا الغزال النجدي الذي لا تأمن خباله (٢) ولا ترجو نواله؟ فقالت الجارية: أي جدة، دعيه يتعلل كما قال ذو الرمة:

فإن لا يكن إلا تعلل ساعة قليل فإني نافع لي قليلها

قال: فأقمت يومي وانصرفت وفي قلبي كجمر الغضى من حبها (٣)

يا فلان ما فعل قرآنك

عبده بن عبد الرحيم -قبحه الله-

ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيرا في بلاد الروم فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصروا بلدة من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها فراسلها ما السبيل إلى الوصول إليك فقالت أن تتنصر وتبعد إلي فأجابها إلى ذلك فما راع المسلمين إلا وهو عندها فاغتم المسلمون بسبب ذلك غما شديدا وشق عليهم مشقة عظيمة فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن فقالوا يا فلان ما فعل قرآنك ما فعل علمك ما فعل صيامك ما فعل جهادك ما فعلت صلاتك فقال اعلموا أنني أنسيت القرآن كله إلا قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلهيهم الأمل فسوف يعلمون وقد صار لي فيهم مال وولد (٤)

الفصل الرابع عشر: قصص عن الورع

نماذج من ورع النبي ﷺ:

كان رسول الله ﷺ القدوة في الورع فكان زاهدا ورعاً، وقد ضرب لنا نموذجاً أعلى في الورع فهذا أنس رضي الله عنه يحكي لنا مشهد من مشاهد الورع فيقول:

- ((مر النبي ﷺ بتمرة مسقوطة فقال: لولا أن تكون صدقة لأكلتها)) (٥).

^١ - المَثَل من المياه: كُلُّ ما يَطَّوَّهُ الطريق، وما كان على غير الطريق لا يُدْعَى مَثَلاً، فيُقال: مَثَلُ بَنِي فُلان: أي مَشْرَبُهُمْ وَمَوْضِع نَهْلِهِمْ

^٢ - الخيال: الفساد والهلاك

^٣ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣٣٤)

^٤ - البداية والنهاية لإسماعيل القرشي (١١/ ٦٤)

^٥ - رواه البخاري (٢٠٥٥)، ومسلم (١٠٧١) واللفظ للبخاري.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إني لأنقلب إلى أهلي، فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لأكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها)) (١).
- قال ابن حجر: (والنكته في ذكره هنا ما فيه من تعيين المحل الذي رأى فيه التمرة وهو فراشه ﷺ ومع ذلك لم يأكلها وذلك أبلغ في الورع) (٢).
- وقال المهلب (إنما تركها ﷺ تورعا وليس بواجب لأن الأصل أن كل شيء في بيت الإنسان على الإباحة حتى يقوم دليل على التحريم) (٣).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ((أنّ الحسن بن علي رضي الله عنهما أخذ ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال له النبي ﷺ بالفارسيّة: كخ، كخ أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة)) (٤).
- وعن رجل من الأنصار قال خرجنا مع رسول الله - ﷺ في جنازة فرأيت رسول الله - ﷺ وهو على القبر يوصي الحافر ((أوسع من قبل رجله أوسع من قبل رأسه فلما رجع استقبله داعي امرأة فجاء وجيء بالطعام فوضع يده ثم وضع القوم فأكلوا فنظر آباؤنا رسول الله - ﷺ يلوك لقمة في فمه ثم قال أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها فأرسلت المرأة قالت يا رسول الله إني أرسلت إلى البقيع يشتري لي شاة فلم أجد فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة أن أرسل إلي بها بثمانها فلم يوجد فأرسلت إلى امرأته فأرسلت إلي بها. فقال رسول الله - ﷺ: أطعميه الأسارى)) (٥).

أمرت الرسل قبلي ألا تأكل إلا طيبا

عن ضمرة بن حبيب عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس أنها: بعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقدر لبن عند فطره وذلك في طول النهار وشدة الحر فرد إليها رسولها أني لك هذا اللبن قالت من شاة لي فرد إليها رسولها أني لك هذه الشاة قلت اشتريتها من مالي فشرب فلما كان من غد أتت أم عبد الله النبي ﷺ فقالت يا رسول الله بعثت إليك بذلك اللبن مرثية لك من طول النهار وشدة الحر فرددت فيه إلي الرسول فقال النبي ﷺ بذلك أمرت الرسل قبلي ألا تأكل إلا طيبا ولا تعمل إلا صالحا (٦)

^١ - رواه البخاري (٢٤٣٢) ومسلم (١٠٧٠).

^٢ - ((فتح الباري)) لابن حجر (٤/ ٢٩٤).

^٣ - ((فتح الباري)) لابن حجر (٤/ ٢٩٤).

^٤ - رواه البخاري (٣٠٧٢).

^٥ - رواه أبو داود (٣٣٣٢)، والدارقطني (٥/ ٥١٤)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٥/ ٥٤٧) (١٠٨٢٥). وصحح إسناده ابن الملقن في ((البدور

المنين)) (٥/ ٢٩٦)، والرباعي في ((فتح الغفار)) (٢/ ٧٥١)، والألباني في ((الإرواء)) (٣/ ١٩٦).

^٦ - الورع للبغدادي (ص: ٨٣)

إن أبا بكر يكره أن يدخل بطنه إلا طيباً

عن القاسم قال : كان لأبي بكر رحمه الله غلام يأتيه بكسبه كل ليلة ويسئله من أين أصبت فيقول أصبت من كذا فأثاه ذات ليلة بكسبه وأبو بكر قد ظل صائماً فنسي أن يسئله فوضع يده فأكل فقال الغلام يا أبا بكر كنت تسئلي كل ليلة عن كسبي إذا جئتكم فلم أرك سألتني عنه الليلة قال فأخبرني من أين هو قال تكهنت لقوم في الجاهلية فلم يعطوني أجري حتى كان اليوم فاعطوني وإنما كانت كذبة فادخل أبو بكر في حلقه فجعل يتقيأ فذهب الغلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال إني كذبت أبا بكر فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وأحسبه قال ضحكا شديداً وقال إن أبا بكر يكره أن يدخل بطنه إلا طيباً^(١)

ورع عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- عن عاصم بن عمر، عن عمر قال: (إنه لا أجده يحل لي أن آكل من مالكم هذا، إلا كما كنت آكل من صلب مالي: الخبز والزيت والخبز والسمن) قال: فكان ربما يؤتى بالجفنة قد صنعت بالزيت، ومما يليه منها سمن، فيعتذر إلى القوم ويقول: (إني رجل عربي، ولست أستمري الزيت) (٢) (٣).

- وعن نافع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف في أربعة، وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمس مائة، فقليل له هو من المهاجرين فلم نقصته من أربعة آلاف، فقال: "إنما هاجر به أبواه يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه" (٣) .

ويحك من أين هذا اللبن

عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري: أنه خرج إلى عمر فنزل عليه وكانت لعمر ناقة يحلبها فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبنا فأنكره فقال ويحك من أين هذا اللبن فقال يا أمير المؤمنين إن الناقة انفلت عليها ولدها فشرب لبنها فحلبت لك ناقة من مال الله فقال له عمر ويحك سقيتني نارا ادع لي علي بن أبي طالب فدعاه فقال إن هذا عمد إلى ناقة من مال الله فسقاني لبنها أفتحله لي قال نعم يا أمير المؤمنين هو لك حلال ولحمها وأوشك أن يجيء من لا يرى لنا في هذا المال حق (٤)

لا يحل للخليفة إلا قصعتان

^١ - الورع للبيهقي (ص: ٨٤)

^٢ - رواه ابن أبي الدنيا في ((الورع)) (ص: ١١٤).

^٣ - رواه البخاري (٣٩١٢).

^٤ - الورع للبيهقي (ص: ٩١)

عن عبد الله بن زريق الغافقي قال دخلنا على علي بن أبي طالب يوم أضحى فقدم إلينا خزيرة فقلنا يا أمير المؤمنين لو قدمت إلينا من هذا البط والوز والخير كثير قال يا بن زريق إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل للخليفة إلا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يطعمها (١)

أتطعموني هذا وأنتم أمراء

عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي صالح الحنفي قال: دخلت على أم كلثوم فقالت إئتوا أبا صالح بطعام فأتوني بمرقة فيها جنوب فقلت أتطعموني هذا وأنتم أمراء قالت كيف لو رأيت أمير المؤمنين عليا وأتي بأترج فأخذ الحسن أو الحسين منها أترجة لصبي لهم فانتزعها من يده وقسمها بين المسلمين (٢)

ورع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

- عن قزعة، قال: رأيت على ابن عمر ثيابا خشنة أو جشبة فقلت له: إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان، وتقر عيناى أن أراه عليك.

قال: أرنيه. فلمسه، وقال: أحرير هذا؟

قلت: لا، إنه من قطن. قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أكون مختالا فخورا، والله لا يحب كل مختال فخور (٣).

ارحل لا يموت الشيخ

عن إسماعيل الأرقط عن رجل: صحبت الثوري إلى مكة قال فمررنا برجل في بعض المنعشيان في يوم شديد الحر عنده حباب يسقي الماء فاستظلنا بظله وشربنا من مائه فسأله سفيان عن أمره فقال إن هؤلاء القوم يجرون علي رزقا لهذا فقام سفيان فتنحى ثم تقيا حتى كادت نفسه تخرج ثم قعد في الشمس وامتنع أن يستظل قال فقلنا للجمال ارحل لا يموت الشيخ فرحلنا (٤)

ورع أبي بكر بن عياش

عن يحيى بن سعيد الأموي قال: زاملت أبا بكر بن عياش إلى مكة فكان من أروع من رأيت أهدي له رطب برني فقليل له بعد هذا من بستان خالد بن سلمة

١ - الورع للبغدادي (ص: ٨٩)

٢ - الورع للبغدادي (ص: ٩١)

٣ - رواه أبو نعيم في ((الحلية)) (١/ ٣٠٢).

٤ - الورع للبغدادي (ص: ٨٧)

المخزومي المقبوض عنه فأتى إلى خالد بن سلمة واستحل منهم ونظر إلى قيمة الرطب فتصدق بها^(١)

أكره أن أنال مغفرته بمعصيته

علي بن أبي بكر الأسفدني قال: انتهى وهيب بن الورد لبنا فجاءته به خالته من شاة لآل عيسى بن موسى فسألها عنه فأخبرته فأبى أن يأكله فقالت له: كل فأبى فعاودته وقالت إني أرجو أن أكلته أن يغفر الله لك أي باتباع شهوتي فقال ما أحب أني أكلته وأن الله غفر لي قالت لم قال إني أكره أن أنال مغفرته بمعصيته^(٢)

يا أمير المؤمنين تصنع هذا بالعراق

عن عبد الملك بن عمير قال حدثني رجل من ثقيف قال: استعملني علي على عكبرا ولم يكن السواد المصلون فقال لي بين أيديهم استوف منهم خراجهم ولا يجدوا فيك معفا ولا رخصة ثم قال لي: رح إلي عند الظهر فرحت إليه فلم أجد عنده حاجبا يحجبني دونه ووجدته جالسا عنده قدحا وكوز من ماء فدعا بطية فقلت في نفسي لقد أمني حين يخرج إلي جوهرًا فإذا عليها خاتم فكسر الخاتم فإذا فيها سويق فصب في القدر فشرب منه وسقاني فلم أصبر فقلت: يا أمير المؤمنين تصنع هذا بالعراق وطعام العراق أكثر من ذلك قال إنما اشتري قدر ما يكفيني وأكره أن يفنى فيصنع فيه من غيره وإني لم أختم عليه بخلا عليه وإنما حظي لذلك وأنا أكره أن أدخل بطني إلا طيبا ولئن قلت لك بين أيديهم الذي قلت لك لأنهم قوم خدع وأنا آمرك بما آمرك به الآن فإن أخذتهم به وإلا أخذك الله به دوني ولئن بلغني عنك خلاف ما آمرك به عزلتك لا تبيعن لهم رزقا يأكلونه ولا كسوة شتاء ولا صيف ولا تضرب رجلا منهم سوطا في طلب درهم ولا تقمه في طلب درهم فإننا لم نؤمر بذلك ولا تبيعن لهم دابة يعملون عليها إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو قال إذا جئتكم كما ذهبت قال فإن فعلت قال فذهبت فسعيت بما أمرني به فرجعت إليه وما بقي علي درهم واحد إلا وفيته^(٣)

ورع عمر بن عبد العزيز:

- عن ابن السماك قال: كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاحا بين الناس، فجاء ابن له وأخذ تفاحة من ذلك التفاح، فوثب إليه ففك يده فأخذ تلك التفاحة فطرحها في التفاح، فذهب إلى أمه مستغيثا فقالت له: مالك أي بني؟ فأخبرها، فأرسلت بدرهمين فاشتريت تفاحا، فأكلت وأطعمته، ورفعت لعمر، فلما فرغ مما بين يديه

^١ - الورع للبغدادي (ص: ٨٧)

^٢ - الورع للبغدادي (ص: ٨٧)

^٣ - الورع للبغدادي (ص: ٨٩)

دخل إليها، فأخرجت له طبقا من تفاح، فقال: (من أين هذا يا فاطمة؟) فأخبرته فقال: (رحمك الله، والله إن كنت لأشتهيه) (١).

- وعن فاطمة بنت عبد الملك قالت: انتهى عمر بن عبد العزيز يوما عسلا فلم يكن عندنا، فوجهنا رجلا على دابة من دواب البريد إلى بعلبك، فأتى بعسل، فقلنا يوما: إنك ذكرت عسلا وعندنا عسل، فهل لك فيه؟ قال: (نعم). فأتيناه به فشرب، ثم قال: (من أين لكم هذا العسل؟) قالت: قلت وجهنا رجلا على دابة من دواب البريد بدينارين إلى بعلبك فاشتري لنا عسلا. قالت: فأرسل إلى الرجل فجاء، فقال: (انطلق بهذا العسل إلى السوق، فبعه، فاردد إلينا رأس مالنا، وانظر الفضل، فاجعله في علف دواب البريد، ولو كان ينفع المسلمين شيء لتقيأت) (٢).

ورع محمد بن سيرين:

- عن العلاء بن زياد أنه كان يقول (لو كنت متمنيا لتمنيت فقه الحسن وورع ابن سيرين وصواب مطرف وصلاة مسلم بن يسار) (٣).

- وعن عاصم قال: (سمعت مورقا العجلي يقول: ما رأيت أحدا أفقه في ورعه، ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين. وقال عاصم: وذكر محمد عند أبي قلابة، فقال: اصرفوه كيف شئتم، فلتجدنه أشدكم ورعا، وأملككم لنفسه) (٤).

- وقال بكر بن عبد الله المزني: (من أراد أن ينظر إلى أروع من أدركنا، فلي نظر إلى محمد بن سيرين. وقال هشام بن حسان: كان محمد يتجر، فإذا ارتاب في شيء، تركه) (٥).

- وعن هشام بن حسان: (أن ابن سيرين اشترى بيعة من منونيا (٦)، فأشرف فيه على ربح ثمانين ألفا، فعرض في قلبه شيء، فتركه. قال هشام: ما هو - والله - بربا.

- وقال: محمد بن سعد: سألت الأنصاري عن سبب الدين الذي ركب محمد بن سيرين حتى حبس؟ قال: اشترى طعاما بأربعين ألفا، فأخبر عن أصل الطعام بشيء، فكرهه، فتركه، أو تصدق به، فحبس على المال، حبسته امرأة، وكان الذي

^١ - (الورع) لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٤).

^٢ - (الورع) لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٤).

^٣ - (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٨/ ٧٣).

^٤ - (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٨/ ١٨٦).

^٥ - (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٨/ ١٩١).

^٦ - منونيا: قرية من قرى "نهر الملك" كانت أولا مدينة ولها ذكر في أخبار القرس.

حبسه مالك بن المنذر. وقال هشام: ترك محمد أربعين ألفا في شيء ما يرون به اليوم بأسا (١).

ورع امرأة من الصالحات:

عن العباس بن سهم قال: (أن امرأة من الصالحات أتتها نعي زوجها وهي تعجن، فرفعت يديها من العجين، وقالت هذا طعام قد صار لنا فيه شريك) (٢).

ورع عبد الله بن المبارك:

- عن الحسن بن عرفة قال: (قال لي ابن المبارك: استعرت قلما بأرض الشام، فذهبت على أن أردّه، فلما قدمت مرو، نظرت، فإذا هو معي، فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه) (٣) (١).

- وقال الحسن بن الربيع: (لما احتضر ابن المبارك في السفر، قال: أشتي سويقا. فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان، وكان معنا في السفينة، فذكرنا ذلك لعبد الله، فقال: دعوه. فمات ولم يشربه) (٤) (٢).

ورع أبي وائل شقيق بن سلمة:

(كان أبو وائل يقول لجاريته، إذا جاء يحيى - يعني ابنه - بشيء فلا تقبله، وإذا جاء أصحابي بشيء، فخذيه. وكان ابنه قاضيا على الكناسة.

قال: وكان لأبي وائل - رحمه الله - خص من قصب، يكون فيه هو وفرسه، فإذا غزا نقضه، وتصدق به، فإذا رجع أنشأ بناءه.

قلت: -القائل الذهبي - قد كان هذا السيد رأسا في العلم والعمل) (٥)

الفصل الخامس عشر: قصص عن سلامة الصدر

سلامة صدر النبي - ﷺ

عن عائشة - رضي الله عنها -، أنها قالت للنبي - ﷺ -: "هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أُحُدٍ؟ قال: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ،

^١ - ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٨ / ١٩٢).

^٢ - ((الورع)) لابن أبي الدنيا (ص: ٩٩).

^٣ - ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٥ / ٤١١).

^٤ - ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٥ / ٤٢٨).

^٥ - ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٧ / ١٨١).

فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَلْتَنِي، فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأُخْشَبِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا". (١)

سلامة صدر أبي بكر - رضي الله عنه-

وعن عائذ بن عمرو: "أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَقْرٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتَ سُيُوفَ اللَّهِ مِنْ عُتْقٍ عَدُوَّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا!

قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟

فَأَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ! لَنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ! فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي" (مسلم). (٢)

سلامة صدر ابن عباس رضي الله عنهما

وجاء رجل وشتم ابن عباس-رضي الله عنهما- فقال ابن عباس: "إني لآتي على الآية من كتاب الله تعالى فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم.

وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبدا.

وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح به وما لي به من يعز

علي يا أبا محمد أن أراك مجندلاً

وقف علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- على طلحة بن عبيد الله بعد مقتله. وقد كان بينهما في موقعة الجمل ما كان. فجعل عليا يمسح عن وجهه التراب ويقول: يعز علي يا أبا محمد أن أراك مجندلاً تحت نجوم السماء. (٣)

ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على

ودخل علي بن أبي طالب عمران بن طلحة بن عبيد الله، فقال له علي: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله فيهم: ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين. (٤)

^١ - أخرجه البخاري (١١٨٠/٣)، رقم (٣٠٥٩)، ومسلم (١٤٢٠/٣)، رقم (١٧٩٥)

^٢ - أخرجه مسلم رقم (٢٥٠٤) في فضائل الصحابة، باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم.

^٣ - تاريخ دمشق ٨٩/٧

^٤ - أمالي المحاملي (١/ ١٧٤) فضائل الصحبة - لأحمد بن حنبل (٢/ ٧٤٧)

من منكم يستطيع أن يكون كأبي ضمضم

ويروى أن أبا ضمضم وهو أحد صحابة رسول الله ﷺ، كان إذا أصبح قال: اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل، فلما سمع رسول الله ذلك قال: ((من منكم يستطيع أن يكون كأبي ضمضم)). (١)

اللهم اغفر للمعتصم.

ويروى أن الإمام أحمد ضرب في زمن المعتصم ضرباً شديداً، وسجن سجنًا طويلاً، فلما كان زمن المتوكل أحس بأذى في ظهره، فإذا هي لحمة فاسدة التأم عليها الجرح، وكان لابد من شق الظهر وإخراجها، قالوا: فلما أحس الإمام أحمد بالمشرب، وحرارة الشق، تذكر حينها المعتصم الذي كان سببا في ذلك، فماذا تتوقعون أن يقول عن المعتصم وأعوانه، لقد تغلب رحمه الله تعالى على حظوظ نفسه وهواها، فلم يزد على أن دعا له، فقال: اللهم اغفر للمعتصم.

فيا سبحان الله، يستغفر لمن كان سببا فيما حل به من الألم والمعاناة، يستغفر لمن ظلمه وبalg في أذيته، إنه منطق عظيم لا تعرفه القلوب الضيقة، والنفوس القصبية

قال ذلك رحمه الله، ولسان حاله يقول:

لا يحمل الحقد من تسمو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب (٢)

إن فلاناً قد آذاك

جاء رجل إلى علي بن الحسين بن علي -رضي الله عنهم أجمعين- فقال له: إن فلاناً قد آذاك، ووقع فيك، فما كان منه إلا أن قال له: انطلق بنا إليه، فانطلق معه، وهو يرى أنه سينتصر لنفسه، ويقتص منه، ويرد له الصاع صاعين، وما أكثر الذين يحبون هذا، غير أن الذي حدث، خيب ظن الساعي، وأفشل سعيه، فلما أتاه، قال له: ((يا هذا، إن كان ما قلت في حقاً، فغفر الله لي، وإن كان ما قلت في باطلاً، فغفر الله لك)). (٣)

يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة

هو أنس بن مالك -رضي الله عنه- يقول قال: كنا جلوساً مع الرسول ﷺ فقال: {يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة}

١ - عمل اليوم والليلة لابن السني (١/ ١٢١) مكارم الأخلاق للطبراني (ص: ٦٤)

٢ - روضة العقلاء لابن حبان (ص: ٩٥)

٣ - صفة الصفوة لأبو الفرج الجوزي (١/ ٤٤٣)

فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى،

فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت.

فقال: نعم

قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر،

قال عبد الله: غير أنني لم أسمعه يقول إلا خيراً فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله.

قلت: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن أوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟

فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق (١)

هذا والله من كرم أخلاقهم

كان طلحة بن عبد الرحمن بن عوف أجود قريش في زمانه فقالت له امرأته يوماً: ما رأيت قوماً أشدّ لؤماً من إخوانك

قال: ولم ذلك؟

قالت: أراهم إذا اغتنيت لزموك،

وإذا افتقرت تركوك!

فقال لها: هذا والله من كرم أخلاقهم!

يأتوننا في حال قُدرتنا على إكرامهم،

ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بحَقِّهم! (٢)

١ - أخرجه أحمد ١٦٦/٣ (١٢٧٢٧) و"عبد بن حميد" ١١٥٩ و"النسائي"، في "عمل اليوم والليلة" ٨٦٣.

٢ - موارد الزمان لدروس الزمان (٢٠/٣)

سائمة". (١)

سلامة صدر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله-

ولما فتح المعتصم عمورية، وكان قد جلد الإمام أحمد وحبسه وآذاه، قال الإمام أحمد: هو في حل من ضربتي، وقال: كل من ذكرني ففي حل إلا مبتدعاً، وقد جعلت أبا إسحاق في حل -يعني المعتصم- ورأيت الله يقول: **{وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا}** [النور: ٢٢]. وقد أمر النبي -ﷺ- أبا بكر- رضي الله عنه- بالعفو في قصة مسطح، ثم قال الإمام أحمد: "وما ينفعك أن يعذب الله أخاك في سبيلك؟" (٢)

سلامة صدر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله-

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في إحدى رسائله لبعض أصحابه، وذلك بعد خروجه من السجن: "وقد أظهر الله من نور الحق وبرهانه ما ردَّ به إفك الكاذب وبهتانه، فلا أحبُّ أن ينتصر من أحد بسبب كذبه عليّ، أو ظلمه وعدوانه؛ فإنني قد أحللتُ كلَّ مسلمٍ، وأنا أحبُّ الخيرَ لكلِّ المسلمين، وأريدُ بكلِّ مؤمنٍ من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حلٍّ من جهتي، وأمّا ما يتعلّق بحقوق الله، فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلا فحكم الله نافذ فيهم". (٣)

ألا تأذن لنا فنؤذي من آذاك

وأوغل خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية في خصومته، حتى أودعوه السجن، وضيقوا عليه، فلما مات أحد كبار أعدائه كان ابن تيمية أول من عزي أهله، بل قال لهم: أنا أكون لكم مكانه!! وحين قال له محبوه: ألا تأذن لنا فنؤذي من آذاك؟ قال لهم: إني قد أحللت كل من آذاني، ولا أحل أحداً آذى أحداً بسببي. (٤)

الفصل السادس عشر: قصص عن الكرم والسخاء

سل مصعبا فيم قتلني؟

علي بن الأعرابي قال: أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار بن أبي عبيد، فأمر بضرب عنقه

فقال الرجل: أيها الأمير، ما أقبح بي أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به، فأتعلق بأطرافك، وأقول: يا رب، سل مصعبا فيم قتلني؟

١ - «الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة» (١/ ١٥٥): «البخاري في التاريخ الكبير: ١١٢/ ٥»

٢ - فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (١٠١/ ٥)

٣ - نبذة عن آخر حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٤٠)

٤ - العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ١٠٩)

فقال مصعب: «أطلقوه، فقال الرجل: أيها الأمير، اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض، فقال مصعب: أعطوه مائة ألف درهم، فقال الرجل: فإني أشهد الله أن لعبيد الله بن قيس الرقيات خمسين ألفا قال مصعب: ولم ذلك؟ قال: لقوله: إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء قال: فضحك مصعب وقال: إن فيك لموضعا للضيعة، وأمره بلزومه»^(١)

الطعام أيسر من أن يقسم عليه

- قال أبو الأسود: دخل على الحسن بن علي -رضي الله عنهما- نفرٌ من أهل الكوفة وهو يأكل طعاما فسلموا عليه وقعدوا، فقال لهم الحسن: «الطعام أيسر من أن يقسم عليه، فإذا دخلتم على رجل منزله فقرّب طعامه، فكلوا من طعامه، ولا تنتظروا، فتقدّم القوم فأكلوا، ثم سألوهم حاجتهم فقضاها لهم»^(٢).

فهذي ثيابي مكانها

قال أحمد بن عبد الأعلى الشّيبانيّ وأحمد بن عبيد العنيزيّ: إنّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنهما- كان في سفر له فمرّ بفتيان يوقدون تحت قدر لهم، فقام إليه أحدهم فقال:

أَقُولُ لَهُ حِينَ أَلْفَيْتُهُ عَلَيْكَ السَّلَامُ أبا جعفرٍ

فوقف، وقال: السّلام عليك ورحمة الله، قال:

وَهَذِي ثِيَابِي قَدْ أَخْلَقْتُ وَقَدْ عَصْنِي زَمَنٌ مُنْكَرٌ

قال له: فهذي ثيابي مكانها. وكان عليه جبّة خزّ وعمامة خزّ، فقال الرّجل:

وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَنِي هَاشِمٍ وَفِي الْبَيْتِ مِنْهَا الَّذِي يُذَكِّرُ

قال له: يا ابن أخي ذلك رسول الله ﷺ^(٣)

كَرَمٌ وَبَذْلٌ وَاسِعٌ وَعَطِيَّةٌ

قال محمّد بن يزيد الواسطيّ: حدّثني صديق لي، أنّ أعرابيّ انتهى إلى قوم فقال: يا قوم أرى وجوها وضيئة، وأخلاقا رضيّة، فإن تكن الأسماء على أثر ذلك فقد سعدت بكم أمّكم، تسمّوا بأبي أنتم،

قال أحدهم: أنا عطية، وقال الآخر: أنا كرامة، وقال الآخر: أنا عبد الواسع

وقال الآخر: أنا فضيلة، فأنشأ يقول:

^١ - اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣٥١).

^٢ - مكارم الأخلاق للقرشي (ص: ١٣٠).

^٣ - تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ٢٩١).

كَرَّمْ وَبَذَلْ وَاسْعُ وَعَظِيَّةٌ لَا أَيْنَ أَذْهَبُ أَنْتُمْ أَعْيُنُ الْكَرَمِ
 مِنْ كَانَ بَيْنَ فَضِيلَةٍ وَكَرَامَةٍ لَا رَيْبَ يَفْقَى أَعْيُنَ الْعَدَمِ

قال: فكسوه وأحسنوا إليه وانصرف شاكرا. (١)

كم يؤمل صاحبك

عثمان بن زفر التيمي قال: سمعت محمد بن صبيح يقول: لما قدم أبو الزناد الكوفة على الصدقات كلم رجل حماد بن أبي سليمان في رجل يكلم له أبا الزناد يستعين في بعض أعماله فقال حماد كم يؤمل صاحبك من أبي الزناد أن يصيب معه

قال ألف درهم قال فقد أمرت له بخمسة ألف درهم ولا يبذل وجهي إليه قال جزاك الله خيرا فهذا أكثر مما أمل ورجا (٢)

علينا حقكم وذمامكم

عبد الله بن الوسيم الجمال قال أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دين علي رجل من أصحابنا فأمر بالموائد فنصبت ثم قال لا حتى تصيبوا من طعامنا فيجب علينا حقكم وذمامكم قال فأصبنا من طعامه فأمر لنا بعشرة ألف درهم في قضاء دينه وخمسة ألف درهم نفقة لعياله (٣)

بارك الله لك يا ابن رسول الله

الحر بن كثير الكندي عن أبيه قال خرجت مع الحسين بن علي-رضي الله عنهما- من المسجد أشيعه حين انتهينا إلى بني تميم وكان متزوجا فيهم فلما انتهينا إلى بابه وقف قال ادخل أيها الرجل فقلت بارك الله لك يا ابن رسول الله في منزلك وطعامك فقال علي أن لا ندخرك ولا نكلف لك قال فدخلت فدعا لي بطعام فأتيت به فأصببت منه ودعا بطيب فأصببت منه ثم رفع مصلاه فأخرج من تحته كيسا فيه دراهم فدفعه إلي فقال استنفق هذه قال فخرجت فعددتها فإذا هي خمس مائة درهم (٤)

اذهب فهي لك

عن مندل بن علي عن عبد الله بن مروان عن ابن أبي نعم أن رجلا من آل عمر نازع عاصم بن عمر في أرض كانت بينهما فقال له الرجل لقد هممت بكذا وكذا فقال له

^١ - مكارم الأخلاق للخرائطي (٢/ ١١٤)

^٢ - الكرم والجود لمحمد البرجلاني (ص: ٥٧)

^٣ - الكرم والجود لمحمد البرجلاني (ص: ٥٥)

^٤ - الكرم والجود لمحمد البرجلاني (ص: ٥١)

عاصم وكان من الحكماء أي أخي وبلغ بك الأمر هذا اذهب فهي لك فاستحيى الرجل فرجعت إليه نفسه^(١)

ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت

ذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي عن شيخ من التجار قال: كان لي على بعض الأمراء مال كثير فمأطلني ومنعني حقي، وجعل كلما جئت أطلبه حجبني عنه، ويأمر غلمانه يؤذونني؛ فاشتكت عليه إلى الوزير؛ فلم يفد ذلك شيئاً، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئاً، وما زاده ذلك إلا منعاً وجحوداً.

فأيست من المال الذي عليه، ودخلني همٌّ من جهته، فبينما أنا كذلك، وأنا حائر إلى من أشتكي إذ قال لي رجل: ألا تأتي فلانا الخياط إمام مسجد هناك؟ فقلت: وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم، وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه؟ فقال لي: هو أقطع، وأخوف عنده من جميع من اشتكت إليه؛ فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجاً.

قال: فقصدته غير محتفل في أمره، فذكرت له حاجتي، ومالي، وما لقيت من هذا الظالم.

فقام معي فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه، وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر! غير أنه قال له: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت؛ فتغير لون الأمير، ودفع إلى حقي.

قال التاجر: فعجبت من ذلك الخياط مع رثائه حاله وضعف بنيته كيف انطاع ذلك الأمير له، ثم إني عرضت عليه شيئاً من المال، فلم يقبل مني شيئاً، وقال: لو أردت هذا لكان لي من الأموال ما لا يحصى فسألته عن خبره؟ وذكر له تعجبي منه، وألححت عليه،

فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعالي الدولة وهو شاب حسن فمر به ذات يوم امرأة حسنة قد خرجت من الحمام، وعليها ثياب مترفة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران، فتعلق بها يريد لها على نفسها ليدخلها منزله، وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها: يا مسلمين أنا امرأة ذات زوج، وهذا الرجل يريدني على نفسي، ويدخلني منزله، وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبیت في غير منزله، ومتى بت ها هنا طلقت منه، ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا تغسله المدامع!

^١ - الكرم والجود لمحمد البرجلاني (ص: ٤٦)

قال الخياط: فقمتم إليه فأنكرت عليه، وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده؛ فشج رأسي، وغلب المرأة على نفسها، وأدخلها منزله قهرا، فرجعت أنا فغسلت الدم عني، وعصبت رأسي وصليت بالناس العشاء، ثم قلت للجماعة: إن هذا قد فعل ما قد علمتم، فقوموا معي إليه لننكر عليه، ونخلص المرأة منه، فقام الناس معي، فهجمنا عليه داره، فثار إلينا في جماعة من غلمانهم بأيديهم العصي والدبابيس يضربون الناس، وقصدني هو من بينهم، فضربني ضربا شديدا مبرحا، حتى أدماني وأخرجنا من منزله، ونحن في غاية الإهانة فرجعت إلى منزلي، وأنا لا أهتدي إلى الطريق من شدة الوجع، وكثرة الدماء، فنمت على فراشي، فلم يأخذني نوم، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل؛ لترجع فتبيت في منزلها حتى لا يقع .. الطلاق!

فألهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى منزل زوجها فصعدت المنارة، وجعلت أنظر إلى باب داره، وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان، هل أرى المرأة قد خرجت، ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصبح؛ فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا؟

إذ امتلأت الطريق فرسانا ورجالة وهم يقولون: أين الذي أذن هذه الساعة؟! فقلت: ها أنا ذا، وأنا أريد أن يعينوني عليه فقال: انزل فنزلت، فقال: أجب أمير المؤمنين فأخذوني، وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئا حتى أدخلوني عليه، فلما رأيته جالسا في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف، وفزعت فزعا شديدا فقال: ادن، فدنوت فقال لي: ليسكن روعك، وليهدأ قلبك، وما زال يلاطفني حتى اطمأننت وذهب خوفي.

فقال: أنت الذي أذنت هذه الساعة؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة، وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه؛ فتغر بذلك الصائم والمسافر والمصلي وغيرهم؟!

فقلت: يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري؟

فقال: أنت آمن. فذكرت له القصة قال: فغضب غضبا شديدا، وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا!

فأحضرا سريعا فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات، ومعهن ثقة من جهته أيضا، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة ومعدورة،

ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال: له كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجوار والزوجات؟ فذكر له شيئاً كثيراً.

فقال: له ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك؟! حتى انتهكت حرمة الله، وتعديت حدوده، وتجرات على السلطان، وما كفاك ذلك أيضاً، حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف، ونهاك عن المنكر؛ فضربته وأهنته وأدميته، فلم يكن له جواب؛ فأمر به فجعل في رجله قيد، وفي عنقه غل ثم أمر به فأدخل في جوالق [وعاء] ثم أمر به، فضرب بالدبابيس ضرباً شديداً حتى خفت! ثم أمر به فألقي في دجلة! فكان ذلك آخر العهد به!

ثم أمر بدرا صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال،

ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكراً صغيراً كان أو كبيراً ولو على هذا!.

وأشار إلى صاحب الشرطة؛ فأعلمني، فإن اتفق اجتماعك بي، وإلا فعلى ما بيني وبينك الأذان؛ فأذن في أي وقت كان، أو في مثل وقتك هذا.

قال: فلهذا لا أمر أحداً من هؤلاء الدولة بشيء إلا امتثلوه ولا أنهاهم عن شيء إلا تركوه خوفاً من المعتضد، وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن! (١)

يا مروان الصلاة قبل الخطبة

أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال طارق بن شهاب: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجلٌ فقال: الصَّلَاةُ قبل الخطبة، قال: قد تُرك ما هنالك.

فقال أبو سعيد: أمّا هذا فقد قَضَى ما عليه، سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول: «من رأى منكم منكراً فليُغيِّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». (٢).

صار السلطان أمامي كالقط.

طلع الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى السلطان في يوم العيد إلى القلعة فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة فهنا وجد أن الناس يقبلون الأرض بين يدي السلطان، فقام العز بن عبد السلام ونهر السلطان نهراً شديداً، وأنكر هذا الفعل من عموم الناس، وقال له: يا سلطان كيف تسمح أن تباع الخمور في البلاد؟

^١ - ذكر الحافظ ابن كثير البداية والنهاية ج: ١١ / ٨٩، في ترجمة الخليفة العباسي المعتضد

^٢ - أخرجه أحمد (٣١/٣). ومسلم (٢٠/٣)

وبدأ يعدد المنكرات، وهذا السلطان من السلاطين الغاشمين الظالمين، وتكلم بقسوة وشدة وتعجب الناس من شجاعته وقالوا: لا بد أن يحل به بلاء، فانتظروا إلى النتيجة، فقال له السلطان في النهاية: يا سيدي -اسمعوا السلطان يقول للعز بن عبد السلام يا سيدي-: هذا أنا ما عملته هذا عمله أبي قبلي، قال له السلطان العز بن عبد السلام -وهو السلطان الحقيقي-: أنت ممن يقول الله فيه: { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } [الزخرف: ٢٣] فقام السلطان وأصدر أمرا في موقعه بإزالة جميع المنكرات التي تحدث عنها العز بن عبد السلام، أمر بإغلاق الحانات، وأمر بعدم الخضوع بين يديه، وأمر بإزالة المنكرات.

يقول الباجي: فسألت الشيخ لما جاء من عند السلطان -وقد شاع الخبر- يا سيدي كيف الحال؟ فقال: يا بني رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه؛ لئلا تكبر نفسه فتؤذيه.

العز بن عبد السلام يقول: قصدت لما رأيت أن الناس قد عظموه فعظمت نفسه في يوم العيد أن أهينه، يقول له هذا العالم فقلت له يا سيدي: أما خفته؟ قال: والله يا بني استحضرته هيبة الله فصار السلطان أمامي كالقط.

كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك

سمع من أصحاب ابن طبرزد وكان شيخا جليلا بشوش الوجه حسن السمات مقصدا لكل أحد كثير الوقار عليه سيما العبادة والخير وكان يوم قازان في جملة من كان مع الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما تكلم مع قازان فحكى عن كلام شيخ الإسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجرأته عليه، وأنه قال لترجمانه: قل للقان أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاضي وإمام وشيخ على ما بلغنا فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا وأبوك وجدك هلاكوا كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام بل عاهدوا قومنا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت قال وجرت له مع قازان وقطلو شاه وبولاي أمور ونوب قام ابن تيمية فيها كلها لله وقال الحق ولم يخش إلا الله- عز وجل -

قال وقرب إلى الجماعة طعاما فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقليل له: ألا تأكل؟

فقال كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس: قال ثم إن قازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه: اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذ له وزلزه ودمره واقطع دابره: قال: وقازان يؤمن على دعائه ويرفع يديه.

قال: فجعلنا نجمع ثابنا خوفا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله

قال: فلما خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وغيره :
كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك والله لا نصحبك من هنا
فقال: وأنا والله لا أصحبكم

قال فانطلقنا عسبة وتأخر هو في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه
فتسامعت به الخواقين والأمراء من أصحاب قازان فأتوه يتبركون بدعائه وهو سائر
إلى دمشق وينظرون إليه، قال والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلاثمائة فارس
في ركابه وكنت أنا من جملة من كان معه وأما أولئك الذين أبو أن يصحبوه فخرج
عليهم جماعة من التتر فشلحوهم عن آخرهم هذا الكلام أو نحوه (١)

حسبك الله بكل درة سنة

قال الحسين بن أحمد الرازي: سمعت أبا علي الروذباري يقول: كان سبب دخولي
مصر حكاية بنان الحمال، وذاك أنه أمر ابن طولون بالمعروف، فأمر أن يلقي بين
يدي السبع، فجعل يشمه ولا يضره. فلما خرج من بين يدي السبع قيل له: ما
الذي كان في قلبك حيث شمك قال كنت أفكر في سؤر السباع ولعابها. ثم رب
سبع درر، فقال له: حسبك الله بكل درة سنة. فحبس ابن طولون سبع سنين. (٢)



الفصل السابع عشر: مع الزاهدين والزاهدات

فراش محمد ﷺ وطعامه.

عن ابن عباس أن عمر ﷺ قال: دخلت على رسول الله ﷺ في خزائنه فإذا هو
مضطجع على حصير، فأدني عليه أزاره وجلس وإذا الحصير قد أثر بجنبه،
فقلبت عيني في خزانة رسول الله ﷺ فإذا ليس فيها شيء من الدنيا غير قبضتين أو
قال قبضة من شعير وقبطه من قرظ نحو الصاعين، وإذا أفيق معلق أو أفيقان
قال: فابتدرت عينايا فقال: رسول الله ﷺ ما يبكيك يا ابن الخطاب؛ قلت يا

^١ - البداية والنهاية لإسماعيل القرشي (١٤ / ٨٩)

^٢ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٣٥ / ١٤١)

رسول الله ومالي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله وهذه خزانتك ! وكسرى وقصير في الثمار والأنهار وأنت هكذا.
فقال: يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؛ قلت بلى: يا رسول الله قال " فاحمد الله تعالى " (١)

رديه فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فراش النبي ﷺ من آدم حشوه ليف. (٢)
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية فانطلقت فبعثت إلى بفراش حشوه من الصوف فدخل علي رسول الله ﷺ فقال : ما هذا يا عائشة ؛ قلت : فلانة رأت فراشك فبعثت إلى بهذا ، فقال : رديه يا عائشة ، قالت فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي ، حتى قال ذلك ثلاث مرار قالت : فقال رديه فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة (٣)

مالي وللدنيا

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال: اضطلع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه فقيل له: إلا نأتيك بشيء يقيك منه؛ فقال: مالي وللدنيا إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها. (٤)

الله مالي أراك ساهم الوجه

عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت : دخل علي رسول الله ﷺ ساهم الوجه فحسبت ذلك وجع ، فقلت : يا رسول الله مالي أراك ساهم الوجه ؛ فقال : من أجل الدنانير السبعة التي أتتنا أمس ولم ننفقهن فكن في خمل الفراش . (٥)

من كان يطلب رسول الله ﷺ دينا فليحضر

عن معاوية بن سلام عن زيد أنه سمع أبا سلام حدثني عبد الله أبو عامر الهزني قال : لقيت بلالا مؤذن رسول الله ﷺ بحلب فقلت : حدثني كيف كانت نفقة النبي ﷺ فقال ما كان له شيء من ذلك إلا أنا الذي كنت إلى ذلك منه منذ بعثه الله إلى أن توفي، فكان إذا أتاه الإنسان المسلم فراه عاريا يأمرني فأنتقل فاستقرض فأشتري البردة والشيء فأكسوه أطعمه حتى أعترض رجل من المشركين فقال : يا بلال إن عندي سعة فلا تستقرض من أحد إلا مني ففعلت فلما كان ذات يوم توضأت ، ثم قمت لأؤذن بالصلاة ، فإذا المشرك في عصابة من التجار فلما راني

١ - أخرجه مسلم ١٤٧٩.

٢ - أخرجه البخاري رقم ٦٤٥٦.

٣ - أخرجه وأخرجه أبو يعلى (٥٢٩٢)، وأخرجه الترمذي (٢٣٧٧) وصححه الألباني في الصحيحة ح ٢٤٨٤

٤ - صحيح بنحوه أخرجه الترمذي ٢٣٤٨، وابن ماجه ٤١٠٤ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه

٥ - أخرجه أحمد ح ٢٦٥١٣ وأخرجه ابن حبان (٥١٦٠) وأخرجه الطبراني في "الكبير" ٢٣ / (٧٥٢)

قال : يا حبشي ، قلت يا لبيه فتهجمني وقال قولاً غليظاً فقال : أتدري كم بينك وبين الشهر ؛ قلت قريب ، قال إنما بينك وبينه أربع ليال فأخذك بالذي لي عليك ، فإني لم أعطك الذي أعطيتك من كرامتك ولا من كرامة صاحبك ، ولكن أعطيتك لتصير لي عبداً أردك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك ، فأخذني في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس ، فانطلقت ثم أذنت بالصلاة ، حتى إذا صليت العتمة رجع النبي ﷺ إلى أهله فاستأذنت عليه فأذن لي : فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي إن المشرك قال لي كذا وكذا وليس عندك ما تقضي عني ، ولا عندي وهو فاضحي ، فأذن لي أن آتي بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا ، حتى يرزق الله رسوله ﷺ ما يقضي عني فخرجت حتى أتيت منزلي فجعلت سيفي وجراي ورمحي ونعلي عند رأسي واستقبلت بوجهي الأفق فكلما نمت انتبهت فإذا رأيت علي ليلاً نمت حتى انشق عمود الصبح الأول فأردت أن أنطلق فإذا إنسان يسعي ، يدعو : يا بلال أجب رسول الله ﷺ فانطلقت حتى أتيته فإذا أربع ركائب عليهن أحملاهن فأتيت النبي ﷺ فاستأذنت فقال لي النبي ﷺ أبشر فقد جاءك الله بقضائك فحمدت الله قال : ألم تر على الركائب المناخات الأربع ؛ قلت : بلى ، قال : فإن لك رقابهن وما عليهن ، فإذا عليهن كسوة وطعام أهداهن له عظيم فذك ، فحططت عنهن ، ثم عقلتهن ، ثم عمدت إلى تأذين صلاة الصبح حتى إذا صلي رسول الله ﷺ خرجت إلى البقيع فجعلت إصبعي في أذني ، وناديت وقلت : من كان يطلب رسول الله ﷺ دينا فليحضر ؛ فما زالت أبيع وأقضي حتى لم يبق على رسول الله ﷺ دين في الأرض ، حتى فضل عندي أو قيتان أو أوقية ونصف ثم انطلقت إلى المسجد وقد ذهب عامة النهار فإذا رسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده فسلمت عليه ، فقال لي ما فعل ما قبلك ؛ قلت قد قضى الله كل شيء كان على رسول الله ﷺ فلم يبق شيء فقال : شيء ؛ نعم ديناران قال : انظر أن تريحني منهما فلمست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما ، فلم يأتينا أحد ، فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى كان آخر النهار جاء راكباً ، فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلي العتمة دعاني فقال : ما فعل الذي قبلك ؛ قلت : قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقاً من أن يدركه الموت ، ثم اتبعته حتى جاء أزواجه فسلم على امرأة امرأة حتى أتى مبيته فهو الذي سألتني عنه. (١)

إليك عني إليك عني

حرص أبي بكر الصديق رضي الله عنه : عن زيد بن أرقم أنا أبا بكر استسقى ، فأتى بإناء فيه غسل فلما أدناه من فيه - فمه - بكى وأبكى من حوله فسكت وما سكتوا ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدرُوا على مساءلته ثم مسح وجهه وأفاق فقالوا : ما أهاجك على هذا البكاء ؟

^١ - سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣١٤-٣١٦ وأخرجه أبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح. ٣٠٥٥

قال كنت مع النبي ﷺ وجعل يدفع عنه شيئاً ويقول "إليك عني إليك عني" ولم أر معه أحد.

فقلت يا رسول الله أراك تدفع شيئاً ولا أرى معك أحد؟
قال: هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها فقلت لها إليك عني فتنحت، وقالت أما والله
لئن انفلت مني لا ينفلت مني من بعدك " فخشيت أن تكون قد لحقتني فذاك
الذي أبكاني "(١)

لقد أتعب من بعده تعباً شديداً

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرضى أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال:
انظري ما زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي "
فنظر فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه وإذا ناضح كان يسقي بستانا له فبعثنا بهما
إلى عمر قالت: فأخبرني جدي أن عمر بكى وقال-- رحمه الله-- لقد أتعب من
بعده تعباً شديداً (٢).

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه دخلت عليه
وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه في صدره فتمثلت هذا البيت

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فنظر إلى كالغضبان ثم قال : ليس كذلك يا أم المؤمنين ولكن قول الله أصدق ﴿
وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق : ١٩]

ثم قال : يا عائشة انه ليس أحد من أهلي أحب إلي منك وقد كنت نحلتك حائط
وإن في نفسي منه شيء فرد به إلى الميراث قالت : نعم فردته وقال ﷺ : أما أنا
منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارا ولا درهما ولكننا قد أكلنا من جريش
طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وليس عندنا من في
المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد وهذا البعير الناضج وجرده هذه القطيفة فإذا
مت فابعثي به إلى عمر وابرئي منهن فقلت فلما جاء الرسول " عمر " بكى حتى
جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول : رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده ،
رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده ، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده "(٣)

إنما حبسني قميصي هذا

قال ابن الجوزي: في مناقب عمر : قال عبد العزيز ابن أبي جميلة : أبطأ عمر ابن
الخطاب - ﷺ - جمعه بالصلاة فلما خرج صعد المنبر واعتذر إلى الناس فقال "

١ - أخرجه الحاكم (٣٤٤/٤ ، رقم ٧٨٥٦) وقال: صحيح الإسناد والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٥/٧ ، رقم ١٠٥٩٦) .

٢ - الناضح : هو البعير يستقي عليه .

٣ - رواه ابن سعد في الطبقات ١٤٦، ١٤٧/٣ ورجاله ثقات ، و ربيع الأبرار - (١ / ٢٩٣)

إنما حبسني قميصي هذا لم يكن لي قميص غيره كان يخاط ، أبيض - لا يجاوز كمه رسغ كفيه " (١)

كلما اشتهيت اشتريت !!

عن جابر رضي الله عنه قال: رأى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في يدي لحما معلقا قال ما هذا يا جابر ؟
قال اشتهيت لحما فاشتريته
فقال عمر كلما اشتهيت اشتريت !! أما تخاف هذه الآية " أذهبتمكم طيباتكم في حياتكم الدنيا " (٢)

إن طعامك هذا جشِب غليظ

وعن حميد ابن هلال: أن حفص ابن العاص كان يحضر طعام عمر، فكان لا يأكل فقال عمر له: ما يمنعك من طعامنا؟
قال: إن طعامك هذا جشِب غليظ، وإني أرجع إلى طعام لين قد صنع لي فأصيب منه.

، قال : أتراني أعجز أن آمر بشاة فيلقى عنها شعرها ، وأمر بدقيق فينخل ثم يصب في خرقة ، ثم آمر به فيخبز خبزاً رقاقاً وأمر بصاع من زبيب فيقذف في سعن ثم يصب عليه من الماء فيصبح كأنه دم الغزال ؟
فقال إني لا أراك عالماً بطيب العيش.
قال: أجل والذي نفسي بيده لولا أن تنقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم " (٣)

وعوتب عمر فقليل له: لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق ؟
فقال: إني تركت صاحبي على جادة فإن تركت جادتهما فلن أدركهما في المنزل "
وكان معاوية رضي الله عنه يقول " أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها، أما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن " (٤)

هذا أمير المؤمنين

عثمان بن عفان رضي الله عنه .

إنه ذو النورين من باع نفسه وماله لله ورسول الله ﷺ. من جهز جيش في العسرة ... وعلى الرغم من ذلك الثراء إلا أنه كان من أزهد الناس في زينة الحياة الدنيا وهيا لنرى مدى حرصه على التخفف من الدنيا ، عن الحسن سئل عن القائلين في المسجد فقال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه

^١ - الطبقان لأبن سعد ٣/٣٥١، وإسناده صحيح

^٢ - أخرجه مالك في الموطأ وأحمد في الزهد ١٥٣، والبيهقي في الشعب ٣٢٨٤

^٣ - سير الخلفاء للذهبي ص ٨١

^٤ - أخرجه ابن عساکر ٥٢/٢٢٤ في تاريخه وابن الأثير في أسد الغابة ٤/١٤٧ بسند حسن.

يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة، قال يقوم وأثر الحصر بجنبه قال فيقال. هذا أمير المؤمنين هذا أمير المؤمنين. (١)

أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده

علي بن أبي طالب عليه السلام. فعن عبد الله بن شريك عن جده عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه أتى بفالودج (٢) فوضع قدامه بين يديه فقال : إنك طيب الريح حسن اللون طيب الطعم ، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده . (٣)

هذا يبلغني المقييل

عن عروة قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيده بن الجراح عليه السلام فإذا هو مضطجع على طنفسة رحلة متوسد الحقيبة فقال: عمر ألا اتخذت ما أتخذ أصحابك؛ فقال: يا أمير المؤمنين. هذا يبلغني المقييل. (٤)

غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيده

وعن ابن عمر عليه السلام : أن عمر حين قدم الشام قال لأبي عبيده : أذهب بنا إلى منزلك ، قال : وما تصنع عندي ، ما تريد ألا أن تعصر عينك علي : قال فدخل فلم ير شيئاً ، قال أين متاعك ؛ لا أري إلا لبدأ وصحفة وشنا وأنت أمير أعندك طعام ؛ فقام أبو عبيده إلى جونة فأخذ منها كسيرات فبكي عمر ، فقال له أبو عبيده ، قد قلت لك إنك ستعصر عينك علي يا أمير المؤمنين ، يكفيك ما يبلغك المقييل ، قال عمر : غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيده . (٥)

الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا

وروي مالك أن عمر أرسل إلى أبي عبيدة: بأربعة آلاف أو بأربعمائة دينار وقال للرسول: أنظر ما يصنع بها قال فقسمها أبو عبيده، ثم أرسل إلى معاذ بمثلها، وقال: قسمها إلا شيئاً قالت له امرأته نحتاج إليه فلما أخبر الرسول عمر قال: الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا (٦).

بل أنتم اليوم خير

١ - حلية الأولياء - (١ / ٦٠) و صفة الصفوة - (١ / ٣٠٣)

٢ - الفالودج : نوع من الحلوى .

٣ - سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - (٢ / ٣٣)

٤ - مصنف ابن أبي شيبة (ح ٣٥٧٦٢)

٥ - سير أعلام النبلاء جـ ٣ ص ١٠/٩ وإسناده ضعيف / عبد الله عمر العمراوي قال حجر في التقريب ٣٤٨٩ ضعيف

٦ - سير أعلام النبلاء جـ ٣ ص ١٠ وإسناده منقطع

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال خرجت في غداة شاتية جائعا وقد أوبقني البرد فأخذت ثوبا من صوف قد كان عندنا ثم أدخلته في عنقي وحزمته على صدري أستدفئ به والله ما كان في بيتي شيء آكل منه ولو كان في بيت النبي ﷺ شيء لبلغني فذكر الحديث إلى أن قال ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست إليه في المسجد وهو مع عصابة من أصحابه فطلع علينا مصعب بن عمير في بردة مرقوعة بفروة وكان أنعم غلام بمكة وأرفهه عيشا فلما رآه النبي ﷺ ذكر ما كان فيه من النعيم ورأى حاله التي هو عليها فذرفت عيناه فبكى ثم قال رسول الله ﷺ أنتم اليوم خير أم إذا غدي على أحدكم بجفنة من خبز ولحم وريح عليه بأخرى وغدا في حلة وراح في أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة قلنا بل نحن يومئذ خير نتفرغ للعبادة قال بل أنتم اليوم خير (١)

لو قنعت لم تكن مطهرتي مرهونة

عن أبي وائل قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان فقال: لولا رسول الله نهى عن التكلف لتكلف لك. فجاءنا بخبز وملح.

فقال صباحي لو كان في ملحنا صعتر، فبعث سلمان بمطهرته فرهنها فجاء بصعتر فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان: لو قنعت لم تكن مطهرتي مرهونة. (٢)

ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب

دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت فبكى. فقيل له: ما يبكيك؛ قال عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ لم نحفظه قال: ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب. وأما أنت يا سعد: فاتق الله في حكمك إذا حكمت وفي قسمك إذا قسمت وعند همك إذا هممت.

قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرون درهما نفقة كانت عنده. (٣)

ألا نبني لك بيت تستظل به

عن معن عن أنس أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان يستظل بالفيء وحيث دار ولم يكن له بيت فقال له رجل: ألا نبني لك بيتا تستظل به من الحر وتسكن فيه من البرد؛ فقال له سلمان رضي الله عنه: نعم فلما أدبر، صاح به فسأله سلمان: كيف تبنيه؟ فقال: أبنيه إن قمت فيه أصاب رأسك وإن اضطجعت فيه أصاب رجلك.

١ - أخرجه هناد في الزهد (٣٨٩/٢)، رقم (٧٥٨)، والترمذي (٦٤٧/٤)، وقال: الألباني ضعيف، المشكاة (٥٣٦٦) / التحقيق الثاني ()

٢ - أخرجه الطبراني في الكبير ح ٦٠٩٨ والحاكم ح ٧١٤٦ قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٥١١ / ٥

٣ - أخرجه ابن ماجه ح (٤١٠٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢٣١٢.

فقال سلمان أصبت . (١)

خوف أبي ذر رضي الله عنه

عن أبي أسماء أنه دخل على أبي ذر بالربذة وعنده امرأة سوداء مشعته ليس عليها أثر المجاسد والخلق، فقال : " ألا تنظرون ما تأمرون به؛ تأمروني أن آتي العراق، فإذا أتيتها ما لوا علي بدنياهم، وأن خليلي عهد إلي أن دون جسر جهنم طريق ذا دحض ومزلة وأنا نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار أخرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواكير . (٢)

تعمروا دار أذن الله بخربها

وعن ثابت البناني بني أبو الدرداء مسكنا فمر عليه أبو ذر فقال: ما هذا! تعمروا دار أذن الله بخربها لأن تكون رأيته تتمرغ في عذراه أحب إلي من أن أكون رأيته فيما رأيته.

أما ثوابك فعلى الله

عن أم طلق قالت: دخلت على أبي ذر فرأيت شعثا شاحبا بيده صوف قد جعل عودين وهو يغزل بهما فلم أر في بيته شيئا فناولته شيئا من دقيق وسويق . فقال لي: أما ثوابك فعلى الله . (٣)

مالنا إلا ظل نتواري به

قال بعث حبيب بن مسلمة وهو أمير الشام إلى أبي ذر بثلاث مائة دينار، وقال استعن بها على حاجتك.

فقال: أبو ذر: ارجع بها إليه أو ما وجد أحد أغر بالله - عز وجل - منا ؟!

مالنا إلا ظل نتواري به وثلة من غنم تروح علينا ومولاه لنا تصدقت علينا بخدمتها ثم إني لأتخوف الفضل - الزيادة .

يا أبا ذر أين متاعك

عن جعفر بن سليمان قال: دخل رجل علي أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر أين متاعك؟ قال: لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا، قال: أنه لابد لك من متاع ما دمت هاهنا قال: أن صاحب المنزل لا يدعنا فيه . (٤)

^١ - الطبقات الكبرى - (٤ / ٨٩) و تاريخ دمشق - (٢١ / ٤٣٦) و صفة الصفوة - (١ / ٥٣٩)

^٢ - سير أعلام النبلاء ج٣ - ٣٨٨/ ورجاله ثقات أخرجه ابن سعد ٢٣٦/٤ واحمد ١٩٥/٥ .

^٣ - سير أعلام النبلاء ج٣ - ٣٨٨/ . وعن أبي بكر بن المنكدر

^٤ - صفة الصفوة - (١ / ٥٩٥)

حجوا حجة لعظائم الأمور

عن سفيان الثوري قال: قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال: يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق. فاكتنفه الناس فقال أريتم لو أن أحد منكم أراد سفر أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؛ قالوا بلى؛ قال: فإن سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا ما يصلحكم، قالوا: وما يصلحنا؛ قالوا حجوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور، وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوما عظيم تصدق بمالك لعلك تنجوا من عسيرها أجعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الحلال، ومجلسا في طلب الآخرة، الثالث يضرك ولا ينفعك. اجعل المال درهمين درهما: تنفقه على عيالك من حلة، ودرهما تقدمه لأخرتك، الثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده، ثم نادي بأعلى صوته: يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبدا (١)

الطريق قد جاء الأمير

عن أبي رافع قال: كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب حمارا ببردة وخطامه ليف فيسير فيلقى الرجل فيقول: الطريق قد جاء الأمير. وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب فلا يشعرون بشيء حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه فيفزع الصبيان ويفرون (٢)

أوسع الطريق للأمير

عن ثعلبة بن أبي مالك قال: أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال: أوسع الطريق للأمير. (٣)

إن بين أيدينا عقبة كؤود المخف فيها خير من المثل

وعن محمد بن كعب قال : أن أناسا نزلوا على أبي الدرداء ليلة قرّة فأرسل إليهم بطعام سخن ولم يرسل إليهم بلحف ، فقال : بعضهم لقد أرسل إلينا بالطعام فما هنأنا مع القر لا أنتهي أو أبين له ، قال الآخر : دعه فأبى فجاء حتى وقف على الباب رآه جالسا وامرأته ليس عليها من الثياب إلا ما لا يذكر ، فرجع الرجل وقال : ما أراك بت إلا نحو ما بتنا به ، قال ، إن لنا دار ننقل إليها قدمنا ننقل إليها فرشنا ولحفنا إليها لو ألفت عندنا منه شيئا لأرسلنا إليك به وإن بين أيدينا عقبة كؤود المخف فيها خير من المثل أفهمت ما أقول لك ؛ قال نعم . (٤)

أحب الموت وتكرهونه

١ - صفة الصفوة جـ ١ ص ١٩٠.

٢ - مسند أحمد ط الرسالة (١٥/ ٣٤٢)

٣ - سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ١٧٨-١٧٩ ، وأخرجه ابن سعد ٤٨٥/٢.

٤ - صفة الصفوة جـ ١ ص ٢٠٦.

روى أحمد عن بن سليمان أن أبا الدرداء كان يقول " ويل لكل جماع فاغر فاه، كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله عز وجل لو يستطيع لوصل الليل بالنهار، ويله من حساب غليظ وعذاب شديد قال وكان يقول: أحب الموت وتكرهونه؛ وأحب الفقر وتكرهونه؛ وأين الذين أملوا بعيد وجمعوا كثيرا وبنوا شديد فأصبح أملهم غرورا وأصبح جمعهم بورا أصبحت منازلهم قبورا؟
ما أعجب ابن عمر شيء من ماله إلا قدمه

وعن عبيد الله عن نافع قال: ما أعجب ابن عمر شيء من ماله إلا قدمه بينا هو يسير على ناقته إذ أعجبه فقال اخ اخ ؛ قال يا نافع حط عنها الرحل فجعلها وقلدها وأجعلها في بدنه^(١)

ألا نجعل لك جوارش ؟

عن ابن سيرين: أن رجلا قال لابن عمر: ألا نجعل لك جوارش ؟ قال: وأي شيء جوارش ؟ قال: شيء إذا كظك الطعام فأخذت منه شيئا يذهب عنك ما تجد. فقال ابن عمر: ما شبعنا منذ أربعة أشهر، وما ذاك أن لا أكون له واجدا، ولكني عهدت أقواما يشبعون مرة ويجوعون مرة.^(٢)

إن الله قد نهاك عن الغيبة

قال عبد الملك بن هارون بن عنتره حدثا أبي عن جدي أن عمير بن سعد بعثه عمر على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره فكتب إليه أقبل بما جبت من الفيء فأخذ جربه وقصعته وعلق أداوته وأخذ عَنَرَتَه وأقبل راجلا فدخل المدينة وقد شجبا وأغبر وطال شعره فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما شأنك قال أأست صحيح البدن مع الدنيا فظن عمر أنه جاء بمال فقال جئت تمشي قال نعم قال أما كان أحد يتبرع لك بدابة ؟ قال ما فعلوا ولا سألتهم قال بئس المسلمون قال يا عمر: إن الله قد نهاك عن الغيبة فقال ما صنعت ؟

قال الذي جبيته ووضعت في مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيتك به قال جددوا لعمر عهدا قال لا عمل لك ولا لأحد قلت لنصراني أخزأك الله، وذهب إلى منزله على أميال من المدينة فقال عمر أراه خائنا فبعث رجلا بمائة دينار قال انزل بعمر كأنك ضيف فإن رأيت شيء فأقبل وإن رأيت حالا شديدة فادفع إليه هذه المائة، فانطلق فرآه يُفلي قميصه فسلم فقال له عمير: انزل منزل فساءله فقال: كيف أمير المؤمنين ؟

^١ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - (٥ / ٤٦٠)

^٢ - سير أعلام النبلاء - (٣ / ٢٢٢) حلية الأولياء - (١ / ٣٠٠)

قال ضرب ابنا له على فاحشة فمات فنزل به ثلاثا ليس إلا قرص شعير يخصونه به ويطوون ثم قال: إنك قد أجبعتنا فأخرج الدنانير فادفعها إليه فصاح وقال: لا حاجة لي بها ردها عليه.

قالت المرأة: إن احتجت إليها و إلا ضعها مواضعها، فقال: مالي شيء أجعلها فيه فشقت المرأة درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها ثم خرج يقسمها بين أبناء الشهداء، أتى الرجل عمر فقال: ما فعل بالذهب؟ قال لا أدري، فكتب إليه عمر يطلب فجاء فقال، ما صنعت بالدنانير؟ قال وما سؤالك؟

قدمتها لنفسي فأمر له بطعام وثوبين، فقال لا حاجة لي في الطعام وأما الثوبان، فإن أم فلان عارية فأخذه ورجع فلم يلبث أن مات.(١)

أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند المقدرة.

عمر بن عبد العزيز -زهده -رحمه الله:- عن سعيد بن سويد أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين !! إن الله قد أعطاك، فلو لبست !! فقال: أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند المقدرة.

لا بل أختارك يا أمير المؤمنين

عن الفرات بن السائب أن عمر بن عبد العزيز قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله اختاري إما أن تردي حليك إلى بيت المال وإما تأذني لي في فراقك؟

فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد قالت لا بل أختارك يا أمير المؤمنين [عليه] وعلى أضعافه لو كان لي فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين فلما هلك عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة إن شئت رددته عليك.

قالت فإني لا أشاؤه طبت عنه نفسا في حياة عمر وأرجع فيه بعد موته لا والله أبدا فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده(٢)

قدموا لي بغلتي

عن الضحاك بن عثمان قال: لما أنصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صفت له مراكب سليمان فقال:

ولولا التقى ثم النهى خشية الردى عاصيت في حب الصبا كل زاجر

^١ - صفة الصفوة ج١ ص ٢٢٨ . وسير أعلام النبلاء ج٤ ص ١٤٧-١٤٨ .

^٢ - تاريخ دمشق - (٧٠ / ٣٠)

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا يرى له صبوة أخرى الليلي الغوابر

ثم قال إن شاء الله لا قوة إلا بالله ، قدموا لي بغلتي (١)

والله لقد انتزعتها من أبني وكأنما نزعتها عن قلبي

وعن الفهري عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفيء فتناول ابن له صغير تفاحة فانتزعها من فيه فأوجعه فسعى إلى أمه مستعبرا فأرسلت إلى السوق فاشتريت له تفاحا فلما رجع عمر وجد ريح التفاح ، فقال هل أتيت شيء من هذا الفيء ؛ قالت : لا وقصت عليه القصة فقال : والله لقد انتزعتها من أبني وكأنما نزعتها عن قلبي ولكن كرهت أن أضيع نصيبي من الله عز وجل بتفاحه من فيء المسلمين (٢)

إن وصي وولي فيهم الله

عن هاشم قال: لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال. وتركتهم عليه لا شيء لهم فلو وصيت بهم إلي وإلى نظرائي من أهل بيتك؛ قال: أسندوني ثم قال: أما قولك أني أفقرت أفواه ولدي من هذا المال .

فوالله ما منعهم حقا هو لهم ولم أعطيهم ما ليس لهم وأما قولك: لو أوصيت بهم فإن وصي وولي فيهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، بني أحد الرجلين: إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجا وإما رجل مكب على المعاصي فإني لم أكن أقويه على معاصي الله . ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرا قال: فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركهم بخير، أي بني إن أباكم مثل بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخل النار أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار قوموا عصمكم الله (٣)

أريد السمن للدود والحياة

قال أبو حمدون الطيب بن إسماعيل: ذهبنا إلى المدائن إلى شعيب بن حرب وكان قاعدا على شط دجلة قد بنى له كوخا، وخبز له معلق شريط ومطهرة يأخذ كل ليلة رغيفا يبله في المطهرة ويأكله فقال بيده: هكذا إنما كان جلدا وعظما فقال:

^١ - الطبقات الكبرى - (٥ / ٣٤٠) و تاريخ دمشق - (٤٥ / ١٦٦) و سير أعلام النبلاء - (٥ / ١٢٧) و تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - (٧ / ١٩٤)

^٢ - صفة الصفوة - (٢ / ١٢٠)

^٣ - صفة الصفوة - (٢ / ١٢٥) حلية الأولياء - (٥ / ٣٣٤) و سيرة عمر بن عبد العزيز - (١ / ١٠١)

أرى هنا بعد لحما والله لأعملن في ذوبانه حتى أدخل القبر وأنا عظام تققع، أريد السمن للدود والحياة؛ فبلغ أحمد قوله فقال: شعيب بن حرب حمل على نفسه في الورع (١)

زهد الإمام أحمد رحمه الله

وقال صالح: ابن الإمام أحمد - ربما رأيت أبي يأخذ الكسر ينفذ الغبار عنها ويصيرها في قصعة ويصب عليها الماء ثم يأكلها بالملح وما رأيته اشترى رمانا ولا سفر جلا ولا شيئا من الفاكة إلا أن تكون بطيخة فيأكلها بخبز وعنبا وتمرا، وقال لي كان ولداتك في الظلام تغزل غزلا دقيقا فتبتع الأستار بدرهمين أقل أو أكثر فكان ذلك قوتنا وكنا إذا اشترينا الشيء نستره عنه كيلا يراه فيوبخنا (٢)

إنما جئت لاقتبس منك لعلم

عن محمد بن يحيى خادم المزني عنه قال: قال الشافعي: لما دخلت على الرشيد قال: اليمين يحتاج إلى حاكم فانظر رجلا نوليه، فلما رجع الشافعي إلى مجلسه و رأى أحمد بن حنبل من أمثلهم كلمة في ذلك وقال: تهيا حتى أدخلك على أمير المؤمنين فقال: إنما جئت لاقتبس منك لعلم وتأمرني أن أدخل في القضاء ووبخه فاستحيا الشافعي (٣)

يقول الحسن بن محمد بن الحارث دخلت دار أحمد فرأيت في بهوة حصيرا خلقا ومخدة وكتبه مطروحة حواليه وحب خزف وقيل كان علي الباب مسح شعر. ومن تخففه وحرصه الشديد على الزهد فيها

ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمي مثلا في دجلة

عن صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل قال: دخلت علي أبي في أيام الواصل والله يعلم في أي حالة نحن وخرج لصلاة العصر وكان له جلد يجلس عليه قدرأت عليه سنون، كثيرة حتى قد بلي فإذا تحته كتاب فيه. بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه وعن الضيق وما عليك من الدين وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان لتقضي بها دينك وتوسع بها على عيالك فقرأت الكتاب ووضعتة فلما دخل قلت: يا أبا ما هذا الكتاب؛ فأحمر وجهه وقال: رفعتة منك، ثم قال: تذهب بجوابه إلى الرجل وكتب بسم الله الرحمن الرحيم. وصل كتابك إلي ونحن في

١ - سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ١٢٣. و تاريخ بغداد - (٩ / ٢٤٠) و تهذيب الكمال - (١٢ / ٥١٥)

٢ - سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٤٦٩، و ترجمة الأئمة الأربعة - (١ / ٢٣٤)

٣ - المصدر السابق ج ٩ ص ٤٧٩، ترجمة الأئمة الأربعة - (١ / ٢٥٠) و شذرات الذهب - ابن العماد - (٥ / ٤)

عافية فأما الدين الذي فإنه لرجل لا يرهقنا وأما عيالنا فهم بنعمة الله والحمد لله فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب فقال: ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمي مثلاً في دجلة كان مأجوراً لأن هذا الرجل لا يعرف له معروف. (١)

أن الشمس قد بلغت رأس الحيطان

عن ذكريا بن دلويه بعث طاهر بن عبد الله إلى رافع بخمسة آلاف درهم مع رسول فدخل عليه بعد العصر وهو يا كل الخبز مع الفجل فوضع الكيس فقال بعث الأمير إليك بهذا المال فقال: خذ خذ لا أحتاج إليه فأن الشمس قد بلغت رأس الحيطان إنما تغرب بعد ساعة وقد جاوزت الثمانين إلى متى أعيش؟ فرد قال: فدخل ابنة وقال: يا أبتة ليس لنا الليلة خبز قال: فبعث ببعض أصحابه خلف الرسول ليرد المال إلى طاهر فزعا من ابنه أن يذهب خلفه فيأخذ المال. (٢)

نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في أمر الآخرة

إبراهيم الحربي - رحمه الله - وعن القاسم الجبلي قال: اعتل إبراهيم الحربي عله حتى أشرف على الموت فدخلت إليه يوم فقال لي: يا أبا القاسم أنا في أمر عظيم مع ابنتي ثم قال لها: قومي أخرجي عمك فخرجت فألقت على وجهها خمارها فقال: لها إبراهيم: هذا عمك كلميه فقالت لي: يا عم نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في أمر الآخرة الشهر والدهر ما لنا طعام إلا كسر يابسة وملح وربما عدنا الملح و بالأمس قد وجه إليه المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها ووجه إليه فلان فلم يأخذ منها شيء وهو عليل . فالتفت الحربي إليها وتبسم وقال: يا بنيه إنما خفت الفقر؛ قالت: نعم.

قال! انظري إلى تلك الزاوية فنظرت فإذا كتب فقال: هناك ثنتي عشر ألف جزء لغة وغريب كتبته بخطي إذا مت فوجهي كل يوم جزء فبيعيه بدرهم فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقير. (٣)

أنا غني عنها

عن علي بن محمد الحسن المالكي قال: جاء رجل إلى عبد الصمد بمائة دينار ليدفعها إليه فقال له: أنا غني عنها فقال: -فرقها على أصحابك هؤلاء فقال: وضعها على الأرض ففعل، فقال عبد الصمد للجماعة: من احتاج منكم إلى شيء فليأخذ على قدر حاجته فتوزعها الجماعة على صفات مختلفة من القلة والكثرة ولم

١ - صفة الصفوة ج١ ص ٤١٠.

٢ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي - (٢ / ٤٦٤) و تهذيب الكمال - (٢٥ / ١٩٥)

٣ - صفة الصفوة ج١ ص ٤٤٠، و تاريخ بغداد - (٦ / ٣٣) و طبقات الحنابلة - (١ / ٨٧) و المنتظم - (٦ / ٦)

يمسها بيده ثم جاء ابنه بعد ساعة فطلب منه شيئاً فقال: اذهب إلى البقال فخذ منه ربع رطل تمرًا^(١).

إنما الزاهد من قدر فترك

عن إسحاق بن منصور السلولي قال: دخلت أنا وصاحب لي على داود الطائي وهو على التراب فقلت لصاحبي: هذا رجل زاهد، فقال داود: إنما الزاهد من قدر فترك^(٢).

وعن الوليد بن عقبة قال: كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفاً يعلقها بشرائط يفطر كل ليلة على رغيفين بملح وماء، فأخذ ليلة فطرة فجعل ينظر إليه قال ومولاة له سوداء تنظر إليه، فقامت فجاءت بشيء من تمر على طبق فأفطر ثم أحيا ليلته وأصبح صائماً فلما جاء وقت الإفطار أخذ رغيفه وملحاً وماء قال: جعلت أسمعهم يعاتب نفسه ويقول اشتهيت البارحة تمرًا فأطعمك، واشتهيت الليلة تمرًا؛ لا ذاق داود تمرًا ما دام في الدنيا.

عن حماد بن أبي حنيفة قال: قالت مولاة لداود الطائي: يا داود لو طبخت لك دسماً؛ قال فافعلي. فطبخت له شحماً ثم جاءت به، فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: علي حالهم، قال: أذهبي به إليهم، فقالت له: فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء؛ قال: إن أكلته كان في الحش وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخوراً^(٣).

مالي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً

قال مقاتل بن صالح الخراساني دخلت على حماد بن سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينما هو جالس إذا دق داق الباب فقال: يا صبية أخرجي فانظري من هذا؛ فقالت رسول محمد بن سليمان، قال: قولي له يدخل وحده فناوله كتاباً فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة: أما بعد فصبحك الله بما صبح به أوليائه وأهل طاعته وقعت مسألة فأتينا نسألك عنها والسلام. قال يا صبية: هلمي الدواء ثم قال لي: اقلب الكتاب واكتب أما بعد: وأنت فصبحك الله بما صبح به أوليائه وأهل طاعته إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً فإن كانت وقعت مسألة فأتينا واسألنا عما بد لك وإن أتيني فلا تأتني إلا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام. فبينما أنا عنده دق داق الباب فقال يا صبية أخرجي فانظري من هذا؛ فقالت: محمد بن سليمان.

^١ - صفة الصفوة ج١ ص ٤٧٤. و تاريخ بغداد - (١١ / ٤٣) والمنظّم - (٧ / ٢٣٦) و سنوات الحنابلة - (١ / ٢١٢)

^٢ - الجوهر النقي الملتقط من زهد البيهقي - (١ / ٤) و الزهد وصفة الزاهدين - (١ / ٢١) المجالسة وجواهر العلم -

^٣ - صفة الصفوة ج٢ ص ٥٦٣-٥٦٤. و أخبار أبي حنيفة - (١ / ١٢٠) و تاريخ بغداد - (٨ / ٣٥٣)

قال قولي له يدخل وحده، فدخل فسلم ثم جلس بين يديه فقال: مالي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً
 فقال: حماد بن سلمة سمعت ثابتاً البناي يقول سمعت أنس بن مالك يقول:
 سمعت رسول الله ﷺ أن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله عز وجل هابه كل شيء وإذا
 أراد أن يكتنزه به الكنوز هاب من كل شيء (١) .
 فقال: أربعون ألف درهم تأخذ تستعين بها على ما أنت عليه، قال: ارددها على من
 ظلمته بها .
 قال والله ما أعطيتك إلا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها أذوها عني زوي الله عنك
 أوزارك قال : فتقسمها ، قال فلعلي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم
 يرزق منها لم يعدل أزوها عني زوى الله عنك أوزارك (٢)
إن المزين ما أخذها فخذها أنت فاصرفها

قال أبو علي الحسن بن خيران الفقيه قال: مر أبو تراب النخشي بمرين فقال له:
 تحلق رأسي لله عز وجل؛ فقال له أجلس فجلس ففيما يحلق رأسه مر به أمير أهل
 بلده فسأل حاشيته فقال لهم: أليس هذا أبا تراب؟
 قالوا: نعم.
 فقال أي شيء معكم من الدنانير؛ فقال له رجل من خاصته: معي خريطة فيها
 ألف دينار
 فقال: إذا قام فأعطه واعتذار إليه وقل له: لم يكن معنا غير هذا، فجاء إليه الغلام
 فقال له: إن الأمير يقرأ عليك السلام وقال لك ما حضر معنا غير هذه الدنانير
 فقال له: أدفعها إلى المزين .
 فقال المزين: أي شيء أعمل بها؛
 فقال له خذها فقال لا والله ولو أنها ألف دينار ما أخذتها.
 فقال له أبو تراب: مر إليه فقل له إن المزين ما أخذها فخذها أنت فاصرفها في
 مهماتك. (٣)

الفصل الثامن عشر: قصص في روضة أهل الرفق

«اللهم أمتي أمتي وبكى»

عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول
 الله-عز وجل-في إبراهيم: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي
 وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [إبراهيم: ٣٦] وقال عيسى عليه السلام: {إِنْ

^١ - أخرجه الديلمي (٧١/٣) ، رقم (٤٢٠١) . قال الشيخ الألباني : (ضعيف) انظر حديث رقم : ٣٨٣٦ في ضعيف الجامع

^٢ - صفة الصفوة جـ ٢ ص ٦٨٤ - ٦٨٥ ، و الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي - (٢ / ٤٥٩)

^٣ - و الزهد والرقائق للخطيب البغدادي - (١ / ١٣٥) و طبقات الشافعية الكبرى - (٢ / ٣٠٩) و الزهد والرقائق - (١ / ١٣٥)

تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ { [المائدة: ١١٨] ،
 فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي وبكى» فقال الله- عز وجل: يا جبريل اذهب
 إلى محمد- وربك أعلم- فسله ما يبكيك؟. فأثاه جبريل عليه الصلاة والسلام،
 فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال-وهو أعلم-فقال الله:
 يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك) «١».

فو الله ما كهرني ولا ضربني

الرفق في تعليم الجاهل: عن معاوية بن الحكم السلمي: يقول: "بينما أنا أصلي مع
 رسول الله، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم
 بأبصارهم، فقلت: وَائْكُلْ أُمِّيَا، ما شأنكم تنظرون إليّ. فجعلوا يضربون بأيديهم
 على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمّتونني، لکني سكّتُ، فلما صلى النبي، فبأبي هو
 وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فو الله ما كهرني ولا
 ضربني، ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما
 هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن" (٢).

هل تجد رقبة تعتقها؟

الرفق مع العاصي التائب: عن أبي هريرة -رضي الله عنه -أنه قال: "بينما نحن
 جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، هلكت! قال: ما لك؟
 قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال: هل تجد رقبة تعتقها؟
 قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. فقال: فهل تجد
 إطعام ستين مسكينًا؟
 قال: لا. فمكث النبي، قال: فبينما نحن على ذلك أتني النبي بعرق فيه تمر والعرق
 المكتل فقال: أين السائل؟ فقال: أنا. فقال: خذه فتصدق به" (٣).

فإن الله يحب الرفق في الأمر كله.

الرفق في التعامل مع الكفار: فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (دخل رهط من
 اليهود على رسول الله فقالوا: السام عليك. ففهمتها، فقلت: عليكم السام واللعنة.
 فقال رسول الله: مهلاً يا عائشة؟ فإن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا
 رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله: فقد قلت عليكم). وكان يخاطب

^١ - البخاري-الفتح ٤ (٢٣٠٦) واللفظ له. ومسلم (١٦٠١).

^٢ - أخرجه مسلم (٧٠/٢) وكذا أبو عوانة (١٤١/٢ - ١٤٢) وأبو داود (٩٣٠ ، ٩٣١) والنسائي (١٧٩/١ - ١٨٠)

^٣ - أخرجه البخاري (١٤١/٤ - ١٤٩ و ١٥١)

الكفار ويناظرهم، ويقبل هديتهم، ويعود مريضهم ويجيرهم، ويحسن إليهم إذا اقتضت المصلحة ذلك. (١).

يا معاذ، أفتان أنت

الرفق بالناس في العبادات: قال جابر بن عبد الله: (أقبل رجل بناضحين (٢) وقد جنح الليل، فوافق معاذًا يصلي فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبَلَغَهُ أن معاذًا نال منه، فأتى النبي فَشَكَا إليه معاذًا، فقال النبي: يا معاذ، أفتان أنت أو فاتن -ثلاث مرار- فلولا صليت بـ سبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى؛ فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة) (٣).

أتحبه لأملك قال لا والله جعلني الله فداك

عن أبي أمامة قال: إن فتى شابا أتى النبي -ﷺ- فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه فقال أدنه فدنا منه قريباً قال فجلس قال أتحبه لأملك؟

قال: لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأمهااتهم قال أفتحبه لابنتك؟

قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال: أفتحبه لأختك؟

قال: لا والله جعلني الله فداك؟

قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم

قال: أفتحبه لعمتك؟

قال: لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لعماتهم

قال أفتحبه لخالتك؟

قال: لا والله جعلني الله فداك

١ - أخرجه البخاري ح ٥٩٠١ ومسلم ح ٢١٦٥

٢ - الناضح بالنون والضاد المعجمة والحاء المهملة ما استعمل من الإبل في سقى النخل والزرع.

٣ - أخرجه أحمد (١٢٤/٣)، رقم (١٢٢٦٩) قال الهيثمي (٧١/٢): رجال أحمد رجال الصحيح

قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. مر فتى يجر ثوبه فهم أصحاب صلة بن أشيم أن يأخذوه بالسنتهم أخذاً شديداً (١)

مرحبا بنسب قريب

عن زيد بن أسلم عن أبيه؛ قال: خرجت مع عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغاراً والله ما ينضجون كراعا (٢) ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ. فوقف معها عمر ولم يمض. ثم قال: «مرحبا بنسب قريب»

«، ثم انصرف إلى بعير ظهير (٣) كان مربوطاً في الدار فحمل عليه غرارتين (٤) ملأهما طعاماً وحمل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: «اقتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير». فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، قال عمر: «ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصراً حصناً زماناً فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء سهماًنا فيه» (٥)

رفق عمر بن الخطاب بمن حاد عن الصواب

أنس بن مالك رضي الله عنه: بعثني أبو موسى بفتح تستر (٦) إلى عمر رضي الله عنه فسألني عمر فقال: ما فعل النفر من بكر بن وائل (٧)؟ وكان ستة نفر من بكر بن وائل قد ارتدوا عن الإسلام، ولحقوا بالمشركين، فأخذت في حديث آخر لأشغله، فقال: ما فعل النفر من بكر بن وائل؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، قوم ارتدوا عن الإسلام، ولحقوا بالمشركين، ما سبيلهم إلا القتل، فقال عمر: لأن أكون أخذتهم سلماً أحب إلي مما طلعت عليه الشمس من صفراء أو بيضاء، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، وما كنت صانعاً بهم لو أخذتهم، قال: كنت عارضاً عليهم الباب

١ - أخرجه أحمد ٢٥٦/٥ (٢٢٥٦٤)

٢ - كراعا: هو ما دون الكعب من الشاة، ومعناه أنهم لا يكفون أنفسهم معالجة ما يأكلونه.

٣ - بعير ظهير: أي قوي الظهر معد للحاجة.

٤ - الغرارتان: واحدها غرارة، وهي الجوالق.

٥ - البخاري- الفتح ٧ (٤١٦٠).

٦ - تستر: هي شوشتر، مدينة إيرانية في خوزستان شمالي الأهواز. المنجد / الأعلام ص: ٣٣٨.

٧ - بكر بن وائل: قبيلة عظيمة من العدنانية

الذي خرجوا منه أن يدخلوا فيه، فإن فعلوا ذلك قبلت منهم، وإلا استودعتهم السجن^(١).

أحب أن ترفع إزارك

عن ثابت قال: أن صلة بن أشيم وأصحابه مر بهم فتى يجر ثوبه فهم أصحاب صلة أن يأخذوه بألسنتهم أخذوا شديدا فقال صلة دعوني أكفكم أمره فقال يابن أخي إن لي إليك حاجة قال وما حاجتك قال أحب أن ترفع إزارك قال نعم ونعمي عين فرفع إزاره فقال صلة لأصحابه هذا كان أمثل مما أردتم لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم^(٢).

- محبة النبي ﷺ للرفق وترغيبه فيه:

- كان النبي ﷺ رفيقا هينا لينا سهلا في تعامله، وفي أقواله وأفعاله، وكان يحب الرفق، ويحث الناس على الرفق، ويرغبهم فيه؛ فعن عبادة بن شريحيل قال: ((قَدِمْتُ مع عمومي المدينة فدخلت حائطا من حيطانها، ففركت من سنبله، فجاء صاحب الحائط فأخذ كسائي وضربني، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعدي عليه، فأرسل إلى الرجل، فجاؤا به، فقال: ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، إنه دخل حائطي، فأخذ من سنبله ففركه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما علمته إذ كان جاهلا، ولا أطعمته إذ كان جائعا، اردد عليه كساءه، وأمر لي رسول الله ﷺ بوسقي أو نصف وسقي)).^(٣)

رفقه بطلبة العلم:

عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه، قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أننا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمّن تركنا في أهلنا فأخبرنا، وكان رفيقا رحيمًا، فقال: ((ارجعوا إلى أهليكم، فعلموهم ومروهم...)) الحديث.^(٤)

^١ - رواه عبد الرزاق / المصنف ١٠/١٦٥، ابن أبي شيبة / المصنف ٦/٤٣٨،

^٢ - التبصرة - لابن الجوزي (٢/٢٨٦) وحلية الأولياء (٢/٢٣٨)

^٣ - رواه أبو داود (٢٦٢١)، والنسائي (٥٤٠٩) واللفظ له، وابن ماجه (٢٢٩٨). صححه القرطبي في (التفسير) (٣/٣٧)، والألباني في (صحيح سنن النسائي) (٥٤٠٩)، والوادعي على شرط الشيخين في (الصحيح المسند) (٥٣٤)، وحسنه ابن كثير في (جامع المسانيد والسنن) (٥٨٨٢)، وصححه إسناده ابن حجر في (الإصابة) (٢/٢٦٥)، وشعيب الأرنؤوط في تخريج (سنن أبي داود) (٢٦٢١)، وقال الذهبي في (ميزان الاعتدال) (٤٠٢/١): (إسناده صحيح غريب).

^٤ - أخرجه البخاري (٦٠٠٨).

قال ابن حجر: (قوله: «وكان رقيقاً رحيماً» وهو للأكثر بقافين، من الرقة، وللقاسي والأصلي والكشميهني: بقاء ثم قاف، من الرفق) .

- رفقه بقومه رغم أذيتهم له:

كان ﷺ رقيقاً بقومه رغم أذيتهم له؛ فعن عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ: ((يا رسول الله، هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أُحُد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)) (١).

- رفقه ﷺ في تعليم الجاهل:

- كان ﷺ رقيقاً في تعليمه للجاهل؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه ! قال: قال رسول الله ﷺ: لا تُزِموه دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعا، فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن، أو كما قال رسول الله ﷺ، قال فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشَنه عليه) (٢).

- عن معاوية بن الحَكَم السلمي، قال: ((بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ! ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمّتونني لكتني سكّ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني. قال:

^١ -رواه البخاري (٣٢٣١) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٥).

^٢ -رواه البخاري (٢١٩) مختصراً، ومسلم (٢٨٥) واللفظ له.

إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)) .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: ((كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.. الحديث، وفيه: ثُمَّ نَزَلَ ﷺ فَدَعَا بِالْوُضُوءِ فَتَوَضَّأَ، وَنَوَدِيَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مَعْتَرِلٍ لَمْ يَصِلْ مَعَ الْقَوْمِ، قَالَ: مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تَصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ؟ قَالَ: أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ. قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ؛ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ ...)) الحديث .

قال ابن حجر: (فيه: حُسْنُ الْمَلَاطِفَةِ، وَالرَّفْقُ فِي الْإِنْكَارِ) .
وعن أنس رضي الله عنه، ((أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا

- رَفْقُهُ بِنِسَائِهِ:

- وكان ﷺ رفيقًا بنسائه؛ فعن أنس قال: ((كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وغلًا أسودُ -يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ- يَحْدُو. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَنْجَشَةُ رُودِكَ سَوَاقًا بِالْقَوَارِيرِ) . وفي رواية: فقال النبي ﷺ: ((ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ -وَيَحَكَ!- بِالْقَوَارِيرِ)). (١).

- رَفْقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّيْرِ وَقَتِ الزَّحَامِ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دفع مع النبي ﷺ يومَ عَرَفَةَ، فسمع النبي ﷺ وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل، فأشار بسوطه إليهم، وقال: ((أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ؛ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ)). (٢).

- رَفْقُ أَبِي الدَّرْدَاءِ:

عن أبي قلابة (أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَصَابَ ذَنْبًا، فَكَانُوا يَسُبُّونَهُ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَجَدْتُمُوهُ فِي قَلْبٍ، أَلَمْ تَكُونُوا مُسْتَخْرِجِيهِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَلَا تَسُبُّوا أَخَاكُمْ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي عَافَاكُمْ، قَالُوا: أَفَلَا تُبَغِّضُهُ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَبْغِضُ عَمَلَهُ، فَإِذَا تَرَكَهُ فَهُوَ أَخِي). (٣)

رفق المأمون

^١ - البخاري (٦٢٠٩).

^٢ - أخرجه البخاري (١٦٧١).

^٣ - رواه معمر بن راشد في ((الجامع)) (١١ / ١٨٠)، وأبو داود في ((الزهد)) (٢٣٢).

- عن عبد الله بن طاهر، قال: (كنتُ عندَ المأمونِ ثانيَ اثنين، فنادى: يا غلامُ، يا غلامُ، بأعلى صوتِهِ، فدخلَ غلامٌ تركيٌّ، فقال: ألا ينبغي للغلام أن يأكلَ أو يشربَ، أو يتوضأَ أو يصليَ؟! كلما خرجنا من عندك تصيحُ: يا غلامُ، يا غلامُ! إلى كم يا غلامُ؟! فنكسَ رأسه طويلاً، فما شككتُ أنه يأمرني بضربِ عنقه! فقال: يا عبدَ الله، إنَّ الرَّجلَ إذا حسنتَ أخلاقه ساءت أخلاقُ خَدَمِهِ، وإذا ساءت أخلاقه حسنتَ أخلاقُ خَدَمِهِ، فلا نستطيعُ أن نسيءَ أخلاقنا لتحسنَ أخلاقُ خَدَمِنَا!) (١).

رفق صلة بن أشيم

- وعن ثابتِ البُنانيِّ، أنَّ صِلَةَ بنَ أَشِيَمَ وأصحابه مرَّ بهم فتى يجُرُّ ذيلَه، فهمَّ أصحابُ صِلَةَ أن يأخذوه بالسِّنَّتِهم أخذًا شديدًا، فقال صِلَةَ: دعوه أكفكم أمره، فقال له: يا ابنَ أخي، لي إليك حاجةٌ، قال: وما حاجتك؟ قال: أجبُّ أن ترفعَ من إزارك، قال: نَعَمْ، ونُعمَةٌ عَيْنٍ! فرفعَ إزاره، فقال صِلَةَ لأصحابه: كان هذا أمثَلُ ممَّا أرَدْتُم، لو شَتَّمْتُموه وآذيتُموه شَتَمَكُم. (٢)

الفصل التاسع عشر: قصص عن البشارة

بشره بالجنة

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-قال: كنّا قعودا حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشنا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النّجار فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة (والربيع الجدول) (٣) فاحتفزت (٤) كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال:

«أبو هريرة؟» فقلت: نعم يا رسول الله. قال: «ما شأنك. قلت: كنت بين أظهرنا فقممت فأبطأت علينا فخشنا أن تقتطع دوننا وفزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائي فقال: «يا أبا هريرة» (وأعطاني نعليه) قال: «اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة» ... الحديث. (٥)

^١ - يُنظَر: ((ربيع الأبرار)) للزمخشري (٣/ ٣٥١)، ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (٢/ ٢٤٠).

^٢ - ((الطبقات الكبير)) لابن سعد (٩/ ١٣٥)، ((الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) لابن أبي الدنيا (٤٨).

^٣ - الجدول: النهر الصغير.

^٤ - احتفزت: تضاممت ليسعني المدخل.

^٥ - مسلم (٣١) وللحديث بقية.

يرحم الله أبابكر ما سابقته إلي شيء إلا سبقني

من حديث ابن مسعود أيضا قال (جاء النبي ﷺ بين أبي بكر وعمر، فدخل المسجد فكان ابن مسعود يصلي من سورة النساء فلما وصل إلي مائة آية من سورة النساء ركع، وجعل يدعو، فقال له النبي ﷺ لم يكن ابن مسعود يري النبي -صلي الله عليه وسلم يراه - لكن النبي ﷺ دخل المسجد هو وأبو بكر وعمر، وجدوا ابن مسعود يصلي وصل عند الآية المائة من سورة النساء وركع يدعو - (سل تعطه).

لما انتهى ابن مسعود من صلاته ذهب إليه أبو بكر لما أصبح، يبشره، أن دعاءه أستجيب، لأن الرسول ﷺ قال له سل تعطه، وسأله ما الذي دعوت به؟ فقال (اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك ﷺ في أعلي جنات الخلد) في نصف النهار ذهب عمر بن الخطاب ليبشر ابن مسعود بهذه البشري فوجد أبو بكر سبقه، فقال (يرحم الله أبابكر ما سابقته إلي شيء إلا سبقني)، (عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: وقف النبي ﷺ بعرفات وقد كادت الشمس تغرب فقال: «يا بلال أنصت لي الناس» فقام بلال، فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنصت الناس.

فقال: «يا معشر الناس أتاني جبريل آنفا فأقرأني من ربي السلام وقال: إن الله- عز وجل- غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات» فقام عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فقال: يا رسول الله هذا لنا خاصة؟ قال: «هذا لكم ولمن أتى بعدكم إلى يوم القيامة». فقال عمر ابن الخطاب: كثر خير الله وطاب * «٤» .

يا أبا سعيد توفي الحجاج

عن علي بن زيد بن جدعان، قال: كنا عند الحسن البصري وهو متوار (١) في منزل أبي خليفة العبدى، فجاء رجل فقال: «يا أبا سعيد توفي الحجاج فخر ساجدا» (٢)

الفصل العشرون: قصص عن البشاشة

بئس أخو العشيرة

عن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: إن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة. فلما جلس تطلق (٣) النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه. فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل

١ - المتوارى : المستتر

٢ - شكر الله على نعمه للخرائطي (ص: ٦٩،)

٣ - تطلق: تهلل واستبشر.

قلت له كذا وكذا. ثم تطلّقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال رسول الله ﷺ «يا عائشة متى عهدتني فاحشا؟ إنَّ شرَّ النَّاس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه النَّاس اتّقاء شرّه» (١).

وأن تكلم أخاك، وأنت منبسط إليه وجهك

عن أبي جريّ جابر بن سليم، قال: رأيت رجلا يصدر النَّاس عن رأيه، لا يقول شيئا إلاَّ صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ. قلت: عليك السّلام يا رسول الله، مرّتين، قال:

لا تقل عليك السّلام؛ فإنَّ عليك السّلام تحية الميّت، قل: السّلام عليك. قال: قلت: أنت رسول الله ﷺ؟

قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرّ فدعوته كشفه عنك، وإنَّ أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردّها عليك». قلت: اعهد إليّ، قال:

لا تسبّ أحدا. قال: فما سببت بعده حرّا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة، قال: «ولا تحقرن شيئا من المعروف، وأن تكلم أخاك، وأنت منبسط إليه وجهك إنَّ ذلك من المعروف. وارفع إزارك إلى نصف السّاق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، فإنّها من المخيلة وإنَّ الله لا يحبّ المخيلة. وإنَّ امرؤ شتمك وعيّرَكَ بما يعلم فيك فلا تعيّرهُ بما تعلم فيه، فإنّما وبال ذلك عليه» (٢)

أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك

عن كعب بن مالك-رضي الله عنه-أنّه قال: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلاَّ في غزوة تبوك ... الحديث. وفيه: قال كعب: فلمّا سلّمت على رسول الله ﷺ قال، وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك». قال فقلت: أَمِنَ عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ فقال: «لا، بل من عند الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه. كأنّ وجهه قطعة قمر. قال وكنا نعرف ذلك. قال: فلمّا جلست بين يديه قلت ... الحديث (٣)

وجه رسول الله ﷺ يتهلّل كأنّه مذهب

١ - البخاري-الفتح ١٠ (٦٠٣٢). ومسلم (٢٥٩١)

٢ - أخرجه أحمد ٦٣/٥ (٢٠٩١١) و"أبو داود" ٤٠٧٥. والترمذي "٢٧٢٢"

٣ - البخاري-الفتح ٧ (٤٤١٨). ومسلم (٢٧٦٩) واللفظ له.

عن جرير-رضي الله عنه- قال: كنّا عند رسول الله ﷺ في صدر النَّهار. قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتاي النّمار (١) أو العباء متقلّدي السيوف. عامّتهم من مضر. بل كلّهم من مضر.

فتمعّر «٤» وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثمّ خرج. فأمر بلالا فأذن وأقام. فصلّى ثمّ خطب فقال {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} (النساء/ ١) إلى آخر الآية. {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} والآية التي في الحشر: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} (الحشر/ ١٨) تصدّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برّه، من صاع تمره (حتّى قال) ولو بشقّ تمرّة» قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفّه تعجز عنها، بل قد عجزت.

قال: ثمّ تتابع النّاس، حتّى رأيت كومين من طعام وثياب. حتّى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلّل كأنّه مذهبة فقال رسول الله ﷺ «من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده. من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (٢).

الفصل الحادي والعشرون: قصص عن التيسير

دونكم يا بني أرفدة

عن عائشة-رضي الله عنها-أنّها قالت: «دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعث فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه. ودخل أبو بكر فانتهرني. وقال: مزمارة الشيطان عند النّبيّ ﷺ فأقبل عليه رسول الله ﷺ عليه وسلّم فقال: «دعهما».

فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب فيه السّودان بالدّرق والحراب. فإمّا سألت النّبيّ ﷺ وإمّا قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم.

فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول: «دونكم يا بني أرفدة».

حتّى إذا مللت قال:

«حسبك؟» قلت: نعم. قال: «فأذهبي» (٣)

١ - النّمار : جلود الثّور، وهي السّباع المعروفة، واحدها : ثمر. والنّمار أيضا: كلُّ شَمْلَةٍ مُحَطَّطَةٍ من مَازِر وسراويل الأعراب فهي ثَمرة، وجمعها: نِمَار.

٢ - مسلم (١٠١٧).

٣ - البخاري-الفتح ٢ (٩٤٩-٩٥٠) واللفظ له. ومسلم (٨٩٢). الزيادة ذكرها الحافظ في الفتح وسكت عنها (٢/ ٤٤٢). وقال ابن كثير: الزيادة لها شواهد من طرق عدة، التفسير ٣ (١٣٩).

ليس من البرّ أن تصوموا في السّفر

عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-قال: كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى رجلاً قد اجتمع النَّاس عليه، وقد ظلَّ عليه، فقال: ما له؟

قالوا: رجل صائم.

فقال النَّبي ﷺ: «ليس من البرّ أن تصوموا في السّفر. عليكم برخصة الله الذي رَخَّص لكم»^(١)

آلله إنك معسر؟

عن أبي قتادة-رضي الله عنه-أنه قال: كان له دين على رجل وكان يأتيه يتقاضاه فيختبأ منه فجاء ذات يوم فخرج صبيّ فسأله عنه؛ فقال: نعم، هو في البيت يأكل خريزة فناده. فقال: يا فلان اخرج فقد أخبرت أنّك ههنا، فخرج إليه، فقال:

ما يغيبك عني؟ فقال: إني معسر وليس عندي شيء، قال: آله إنك معسر؟ قال: نعم. فبكى أبو قتادة ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نفّس عن غريمه أو محا عنه كان في ظلّ العرش يوم القيامة».

ولفظ مسلم: «من سرّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفّس عن معسر أو يضع عنه»^(٢)

مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؛

عن عائشة - رضي الله عنها -؛ أنها رَفَتْ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؛ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ» رواه البخاري. فدلَّ على جواز اللهو المباح في وليمة النكاح؛ مثل ضرب الدف والإنشاد وشبهه؛ لحاجة الناس إليه في يوم فرح كوليمة العرس.

التيسير في العفو

روي أن رجلاً من قريش كسر سن رجل من الأنصار فاستعدى عليه معاوية فقال القرشي: إن هذا دق سني. قال معاوية: كلا إنا سنرضيه. قال فلما ألح عليه الأنصاري قال معاوية شأنك بصاحبك، وأبو الدرداء جالس فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم يصاب بشيء في جسده فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة وحط عنه بها خطيئة قال فقال الأنصاري: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم سمعته أذناي ووعاه قلبي يعني فعفا عنه.^(٣)

^١ - البخاري الفتح ٤ (١٩٤٦). ومسلم (١١١٥) واللفظ له.

^٢ - مسلم (١٥٦٣).

^٣ - ممسند أحمد، رقم ٢٨٠٨٤، ص ٢٠٥٥. ورواه الترمذي في جامعه بهذا المعنى برقم ١٣٩٣، ص ٣٣٧-٣٣٨. وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

الفصل الثاني والعشرون: قصص عن الحمد

خير لكما من خادم

عن عليّ-رضي الله عنه-قال: إنّ فاطمة اشتكت ما تلقى من الرّحى في يدها. وأتى النّبيّ ﷺ سبي. فانطلقت فلم تجده. ولقيت عائشة. فأخبرتها. فلمّا جاء النّبيّ ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها. فجاء النّبيّ ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم. فقال النّبيّ ﷺ صلى الله عليه وسلّم على مكانكما فقعد بيننا حتّى وجدت برد قدمه على صدري، ثمّ قال: «ألا أعلمكما خيرا ممّا سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما: أن تكبّرا الله أربعاً وثلاثين وتسبّحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمّداه ثلاثاً وثلاثين. فهو خير لكما من خادم»^(١)

ذهب أهل الدّثور من الأموال بالدرجات العلى والنّعيم المقيم

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-قال: جاء الفقراء إلى النّبيّ ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدّثور من الأموال بالدرجات العلى والنّعيم المقيم. يصلّون كما نصليّ، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموال يحجّون بها ويعتَمرون، ويجاهدون ويتصدّقون. قال: «ألا أحدثكم بما إن أخذتم أدركتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرائه، إلّا من عمل مثله: تسبّحون وتحمدون وتكبّرون خلف كلّ صلاة ثلاثاً وثلاثين. فاختلفنا بيننا. فقال بعضنا نسبّح ثلاثاً وثلاثين، ونحمد ثلاثاً وثلاثين، ونكبّر أربعاً وثلاثين، فرجعت إليه، فقال: تقول (سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتّى يكون منهم كلّهنّ ثلاث وثلاثون)»^(٢)

أرايتك أنت علام تحمد الله؟

قال سلمان الفارسيّ-رضي الله عنه-: «إنّ رجلاً بسط له من الدّنيا فانتزع ما في يديه فجعل يحمد الله ويثني عليه حتّى لم يكن إلّا فراش، فجعل يحمد الله ويثني عليه، وبسط لآخر من الدّنيا فقال:

لصاحب الفراش: أرايتك أنت علام تحمد الله؟

قال: أحمده على ما لو أعطيت به ما أعطى الخلق لم أعطهم إيّاه. قال: وما ذلك؟ قال: أرايتك بصرك، أرايتك لسانك، أرايتك يديك، أرايتك رجلك»^(٣)

^١ - البخاري-الفتح ٩ (٥٣٦١). ومسلم (٢٧٢٧) وهذا لفظه.

^٢ - البخاري-الفتح ٣ (٨٤٣)

^٣ - عدة الصابرين (١٣٢).

أي شيء بقي عليك من النعمة تحمد الله عليها؟

مرّ وهب بن منبّه-رحمه الله تعالى-بمبتلى أعمى مجذوم مقعد عريان به وضح
«^١» وهو يقول: الحمد لله على نعمه، فقال رجل كان مع وهب:

أي شيء بقي عليك من النعمة تحمد الله عليها؟

فقال له المبتلى: ارم ببصرك إلى أهل المدينة فانظر إلى كثرة أهلها أفلا أحمد الله
أنه ليس فيها أحد يعرفه غيري (^٢).

-أما تحسن غير هذا؟-

رأى بكر بن عبد الله المزني-رحمه الله تعالى-حمّالا عليه حملة وهو يقول: «الحمد
لله أستغفر الله»

قال: فانتظرت حتى وضع ما على ظهره وقلت له: «أما تحسن غير هذا؟»

قال: «بلى أحسن خيرا كثيرا، أقرأ كتاب الله غير أنّ العبد بين نعمة وذنب، فأحمد
الله على نعمه السّابغة وأستغفره لذنوبي»، فقال: «الحمّال أفقه من بكر» (^٣)

عليك وعلى أمك

عن هلال بن يساف ، عن خالد بن عرفة الأشجعي ، قال : كانوا يسيرون مع
سالم بن عبيد ، فعطس رجل فقال : السلام عليكم ، فقال سالم : وعليك وعلى
أمك ، ثم سار ساعة ، ثم قال للرجل : لعلك كرهت ما قلت لك ؟ قال : وددت
أنك لم تذكر أمي بخير ولا بشر ، فقال : إنما أحدثك ما شهدت من رسول الله ﷺ ،
عطس رجل عنده فقال : السلام عليكم ، فقال رسول الله ﷺ : « وعليك وعلى أمك
، إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله رب العالمين ، أو الحمد لله على كل حال ،
وليقل له أخوه : يرحمك الله ، وليقل هو : يغفر الله لي ولكم » الحديث الأول
أصح (^٤)

لقد أتعبت الحفظة

أبا سليمان الداراني ، يقول : حج رجل ، فلما أراد الانصراف إلى بلده ، وقف على
باب الكعبة فقال : الحمد لله بجميع محامد الله ، ما علمنا منها وما لم نعلم على
جميع نعم الله ما علمنا منها وما لم نعلم ، ثم انصرف إلى بلده ، فلما كان من قابل

^١ - الوضح : البياض من كل شيء

^٢ - عدة الصابرين (١٤٣).

^٣ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (١٢٤).

^٤ - الدعوات الكبير للبيهقي (١/ ٤٩٣)

حج فلما أراد الانصراف إلى بلده وقف على باب الكعبة قال مثل قوله الأول فقل له أو نودي : « لقد أتعبت الحفظة ، فما كتبوا ثواب ما قلت إلى هذا اليوم » (١)

إن ولدت ابنة لم أحمد الله

عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ، قال : حدثني أمي ، قالت : « كان بمرور امرأة تلد البنات ، فولدت تسع بنات ، فلما حملت العاشرة ، قال لها النساء : يا فلانة إن ولدت هذه المرة ابنة فاحمدي الله ، قالت : إن ولدت ابنة لم أحمد الله قالت : فولدت خنزيرة » قالت أمي : « فأتيتها فنظرت إلى الخنزيرة تحت ثيابها فعاشت ثلاثة أيام ثم ماتت » (٢)

يبقى الإله ويودي الأهل والمال

عن سليمان بن يسار، أن عمر بن الخطاب، مر بشعب بين مكة والمدينة فقال: « الحمد لله لقد رأيتني أرعى في هذا الشعب (٣) على الخطاب ، وكان ما علمت فظا غليظا (٤) ، ثم أصبحت خليفة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم يجوز أمري فيهم » ثم قال : « لا شيء فيما ترى إلا بشأسته يبقى الإله ويودي الأهل والمال (٥) »

الفصل الثالث العشرون: قصص عن السكينة

أيها الناس السكينة

عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ، أنه حدثه قال : لما كان يوم عرفة وكان ردف (٦) رسول الله ﷺ ، قال ابن العباس والناس كثير حول رسول الله ﷺ فلما كثر الناس عليه قلت : سيخبرني الفضل عما صنع رسول الله ﷺ ، فقال الفضل : دفع رسول الله ﷺ مع الناس فجعل يشد برأس بغيره ويكف منه ، وجعل ينادي : « أيها الناس السكينة » حتى أتى المزدلفة فصلى المغرب والعشاء ، ثم بات بالمزدلفة ، حتى طلع الفجر فصلى بها الصبح ، ثم وقف عند المشعر الحرام ودفع الناس معه حتى أتى محسرا فأوضع فيه ساعة وجعل يقول : « عليكم بمثل حصي الخذف (٧) (٨) »

١ - شكر الله على نعمه للخرائطي (ص: ١٠)

٢ - شكر الله على نعمه للخرائطي (ص: ١٤)

٣ - الشعب : الطريق في الجبل أو الانفراج بين الجبلين

٤ - الغلظة : الشدة والاستطالة والجفاء

٥ - شكر الله على نعمه للخرائطي (ص: ١٤٤)

٦ - الردف : الراكب خلف قائد الدابة

٧ - حصي الخذف : الحصى الصغير

٨ - المسند الجامع لأبي الفضل النوري (١٤٦ / ٨)

أخرجه مالك "الموطأ" ١٠٥٧ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ و ١٠٩٧. و"أحمد" ٣/٣٤٠ (١٤٧١٦). و"مسلم" ٦٤/٤ (٣٠٢٨)

تلك السكينة. تنزلت للقرآن

عن البراء-رضي الله عنه-قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشطنين «فتغشته سحابة. فجعلت تدور وتدور، وجعل فرسه ينفر منها.

فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له.

فقال «تلك السكينة. تنزلت للقرآن» (١)

الفصل الرابع والعشرون: قصص عن المسارعة إلى الخيرات

قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، فَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ : خُذْ مَا تَيَسَّرَ ، وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا ، فَلَمَّا هَلَكَ ، قَالَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ يَتَقَاضَى ، قُلْتُ لَهُ : خُذْ مَا تَيَسَّرَ ، وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، يَتَجَاوَزُ عَنَّا ، قَالَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ. (٢)

مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا . قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا . قَالَ فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً. قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا. قَالَ فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا. قَالَ فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ. (٣).

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ وَقِيلَ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثًا فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لَأَنْظُرَ فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ. (٤)

١ - فضائل القرآن للفريابي (ص: ٩١)

٢ - أخرجه أحمد ٣٦١/٢ (٨٧١٥) والسنائي ٣١٧/٨ ، وفي الكبرى ٦٢٤٧ والابن حبان ٥٠٤٣.

٣ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥١٥) ومسلم ٩٢/٣ و١١٠/٧

٤ - أخرجه أحمد ٤٥١/٥ (٢٤١٩٢) والدارمي ١٤٦٠ و٢٦٣٢ والابن ماجه ١٣٣٤ والترمذي ٢٤٨٥ الألباني صحيح ، ابن ماجه (١٣٣٤) و

رَبِّحَ الْبَيْعُ

عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً ، وَأَنَا أَقِيمُ حَائِطِي بِهَا ، فَأُمِرُّهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أَقِيمَ حَائِطِي بِهَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : **أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، فَأَتَى ، فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ ، فَقَالَ : بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي ، فَفَعَلَ ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ ابْتِغْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي ، قَالَ : فَاجْعَلْهَا لَهُ فَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَمْ مِنْ عِدْقٍ رَاحَ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَهَا مِرَارًا ، قَالَ : فَأَتَى امْرَأَتَهُ ، فَقَالَ : يَا أُمُّ الدَّحْدَاحِ ، أَخْرِجِي مِنَ الْحَائِطِ ، فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، فَقَالَتْ : رَبِّحَ الْبَيْعُ ، أَوْ كَلِمَةً تُشَبِّهُهَا. (١)**

كم من عقي رداح في الجنة لأبي الدحداح

وهذا أبو الدحداح الأنصاري، لما نزل قول الله تعالى: ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً** ﴾ [البقرة: ٢٤٥] [٢] قال للرسول ﷺ وإن الله ليريد منّا القرض؟ قال ﷺ : نعم يا أبا الدحداح، قال: أرني يدك يا رسول الله، فنأوله النبي ﷺ يده، فقال أبو الدحداح: إني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي (أي بستاني، وكان فيه ٦٠٠ نخلة) وأم الدحداح فيه وعيالها، فنأوها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: أخرجي من الحائط: يعني: أخرجي من البستان فقد أقرضته ربي عز وجل.

وفي رواية: أن امرأته لما سمعته يناديها عمدت إلى صبيانها تخرج التمر من أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم.

تريد بفعلها هذا الأجر كاملاً غير منقوص من الله. لذلك كانت النتيجة لهذه المسارعة أن قال النبي ﷺ: "كم من عقي رداح (أي: مثمر وممتلئ) في الجنة لأبي الدحداح" (٢).

ذاك مال رابح، ذاك ما رابح

وأبو طلحة الأنصاري؛ جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: يقول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن أحب أموالي إليّ بَيْرُحاء، وكانت حديقة يدخلها النبي ﷺ ، ويستظل بها، ويشرب من مائها، فهي إلى الله عز وجل، وإلى رسوله ﷺ أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

فقال ﷺ " بخ يا أبا طلحة، ذاك مال رابح، ذاك ما رابح، قبلناه منك، ورددناه عليك، فاجعله في الأقربين " ، فتصدق به أبو طلحة على ذوي رحمه (٣).

١ - أخرجه أحمد ١٤٦/٣ (١٢٥١٠) وابن حبان (٢٢٧١) والحاكم (٢ / ٢٠) الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٦ / ١١٣١ .

٢ - المنتظم في التاريخ (٨٧ / ٣)

٣ - البخاري ١٤٦١ ، مسلم ٩٩٨ .

لا أسبقه إلى شيء أبدًا

وهذه صورة مشرقة، ولوحة رائعة يزيّنها مسارعة الصحابة، ومبادرتهم إلى فعل الخيرات. فعند الترمذي يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مني مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر. قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال ﷺ له: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قال عمر: "لا أسبقه إلى شيء أبدًا" (١).

أسمع داعي الله فلا أجيبه

وانظر يا رعاك الله إلى عامر بن عبد الله بن الزبير من كبار التابعين، وهو في مرض موته، يسمع المؤذن لصلاة المغرب، فيقول لمن حوله: أحملوني إلى المسجد، قالوا له: أنت عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه، فأدخلوه في الصف مع الإمام، فركع ركعة ومات وهو يصلي (٢).

الفصل الخامس والعشرون

قصص عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت

ذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي عن شيخ من التجار قال: كان لي على بعض الأمراء مال كثير فمأطلي ومنعني حقي، وجعل كلما جئت أطلبه حجبني عنه، ويأمر غلمانه يؤذونني؛ فاشتكت عليه إلى الوزير؛ فلم يفد ذلك شيئاً، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئاً، وما زاده ذلك إلا منعا وجحودا.

فأيست من المال الذي عليه، ودخلني همٌّ من جهته، فبينما أنا كذلك، وأنا حائر إلى من أشتكي إذ قال لي رجل: ألا تأتي فلانا الخياط إمام مسجد هناك؟ فقلت: وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم، وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه؟ فقال لي: هو أقطع، وأخوف عنده من جميع من اشتكت إليه؛ فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجا.

قال: فقصدته غير محتفل في أمره، فذكرت له حاجتي، ومالي، وما لقيت من هذا الظالم.

١ - أبو داود ١٦٧٨، الترمذي ٣٦٧٥.

٢ - سير أعلام النبلاء ٢٢٠/٥.

فقام معي فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه، وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر! غير أنه قال له: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت؛ فتغير لون الأمير، ودفع إلى حقي.

قال التاجر: فعجبت من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعف بنيته كيف انطاع ذلك الأمير له، ثم إني عرضت عليه شيئاً من المال، فلم يقبل مني شيئاً، وقال: لو أردت هذا لكان لي من الأموال ما لا يحصى فسألته عن خبره؟

وذكرت له تعجبي منه، وألححت عليه،

فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعالي الدولة وهو شاب حسن فمر به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام، وعليها ثياب مترفة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران، فتعلق بها يريد لها على نفسها ليدخلها منزله، وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوته: يا مسلمين أنا امرأة ذات زوج، وهذا الرجل يريدني على نفسي، ويدخلني منزله، وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبقي في غير منزله، ومتى بت ها هنا طلقت منه، ولحقني بسبب ذلك عار لا تحضه الأيام ولا تغسله المدامع!

قال الخياط: فقامت إليه فأنكرت عليه، وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده؛ فشج رأسي، وغلب المرأة على نفسها، وأدخلها منزله قهراً، فرجعت أنا فغسلت الدم عني، وعصبت رأسي واصلت بالناس العشاء، ثم قلت للجماعة: إن هذا قد فعل ما قد علمتم، فقوموا معي إليه لننكر عليه، ونخلص المرأة منه، فقام الناس معي، فهجمنا عليه داره، فثار إلينا في جماعة من غلمانهم بأيديهم العصي والدبابيس يضربون الناس، وقصدني هو من بينهم، فضربني ضرباً شديداً مبرحاً، حتى أدماني وأخرجنا من منزله، ونحن في غاية الإهانة فرجعت إلى منزلي، وأنا لا أهتدي إلى الطريق من شدة الوجع، وكثرة الدماء، فنمت على فراشي، فلم يأخذني نوم، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل؛ لترجع فتبيت في منزلها حتى لا يقع .. الطلاق!

فألهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى منزل زوجها فصعدت المنارة، وجعلت أنظر إلى باب داره، وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان، هل أرى المرأة قد خرجت، ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح؛

فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا؟

إذ امتلأت الطريق فرساناً ورجالة وهم يقولون: أين الذي أذن هذه الساعة؟!

فقلت: ها أنا ذا، وأنا أريد أن يعينوني عليه فقال: انزل فنزلت، فقال: أجب أمير المؤمنين فأخذوني، وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئاً حتى أدخلوني عليه، فلما رأيته جالساً في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف، وفزعت فزعا شديداً فقال:

ادن، فدنوت فقال لي: ليسكن روعك، وليهدأ قلبك، وما زال يلاطفني حتى اطمأنتت وذهب خوفي.

فقال: أنت الذي أذنت هذه الساعة؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة، وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه؛ فتغر بذلك الصائم والمسافر والمصلي وغيرهم؟!!

فقلت: يؤمني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري؟

فقال: أنت آمن. فذكرت له القصة.

قال: فغضب غضبا شديدا، وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا!

فأحضرا سريعا فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات، ومعهن ثقة من جهته أيضا، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة ومعدورة،

ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال: له كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجوار والزوجات؟

فذكر له شيئا كثيرا.

فقال: له ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك؟!!

حتى انتهكت حرمة الله، وتعديت حدوده، وتجرات على السلطان، وما كفاك ذلك أيضا، حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف، ونهاك عن المنكر؛ فضربته وأهنته وأدميته، فلم يكن له جواب؛ فأمر به فجعل في رجله قيد، وفي عنقه غل ثم أمر به فأدخل في جوالق [وعاء] ثم أمر به، فضرب بالدبابيس ضربا شديدا حتى خفت! ثم أمر به فألقي في دجلة! فكان ذلك آخر العهد به!

ثم أمر بدرا صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال،

ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكرا صغيرا كان أو كبيرا ولو على هذا! وأشار إلى صاحب الشرطة؛ فأعلمني، فإن اتفق اجتماعك بي، وإلا فعلى ما بيني وبينك الأذان؛ فأذن في أي وقت كان، أو في مثل وقتك هذا.

قال: فلهذا لا آمر أحدا من هؤلاء الدولة بشيء إلا امتثلوه ولا أنهارهم عن شيء إلا تركوه خوفا من المعتضد، وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن! اهـ. (١)

من ستر مؤمنا فكأنما استحيا مؤودة من قبرها

عن كعب بن علقمة، عن أبي الهيثم دخين كاتب عقبة بن عامر، أنه قال لعقبة بن عامر: إن لنا جيرانا يشربون الخمر، وأنا داع، لهم الشرط، فيأخذونهم، قال: لا تفعل، ولكن عظمهم وتهددهم.

قال: ففعل، فلم ينتهوا، فجاء دخين، فقال: إني نهيتهم فلم ينتهوا، وإني داع لهم الشرط، فقال عقبة: «ويحك، لا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من ستر مؤمنا فكأنما استحيا مؤودة من قبرها"» (٢)

لم تحبس رجلا بسببي؟

أحمد بن يونس، يقول: صليت عند المقام عشاء الآخرة، وسفيان الثوري عند المقام، فجاءت امرأة، فوقفت عليه، فقالت: يا سفيان، بأي شيء تستحل أن يحبس ابني بسببك؟ وكان أرى من أصحاب الحديث، قال أحمد بن يونس: فرأيت سفيان قد قام إلى المقام، فإذا الوالي بين يديه، فقال: لم تحبس رجلا بسببي؟

قال: فقال له الأمير: أو قال الوالي -شك المروزي-: هذا الليل، وباب السجن مغلق، قال سفيان: «لا أبرح من هذا الموضع حتى تخرجه، قال: «فأرسل وجيء بالمفاتيح، وفتح باب السجن، وجيء بابنها، حتى دفع إليها. (٣)

احضري العودين حتى يكسرهما

إبراهيم بن عبد المجيد، يقول: مر محمد بن مصعب العابد بدار، فسمع صوت عود يضرب به، ففرق الباب، فنزلت جارية، فقال لها: يا جارية، قولي لمولاتك تحذر العود حتى أكسره، قال: فصعدت، فقالت لمولاتها: شيخ بالباب قال كذا وكذا، قالت: هذا شيخ أحقق، فضربت بعودين، فجلس على الباب وقرأ، فاجتمع الخلق، وارتفعت الأصوات بالبكاء، فسمعت المرأة الضجة، فقالت: يا مولاتي، تعالي، انزلي واسمعي، فلما سمعت قالت: «احضري العودين حتى يكسرهما» (٤)

من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله

^١ - ذكر الحافظ ابن كثير البداية والنهاية ج: ١١ / ٨٩، في ترجمة الخليفة العباسي المعتضد

^٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال (ص: ٦٩)

^٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال (ص: ٧٠)

^٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال (ص: ٩٠)

عن أبي هريرة، أنه مر به رجل من قريش يجرش شملة، فقال له: يا ابن أخي سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » ، قال الفتى: قد سمعنا ما تقول ، ثم مر به مرة أخرى وهو كذلك ، فقال له أبو هريرة مثل ذلك ، فقال: قد سمعنا ما تقول ، لئن عدت الثالثة لأحملنك على عنقي ، ثم لأكبن بك في الأرض ، فقال أبو هريرة: لا أعود^(١)

أعرف منه مثل ما تعرفون

قال: حدثنا الحسن ، قال: « أتيت قدامة بن عنزة العنبري - قال جعفر: وهو جد سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة - فوافقت عنده مرداسا أبا بلال ، ونافع بن الأزرق ، وعطية بن الأسود ، قال: فتكلم مرداس أبو بلال فذكر الإسلام - قال الحسن: فما سمعت ناعتا للإسلام كان أبلغ منه - ثم ذكر السلطان فنال منهم ، وذكر ما أحدث^(٢) الناس ، ثم سكت ، ثم تكلم نافع بن الأزرق فذكر الإسلام فوصفه فأحسن ، وذكر السلطان فنال منهم ، ثم ذكر ما أحدث الناس ، ثم تكلم عطية بن الأسود فذكر الإسلام فوصفه فأحسن ، ولم يبلغ ما بلغ نافع بن الأزرق ، وذكر السلطان فنال منهم ، ثم ذكر ما أحدث الناس ، قال: فقال قدامة بن عنزة لبعض أهله: ساندني ، فقال: إخواني ، كل الذي قلت منذ اليوم أعرف منه مثل ما تعرفون ، وأنكر منه ما تنكرون ، وأنا مثل الذي أنتم عليه ، ما لم تشهروا علينا السلاح ، فإذا شهرتم شهر: رفع^(٣) علينا السلاح ، فأنا منكم بريء^(٤) »

أي شيء تنظرون إليه؟

عن محمد بن إسحاق الموصلي، قال: «وعظ سيار أبو تراب أميرا كان بالمدينة فحبس، فلما كان وقت الحج بعث إلى خالصة، فكلمت له الوالي فخرج، فبلغ الخبران كلاهما الفضيل بن عياض قبل أن يجيء سيار، فلما قدم من مكة جاء إلى الفضيل، فلما رآه من قريب، قال: هيه^(٥) وما عليك لو فاتك الحج ، أما بلغك ما لقي يوسف عليه السلام حين استشفع بغيره ، قال: فصاح سيار ثم انقلب^(٦) ، قال: وأصحاب الحديث عند الفضيل ، فجعلوا يلحظونه بأبصارهم ، قال الفضيل: أي شيء تنظرون إليه ؟

^١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال (ص: ١٠٨)

^٢ - أحدث: فعل أمرا جديدا حادثا ليس معروفا في الدين من كتاب ولا سنة

^٣ - شهر: رفع

^٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص: ١٠٦)

^٥ - هيه: معناها: طلب الاستزادة من الحديث

^٦ - الانقلاب: الرجوع أو الإياب

فوالله لو خرجت نفسه لما عجبت منه» (١)

فضحتكم القراءة فضحكم الله

قال عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال: مر الحسن البصري بباب عمر بن هبيرة وعليه القراءة فسلم، ثم قال: «ما لكم جلوسا قد أحفيتكم شواربكم وحلقتكم رؤوسكم، وقصرتكم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم! أما والله! لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهّدوا فيما عندكم فضحتكم القراءة فضحكم الله». (٢)

حسبك الله بكل درة سنة

قال الحسين بن أحمد الرازي: سمعت أبا علي الروذباري يقول: كان سبب دخولي مصر حكاية بنان الحمال، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف، فأمر أن يلقي بين يدي السبع، فجعل يشمه ولا يضره. فلما خرج من بين يدي السبع قيل له: ما الذي كان في قلبك حيث شمك قال كنت أفكر في سؤر السباع ولعابها. ثم رب سبّع درر، فقال له: حسبك الله بكل درة سنة. فحبس ابن طولون سبع سنين. (٣)

سأنزل غدا بكفني إلى السوق

القصة الأخرى لشيخ من شيوخ الأزهر -عندما كان هناك أزهر- عندما قامت الثورة كما يقولون في مصر عام اثنين وخمسين قام محمد نجيب متغطرسا وقال: سنساوي المرأة بالرجل في جميع الحقوق، وخرجت الصحف من الغد فيها أن الرئيس محمد نجيب ذكر في خطابه أنه سساوي المرأة بالرجل، كان شيخ الأزهر في ذلك الوقت الخضر حسين -رحمه الله- وهو تونسي، فعندما علم بالخبر اتصل بالرئيس محمد نجيب وقال له: إما أن تكذب الخبر، وإما سأنزل غدا بكفني إلى السوق وأدعو الناس إلى مواجهتك. فجاءه أعضاء مجلس الثورة، جاءوا جميعا إليه في مكتبه، في مشيخة الأزهر وقالوا له: يا شيخنا هذا الأمر صعب ولكننا نقول لك: هذا غير صحيح. قال: لا ينفع هذا الكلام أريد كما أعلنت أمام الملاء أن تكذب أمام الملاء، وإلا سأنزل غدا وأنا ألبس كفني، والله لن أقف حتى أنتصر في هذه المعركة أو تذهب روحي. قال له: يا مولانا أنت مصر على موقفك؟ قال: نعم، فقام محمد نجيب وأعلن تكذيب الخبر وأنه مزيف، وكذا، وكذا وكيف يجوز لي أن أقول بهذا القول وهو يخالف الكتاب والسنة، وبدأ يتكلم في موقف هذا العالم الجليل -رحمه الله-. (٤)

١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص: ١١٢)

٢ - ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلطين (ص: ٧)

٣ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٤١ / ٣٥)

٤ - موقع صيد الفوائد

أبو بكره - رضي الله عنه-

«عبد العزيز بن أبي بكره: أن أباه تزوج امرأة، فماتت، فحال إختوها بينه وبين الصلاة عليها، فقال: أنا أحق بالصلاة عليها.

قالوا: صدق صاحب رسول الله ﷺ.

ثم إنه دخل القبر، فدفعوه بعنف، فغشي عليه، فحمل إلى أهله، فصرخ عليه عشرون من ابن وبنت - وأنا أصغرهم - فأفاق، فقال: لا تصرخوا، فوالله ما من نفس تخرج أحب إلي من نفسي.

ففرع القوم، وقالوا: لم يا أبانا؟!

قال: إني أخشى أن أدرك زمانا لا أستطيع أن آمر بمعروف، ولا أنهي عن منكر، وما خير يومئذ (١)

الطنابير والشبابات.

قال الموفق: كان الحافظ-عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي *-لا يصبر عن إنكار المنكر إذا رآه، وكنا مرة أنكرنا على قوم، وأرقنا خمرهم، وتضاربنا، فسمع خالي أبو عمر، فضاق صدره، وخاصمنا، فلما جئنا إلى الحافظ طيب قلوبنا، وصوب فعلنا، وتلا: ﴿وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وسمعت أبا بكر بن أحمد الطحان، قال: كان بعض أولاد صلاح الدين قد عملت لهم طنابير، وكانوا في بستان يشربون، فلقي الحافظ الطنابير، فكسرها.

قال: فحدثني الحافظ، قال: فلما كنت أنا وعبد الهادي عند حمام كافور، إذا قوم كثير معهم عصي، فخففت المشي، وجعلت أقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فلما صرت على الجسر، لحقوا صاحبي، فقال: أنا ما كسرت لكم شيئا، هذا هو الذي كسر.

قال: فإذا فارس يركض، فترجل، وقبل يدي، وقال: الصبيان ما عرفوك.

وكان قد وضع الله له هيبة في النفوس.(٢)

«أبا بكر ابن الطحان، قال: كان في دولة الأفضل جعلوا الملاهي عند الدرج، فجاء الحافظ فكسر شيئا كثيرا، ثم صعد يقرأ الحديث، فجاء رسول القاضي يأمره

^١ -«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٧):

^٢ -«سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٥٦):

بالمشي إليه لينظره في الدف والشبابة، فقال: ذاك عندي حرام، ولا أمشي إليه، ثم قرأ الحديث.

فعاد الرسول، فقال: لا بد من المشي إليه، أنت قد بطلت هذه الأشياء على السلطان.

فقال الحافظ: ضرب الله رقبتة ورقبة السلطان.

فمضى الرسول وخفنا، فما جاء أحد.» (١)

القاضي يرفض شهادة السلطان لأنه لا يصلي في جماعة المسجد!

السلطان بايزيد الصاعقة والقاضي شمس الدين فناري.

قاض شجاع لا يخاف في الله لومة لائم

وسلطان يذعن للحق ويطبق قرار القاضي

(بايزيد الأول)، الملقب ب(الصاعقة).. الفاتح الكبير.. فاتح بلاد (البغار) و(البوسنة) و(سلانيك) و(ألبانيا).. السلطان الذي سجل انتصاراً ساحقاً على الجيوش الصليبية، التي دعا إلى حشدها البابا (بونيفاتيوس التاسع) لطرده المسلمين من أوروبا، والتي اشتركت فيها خمس عشرة دولة أوروبية كانت (إنجلترا) و(فرنسا) و(المجر) من بينها، وذلك في المعركة التاريخية المشهورة، والدامية.. معركة (نيجبولي) سنة ١٣٩٦ م.

هذا السلطان الفاتح اقتضى أمر ما حضوره للإدلاء بشهادته أمام القاضي والعالم المعروف (شمس الدين فناري).

دخل السلطان المحكمة.. ووقف أمام القاضي، وقد عقد يديه أمامه كأي شاهد عادي.

رفع القاضي بصره إلى السلطان، وأخذ يتطلع إليه بنظرات محتدة، قبل أن يقول له

”لا يمكن قبول شهادتك، فأنت لا تشهد صلاة الجماعة، ومن لا يشهد صلاة الجماعة، دون عذر شرعي، يمكن أن يكذب في شهادته“

نزلت كلمات القاضي نزول الصاعقة على رؤوس الحاضرين.. كان هذا إهانة كبيرة للسلطان، تسمر الحاضرون في أماكنهم، وحبسوا أنفاسهم ينتظرون أن يطير رأس

القاضي بإشارة واحدة من السلطان.. لكن السلطان لم يقل شيئاً، بل استدار وخرج من المحكمة بكل هدوء.

أصدر السلطان في اليوم نفسه أمراً ببناء جامع ملاصق لقصره، وعندما تم تشييد الجامع، بدأ السلطان يؤدي صلواته في جماعة.

هذا ما سجله المؤرخ التركي (عثمان نزار) في كتابه (حديقة السلاطين) المؤلف قبل مئات السنين.. عندما كان المسلمون يملكون أمثال هؤلاء العلماء، ملكوا أمثال هؤلاء السلاطين. (١)

الشيخ عبد الحميد الجزائري

استدعى المندوب السامي الفرنسي، الشيخ عبد الحميد الجزائري، وقال له: إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار، وإلا أرسلت جنوداً لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه السموم ضدنا، وإخماد أصواتكم المنكرة. فأجاب الشيخ عبد الحميد: أيها المسيو الحاكم إنك لا تستطيع ذلك. فاستشاط غضباً وقال: كيف لا أستطيع؟ فقال له: إذا كنت في عرس علمت المحتفلين، وإذا كنت في مأتم وعظت المعزين، وإذا جلست في قطار علّمت المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني التهبت مشاعر المواطنين، وخير لكم أيها المسيو أن لا تتعرضوا للأمة في دينها ولغتها). (٢)

أبو غياث الزاهد

روي ان أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخارى، فدخل المدينة ليزور أخاً له، وكان غلمان الأمير نصر بن محمد ومعهم المغنون والملاهي يخرجون من داره فلما رآهم أبو غياث الزاهد قال: يا نفس قد وقع أمر أن سكت فأنت شريكة، فرفع رأسه إلى السماء واستعان بالله، وأخذ العصا فحمل عليهم حملة واحدة، فولوا منهزمين مدبرين إلى دار السلطان، وقصوا على الأمير ما حدث، فدعا به وقال له: أما علمت أنه من يخرج على السلطان يتغدى في السجن؟

فقال له أبو غياث: أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى في النيران!!

^١ - من مجلة المجتمع عدد ١٧٥٨

^٢ - نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية، محمود عمارة، ص ٩٢.

فقال له: من ولاك الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فقال: الذي ولاك الإمارة، فقال الأمير: ولاني الخليفة، فقال أبو غياث: ولاني الحسبة رب الخليفة، فقال الأمير: وليتك الحسبة بسمرقند.

فقال أبو غياث: عزلت نفسي عنها.

فقال الأمير: العجب في أمرك، تحتسب حيث لم تؤمر، وتمتنع حيث تؤمر!

قال أبو غياث: لأنك إن وليتني عزلتني وإذا ولاني ربي لم يعزلني أحد.

، فقال الأمير: سل حاجتك؟

قال: حاجتي أن ترد علي شبابي، فقال الأمير: ليس ذلك إليك، فهل لك حاجة أخرى؟

قال: أن تكتب إلى مالك خازن النار ألا يعذبني.

قال: ليس إلى ذلك أيضاً، فقال له: هل لك حاجة أخرى؟

قال: أن تكتب إلى رضوان خازن الجنان يدخلني الجنة. فقال: ليس ذلك إلي أيضاً.

قال أبو غياث: فإنها مع الله الذي هو مالك الحوائج كلها لا أسأله بحاجة إلا أجابني إليها.. فخلى الأمير سبيله وأعجب بإيمانه وشجاعته. الأمر بالمعروف يجب أن يكون بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن لا يحدث منكراً أكبر، والمحتسب المتطوع أو الموظف يجب أن يكون مخلصاً، ولكن المتطوع لا ينتظر دعماً مادياً أو دنيوياً، وكلما كان المحتسب من أهل العلم والخشية والمعرفة والتقوى كان موقفه أصوب وأصلب، وأنفع وأنجع، والانطلاق في الدعوة والاحتساب من خلال الأمر الإلهي ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] يسمو فوق كل

اعتبار، ويرتفع صاحبه فوق كل وظيفة، لأن الدعاة والعلماء ورثة الأنبياء، ولا رتبة أعظم من رتبة النبوة، ولا شرف أجل من الوراثة لتلك الرتبة، فطوبى لورثة الأنبياء ولأتباعهم المؤمنين (١)

فما ذنب البخاري؟ وما حيلة العلماء؟

ولما وقعت الحرب بين مصر والحبشة، وتوالت الهزائم على مصر لوقوع الخلاف بين قواد جيوشها، ضاق صدر الخديوي إسماعيل لذلك، فركب يوماً مع شريف

باشا وهو محرج، فأراد أن يفرج عن نفسه فقال لشريف باشا: ماذا تصنع حينما تلم بك ملمة تريد أن تدفعها؟

فقال يا أفندينا: إن الله عودني إذا حاق بي شيء من هذا أن ألجأ إلى صحيح البخاري، يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس، فيفرج الله عني.

فكلم الخديوي شيخ الأزهر وكان الشيخ العمروسي، فجمع له من صلحاء العلماء جما أخذوا يتلون في البخاري أمام القبلة القديمة في الأزهر، ومع ذلك ظلت أخبار الهزائم تتوالى، فذهب الخديوي ومعه شريف باشا إلى العلماء، وقال لهم: محننا إما أن هذا الذي تقرأونه ليس بصحيح البخاري أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح، فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئاً.

فوجم العلماء لذلك، وابتدره شيخ من آخر الصف، وقال له: منك يا إسماعيل فإننا روينا عن النبي -ﷺ- أنه قال: (لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) وانصرف الخديوي ومعه شريف باشا ولم ينبسا بكلمة.

وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه، فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد عاد يسأل: أين الشيخ القائل للخديوي ما قال؟

فقال: أنا. فأخذه وقام، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخ يودعونه وداع من لا يأملون أن يرجع، وسار شريف باشا بالشيخ إلى أن دخلا على الخديوي في قصره، فإذا به قاعد في البهو وأمامه كرسي أجلس عليه الشيخ، وقال: أعد يا أستاذ ما قلته لي في الأزهر، فأعاد الشيخ كلمته، وردد الحديث وشرحه.

فقال له الخديوي: وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟

فأخذ الشيخ يعدد له بعض المنكرات التي تجرى في الدولة بلا إنكار ثم قال فكيف تنتظر النصر من السماء؟!

فقال الخديوي: وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه مدنيته؟ قال الشيخ إذن فما ذنب البخاري؟ وما حيلة العلماء؟

ففكر الخديوي ملياً وأطرق طويلاً ثم قال صدقت. وأمر فرتبت له في الرزنامجة ثلاثون جنيهاً. (١)

^١ -موقع صيد الفوائد

الفصل السادس والعشرون قصص عن المزاح

لتأكلن أو لألطنن به وجهك

عن عائشة -رضي الله عنها- فقالت: كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة، فصنعتُ حريرة وجئتُ به، فقلت لسودة: "كلي". فقالت: "لا أحب". فقلتُ: "والله لتأكلن أو لألطنن به وجهك". فقالت: "ما أنا بذائقتَه".

فأخذتُ بيدي من الصحيفة شيئاً منه فلطّختُ به وجهها ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها، فخفض رسول الله ركبتيه لتستقيد مني، فتناولتُ من الصحيفة شيئاً، فمسحتُ به وجهي، وجعل رسول الله يضحك^(١).

لا يدخل الجنة عجوز

^١ - المسند الجامع لأبي الفضل النوري (٥٠ / ٢٤٣)

عن الحسن: أتت عجوز إلى النبي فسألته أن يدعو الله لها بالجنة، فقال: "لا يدخل الجنة عجوز". فبكت، فقال: "إنك لست بعجوز يومئذ"، قال الله تعالى: {إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا} [الواقعة: ٣٥-٣٧]" (١)

أهو الذي في عينه بياض؟

وعن زيد بن أسلم قال: إن امرأة يقال لها أم أيمن، جاءت إلى النبي فقالت: إن زوجي يدعوك. فقال لها: "من هو؟ أهو الذي في عينه بياض؟" قالت: والله ما بعينه بياض. فقال: "بلى، إن بعينه بياضًا". قالت: لا، والله. فقال: "ما من أحد إلا وبعينه بياض" (ذكره الزبير بن بكار). وعن أنس بن مالك أن رجلاً استحمل رسول الله فقال: "إني حاملك على ولد الناقة". فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله: "وهل تلد الإبل إلا النوق" (٢).

يا أبا عمير ما فعل النغير

عن أنس قال إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير (٣) والتَّغْيِزُ: فرخ العصفور، كان يلعب به الغلام.

"لا تُطَوِّلْ، فإني أنتظرك"

ومن رواية زيد بن أسلم، عن خوات بن جبير الأنصاري، أن خوات كان جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة، فطلع عليه رسول الله فقال: "يا أبا عبد الله، ما لك مع النسوة؟!"

فقال: يفتلن ضفيئًا لجمل لي شرود. قال: فمضى رسول الله لحاجته ثم عاد فقال: "يا أبا عبد الله، أما ترك ذلك الجمل الشَّرَاد بعد؟!" قال: فسكتُ واستحييتُ. وكنتُ بعد ذلك أَتَقَرَّرُ منه كلما رأيته حياء منه، حتى قدمْتُ المدينة، فرآني في المسجد يومًا أصلي، فجلس إليّ فطَوَّلْتُ، فقال: "لا تُطَوِّلْ، فإني أنتظرك".

فلما سلَّمْتُ قال: "يا أبا عبد الله، أما ترك ذلك الجمل الشَّرَاك بعد؟!"

^١ - البعث والنشور للبيهقي (١/ ٣٥٧)

^٢ - المغني عن حمل الأسفار [٢/ ٧٩٦/ رقم ٢٩٢١]

^٣ - أخرجه ابن أبي شيبة ٤٠٠/١ (٤٠٤٢). و"أحمد" ١١٩/٣ (١٢٢٢٣). و"البخاري" ٣٧/٨ (٦١٢٩)

فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت. فقال: "الله أكبر، الله أكبر، اللهم اهد أبا عبد الله". قال الراوي: فحسن إسلامه وهداه الله" (١).

ألم تهده لنا؟! "

وروي أن نعيمان الأنصاري كان رجلاً مزاحاً، وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها، ثم أتى بها إلى النبي فيقول: يا رسول الله، هذا قد اشتريته لك، وأهديته لك. فإذا جاء صاحبها يتقاضاه الثمن، جاء له إلى النبي، وقال: يا رسول الله، أعطه ثمن متاعه. فيقول له الرسول: "ألم تهده لنا؟!". فيقول: يا رسول الله، إنه لم يكن عندي ثمنه، وأحببت أن تأكل منه. فيضحك النبي ويأمر لصاحبه بثمانه" (٢).

أقيموه بالشمس واضربوا ظله حد الزنا

روي أن علياً رضي الله عنه جاءه رجل يشكو إليه، يقول: إني احتملت على أُمي - أي: إني رأيت أُمي أُرني بأُمي- فقال: أقيموه بالشمس واضربوا ظله حد الزنا (٣)

إن خفت، فانقعها من أول الليل

وكان الشعبي من العلماء الكبار، لكن كان مزاحاً- فمما جاء عن الشعبي أنه سئل عن المسح على اللحية؟ فقال: خللها بالأصابع.. قال: أخاف ألا تبلها -وهذا من التنطع المذموم شرعاً- فقال له الشعبي: إن خفت، فانقعها من أول الليل!! (٤)

أيكما الشعبي؟

وروي أن خياطاً مرَّ بالشعبي وهو مع امرأة في المسجد، فقال: أيكما الشعبي؟ فأشار الشعبي إلى المرأة وقال: هذه! (٥)

الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تسرق

جاء رجل إلى أبي حنيفة، فقال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟

١ - تخريج الإحياء - الصفحة أو الرقم: ١٦١/٣

٢ - ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٤٨٤)

٣ - سلسلة الآداب الإسلامية

٤ - ذم الثقلاء لأبن المزيان (ص: ٥٣)

٥ - الوافي في الوفيات (ص: ٢٣٢٣)

فقال له: الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تسرق! (١)

هذه فتوى من لم يجرب دفع الديات

- ركب أحد طلبة العلم مع الشيخ الألباني رحمه الله في سيارته وكان الشيخ يسرع في السير. فقال له الطالب: خفف يا شيخ فإن الشيخ ابن باز يرى أن تجاوز السرعة إلقاء بالنفس إلى التهلكة.

فقال الشيخ الألباني رحمه الله: هذه فتوى من لم يجرب فن القيادة.

فقال الطالب: هل أخبر الشيخ ابن باز.

قال الألباني: أخبره.

فلما حدث الطالب الشيخ ابن باز رحمه الله بما قال الشيخ الألباني ضحك

وقال: قل له هذه فتوى من لم يجرب دفع الديات

!! (ترجمة السدحان للشيخ ابن باز). (٢)

كلنا نعرف أن السكر حلال

ومما نُقل عن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى هذه المواقف:

قابله أحدهم في المستشفى،

فسأله: ماذا تفعل هنا يا فضيلة الشيخ؟

قال الشيخ: أحلل السكر.

فقال السائل: كلنا نعرف أن السكر حلال، ابحث لنا عن شيء آخر وحلله لنا. (٣)

زوجتي ليس لها أسنان

وكان الشيخ ابن عثيمين يلقي درساً في باب النكاح عن عيوب النساء، فسأله أحدهم: لو تزوجت ووجدت أن زوجتي ليس لها أسنان، هل يبيح لي هذا العيب فسخ النكاح؟..

فقال الشيخ: هذه امرأة جيدة، لأنها لا يمكن أن تعضك. !! (٤)

فرد السائق: تشرفنا ، معك عبدالعزيز بن باز

^١ - المراح في المزاح للغزي (ص: ١١)

^٢ - شبكة البشارة الإسلامية

^٣ - شبكة البشارة الإسلامية

^٤ - شبكة البشارة الإسلامية

كان الشيخ ابن عثيمين في مكة ذات يوم راكبا تاكسي ... وكان المشوار طويلا ، فأراد سائق التاكسي أن يتعرف -ولم يكن يعرف الشيخ- فقال : ما تعرفنا على الاسم الكريم يا شيخ ؟ فرد الشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين ...فرد السائق: تشرفنا ، معك عبدالعزيز بن باز السواق يحسبه يمزح .. هنا ضحك الشيخ ، وقال له : ابن باز أعمى كيف يسوق تاكسي ؟ فرد السائق: ابن عثيمين في نجد وش اللي يجيبه هنا ، تمزح معي أنت ؟ هنا ضحك الشيخ ، و أفهمه أنه بالفعل ابن عثيمين^(١)

الفصل السابع والعشرون: قصص عن الشجاعة والإقدام

لم تراعوا لم تراعوا:

عن أنس قال: كان النبي أحسن الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي وقد استبرأ الخبر، وهو على فرس لأبي طلحة عُرِّي، وفي عنقه السيف وهو يقول ﷺ: "لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا"، ثم قال: "وَجَدْنَاهُ بَحْرًا"^(٢) أو قال: "إِنَّهُ لَبَحْرٌ"^(٣)

^١ - شبكة البشارة الإسلامية

^٢ - أي: واسع الجري.

^٣ - البخاري: ح (٥٠٩٨)، ومسلم: ح (٢٣٠٧).

الأقرب إلى العدو عند الحرب:

عن علي قال: "لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا" (١)

تسترضيه قريش خوفاً منه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله فيما كانت تُظهر من عداوته!

قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سقّه أحلامنا، وشتّم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا.

قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول.

قال: فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها.

فقال: "تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ".

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وصاةً قبل ذلك لَيَرْفُئُوهُ بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً. قال: فانصرف رسول الله (٢).

أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب

عن البراء بن عازب-رضي الله عنهما- أنه قال لرجل قال له: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟

فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة. فرموهم برشق من نبل. كأنها رجل من جراد. فانكشفوا. فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته. فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزل

١ - أحمد (٦١٩)، وابن أبي شيبة (٣٢٦١٤).

٢ - أحمد (٦٧٣٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

نصرك». قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به. وإن الشجاع منا للذي يحاذي به-يعني النبي ﷺ (١)

اللهم سهمك فارم به عدوك

عن سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه-قال: لما جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة يوم أحد، تنحيت فقلت: أذود عن نفسي، فإما أن أستشهد، وإما أن أنجو حتى ألقى رسول الله ﷺ.

فبينما أنا كذلك إذا برجل مخمر وجهه ما أدري من هو، فأقبل المشركون حتى قلت: قد ركبوه، ملأ يده من الحصى، ثم رمى به في وجوهم، فنكبوا على أعقابهم القهقري حتى يأتوا الجبل، ففعل ذلك مرارا، ولا أدري من هو، وبينني وبينه المقداد بن الأسود، فبينما أنا أريد أن أسأل المقداد عنه، إذ قال المقداد: يا سعد هذا رسول الله ﷺ يدعوك، فقلت: وأين هو؟

فأشار لي المقداد إليه، فقممت ولكأنه لم يصبني شيء من الأذى.

فقال رسول الله ﷺ: «أين كنت اليوم يا سعد؟». فقلت: حيث رأيت يا رسول الله! فأجلسني أمامه فجعلت أرمي، وأقول: اللهم سهمك فارم به عدوك، ورسول الله ﷺ يقول: «اللهم استجب لسعد، اللهم سدد لسعد رميته، إيها «سعد». فذاك أبي وأمي، فما من سهم أرمي به إلا قال رسول الله ﷺ: «اللهم سدد رميته وأجب دعوته، إيها سعد» حتى إذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله ﷺ ما في كنانته فنبلني سهمًا نضيا* (٢).

قال الزهري: إن السهام التي رمى بها سعد يومئذ كانت ألف سهم «٣».

ولست أبالي حين أقتل مسلما

عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة منهم خبيب الأنصاري، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن ابنة الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب الأنصاري:

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

١ - البخاري- الفتح ٧ (٤٣١٧). ومسلم (١٧٧٦) واللفظ له.

٢ - السهم النضي: هو الذي قد ركب عليه الريش وكان أشد من غيره.

٣ - الحاكم (٢٦ / ٣) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

فقتله ابن الحارث، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه خبرهم يوم أصيبوا^(١)

هذه والله الشجاعة

قال معاذ بن عمرو- رضي الله عنه:- جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني. فلما أمكنني حملت عليه، فضربتته، فقطعت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، وبقيت معلقة بجلدة بجنبي، وأجهضني عنها القتال، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي. فلما آذنتني، وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها» قال الذهبي بعد هذه القصة: «هذه والله الشجاعة لا كآخر من خدش بسهم ينقطع قلبه وتخور قواه»^(٢).

فامنعوني إن كنتم صادقين

عن رجل من أسلم أنه قال: «إن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ عند الصفا فاذاه وشتمه، وقال فيه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبد الله بن جدعان «٣» التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم، ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحا قوسه راجعا عن قنص له، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادي قريش وأشدّها شكيمة، وكان يومئذ مشركا على دين قومه، فجاءته المولاة، وقد قام رسول الله ﷺ ليرجع إلى بيته، فقالت له: يا أبا عمارة! لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم آنفا، وجده هاهنا فاذاه وشتمه وبلغ ما يكره، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة، فجلس معهم ولم يكلم محمدا فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله من كرامته- فخرج سريعا لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت متعمدا لأبي جهل أن يقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه على رأسه ضربة مملوءة، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقالوا: ما نراك يا حمزة إلا صبأت فقال حمزة: وما يمنعني وقد استبان لي ذلك منه. أنا أشهد أنه رسول الله وأن الذي يقول حق، فو الله لا أنزع. فامنعوني إن كنتم صادقين. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا، ومر حمزة على إسلامه وتابع يخفف رسول الله ﷺ فلما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه فكفوا

^١ - البخاري- الفتح ١٣ (٧٤٠٢).

^٢ - سير أعلام النبلاء (١/ ٢٥٠-٢٥١).

^٣ - عبد الله بن جدعان التيمي القرشي أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة. (الأعلام ٤/ ٧٦).

عن بعض ما كانوا يتناولونه وينالون منه، فقال في ذلك سعد حين ضرب أبا جهل فذكر رجزا غير مستقر أوله: «ذق أبا جهل بما غشيت». قال:

ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان، فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصاباً وتركت دين آبائك، للموت خير لك مما صنعت، فأقبل على حمزة شبه، فقال: ما صنعت؟ اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً، فبات بليلاً لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح فغداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ابن أخي إني وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو، أرشد هو أم غي شديد؟ فحدثني حديثاً فقد استشهيت يا ابن أخي أن تحدثني، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى الله في نفسه الإيمان، كما قال رسول الله، فقال: «أشهد إنك لصديق شهادة المصدق والعارف، فأظهر يا ابن أخي دينك، فهو الله ما أحب أن لي ما ألمعت الشمس، وأني على ديني الأول. قال: فكان حمزة ممن أعز الله به الدين» ((١)).

الساعة أكفي المسلمين شره

حكى أنه كان للعرب فارس يقال له ابن فتحون، وكان أشجع العرب والعجم في زمانه.

وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجري له في كل عطية خمسمائة دينار. وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة، وتخشى لقاءه. فيحكى أن الرومي كان إذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له: ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون في الماء، فحسده نظراًؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان. فوشوا به عند المستعين فأبعده ومنعه من عطاءه، ثم إن المستعين أنشأ غزوة إلى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفاء، ثم برز عالج إلى وسط الميدان ونادى وقال: هل من مبارز؟

فبرز إليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومي، فصاح المشركون سرورا، وانكسرت نفوس المسلمين، وجعل الكلب الرومي يجول بين الصفيين وينادي: هل من اثنين لواحد؟ فخرج إليه فارس من المسلمين فقتله الرومي. فصاح الكفار سرورا، وانكسرت نفوس المسلمين، وجعل الكلب يجول بين الصفيين وينادي ويقول: ثلاثة لواحد، فلم يجترئ

أحد من المسلمين أن يخرج إليه، وبقي الناس في حيرة، فقبل للسلطان: ما لها إلا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به، قال: الساعة أكفي المسلمين شره، فلبس

^١ - الحاكم في المستدرک (٣/ ١٩٢-١٩٣).

قميص كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا، وفي طرفه عقدة معقودة، ثم برز إليه فتعجب منه النصراني. ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخطأ طعنة النصراني سرج ابن فتحون. وإذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس، ونزل إلى الأرض لا شيء منه في السرج، ثم انقلب في سرجه وحمل على العليج، وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه، وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدي المستعين. فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ في صنعه مع أبي الوليد بن فتحون فاعتذر إليه، وأكرمه، وأحسن إليه، وبالع في الإنعام عليه، وردّه إلى أحسن أحواله، وكان من أعز الناس إليه»^(١).

الفصل الثامن والعشرون: قصص عن العفو عند المقدرة

رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون

عن ابن مسعود-رضي الله عنه-قال: كأنني أنظر إلى النبي - ﷺ - يحكي نبيا من الأنبياء-صلوات الله وسلامه عليهم-ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(٢).

يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك،

عن أنس-رضي الله عنه-قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة

^١ - المستطرف (١/ ٣١٣-٣١٤).

^٢ - البخاري-الفتح ١٢ (٦٩٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٢).

عائق النبي ﷺ ، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد،! مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء).^(١)

فما قولك في علي وعثمان؟

عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-أن رجلاً سألته، قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال:

«أما عثمان فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن يعفو عنه. وأما علي فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه»^(٢) وأشار بيده فقال: «هذا بيته حيث ترون»^(٣)

هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل

عن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل»^(٤) ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله).^(٥)

«اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها

جلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاماً فابتاع، ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدتها قد حلت، فقال: لقد جلست وإنها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا، فقال عبد

^١ - البخاري-الفتح ١٠ (٦٠٨٨) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٧)

^٢ - معنى ختنه: قال الأصمعي: الأختان من قبل المرأة والأحماء من قبل الزوج والصهر جمعهما. وقيل: اشتق الختن مما اشتق منه الختان. وهو التقاء الختانيين.

^٣ - البخاري-الفتح ٨ (٤٥١٥).

^٤ - الجزل: الكريم المعطاء، والعقل الأصيل الرأي.

^٥ - البخاري-الفتح ٨ (٤٦٤٢).

الله: «اللهم إن كان حملته على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه» (١)

عن ابن شهاب أنه سئل: أعلى من سحر من أهل العهد قتل؟ قال: «بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صنع له ذلك فلم يقتل من صنعه، وكان من

لا تثريب عليكم اليوم

قال مالك بن دينار: «أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير، وجاء الحسن، وهو خائف فدخلنا معه عليه، فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج، فذكر الحسن قصة يوسف-عليه السلام-وما صنع به إخوته، فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس، ثم قال: أيها الأمير، ماذا صنع الله به؟

أداله منهم، ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع يوسف حين أكمل الله له أمره وجمع له أهله؟

{قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٩٢] ،
يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه، قال الحكم: فأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتمكم تحته» * (٢) «.

كان إذا قدر عفا

وروي أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك، فقال للراهب: «أرأيت ذا القرنين أكان نبيا؟». فقال: «لا، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا حدث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد» (٣) «.

خلوا سبيله، هذا رجل قد لقن حجته

وروي أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أخا له فقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، فقال: أرأيت إن جئت بك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى، ثم تلا: {أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى

١ - الإحياء (٣/ ١٩٦).

٢ - الإحياء (٣/ ١٨٤).

٣ - الإحياء (٣/ ١٨٤).

(٣٧) **أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** { [النجم: ٣٦ - ٣٨] فقال زياد: «خلوا سبيله، هذا رجل قد لقن حجته» * «^١».

إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير لك

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه ويقع فيه فقال له عمر: «إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصبتها» «^٢».

لا والله ما أنا بقاتل لك إلا خير

روى الإمام الحاكم في مستدركه وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قوله (وأعطاني رسول الله ﷺ أرضاً وأعطى أبا بكر أرضاً فاختلفنا في عذق نخلة قال وجاءت الدنيا فقال أبو بكر هذه في حدي فقلت لا بل هي في حدي قال: فقال لي أبو بكر كلمة كرهتها وندم عليها قال فقال لي يا ربيعة قل لي مثل ما قلت لك حتى تكون قصاصاً قال فقلت لا والله ما أنا بقاتل لك إلا خيراً قال والله لتقولن لي كما قلت لك حتى تكون قصاصاً وإلا استعديت عليك برسول الله ﷺ قال فقلت لا والله ما أنا بقاتل لك إلا خير قال فرفض أبو بكر الأرض وأتى النبي ﷺ جعلت أتلوه فقال أناس من أسلم يرحم الله أبا بكر هو الذي قال ما قال ويستعدي عليك قال فقلت أأندرون من هذا؟

هذا أبو بكر هذا ثاني اثنين هذا ذو شيبة المسلمين إياكم لا يلتفت فيراكم تنصرون عليه فيغضب فيأتي رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة قال فرجعوا عني وانطلقت أتلوه حتى أتى النبي ﷺ فقص عليه الذي كان قال، فقال رسول الله ﷺ يا ربيعة ما لك والصديق قال فقلت مثل ما قال كان كذا وكذا فقال لي قل مثل ما قال لك فأبيت أن أقول له فقال رسول الله ﷺ أجل فلا تقل له مثل ما قال لك ولكن قل يغفر الله لك يا أبا بكر قال فولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو يبكي (٣)

ضع قدمك على خدي

^١ - الإحياء (٣/ ١٨٤).

^٢ - الإحياء (٣/ ١٨٣).

^٣ - أخرجه الطبراني (٥/ ٥٨، رقم ٤٥٧٧). وأخرجه الحاكم في "النكاح" (١٧٣/٢-١٧٤)، وقال: "صحيح على شرط مسلم"! السلسلة الصحيحة

وقع في يوم من الأيام بين أبي ذر-رضي الله عنه- وبلال-رضي الله عنه- خصومة، فيغضب أبو ذر وتفلت لسانه بكلمة يقول فيها لبلال: يا ابن السوداء فيتأثر بلال، يوم أكرمه الله بالإسلام، ثم يعير بالعصبية والعنصريات والألوان، ويذهب إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- ويشكو أبا ذر، ويستدعي النبي-صلى الله عليه وسلم- أبا ذر، فيقول- كما في الحديث المتفق علي صحته- يقول النبي صلى الله عليه وسلم:- "أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية"، فيتأثر أبو ذر ويتحسّر ويندم، ويقول: وددت-والله- لو ضرب عنقي بالسيف، وما سمعت ذلك من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ويأخذ بلال-رضي الله عنه- كما روي ويضع خده على التراب ويقول: يا بلال؛ ضع قدمك على خدي، لا أرفعه حتى تضعه، فتذرف عينا بلال-رضي الله عنه- الدموع، ويقول: يغفر الله لك يا أبا ذر، يغفر الله لك يا أبا ذر، والله ما كنت لأضع قدمي على جبهة سجدت لله رب العالمين، ويعتقان ويبكيان ذهب ما في القلوب^(١) :

قد عفوت عنك

روي عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بطبق فيها مرقه حارة، وعنده ضيوف فعثرت فصبت المرقه عليه، فأراد ميمون أن يضربها،

فقالت الجارية: يا مولاي، استعمل قوله تعالى: {وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ}

قال لها: قد فعلت.

فقال: اعمل بما بعده {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}.

فقال: قد عفوت عنك.

فقالت الجارية: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى. (٢)

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً

قال أحمد بن أبي داود : ما رأيت رجلاً نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم ابن جميل ، فإنه كان تغلب على شاطئ الفرات فظفر به ، ووافى به الرسول باب المعتصم في يوم الموكب في حين جلوسه للعامة فأدخل عليه ، فلما مثل بين يديه دعا بالنطع والسيف فأحضرا ، وجعل تميم بن جميل يصعد النظر إلى ذلك ولا يقول شيئاً ، وجعل المعتصم يصعد

^١ - موسوعة البحوث الإسلامية ٧. و أصل القصة في البخاري-الفتح ١ (٣٠). ومسلم (١٦٦١).

^٢ - والعافين عن الناس (ص: ١٦)

النظر فيه ويصوبه ، وكان جسيماً وسيماً ، فرأى أن يستنطقه لينظر أين جناحه
ولسانه من منظره ، فقال : يا تميم ، إن كان لك عذر فأنت به أو حجة فأدل بها ،
فقال : أما إذ قد أذنت لي يا أمير المؤمنين بالكلام فإني أقول : الحمد لله الذي
أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، " ثم جعل نسله من سلالة من
ماء مهين " ، يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولأم بك شعث الأمة
وأحمد بك شهاب الباطل وأوضح بك سراج الحق يا أمير المؤمنين ، إن الذنوب
تخرس الألسنة ، وتصدع الأفئدة ، ولقد عظمت الجريمة وكبر الذنب وساء الظن ،
ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك
أولاهما بإمامتك وأشبههما بخلافتك ، ثم أنشد :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً يلاحظني من حيثما أتلفت

وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي وأي امرئ مما قضى الله يفلت

ومن ذا الذي يدلي بعذرٍ وحجةٍ وسيف المنايا بين عينيه مصلت

يعز على أبناء تغلب موقفٌ يسل على السيف فيه وأسكت

وما جزعي من أن أموت وإنني لأعلم أن الموت شيء مؤقت

ولكن خلفي صبيةٌ قد تركتهم وأكبادهم من حسرةٍ تتفت

كأنني أراهم حين أنعي إليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا

فإن عشت عاشوا خافضين بغبطةٍ أذود الردى عنهم وإن مت موتوا

وكم قائلٍ لا يبعد الله داره وآخر جذلانٍ يسر ويشمت

قال: فتبسم المعتصم وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل اذهب فقد
غفرت لك الهفوة وتركتك للصبية. (١)

فتبسم البار المدل بنفسه

قال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وجد عليه: يا أمير المؤمنين،
إن القدرة تذهب الحفيظة، وأنت تجلّ عن العقوبة، ونحن مقرون بالذنب، فإن
تعف عني فأهل ذلك أنت، وإن تعاقبني فأهل ذلك أنا؛ فعفا عنه .
- وظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال: يا عدو الله أنت الذي تفسد
في الأرض بغير الحق. يا غلام خذه إليك فاسقه كأس المنية. فقال: يا أمير

^١ - المستجاد من فعلات الأجواد- الدارقطني (ص: ٣٢) و الفرج بعد الشدة للتونخي (ص: ٢٨٣) و جمهرة خطب العرب (٣/ ١٤٦)

المؤمنين إن رأيت أن تستبقيني حتى أؤيدك بمال ؟ قال : لا سبيل إلى ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين فدعني أنشدك أبياتاً . قال : هات . فأنشده :

رَعَمُوا بَأْنَ الْبَارَ عُلِقَ مَرَّةً عَصْفُورَ بَرٍّ سَاقَهُ الْمَقْدُورَ
فَتَكَلَّمَ الْعَصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَالْبَارُ مَنْقُضٌ عَلَيْهِ يَطِيرُ
مَا بِي لِمَا يَغْنِي لِمِثْلِكَ شَبْعَةً وَلَئِنْ أَكَلْتُ فَإِنِّي لِحَقِيرُ
فَتَبَسَّمَ الْبَارُ الْمُدِلُّ بِنَفْسِهِ كَرَمًا وَأَطْلَقَ ذَلِكَ الْعَصْفُورُ

فقال له المأمون: أحسنت. ما جرى ذلك على لسانك إلا لبقية بقيت من عمرك، فأطلقه وخلع عليه ووصله. (١)

ويل أمك يا عمر تضرب الناس ولا يضربونك

عن عطاء قال: مرَّ عمر -رضي الله عنه -برجل وهو يكلم امرأة فعلاه بالدرة . فقال: يا أمير المؤمنين إنها امرأتي. قال : ها فاقتص . قال : قد غفرت لك يا أمير المؤمنين . قال : ليس مغفرتها بيدك ولكن إن شئت أن تعفو فاعف . قال : قد عفوت عنك يا أمير المؤمنين . قال : ثم مر من فوره إلى منزل عبد الرحمن وهو يقول : ويل أمك يا عمر تضرب الناس ولا يضربونك ، وتشتم الناس ولا يشتمونك حتى دخل على عبد الرحمن فقص عليه القصة . فقال: ليس يا أمير المؤمنين. إنما أنت مؤدب. الحجة في بيان المحجة ، لأبي القاسم الأصبهاني (٢).

أحب أن يغفر الله لي

فهذا هو أبو بكر الصديق خير الناس بعد الأنبياء، كان من قرابته مسطح بن أثاثة وكان أبو بكر ينفق عليه ويحسن إليه فلما خاض مسطح فيمن خاض في حادثة الإفك، حلف أبو بكر ألا يحسن إليه كما كان يحسن في السابق فعاتبه ربه عز وجل وأنزل: وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) سورة النور ، فقال: بلى، أحب أن يغفر الله لي، وعاد إلى ما كان عليه من الإحسان إليه وكفر عن يمينه. (٣).

الفصل التاسع والعشرون: قصص عن جبر الخواطر

جبر خاطر جابر -رضي الله عنه- لما استشهد أباه

سمعت طلحة بن خراش، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد، لقيني رسول الله ﷺ فقال: يا جابر، ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ وقال يحيى في حديثه: فقال: يا جابر، ما لي أراك منكسرا؟ قال: يا رسول الله، استشهد أبي، وترك عيالا ودينا، قال: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟

١ - المحاسن والأضداد (ص: ٣٢) ومجمع الحكم والأمثال (ص: ٤٠)

٢ -الحجة في بيان المحجة (٢/ ٣٨١)

٣ - تفسير الطبري ١٩/ ١٢٣.

قال: بلى يا رسول الله، قال: ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً، فقال: يا عبدي، تمن علي أعطك، قال: يا رب تحييني، فأقتل فيك ثانية، فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب، فأبلغ من ورائي، قال: فأُنزل الله تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون}.^(١)

النبي ﷺ وجبر خاطر - جابر - رضي الله عنه

عن جابر بن عبد الله قال خرجت مع رسول الله ﷺ في غزاة فأبطأ بي جملي فأتي على رسول الله ﷺ فقال لي: يا جابر قلت نعم قال ما شأنك قلت أبطأ بي جملي وأعيا فتخلفت فنزل فحجنه بمحجنه ثم قال اركب فركبت فلقد رأيتني أكفه عن رسول الله ﷺ فقال أتزوجت فقلت نعم فقال أبكراً أم ثيباً فقلت بل ثيب قال فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك قلت إن لي أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن قال أما إنك قادم فإذا قدمت فالكيس الكيس ثم قال أتبيع جملك قلت نعم فاشتراه مني بأوقية ثم قدم رسول الله ﷺ وقدمت بالغداة فجئت المسجد فوجدته على باب المسجد فقال الآن حين قدمت قلت نعم قال فدع جملك وادخل فصل ركعتين قال فدخلت فصليت ثم رجعت فأمر بلالاً أن يزن لي أوقية فوزن لي بلال فأرجح في الميزان قال فانطلقت فلما وليت قال ادع لي جابراً فدعيت فقلت الآن يرد على الجمل ولم يكن شيء أبغض إلي منه فقال خذ جملك ولك ثمنه^(٢)

جبر خاطر عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول

عن عمر أنه قال لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليصلي عليه فلما قام رسول الله {ﷺ} وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله {ﷺ} وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال إني خيرت فاخترت لو أنني أعلم أنني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلي عليه رسول الله {ﷺ} ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) إلى قوله (وهم

^١ - ابن ماجه-المقدمة (١/ ٦٨) ، حديث رقم (١٩٠) ، وعند الترمذي رقم (٤٠٩٧) وقال: حسن غريب من هذا الوجه.

^٢ - أخرجه البخاري (٢٠٩٧) و"مسلم ١٥٦/٢ (١٦٠٥).

فاسقون) سورة التوبة قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ { يومئذٍ والله ورسوله أعلم (١)

جبر خاطر المرأة السوداء

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت بلى قال هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ { صلى الله عليه وسلم } فقالت إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك قالت أصبر فقالت فإني أتكشف فادع الله ألا أتكشف فدعا لها وعند البخاري من حديث ابن جريج عن عطاء أنه رأى أم زفر تلك المرأة الطويلة سوداء على ستر الكعبة (٢)

إبراهيم بن أدهم وجبر خواطرهم

عمر المقرئ قال: أخبرنا جعفر الخلدی ، حدثنا إبراهيم بن نصر : حدثنا إبراهيم بن بشار ، قال : أمسينا يعني مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة ، وليس معنا شيء نفطر عليه ولا لنا حيلة ، فرآني مغتما حزينا ، فقال : يا إبراهيم بن بشار ، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعم والراحة في الدنيا والآخرة ، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة ، وإنما يسأل ويحاسب عن هذا هؤلاء المساكين ، أغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة ، أعزة في الدنيا أذلة يوم القيامة ، لا تغتم ولا تحزن فرزق الله مضمون سيأتيك ، نحن والله والملوك الأغنياء ، نحن الذين قد تعجلوا الراحة في الدنيا ، لا نبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا ، إذا أطعنا الله . ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتي ، فما لبثنا إلا ساعة فإذا نحن برجل قد جاءنا بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه بين أيدينا ، وقال: كلوا يرحمكم الله. قال ابن بشار: فسلم، فقال: كل يا مغموم. فدخل سائل فقال: أطعمونا شيئا، فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر ورفعها إليه، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين، وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين (٣)

١ - أخرجه أحمد (١٦/١ ، رقم ٩٥) ، والبخاري (٤٥٩/١) ، رقم ١٣٠٠ ،

٢ - أخرجه أحمد (٣٤٦/١) والبخاري (١٥٠/٧) ، وفي الأدب المفرد ٥٠٥ و"مسلم" ١٦/٨ (٦٦٦٣).

٣ - المنتخب من كتاب الزهد والرقائق للخطيب (ص: ١١٠)

قصة تعزية طفل بوفاة عصفوره عندما ذهب النبي -ﷺ- في زيارة لبيت أهل أنس بن مالك -رضي الله عنه- كان يجد صبياً في البيت حزيناً؛ لأن عصفوره قد مات، فقال له مواسياً: (يا أبا عُمَيْرٍ، ما فَعَلَ النُّعَيْرُ؟) [٤]

قصة الرسول الكريم مع الصحابي زاهر زاهر بن حرام رجل من أهل البادية، كان يُهدي إلى النبي -ﷺ- الهدية؛ فيجهره رسول الله -ﷺ- إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله -ﷺ-: (إِنَّ زَاهِرًا بَادِيًا وَنَحْنُ حَاضِرُونَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -ﷺ- وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه، والرجل لا يبصره فقال: أرسلني، من هذا؟ فلمّا عَرَفَ أَنَّهُ النَّبِيُّ -ﷺ- جعل يلزق ظهره بصدريه...)

(فقال رسول الله -ﷺ-: مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟، فقال زاهرٌ: تَجِدُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ كَاسِدًا، قال: لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ، أو قال: بل أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ غَالٍ) وكان هذا التصرف من النبي -ﷺ- فيه الكثير من جبر الخواطر حين مازح الصحابي زاهر -رضي الله عنه- وأثنى عليه

زواجه -ﷺ- بحفصة بنت عمر عندما انتهى زواج حفصة بنت عمر، مر عمر بعثمان فقال له: هل لك في حفصة؟ وكان عثمان قد سمع رسول الله -ﷺ- يذكرها؛ فلم يجبه، فأخبر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- النبي -ﷺ-، فقال النبي -ﷺ-: (هل لك في خير من ذلك؟ أتزوج أنا حفصة، وأزوج عثمان أم كلثوم)

جبر خواطر الفقراء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلَا أَعَدْتُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ نُسَبِّحُونَ وَتُحْمَدُونَ وَتُكَبَّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنُحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ» (١) .

جبر خواطر عمرو بن تغلب ومن معه ممن منعهم العطاء:

^١ - أخرج البخاري (٨٤٣) و (٦٣٢٩)، ومسلم (٥٩٥)

إخوة الإسلام: ومن جبر النبي ﷺ للخواطر أنه كان يعطي أقواما ويترك أقواما لما علم من قلوبهم من صدق وقوة إيمان عَمَرُو بُنْ تَغْلِبَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ شَيْءٌ فَأَعْطَاهُ نَاسًا وَتَرَكَ نَاسًا وَقَالَ جَرِيرٌ أَعْطَى رَجُلًا وَتَرَكَ رَجُلًا قَالَ فَبَلَّغَهُ عَنِ الَّذِينَ تَرَكَ أَنَّهُمْ عَتَبُوا وَقَالُوا قَالَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنِّي أُعْطِي نَاسًا وَأَدْعُ نَاسًا وَأُعْطِي رَجُلًا وَأَدْعُ رَجُلًا قَالَ عَفَّانُ قَالَ ذِي وَذِي وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي أُعْطِي أَنَسًا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ وَأَكُلُ قَوْمًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ مِنْهُمْ عَمَرُو بُنْ تَغْلِبَ قَالَ وَكُنْتُ جَالِسًا تَلْقَاءَ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ «(١)».

جبر النبي ﷺ لخواطرنا ولم يرنا

معاشر الموحدين: ها هو الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام جبر بخواطرنا نحن الذين نحبه ونشتاق إليه ونتمنى لو كنا إلى جانبه ندود عنه وننافح عن دعوته، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَوَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا " قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ "، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي خَيْلٍ دُهُمٍ بُهُمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ " فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ ". (٢)

ماكينة أم جميل:

في الشام؛ عرضت أرملة تكنى بأم جميل ذات ثلاثة أيتام على السيد هيثم مالك مشغل الخياطة، أن يؤجره الزوج المتوفى يعمل بها في حياته، لتفيد من النفقة على نفسها وأيتامها، ولم تكن هي ثم تحتاج إلى ذلك لذلك إذ تريد ألا يكسر بخاطرها، فطلبها يكسر بخاطرها، فطلبها يدخل الماكينة، ففعلت، وزاده بها لما راي رايدر وصلاح عملتها في المرأة، يختلف اختلاف جبر والأيتام فسألها عن المركب فاخبرته فوافق.

ركن الرجل الماكينة في زوايا مشغله، بينما تأتي المرأة في كل شيء على علم بشهرها لاستلامها.

^١ - «مسند أحمد» (٣٤/ ٢٧٥ ط الرسالة): «وأخرجه البخاري (٩٢٣) و (٣١٤٥) و (٧٥٣٥). والبيهقي (١٨/٧)

^٢ - أخرجه مسلم (٢٤٩)

ومرت سنوات طويلة على ذلك، وبدأوا من مكان آخر وتحولوا إلى العمل بشكل كبير وهيثم في كل ذلك يصطحب ماكينة أم جميلة معه.

وكم من مرة يريده مديرة المعمل أن يستغني عن هذه الماكينة الواضحة لا تنفع في شيء وتأخذ حيزاً من المكان ولكن كان يخبرها بأنه يريد أمر الماكينة ويأمرها بتركها في أحد الجوانب لتشغيل ثم المعمل.

نزلت والحرب بالشام جماهير الناس من مكان آخر وتضررت المنطقة التي معمل الخياطة وخرج الناس منها، ولم تعد أم جميلة تأتي لاستلام التاكسي، وكان هاتفها خارج التغطية في كل مرة حضرون بها، وسافرت مديرة المعمل مع زوجها إلى بلد أوري.

لقد نفذ حيوية الحرب في منطقة المعمل والمعامل المجاورة، ولم يعد السيد هيثم قادراً على الوصول لمعمله، وبعد أشهر من سفرها اتصل بمديرة المعمل السابق ليقول له أريد رؤيا ويحب أن يقصها عليه. فسألها عن الرؤيا، فقالت: سمعت في رؤياها هاتفاً يقول لي: قولي لهيثم ببركة ماكينة أم جميل يحفظنا لك مع ملك.

وبالفعل عندما استطاعت ثم هي الوصول إلى المعمله تفاجأ بأن المعمل لم يصب بمكروه ولم تُفقد إبرة من داخله.

إن من مشى بين الناس جابراً للخواطر سلمه الله في غطاء متنوع.

حبيب له جبر الخواطر:

كان محمد شاباً موسعاً عليه في الرزق ومغرمًا بجبر خواطر المكسورين، لقد حبيب الله لذلك،

طلب يوما من أحد الشيوخ أن يذكره كلما مر به مكسور ويرى الشيخ أنه قادر على جبره.

يوم اتصل به الشيخ ليفيه عن شاب قليل ذات يوم تأخر حفله بسبب حاجته غرفة نوم، فأخبر محمد الشيخ أنه جاهز لطلب غرفة هدية للشاب، فليتزوج متى شاء، وطلب محمد من الشيخ أن يصطحبه معه إن دعاه الشاب يوما إلى العرس

فأعلمه الشيخ أن هذا الشاب وأمثاله لفقر حالهم لا يقيمون عرس الرجال وإنهم إن فعلوا ذلك ففي بيت جوارهم أو أحد أقربائهم بأبسط التكليف، فأصر محمد على الذهاب مع الشيخ إن دعاه الشاب فوعده الشيخ بذلك.

الفعل أخذ تكلفة الاشتراك في غرفة النوم وبالعد للزواج بعده، ودعا بعد توقيع الشيخ لعرسه في بيت جيرانهم في حي شعبي الفقراء في طرف المدينة. فأتى الشيخ مصطفىاً محمداً معه، جلسة في العرس ودعوا قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأستقبل الشيخ كلمة العرس ومع محمد الضيافة المتواضعة ثم هنا العريس ودعا له وودعه.

طريق العودة قال الشيخ لمحمد، لماذا وصلت إلى العرس؟

فقال محمد: كنت تسهيلاً على الأفضل أن أحسن في صدري والسرور في قلبي كلما ضحك العريس؛ لأن الله أعاني على جبره، وإدخال السرور عليه. ما عبد الله بمثل جبر الخواطر، يقول الإمام سفيان الثوري: ما رأيت عبادة تتقرب بها العبد إلى ربه مثل جبر خاطر أخيه المسلم.

خُزَيْمَةُ بْنُ بَشْرٍ

يحكى أن هناك رجلاً يدعى (خُزَيْمَةُ بْنُ بَشْرٍ) كان هذا الرجل ميسور الحال ينفق على كل فقير ومحتاج حتى الذين لديهم مال كان يعطيهم .. حتى دارت عليه دائرة الدنيا والأيام فأصبح فقيراً معدماً ... فجاء بعض الذين كان يعطيهم من خيرهم ويمد لهم يد العون فأعطوه شهراً أو شهرين ثم ملوا وتوقفوا عن مساعدته

فأغلق باب بيته عليه وهو لا يجد ما يسد به الرمق هو وزوجته ..

كان الوالي المكلف في الجزيرة يدعى (عكرمة بن الفياض)

وكان يعرف خُزَيْمَةَ بْنَ بَشْرٍ فسأل عنه .. ف قيل له: لقد افتقر خُزَيْمَةُ وأصبح لا يملك قوت يومه وأغلق بابه ..

فاندهش عكرمة قائلاً: خُزَيْمَةُ افتقر؟؟ ولم يجد ممن كان يعطيهم من يقف معه؟؟ خُزَيْمَةُ الذي كان يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر؟؟

وفي الليل والنَّاس نيام خرج عكرمة الفياض الوالي وأخفى وجهه وهو يحمل على ظهره حملاً ثقيلاً حتى بلغ دار خُزَيْمَةَ ثم طرق الباب

قال خُزَيْمَةُ: من؟

قال عكرمة: ضيف

ففتح خُزَيْمَةُ

ووضع عكرمة الحمل من ظهره وقال:
هذا لك .

قال خُزَيْمة: ومن أين؟

قال عكرمة: من مال الله.

قال خُزَيْمة: ومن أنت؟

قال عكرمة: جابر عثرات الكرام.

قال خُزَيْمة: بالله عليك عرّفني من أنت؟؟

قال: جابر عثرات الكرام ثم انصرف مسرعاً.

قال خُزَيْمة لزوجته: أشعلي لنا فانوسا لنرى ماذا أحضر الرجل المُلثم.

قالت: ليس لدينا فانوسا ولا حطب نوقده.

فأخذ عكرمة يتلمس الكيس في الظلام حتى انفلق الصباح.

وعندما فتحه وجدها أربعة آلاف دينار وخمسمائة وكان الألف دينار تعادل أربعة كيلو ذهب ومائتين وخمسين جراماً.

فشكر خُزَيْمة ربه وقضى دينه وأصلح حاله .

وعندما رجع الوالي عكرمة إلي بيته وجد زوجته تولول وتقول: لا يخرج الوالي في هذه الساعة إلا لزوجَةٍ أخرى.

قال: لا والله.

قالت: إذن أخبرني أين كنت؟

قال: لو أردت إخبارك أو إخبار أحد لما خرجت متخفياً ليلاً.

قالت: يجب أن أعرف وألحت ولم تنم حتى قص لها القصة وقال:

اكتمي السر ولا تحدثي به حتى نفسك.

وبعد فترة ذهب خُزَيْمة إلي أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك فسأله: أين كنت يا خُزَيْمة لم نسمع عنك من زمن فقص عليه القصة فقال الأمير: ومن جابر عثرات الكرام؟،

قال : لم أعرفه ورفض إخباري.

قال الأمير: ليتك عرفتة.

ثم أمر بمنح دنائير أخرى ل خُزيمة وأصدر امرا بإعفاء عكرمة الفياض.

وتعيين خُزيمة والياً لمنطقة الجزيرة ورجع.

خُزيمة ودخل قصر الوالي وهو يحمل مرسوم العزل وكان في استقباله عكرمة بنفسه وسلمه أمر العزل فقال عكرمة : كله خير.

ثم قال خُزيمة: أريد أن أحاسبك علي مال المسلمين.

فرحب عكرمة بذلك فوجد خُزيمة مبلغاً من المال غير موجود.

فقال خُزيمة: أين المال يا عكرمة.

قال: ليس معي.

قال: إذن رُده من مالك.

قال: لا أملك مال خاص.

قال: إما المال أو السجن.

وسجن عكرمة رداً من الزمن ووضعت له الأغلال الثقيلة في كتفيه وظهره حتى ضعف جسمه وتغير لونه.

وعندما سمعت زوجة عكرمة بما حدث لزوجها الوالي المعزول.

ذهبت الي خُزيمة وكانت هي ابنة عم خُزيمة وقالت له :

يا خُزيمة ما هكذا يُجازي جابر عثرات الكرام.

فانتفض خُزيمة مفزوعاً قائلاً : هل هو عكرمة ؟

يا ويلتاه وهول إلي السجن دون أن يسمع شيئاً آخر.

وأخذ يفك الأغلال من عكرمة بيديه ويبكي .

وعكرمة يسأله : ماذا حدث ولماذا تبكي ؟

قال خُزيمة: من كرمك وصبرك وسوء صنيعي.

كيف أنظر في وجهك ووجه ابنة عمي ؟

فأمر له بالكساء والغذاء وعندما استوى عوده قال له: هيا معي إلي خليفة المسلمين.

فلما رآهم الخليفة بن عبد الملك قال: ما الذي أتى بك يا خُزَيْمة وأنت حديث عهد بالولاية؟؟.

قال: أتيتك ب جابر عثرات الكرام وأظنك كنت متشوقاً لمعرفته.

فاندهش بن عبد الملك وقال: هل هو عكرمة؟

خبت يا بن عبد الملك وتعجلت لقد أخجلتنا بطيب صنيئك وصبرك يا جابر عثرات الكرام.

فأمر ل عكرمة بعشرة آلاف دينار وأعاد تعيينه والياً وقال: إن شئتما حكمتما معاً وظلا واليين مع بعضهما حتى توفاهما الله.

من مشى بين الناس جابراً أدركه الله في جوف المخاطر

الفصل الثلاثون: الأمل إكسير الحياة

الأمل في قبول التوبة

وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري -رضي الله عنه -: أن نبي الله - ﷺ - قال : ((كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم -،

أهل الأرض ، فدل على راهب ، فأثاه . فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فأكمل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم. فقال: إنه قتل مئة نفس فهل له من توبة؟

فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً، مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط ، فأثاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم

- أي حكما -فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاوسا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة)) متفق عليه.
وفي رواية في الصحيح: ((فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها))
(١).

أمل النبي - ﷺ - في إسلام قومه

عائشة - رضي الله عنها - : قالت للنبي - ﷺ - : «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال : لقد لقيت من قومك. وكان أشد ما لقيت : يوم العقبة ؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال. فلم يجبني إلى ما أردت. فانطلقت وأنا مهموم. على وجهي. فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب. فرفعت رأسي. فإذا أنا بسحابة قد أظللتنني. فنظرت فإذا فيها جبريل. فناداني. فقال: إن الله قد سمع قول قومك. وما ردوا عليك. وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمر بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال. فسلم علي. ثم قال: يا محمد. إن الله قد سمع قول قومك. وأنا ملك الجبال. وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بما شئت. إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. قال رسول الله - ﷺ - : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً». أخرجه البخاري. ومسلم. (٢)

لكنكم تستعجلون

عن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله { ﷺ } وهو متوسدٌ بردةٍ له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمششار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين

^١ - أخرجه: البخاري ٢١١/٤ (٣٤٧٠) ، ومسلم ١٠٣/٨ (٢٧٦٦) (٤٦) و (٤٧) و (٤٨) .

^٢ - أخرجه البخاري (١١٨٠/٣) ، رقم ٣٠٥٩ ، ومسلم (١٤٢٠/٣) ، رقم ١٧٩٥

ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه لكنكم تستعجلون (١)

أعطيت مفاتيح فارس

عن البراء بن عازب قال : أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، قال : وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق ، لا تأخذ فيها المعاول ، قال : فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء رسول الله ﷺ ، قال عوف : ، وأحسبه قال : وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة ، فأخذ المعول فقال : بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا . ثم قال : بسم الله وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر المدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا ثم قال : بسم الله وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا. (٢)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ....) (٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: " أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اْعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ "

قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «اْعْمَلْ مَا شِئْتَ» (٤)

الفصل الحادي والثلاثون: قصص عن نصرة المظلوم

النبي -ونصرة المظلوم

١ - أخرجه : البخاري ٢٤٤/٤ (٣٦١٢) و٥/٥٦ (٣٨٥٢) .

٢ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٠ / ٦٢٦) وأخرجه النسائي في " الكبرى " (٨٨٥٨) ، وأبو يعلى (١٦٨٥)

(٣) صحيح مسلم

(٤) صحيح مسلم

أخرج ابن اسحاق والبيهقي وأبو نعيم من طريقه حدثني عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي قال قدم رجل من أراش بابل له مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام فمطله بأثمانها فأقبل حتى وقف على نادي قريش فقال من رجل يعديني على أبي الحكم فإني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي .

فقال أهل المجلس ترى ذلك الرجل يهون إلى رسول الله { ﷺ } وهو في ناحية المسجد لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة اذهب إليه فهو يعديك عليه فأتاه فذكر له ذلك فقام معه حتى جاءه فضرب على بابه فقال من هذا ؟

قال محمد فخرج إليه وقد انتقع لونه فقال اعط هذا الرجل حقه قال لا تبرح حتى أعطيه الذي له فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ثم انصرف . فقالوا له يا أبا الحكم جئت عجباً من العجب .

قال ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على باب ي فملئت رعباً ثم خرجت إليه وأن فوق رأسي لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنياه لفحل قط فوالله لو أبيت لأكلني (١)

كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد

عندما أمر عمر بن عبدالعزيز رحمه الله مناديه ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها وقام إليه رجل ذمي من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال: وما ذاك؟

قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال له عمر: يا عباس ما تقول؟

قال: نعم، أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد، وكتب لي بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟

قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد، قم فاردد عليه ضيعته، فردها عليه (٢).

الفصل الثاني والثلاثون: العناية بكبار السن

خبأت هذا لك

^١ - الخصائص الكبرى (١/ ٢٠٩)

^٢ - البداية والنهاية، ج ٩، ص: (٢١٣).

عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال : قدمت على رسول الله ﷺ أقبية فقسماها ، فقال لي أبو مخرمة : انطلق بنا إليه فإنه قد أتته أقبية قال : فتكلم على الباب فسمع النبي ﷺ صوته ، فخرج معه بقباء فجعل يريه محاسنه ويقول : خبأت هذا لك خبأت هذا لك.(١)

ليس منا من لم يوقر كبيرنا

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف ويَنْهَ عن المنكر)) (٢)

بر أبي هريرة بأمره رضي الله عنهما

عن أبي مُرَّة قال: كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمِّه فقال: السلام عليك يا أُمَّتاه ورحمة الله وبركاته. فتقول: وعليك السلام يا بُنَيَّ ورحمة الله وبركاته.

فيقول: رحمك الله كما ربيتنني صغيرًا.

فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرًا.

وإذا أراد أن يدخل صنع مثله.(٣)

ما أنصفناه، أن أكلنا شببته ثم نخذله عند الهرم

مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرِب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟

قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلي ما أرى؟

قال: أسأل الجزية والحاجة والسن.

قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباه فوالله ما أنصفناه، أن أكلنا شببته

١ - أخرجه أحمد (٣٢٨/٤). والبخاري (١٨٦/٧ و ٢٠٩/٣) ومسلم (١٠٣/٣)

٢ - سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب مما جاء في رحمة الصبيان، حديث: ١٩١٩.

٣ - رواه البخاري في الأدب المفرد (١٤) ، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد: " حسن الإسناد "

ثم نخذله عند الهرم "إنما الصدقات للفقراء والمساكين" والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه (١)

أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما والعجوز

أن عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل ، فيستقي لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها، فرصده عمر، فإذا هو بأبي بكر الصديق الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة ، فقال عمر : " أنت هو لعمرى " (٢).

عمر - رضي الله عنه - والعجوز

فقد كان عمر - رضي الله عنه - بعمر، فلما رأى عمر يمشي بالليل مشى وراءه، ولما رأى عمر دخل بيتاً انتظر طلحة حتى خرج عمر وذهب، فدخل طلحة لينظر ما هذا، وإلى أين ذهب عمر في هذا الليل؟

فإذا عجوز عمياء مقعدة، فقال لها: مَن هذا الذي يأتيك؟

ما باله؟

قالت: هذا يتعاهدني من مدة كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. (٣)

هلا تركت الشيخ في بيته

أسماء بنت أبي بكر قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بنية، أظهر بي على أبي قبيس، قالت - وقد كف بصره - قالت: فأشرفت به عليه، فقال: يا بنية ماذا ترين؟

قالت: أرى سوادا مجتمعا، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلا يسعى بين ذلك السواد مقبلا ومدبرا، قال: ذاك يا بنية الوازع - يعني الذي يأمر بالخيل ويتقدم إليها - قالت: ثم قلت: قد والله انتشر السواد، فقال: إذا والله دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطت به، وتلقى الخيل قبل أن يصل إلى بيته قالت - وفي عنق الجارية طوق لها من ورق - قال: فتلقاها رجل فاقتلعه من عنقها، قالت: فلما دخل

١ - كتاب الخراج، أبو يوسف، ص: (١٢٦).

٢ - الكامل في التاريخ (٢/ ٢٧٠)

٣ - أنظر حلية الأولياء ٨٤/١. رقم ١١٣

رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه»

قال أبو بكر: هو أحق أن يمشي إليك يا رسول الله من أن تمشي إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال: أسلم؛ فأسلم. (١)

إني شيخ كبير عليل

فجاء رجل إلى النبي ﷺ ، قال: "يا نبي الله، إني شيخ كبير عليل، يشق عليّ القيام كل ليلة، أقوم هذا صعب جداً عليّ؛ لأنه كان مريضاً، فأمرني بليلة لعل الله أن يوفقني فيها لليلة القدر، يعني: ليلة أجتهد فيها لعلني أصيب ليلة القدر، قال: عليك بالسابعة ليلة السابع والعشرين. رواه أحمد. [رواه أحمد: ٢١٤٩].

تقديمه بالكلام

فَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ وَسَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةَ بْنَ مَسْعُودٍ أَتَيَا خَبِيرَ فَتَفَرَّقَا فِي النَّخْلِ، فَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ وَحَوِيصَةُ وَمُحَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ صَاحِبِهِمْ، فَبَدَأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَكَانَ أَصْغَرَ الْقَوْمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "كَبُرَ الْكِبَرُ" ..

قَالَ يَحْيَى يَعْنِي لِيَلِيَ الْكَلَامَ الْأَكْبَرُ.. الحديث [٢]

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: ((إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟))، فوقع الناس في شجر البوادي.

قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييتُ، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: ((هي النخلة)) [٣].

^{١١} - [رواه أحمد: ٢٦٩٥٦، وحسنه محققو المسند].

^٢ - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويبدأ بالكلام والسؤال، ح: (٥٦٧٧)، ومسلم، كتاب القسامة والمخاريب والقصاص والديات، باب القسامة، ح: (٣١٥٧).

^٣ - البخاري، باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، حديث: ٦١.

الفصل الثالث والثلاثون: عن كفالة اليتيم

لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة

زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: قال رسول الله ﷺ: (تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن) قالت: فرجعت إلى عبد الله فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأتته فأسأله، فإن كان ذلك يجزي عني، وإلا صرفتها إلى غيركم قالت: فقال لي عبد الله: بل آتته أنت قالت: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها قالت: وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة قالت: فخرج علينا بلال فقلنا له: آت رسول الله ﷺ ، فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما، وعلى أيتام في حجورهما، ولا تخبره من نحن قالت: فدخل بلال على رسول الله ﷺ ، فسأله، فقال له رسول الله ﷺ: من هما؟

فقال: امرأة من الأنصار، وزينب، فقال رسول الله ﷺ: أي الزيانب؟ من هما؟

قال: امرأة عبد الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة (رواه البخاري ومسلم. والشاهد في الحديث: (وعلى أيتام في حجورهما) (١))

أخبر فلان بن فلان الفلاني أنه من أهل الجنة

قصة عن أجر كفالة اليتيم واقعية حدثت مع داعية من دعاة الإسلام في الكويت. يقول الداعية:

بينما أنا نائم إذ رأيت الرسول يقول لي: "أخبر فلان بن فلان الفلاني أنه من أهل الجنة"، فلما استيقظت وقد حفر اسم الرجل في ذاكرتي، لكنني تعجبت من الأمر لأنني لا أعرف رجلاً بهذا الاسم، ولم أفعل شيئاً لعدم معرفتي بالرجل، لكنني كنت في ضيق كوني لم أجد طريقة لتنفيذ أمر رسول الله.

لأنني أعلم أن رؤياه حق وأنه يقع علي تنفيذ ما أمرني به. وفي ليلة تالية رأيت رسول الله ثانية وردد علي ما قال في الرؤيا الأولى "أخبر فلان بن فلان الفلاني أنه من أهل الجنة" استيقظت وبدأت أسأل وأتحري أمر الرجل بحثت في دليل الهاتف،

^١ - - أخرجه : البخاري ١٥٠/٢ (١٤٦٦) ، ومسلم ٨٠/٣ (١٠٠٠) (٤٥) .

وسألت الاستعلامات، بل طلبت من بعض الأخوة في دوائر الأحوال المدنية أن يستطلعوا لي هذا الأمر، وكل محاولاتي باءت بالفشل.

ومرت أيام وأنا أكثر من دعاء الله أن يعرفني بهذا الرجل، وكنت أكثر من الصلاة على النبي محمد، ومرت أيام وأنا على هذا الحال، حتى رأيت رسول الله في رؤيا ثالثة يقول لي: "أخبر فلان بن فلان الفلاني في مدينة الرياض وعنوانه كذا أنه من أهل الجنة" لقد سرت عني هذه الرؤية، ولم أتردد في السفر إلى الرياض للبحث عن هذا الرجل المبارك، ولما وصلت العنوان، وسألت عن الرجل في حيه، دلني جيرانه عليه، طرقت بابه، ففتح لي رجل عادي المظهر، فسألته: أين أجد فلان بن فلان الفلاني؟ قال: أنا هو تفضل قصصت على الرجل القصة فأجهش في البكاء وأعلن توبة إلى الله من كل الذنوب والمعاصي. سألته: بالله عليك أخبرني بسرك، هل تقوم بعمل معين حتى تكون من أهل الجنة؟ فأطرق الرجل وقال بعد تردد: أقول لك على شرط ألا تذكر اسمي بين الناس، فإنه لا يعلم سري إلا الله، فوافقت دون تردد.

قال لي: كان لي جار له زوجة وعيال وتوفاه الله، وأنا رجل موظف لكنني أشعر بحاجة هذه العائلة فأقسم راتبي إلى نصفين أعطيتهم نصفه دون أن يعرفوا من الذي ينفق عليهم، ولا يعلم أحد بهذا حتى زوجتي. عندها عرفت السر فإن هذا الرجل كان مخلصاً وصادقاً في كفالة هؤلاء الأيتام، وأنفق من أعز ماله على قلمته. فاستحق أن يكون رفيق رسول الله ﷺ. (١)

كم من عذق دواح لأبي الدحداح في الجنة

قال: كعب بن مالك قال: أول أمر عتب على أبي لبابة أنه كان بينه وبين يتييم عذق، فاختمهما إلى النبي ﷺ، ففضى النبي ﷺ لأبي لبابة، فبكى اليتيم، فقال النبي ﷺ: "دعه له"، فأبى، قال: "فأعطه إياه ولك مثله في الجنة"، فأبى فانطلق ابن الدحداح فقال لأبي لبابة: بعني العذق بحديقتين. قال: نعم. ثم انطلق إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن أعطيت هذا اليتيم هذا العذق، ألي مثله في الجنة؟ قال: نعم، فأعطاه إياه، قال: فكان النبي ﷺ يقول: كم من عذق دواح لأبي الدحداح في الجنة - مرارا " (٢)

كفل أسرة يتيمة فعوضه الله قصراً في الجنة.

^١ - <http://www.alukah.net/sharia/0/114045/#ixzz4vtVAeTc5>

^٢ - أخرجه أحمد (٣ / ١٤٦) وابن حبان (٢٢٧١) الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٦ / ١١٣١.

ومما جاء في فضل الإحسان إلى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين؛ وكان نازلاً ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا في سعة ونعمة؛ فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة؛ فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء؛ واتفق خروجها في شدة البرد؛ فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة؛ ومضت تحتال لهم في القوت؛ فمرت بجمعين جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد؛ وجمع على رجل مجوسي وهو ضامن البلد؛ فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له وقالت: أنا امرأة علوية ومعي بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة؛ وأريد الليلة قوتهم. فقال لها: أقيمي عندي البينة أنك علوية شريفة!! فقالت: أنا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني!! فأعرض عنها؛ فمضت من عنده منكسرة القلب؛ فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسي فشرحت له حالها وأخبرته أن معها بنات أيتام وهي امرأة شريفة غريبة؛ وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم؛ فقام وأرسل بعض نسائه وأتوا بها وبناتها إلى داره؛ فأطعمهن أطيب الطعام وألبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده في نعمة وكرامة؛ قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبي صلى الله عليه وسلم وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان!! فقال: يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال لرجل مسلم موحد! فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ: أقم عندي البينة أنك مسلم موحد!! قال فبقي متحيراً؛ فقال له ﷺ: لما قصدتك المرأة العلوية قلت أقيمي عندي البينة أنك علوية!! فكذا أنت أقم عندي البينة أنك مسلم!! فانتبه الرجل حزينا على رده المرأة خائبة؛ ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها أنها عند المجوسي؛ فأرسل إليه فاتاه فقال له: أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها! فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني!! قال: خذ مني ألف دينار وسلمهن إلي!! فقال: لا أفعل. فقال: لا بد منهن. فقال: الذي تريده أنت أنا أحق به! والقصر الذي رأيته في منامك خلق لي!! أتدل علي بالإسلام فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية؛ ورأيت مثل الذي رأيت في منامك!! وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: العلوية وبناتها عندك؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: القصر لك ولأهل دارك؛ وأنت وأهل دارك من أهل الجنة؛ خلقتك الله مؤمناً في الأزل! قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله!! فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه " (١)

١ - الكبائر للذهبي (ص: ٦٩)

أكرم اليتيم فأكرمه الله

قال الذهبي رحمه الله في كتاب الكبائر المنسوب إليه: (وَمِمَّا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ: كُنْتُ فِي بَدَايَةِ أَمْرِي مُكِبًّا عَلَى الْمَعَاصِي وَشُرِبَ الْخَمْرُ، فَظَفَرْتُ يَوْمًا بِصَبِيٍّ يَتِيمٍ فَقِيرٍ فَأَخَذْتُهُ وَأَحْسَنْتُ إِلَيْهِ وَأَطْعَمْتُهُ وَكَسَوْتُهُ وَأَدْخَلْتُهُ الْحَمَّامَ وَأَزَلْتُ شَعَثَهُ وَأَكْرَمْتُهُ كَمَا يُكْرَمُ الرَّجُلَ وَلَدَهُ بَلْ أَكْثَرَ، فَبِتُّ لَيْلَةً بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَامَتْ وَدُعِيتُ إِلَى الْحِسَابِ، وَأُمِرَ بِي إِلَى النَّارِ لِسُوءِ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي، فَسَحَبْتَنِي الرَّبَّانِيَّةُ لِيَمْضُوا بِي إِلَى النَّارِ وَأَنَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَقِيرٌ ذَلِيلٌ، يَجْرُونِي سَحَبًا إِلَى النَّارِ، وَإِذَا بِذَلِكَ الْيَتِيمِ قَدْ اعْتَرَضَنِي بِالطَّرِيقِ وَقَالَ: خَلُّوا عَنْهُ يَا مَلَائِكَةَ رَبِّي حَتَّى أَشْفَعَ لَهُ إِلَى رَبِّي فَإِنَّهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيَّ وَأَكْرَمَنِي، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: إِنَّا لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَإِذَا النَّدَاءُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ: خَلُّوا عَنْهُ، فَقَدْ وَهَبْتُ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ بِشَفَاعَةِ الْيَتِيمِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَيْقِظْتُ وَتُبْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَدَلْتُ جُهْدِي فِي إِصْصَالِ الرَّحْمَةِ إِلَى الْإِيْتَامِ) انتهى. ن الكرامة في الدنيا. (١).

عمر رضي الله عنه ورعاية اليتامى

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى السُّوقِ، فَلَحِقْتُ عُمَرَ امْرَأَةً شَابَةً، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْكَ رَوْحِي وَتَرَكَ صَبِيَّةً صِغَارًا، وَاللَّهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا، وَلَا لَهُمْ زَرْعٌ وَلَا صَرْعٌ، وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الصَّبُعُ، وَأَنَا بِنْتُ خُفَافٍ بْنِ إِيمَاءَ الْغِفَارِيِّ «وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ»، فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ - أَيِ قَوِي الظَّهْرِ - كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ - أَيِ وَعَائِنِ - مَلَأَهُمَا طَعَامًا، وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا، ثُمَّ نَاوَلَهَا بِخَطَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتَادِيهِ، فَلَنْ يَفْنَى حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِخَيْرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَكْثَرْتَ لَهَا؟

قَالَ عُمَرُ: نَكَلْتُكَ أُمُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا، قَدْ حَاصَرَا حِصْنًا زَمَانًا فَافْتَتَحَاهُ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهُمَانَهُمَا فِيهِ - أَيِ فَتَحَاهُ وَنَحْنُ نَنْتَفِعُ بِثَمَرِهِ جُعِدَهُمَا - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (٢)

الصحابة يتنافسون على من يكفل اليتيم

البراء بن مالك رضي الله عنه يحكي كيف تنافس ثلاثة من الصحابة على كفالة ابنة حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، عم النبي ﷺ. حيث روى قصة صلح الحديبية، ومما قال فيها: "فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادى يا عم يا عم،

١ - الكبائر للذهبي (ص: ٦٧).

٢ - صحيح البخاري - حسب ترقيم فتح الباري (١٥٨ / ٥).

فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها: (دونك ابنة عمك).
فحملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر. قال علي: أنا أخذتها وهى بنت عمي،
وقال جعفر: ابنة عمى وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي ﷺ
لخالتها، وقال: (الخالة بمنزلة الأم) (١)

الفصل الرابع والثلاثون: قصص عن الإيجابية

إيجابية عمر عام الرمادة

جاء لعمر بن الخطاب في عام الرمادة بخبز مفتوت بسمن فدعا رجلاً بدويًا ليأكل معه، فجعل البدوي يتبع بالقمة الودك في جانب الصفحة، فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك، فقال البدوي: أجل، ما أكلت سمناً ولا زيتاً، ولا رأيت أكلاً له منذ كذا وكذا إلى اليوم، فحلف عمر لا يذوق لحمًا ولا سمناً حتى يحيا الناس، ولقد أجمع الرواة جميعاً أن عمر كان صارماً في الوفاء بهذا القسم، ومن ذلك، أنه لما قدمت إلى السوق عكة سمن ووطب من لبن، فاشترهما غلام لعمر بأربعين درهماً ثم أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك، وقدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً، فقال عمر: أغليت فتصدق بهما، فإني أكره أن أكل إسرافاً.

ثم أردف قائلاً: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسنى ما مسهم. فهذه جملة واحدة في كلمات مضبوطة، يوضح فيها الفاروق مبدأ من أروع المبادئ الكبرى التي يمكن أن تعرفها الإنسانية في فن الحكم: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسنى ما مسهم. وقد تأثر عمر في عام الرمادة حتى تغير لونه .

فعن عياض بن خليفة قال: رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون، ولقد كان رجلاً عربياً يأكل السمن واللبن فلما أمحل الناس حرمهما، فأكل الزيت حتى غير لونه وجاع فأكثر، وعن أسلم قال: كنا نقول: لو لم يرفع الله تعالى المحل عام الرمادة لظننا أن عمر يموت همًا بأمر المسلمين، وكان يصوم الدهر، فكان عام الرمادة، إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد بالزيت إلى أن نحر يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس، وعرفوا له طيبها، فأتي به، فإذا قدر من سنام ومن كبدة، فقال: أنى هذا؟

قالوا: يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم. قال: بخ بخ بس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها، ارفع هذه الصحيفة هات لنا غير هذا الطعام. فأتي بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك بالزيت، ثم قال: ويحك يا

١ - أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٣٠) (رقم: ٢٦٩٩) ..

يرفأ، احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت بئمغ -اسم مكان-فاني لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم.(١)

إيجابية مثمرة

في حقبة الثلاثينات ألتحق طالب جديد بكلية الزراعة في إحدى جامعات مصر، وعندما حان وقت الصلاة بحث عن مكان ليصلي فيه فأخبروه أنه لا يوجد مكان في الكلية للصلاة فيه؛ غير غرفة صغيرة (في القبو) تحت الأرض ..

ذهب الطالب وهو في قمة الذهول والاستغراب من الناس في الكلية لعدم اهتمامهم بموضوع الصلاة ..

وتساءل ترى هل هم يصلون أم لا ؟!

المهم دخل الغرفة فوجد فيها حصير قديم وكانت عبارة عن غرفة صغيرة ضيقة وغير مرتبة ولا نظيفة، ووجد فيها عاملاً يصلي وحده.

فسأله الطالب: هل تصلي هنا ؟؟

فأجاب العامل: أيوه، محدش بيصلي من الناس اللي فوق وما فيش مكان للصلاة غير هذه الغرفة.

فقال الطالب بكل اعتراض:

أما أنا فلا أصلي في هذا المكان تحت الأرض.

وخرج من القبو إلى الأعلى، وبحث عن أكثر مكان واضح في الكلية وعمل شيء غريب جداً !!! وقف وأذن للصلاة بأعلى صوته !!

تفاجأ الطلاب بما حدث وأخذوا يضحكون عليه ويشيرون إليه بأيديهم .. ويتهمونه بالدروشة والجنون.

غير أنه لم يبالي بهم، جلس قليلاً ثم نهض وأقام الصلاة وبدأ يصلي وكأنه لا يوجد أحد حوله.

صلي لوحده .. يوم .. يومين .. على نفس الحال من ضحك الطلاب ..

^١ - الطبقات الكبرى ط-أخرى (٣/ ٢٩١)

ثم بعدها وكأنهم اعتادوا على فعله هذا في كل يوم .. فلم يعد يسمع صوت ضحكاتهم وتندهرهم به ..

ثم حصل تغيير صغير .. إذ خرج العامل الذي كان يصلي في القبو للصلاة معه جماعة ..

ثم أصبحوا أربعة وبعد أسبوع صلى معهم أحد أساتذة الكلية !!
انتشر الموضوع وكثر الكلام عنه في كل أرجاء الكلية .. حينها استدعى عميد الكلية هذا الطالب ..

وقال له:

لا يجوز هذا الذي يحصل، أنتم تصلون في وسط الكلية !، وبدلاً من ذلك نحن سنبنّي لكم مسجد عبارة عن غرفة نظيفة مرتبة يصلي فيها من يشاء في أوقات الصلاة ..

وهكذا بني أول مسجد في كلية جامعية.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، إذ أن طلاب باقي الكليات أحسوا بالغيرة وقالوا اشمعنا كلية الزراعة عندهم مسجد، فبني مسجد في كل كلية في الجامعة ..

ولا يزال هذا الشخص سواء كان حياً أو ميتاً يأخذ إلى اليوم حسنات وثواب كل مسجد بنى في جامعات مصر ويذكر فيها اسم الله ..

الفصل الخامس والثلاثون: قصص عن الميراث

إِيَّاكَ أَنْ يَعْلَمَ بِهَذَا أَحَدٌ،

استمع لهذه القصة، ومُلَخَّصها أَنَّ رجلاً كان ببغداد يعمل بَرَّارًا - يَبِيعُ البَرَّ؛ أي: الثياب؛ يعني: قَمَاش - له ثروة، فبينما هو في حانوته، أَقْبَلَتْ إليه صَبِيَّةٌ، فَالْتَمَسَتْ منه شيئاً تَشْتَرِيه، فبينما هي تُحَادِثُه، كَشَفَتْ وجهها في خلال ذلك، فَتَحَيَّرَ، وقال: قد والله تَحَيَّرْتُ مما رأيت، فقالت: ما جِئْتُ لأَشْتَرِي شيئاً، إنما لي أَيَّامُ أَتَرَدَّدُ إلى السوق؛ ليقع بقلبي رجلٌ أَتَزَوَّجُه، وقد وَقَّعْتُ أَنْتَ بقلبي ولي مالٌ، فهل لك في التَزَوُّجِ بي؟

فقال لها: لي ابنة عم وهي زوجتي وقد عَاهَدْتُهَا أَلَّا أُغَيِّرَهَا، ولي منها ولد، فقالت: قد رَضِيتُ أَنْ تَجِيَّ إِلَيَّ في الأُسْبُوعِ نوبتين، فَرَضِي، وقام معها فَعَقَدَ العَقْدَ، ومضى إلى منزلها، فدخل بها، ثم ذهب إلى منزله، فقال لزوجته: إِنَّ بعضَ أَصْدِقَائِي قد سألني أَنْ أَكُونَ الليلةَ عنده، ومضى فبات عندها، وكان يمضي كلَّ يوم بعد الظهر

إليها، فَبَقِيَ على هذا ثمانية أشهر، فَأُنْكَرَتْ ابنه عمه أحواله، فقالت لجارية لها: إذا خَرَجَ، فانظري أين يمضي؟

فَتَبِعَتْهُ الجارية وهو لا يدري، إلى أن دخل بيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلى الجيران، فسألَهم: لِمَن هذه الدار؟

فقالوا لصبيّة قد تزوّجت برجلٍ تاجرٍ بَرَّازٍ، فعادَت إلى سيدتها، فأخبرَتها فقالت لها: إِيَّاكَ أن يعلمَ بهذا أحد، وَلَمْ تُظْهِرْ لزوجها شيئاً، فأقام الرجل تمام السنة، ثم مَرِضَ ومات، وخَلَفَ ثمانية آلاف دينار، فَعَمَدَت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقُّه الولد من التركة - وهو سبعة آلاف دينار - فأفَرَدَتْها، وَقَسَمَت الألف الباقية نصفين، وَتَرَكْتَ النصف في كيس، وقالت للجارية: خذي هذا الكيس وأذهبي إلى بيت المرأة، وأَعْلِمِيهَا أَنَّ الرجل مات وقد خَلَفَ ثمانية آلاف دينار، وقد أَخَذَ الابن سبعة آلاف بحقِّه، وَبَقِيَ ثَلَاثُ أَلْفٍ، فَقَسَمْتُها بيني وبينك، وهذا حَقُّكَ، وَسَلَّمِيهِ إليها، فَمَضَتْ الجارية، فَطَرَقَتْ عليها الباب ودخلت، وأخبرَتها خبرَ الرجل، وَحَدَّثَتْها بموته، وَأَعْلَمَتْها الحال، فَبَكَتْ وَفَتَحَتْ صندوقها، وأخَرَجَتْ منه رقعة، وقالت للجارية:

عودي إلى سيِّدتك، وَسَلَّمِي عليها عني، وَأَعْلِمِيهَا أَنَّ الرجل طَلَّقَنِي، وَكَتَبَ لي براءة، وَرُدِّيَ عليها هذا المال؛ فَإِنِّي ما أَستحقُّ في تَرِكَته شيئاً، فَرجعت الجارية، فأخبرَتها بهذا الحديث. (١)

هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء

ومن ورع نساء السلف ما حكاه الحافظ ابن الجوزي رحمه الله: أن امرأة من الصالحات كانت تعجن عجينة، فبلغها - وهي تعجن - موت زوجها، فرفعت يدها منه، وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء. (٢)

أي: أن مال الرجل إذا توفي انتقل وصار ملكاً لورثته الشرعيين، فلم يصبح لها وحدها، فلذلك رفعت يدها من العجين، وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء

هذا زيت قد صار لنا فيه شركاء

وأخرى كانت تستصبح بمصباح - يعني: بالزيت أو شيء من هذا - فجاءها خبر زوجها فأطفأت المصباح، وقالت: هذا زيت قد صار لنا فيه شركاء (٣)

١ - صفة الصفوة (٢/ ٥٣٣)

٢ - صفة الصفوة (٤/ ٤٣٩)

٣ - صفة الصفوة (٤/ ٤٤٠)

الفصل السادس والثلاثون: قصص عن النظافة

المضمضة بعد أكل الطعام:

عن سويد بن النعمان: "أنه خرج مع رسول الله - ﷺ - عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء وهي أدنى خيبر فصلى العصر ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسويق، فأمر به فثري فأكل رسول الله - ﷺ - وأكلنا ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ". (١)

أما لك مال؟

عن أبي الأحوص، أن أباه أتى النبي ﷺ وهو أشعث، سيئ الهيئة، فقال له رسول الله ﷺ: «أما لك مال؟» قال: من كل المال قد آتاني الله عز وجل، قال: «فإن الله عز وجل، إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن ترى عليه» " (٢)

فشكر الله له فغفر له

عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "بينما رجلٌ يمشي بطريق وجد غصن شوكٍ على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له" (٣)

أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره

عن جابر بن عبد الله أنه قال: "أتانا رسول الله ﷺ زائرًا في منزلنا فرأى رجلًا شعثًا فقال: (أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره)؟ ورأى رجلًا آخر وعليه ثياب وسخة فقال: (أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه) (٤)

وقال الحكماء: (من نظَّف ثوبه قلَّ همُّه، ومن طاب ريحه زاد عقله).

١ - أخرجه الحميدي (٤٣٧) وأحمد (٤٦٢/٣) والبخاري (٦٣/١)

٢ - مسند أحمد ط الرسالة (٢٥ / ٢٢٧) وابن حبان (٥٤١٧) ، والطبراني في "الكبير" ١٩ / (٦٢٣)

٣ - أخرجه : البخاري ١٦٧/١ (٦٥٢) ، ومسلم ٥١/٦ (١٩١٤) .

(٤) السلسلة الصحيحة

ألك مال

وعن أبي الأحوص عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ في ثوب دون فقال ألك مال قال نعم قال من أي المال قال قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيول والرقيق قال فإذا آتاك الله مالا فليز أثير نعمة الله عليك وكرامته (١)

عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: " بينما رجلٌ يمشي بطريق وجد غصن شوكٍ على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له " (٢)

الفصل السابع والثلاثون: قصص عن إتقان العمل

إتقان الوضوء

عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - : قال: «تخلف عنا النبي -صلى الله عليه وسلم- في سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته : ويل للأعقاب من النار - مرتين أو ثلاثا -». (٣)

إتقان الصلاة بالخشوع

عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - دخل المسجد فدخل رجل فصلّى ثم جاء فسلم على رسول الله - ﷺ - فرد رسول الله - ﷺ - عليه السلام وقال « ارجع فصل فإنك لم تصل ». فرجع الرجل فصلّى كما كان صلى ثم جاء إلى النبي - ﷺ - فسلم عليه فقال له رسول الله - ﷺ - « وعليك السلام ». ثم قال « ارجع فصل فإنك لم تصل ». حتى فعل ذلك ثلاث مرار فقال الرجل والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني.

قال « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها ». (٤)

مُنْذُ كَمْ صَلَّيْتَ؟

عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ حُذَيْفَةَ الْمَسْجِدَ فَرَأَى رَجُلًا يُصَلِّي لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: " مُنْذُ كَمْ صَلَّيْتَ؟

(١) "مسند أحمد" (١٥٨٨٧) و (١٧٢٢٩)، و "صحيح ابن حبان" (٥٤١٦) و (٥٤١٧). صحيح النسائي (٥٢٢٣)

٢ - مالك في "الموطأ" ١٣١/١ أخرجه أحمد ٥٣٣/٢، والبخاري "٦٥٢"، ومسلم "١٩١٤"، و٢٠٢١/٤ "١٩١٤"

٣ - أخرجه البخاري (٣٣/١)، رقم ٦٠، ومسلم (٢١٤/١)، رقم ٢٤١

٤ - البخاري (٦٢٥١)، ومسلم (٣٩٧) (٤٦)

" قَالَ: مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

فَقَالَ لَهُ حُذِيقَةُ: " مَا صَلَّيْتَ وَلَوْ مَتَّ مَتَّ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُخَفِّفُ صَلَاتَهُ، وَيُتِمُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا " (١)

الله الذي أتقن كل شيء

• قصة: يحكى أن رجلا وابنه كانا تحت نخلة في بستان فاراد الولد أن يجادل أباه فقال له: يا أبت انظر إلى هذه النبتة الصغيرة " نبتة البطيخ " تثمر ثمرة كبيرة جدا بينما هذه النخلة على طولها ثمرتها صغيرة... ولا نسبة بينها وبين البطيخة... وكان المفروض أو المعقول أن تكون ثمرة النخلة في عظم البطيخة " لتتناسب مع حجم الشجرة " بينما تكون ثمرة نبات البطيخ في حجم التمرة... فقال له: يا بني " لعل لله حكمة لا نعرفها.

ثم استلقى الفتى على ظهره ليستريح واستلقى أبوه إلى جواره... وما إن غفت عين الفتى قليلا حتى سقطت من أعلى النخلة ثمرة فأصابت وجهه وآلمته وصاح من أثر ذلك... فقال له أبوه: ماذا بك؟

فقال ثمرة من فوق النخلة أصابتني فقال الوالد: يا بني " احمد الله أنها لم تكن بطيخة.

إتقان الدفن

عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: شهدت مع أبي جنازة شهدها رسول الله ﷺ وأنا غلامٌ أعقلٌ وأفهمٌ، فأنتهى بالجنازة إلى القبر ولم يمكن لها.

قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((سَوِّوا لِحْدَ هَذَا)).

حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: ((أَمَّا إِنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ)) وفي لفظٍ ((ولكن أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان. (٢)

إتقان الصدقة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ تَصَدَّقَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ،

^١ - البخاري في صحيحه ج ١/ص ٢٧٣ ح ٧٥٨

^٢ - شعب الإيمان للبيهقي - العلمية (٤ / ٣٣٥)

فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيِّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تَصَدَّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تَصَدَّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ وَعَلَى سَارِقٍ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ أَمَّا الزَّانِيَةُ، فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَغْتَبِرُ، فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ" (١).

فاتورة الإتقان

(تعطلت ماكينة ضخمة متطورة في سفينة تجارية كبيرة؛ فقام أصحاب السفينة بإحضار خبراء لإصلاحها واحدا وراء الآخر، ولكن دون جدوى ولا نتيجة ولعدة أيام، ولم يعرف أحد من هؤلاء الحرفيين ما هي العلة في عطل ذلك المحرك الضخم المطور!!، وبالطبع فإن تعطل مثل هذه السفينة الضخمة عن العمل يؤدي إلى خسارة آلاف الدولارات يوميا وبلا مبالغة؛ لذا قام أصحاب السفينة باستدعاء خبير قد تجاوز الستين من العمر، والذي قضى عمره في إصلاح محركات السفن الضخمة، وجاء معه بحقيبة كبيرة مليئة بالعدد والأدوات، وكان أول ما فعله عند وصوله مباشرة هو تفحصه للماكينة الضخمة بدقة من أعلاها لأسفلها، وكان هناك اثنان من ملاك السفينة يتابعون هذا الخبير العالمي بشغف، ويتمنون في أنفسهم أن يعرف العلة في عطل ذلك المحرك العنيد العاصي على الإصلاح!!). بعد أن انتهى هذا الرجل من تفحص الماكينة أو المحرك اتجه إلى حقيبة معداته وأخرج منها مطرقة صغيرة وطقطق برقة على مكان معين من سطح المحرك فعلى صوته بالحركة مجلجلاً، لقد دار المحرك الضخم العنيد بعد عناء، وبعد تعطل لمدة أسبوعين كاملين عن العمل، خسر خلاله أصحاب السفينة العملاقة عشرات الآلاف من الدولارات، قام ذلك الخبير بإصلاح ذلك المحرك بهدوء بوضع المطرقة في مكانها وتأكد ملاك السفينة من إصلاح ذلك المحرك بعد أن قامت تلك السفينة برحلة تجارية تجريبية قصيرة نسبياً في عرض البحر بنجاح. بعد أسبوع استلموا فاتورة من ذلك الخبير المخضرم بعشرة آلاف دولار قيمة الإصلاح!!؛ فصرخ ملاك السفينة العملاقة قائلين (بينهم وبين أنفسهم): ماذا فعل هذا الشائب العجوز ليطلب هذا المبلغ الضخم؟! وقاموا على الفور بإرسال رسالة له يطلبون فيها فاتورة مفصلة عن تكاليف الإصلاح؟!

ماذا تتوقعون عن رده عليهم؟!، لقد أرسل لهم فاتورة كتب فيها تفاصيل التكاليف: الكشف على المحرك خمسمائة دولار. الضرب بالمطرقة على موضع

١ - أخرجه البخاري في: ٢٤ كتاب الزكاة: ١٤ باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم

الخلل عشرة دولارات. معرفة مكان الطرق بالمطربة ٩٤٩٠ دولاراً. المجموع: عشرة آلاف دولار أمريكي فقط لا غير. هذا هو ثمن الخبرة النادرة والهمة العالية، والتي قد يضطر بعض أصحاب رؤوس الأموال إلى دفع الكثير والكثير ليستفيدوا من تلك الخبرة النادرة فيما يخصهم!!).

عدم الإخلاص والإتقان

كان هناك نجار تقدم به العمر، وطلب من رئيسه في العمل وصاحب المؤسسة أن يحيله على التقاعد ليعيش بقية عمره مع زوجته وأولاده. فرفض صاحب العمل طلب النجار ورغبه بزيادة مرتبه إلا أن النجار أصر على طلبه!! فقال له صاحب العمل إن لي عندك رجاء أخيراً وهو أن تبني منزلاً أخيراً وأخبره أنه لن يكلفه بعمل آخر ثم يحال للتقاعد فوافق النجار على مضض وبدأ النجار العمل ولعلمه أن هذا البيت هو الأخير فلم يحسن الصنعة واستخدم مواداً رديئة الصنع وأسرع في الإنجاز دون الجودة المطلوبة...!! وكانت الطريقة التي أدى بها العمل نهاية غير سليمة لعمر طويل من الإنجاز والتميز والإبداع!! وعندما انتهى النجار العجوز من البناء سلم صاحب العمل مفاتيح المنزل الجديد وطلب السماح له بالرحيل، إلا أن صاحب العمل استوقفه وقال له: إن هذا المنزل هو هديتي لك نظير سنين عملك مع المؤسسة فأمل أن تقبله مني!! فصعق النجار من المفاجأة لأنه لو علم أنه يبني منزل العمر لما توانى في الإخلاص في الأداء والإتقان في العمل).

لقد ندم المقاول كثيراً على تفريطه؛ لأنه لو علم أنه يبني منزلاً لنفسه لما تردد أن يضع فيه كامل عصارة خبرته، وأفضل الأدوات والمعدات، ولأعطاه ما يستحقه من وقت.

الفصل الثامن والثلاثون: قصص عن انتهاز الفرصة

عجوز بني إسرائيل واغتنام الفرصة

عن أبي موسى قال : أتى النبي - ﷺ - أعرابيا فأكرمه فقال له : ائتنا فأتاه فقال رسول الله - ﷺ - : سل حاجتك فقال : ناقة نركبها وأعنزها يحلبها أهلي فقال رسول الله - ﷺ - : عجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل ؟

قال : إن موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق فقال : ما هذا ؟ فقال علماؤهم : إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال : فمن يعلم موضع قبره ؟ قال : عجوز من بني إسرائيل فبعث إليها فأتته فقال : دليني على قبر يوسف قالت : حتى تعطيني حكماً قال : ما حكمك ؟ قالت : أكون معك في الجنة فكره أن يعطيها ذلك

فأوحى الله إليه أن أعطاها حكمها فانطلقت بهم إلى بحيرة : موضع مستنقع ماء
فقالت : أنضبوا هذا الماء فأنضبوا قالت : احتفروا واستخرجوا عظام يوسف فلما
أقلوها إلى الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار (١)

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَ اغْتِنَامِ الْفُرْصَةِ

عن ربیعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال : كنت آتي النبي ﷺ بوضوئه
وبحاجته ، فقال : سلني ، فقلت : مرافقتك في الجنة ، فقال : أو غير ذلك ؟
فقلت : هو ذاك ، فقال : أعني على نفسك بكثرة السجود . (٢)

عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَ اغْتِنَامِ الْفُرْصَةِ

عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال : قال نبي الله - ﷺ - : «يدخل الجنة من
أمتي سبعون ألفا بغير حساب، قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : هم الذي لا
يكتوون ، ولا يسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة فقال : ادع الله أن
يجعلني منهم. فقال : أنت منهم. فقام رجل ، فقال : يا نبي الله ، ادع الله أن
يجعلني منهم. قال : سبقك بها عكاشة». (٣)

أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَ اغْتِنَامِ الْفُرْصَةِ

عن محمد بن قيس عن أبيه أنه أخبره : أن رجلا جاء زيد بن ثابت فسأله عن شيء
فقال له زيد عليك أبا هريرة فإني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم
ندعو الله ونذكر ربنا خرج علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا فسكتنا فقال عودوا
للذي كنتم فيه قال زيد فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة وجعل رسول الله ﷺ
يؤمن على دعائنا ثم دعا أبو هريرة فقال اللهم إني أسألك مثل ما سألك صاحبائي
هذان وأسألك علما لا ينسى فقال رسول الله ﷺ آمين فقال يا رسول الله ونحن
نسأل الله علما لا ينسى فقال سبقكم بها الغلام الدوسي (٤)

مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَ اغْتِنَامِ الْفُرْصَةِ

عن أبي بردة بن أبي موسى، عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: سمعت خلف أبي
موسى هزيرا كهزير الرحي، فقلت: أين النبي ﷺ ؟ قال: ورائي قد أقبل، فإذا أنا
برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، إن النبي إذا كان في أرض
العدو كان عليه حرس، فقال النبي ﷺ: "أتاني آت من ربي عز وجل فخيرني بين أن

١ - مسند أبي يعلى في مسنده ج ١٣/ص ٢٣٧ ح ٧٢٥٤ انظر الصحيحة: ٣١٣

٢ - المعجم الكبير، ٣٦٥/٢٠؛ قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ في الإصابة، ٤٠٢/٣ :

٣ - أخرجه أحمد (٤٤١/٤) ومسلم (١٣٧/١)

٤ - النسائي في سننه الكبرى ج ٣/ص ٤٤١ ح ٥٨٧٠

يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة"، قال معاذ: بأبي أنت وأمي قد عرفت قرابتي ومنزلتي فاجعلني منهم، فقال: "أنت منهم"، فقال عوف، وأبو موسى: يا رسول الله، قد عرفت إنا تركنا أهلنا نؤثر الله ورسوله، فاجعلنا منهم، قال: "هي لكل مسلم أنتما منهم"، فانتبهينا إلى القوم حين نادوا فقال النبي ﷺ: "اقعدوا" فقعدوا كأن أحدا لم يقم، فقال النبي ﷺ: "أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يدخل شطرا من أمتي وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة"، فقال القوم: يا رسول الله اجعلنا منهم، فقال رسول الله ﷺ: "أنصتوا" فأنصتوا كأن أحدا لم يتكلم، فقال رسول الله ﷺ: "إن شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئا". « (١)

أبو بكر رضي الله عنه و اغتنام الفرص

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ -: "من أصبح منكم اليوم صائماً؟" قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أنا. قال: "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟" قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أنا.

قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟" قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أنا. قال: "فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟"

قال أبو بكر -رضي الله عنه-: أنا،

فقال رسول الله - ﷺ -: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة" (رواه البخاري). (٢)

٧- عمير بن الحمام- رضي الله عنه – و اغتنام الفرص

فهذا عمير بن الحمام: الصحابي الجليل، في يوم بدر يسمع رسول الله ﷺ يقول: ((قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض! يقول عمير: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟)) قال: نعم، قال: بخ بخ

فقال رسول الله ﷺ: ((ما يحمك على قول: بخ بخ؟))

قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: ((فإنك من أهلها))، قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله.

^١ - المعجم الكبير للطبراني - مشكول (١٢/ ٤٤٥)

^٢ - فأخرجه مسلم (ح ١٠٢٨)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٦)، والبخاري في الأدب المفرد (ح ٥١٥)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ١٨٩)

وذكر ابن جرير أن عميراً قاتل وهو يقول رضي الله عنه:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد^(١)

عبد الله بن غالب رحمه الله

إنها الجنة: فسلوا عنها عبد الله بن غالب رحمه الله:

رآه مالك بن دينار في إحدى المعارك وسمعه يقول وقد تلاحمت الصفوف إني أرى ما ليس عليه صبر.... روحوا بنا إلى الجنة.. ثم كسر جفن سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل.

وأخيراً عبد الله : قالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز: البخيل كل البخيل من تبخل عن نفسه بالجنة.

وقال رجل لابن سماك عظمي فقال: احذر أن تقدم على الجنة عرضها السماوات والأرض وليس لك فيها موضع قدم،

السجين وإضاعة فرصة النجاة

يحكى أن ، في عهد ملك من الملوك القدماء ، وكان اسمه لويس الرابع ، كان يوجد سجين ، قد حكم عليه بالإعدام شنقاً ، في جناح كم أجنحة القلعة ، وقد تقرر يوم إعدامه بالفعل ، ليكون في اليوم التالي ، ولكن السجين المحكوم عليه بالإعدام ، تفاجئ بأن الملك بنفسه ، قد دخل عليه ، وأخبره ، أنه يوجد مخرج سري ، في الزنزانة الخاصة بالسجين ، وأن ذلك المخرج يخلو تمامًا من الحرس ، والجنود .

وإذا سلك السجين تلك الحيلة ، ووجد المخرج السري ، فسوف ينجو من حكم الإعدام ، الذي تم فرضه عليه ، ولكن إذا لم يعثر السجين على المخرج السري ، فسوف يتم إعدامه في الوقت المحدد ، فهي بمثابة فرصة أخيرة له ، أخذ السجين يفكر ، فلا يوجد دليل على أن الملك صادق ، أو كاذب ، فماذا لو كان يفعل ذلك ليخدعه ؟

وبعد وقت قصير ، قرر السجين ، أن يبحث عن المخرج السري ، فلا شيء يخسره ، فإن كان الملك صادقاً ، سينجو ، وإن كان يخدعه ، فلن يحدث له شيء أكثر من الإعدام ، فهو محكوم عليه بالإعدام فعلياً ، والحكم سيتم تنفيذه في الغد ، أخذ السجين يبحث ، ويفتش في الغرفة ، التي قد سجن فيها ، عن أي مخرج سري ، وكانت الغرفة في الأساس ، تمتلئ بالزوايا ، والانحرافات .

^١ - الإصابة في تاريخ الصحابة ج ٣ ص ٣١. رواه مسلم في الإمارة (١٤٥ : ١٩٠١)

فبدأ الأمل يملأ قلبه ، بمجرد أن رأى سجادة بالية للغاية ، فأزالها من مكانها ، فوجد أن تحتها فتحة ، بها طريق طويل ، لسرداب طويل ، فدخل السجين إلى السرداب ، فوجد أنه يحتوي على درجات متصاعدة إلى أعلى ، بعضها يسلم بعض ، فأخذ يهرول ، وقد شعر بالطمأنينة ، في أن هناك أمل .

وبعد أن قطع السجين مسافة كبيرة في الصعود على الدرجات ، وجد نفسه ، قد وصل إلى نهاية البرج الموجود في القلعة ، والذي كان بينه ، وبين الأرض ، أمتار عديدة ، تتجاوز المئات ، والتي لا يمكن باي حال من الأحوال ، أن يتخطاها ، فرجع السجين إلى غرفته ، محببًا ، يملؤه اليأس ، وبدأ يخبط على الأرض بقدمه ، من شدة الغضب ، والضجر ، فوجد حجرًا يتحرك شيئًا فشيئًا ، فشعر بالأمل مرة أخرى .

أخذ السجين يزحزح الحجر ، فوجد سردابًا آخر ، ولكنه في تلك المرة كان شديد الضيق ، ولكنه دخل إليه بالفعل ، ووصل إلى آخره ، ولكنه وجده مغلقًا بالحديد ، فأخذ السجين يبحث ، ويبحث ، دون هوادة ، يحاول أن يجد المخرج ، ولكن بلا أي نتيجة حقيقية ، فتملكته الحسرة ، والاستكانة مرة ثالثة ، وأصيب باليأس ، فاستلقى راميًا نفسه على الأرض ، من الإجهاد ، والإعياء الذي أصابه ، وفي صبيحة اليوم التالي ، جاء الملك ، فوجد السجين كما هو ، فاستنكر عليه ذلك ، وسأله هل ما زلت في الغرفة ؟ فأخبر السجين الملك أنه طال بحثه ، ولكن في النهاية لم يعثر على المخرج .

فلما سمعه الملك ، ضحك ضحكة مدوية ، وقال له : طيف ذلك يا رجل ؟ فقد تركت إليك بوابة الزنزانة الخاصة بغرفتك مفتوحة على صراعيها ! فتعلم أن تولي الفرص الواضحة نصيبًا من تفكيرك ، ولا تقتصر على الفرص الخفية فقط ، التي تنقب عنها في كل مكان .

الفصل التاسع والثلاثون: قصص عن نعمة المياه

ملك لا يساوي شربة ماء

دخل ابن السماك على الرشيد، فاستسقى الرشيد ماءً، فقال له ابن السماك: بالله يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة بكم تشتريها؟ قال: بملكي، قال: لو منعت خروجها، بكم كنت تشتريه؟ قال: بملكي، فقال: إن ملكاً قيمته شربة ماء لجدير ألا ينافس عليه» (١)

قد كفى من هو خير منك

جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: {يا ابن عباس كم يكفيني من الوضوء؟ قال: مد، قال: كم يكفيني لغسلي؟ قال: صاع، فقال الرجل: لا يكفيني، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا أم لك! قد كفى من هو خير منك، رسول الله صلى الله عليه وسلم} (٢)

أفي الوضوء إسراف؟

عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ، فقال: ما هذا السرف؟ فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار. (٣)

الماء في حياة نبي الله عيسى عليه السلام

ومما أيد الله تعالى به عيسى عليه السلام - أيده بأن سخر له الماء يمشي عليه عن بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبيهم فانطلقوا يطلبونه فإذا هو قد انطلق نحو البحر وإذا هو يمشي على الماء فقال له رجل منهم يا نبي الله أجيء إليك قال نعم فذهب يرفع رجلاً ويضع أخرى فإذا هو في الماء فقال له عيسى ناولني يدك يا قصير اليقين فلو أن لابن آدم من اليقين قدر ذرة لمشى على الماء عن بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبيهم عيسى فقبل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشي على الماء يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى وعليه كساء مرتدي بنصفه ومرتزر بنصفه حتى انتهى إليهم فقال له بعضهم قال أبو هلال ظننت

^١ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن العماد الحنبلي (٣٣٦/١)

^٢ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٨٣ / ٤) وأخرجه البزار (٢٥٥)

^٣ - مسند أحمد ط الرسالة (٦٣٧ / ١١) وأخرجه ابن ماجه (٤٢٥) السلسلة الصحيحة (٧ / ٨٦٠ - ٨٦١ ح ٣٢٩٢).

انه من أفاضلهم ألا أجيء إليك يا نبي الله قال بلى قال فوضع إحدى رجليه في الماء ثم ذهب ليضع الأخرى فقال أوه غرقت يا نبي الله قال ارني يدك يا قصير الإيمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء^(١)

الماء في حياة سيد الأصفياء - ﷺ

يحدثنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما -عن ما حدث يوم الحديبية، فقال: " عطش الناس يوم الحديبية والنبي - ﷺ - بين يديه ركوة -إناء من جلد-، فتوضأ، فجهش -يعني: أسرع- الناس نحوه، فقال: (ما لكم ؟) قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا، وتوضأنا " ولما سئل جابر رضي الله عنه عن عددهم في ذلك اليوم قال " لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة " متفق عليه، واللفظ للبخاري

ويروي الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما حدث لهم في أحد الأسفار مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقد كاد الماء أن ينفد ويهلكوا في الصحراء ، يحدثنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن ذلك فيقول: " كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر، فقل الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: (حيّ على الطهور المبارك، والبركة من الله) ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل " رواه البخاري .

وقد ذكر الإمام السيوطي معاني نبع الماء من بين أصابعه فقال في شرحه لصحيح مسلم : " قيل معناه أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه وينبع من ذواتها ، وقيل معناه : إن الله كثر الماء في ذاته ، فصار يفور بين أصابعه لا من ذاته ، والأول قول الأكثرين " .

العلاء بن الحضرمي -رضي الله عنه-والمشي على الماء

عن أبي هريرة قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى البحرين تبعته فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهن أعجب انتهينا إلى شاطئ البحر فقال سموا واقتحموا قال فسمينا واقتحمنا فعبرنا فما بل الماء إلا أسافل خفاف إبلنا فلما قفلنا صرنا معه بفلاة من الأرض وليس معنا ماء فشكونا إليه فصلى ركعتين ثم دعا فاذا سحابة مثل الترس ثم أرخت غزاليها فسقينا واستقينا ومات فدفناه في الرمل فلما سرنا غير بعيد قلنا يجيء سبع فيأكله فرجعنا فلم نره^(٢).

وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء، وفي قصة العلاء بن زياد، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك، روى منجابه قال: غزونا مع

^١ - تاريخ دمشق - (ج ٤٧ / ص ٤٠٨)

^٢ -رواه الطبراني

العلاء بن الحضرمي دارين ، فدعا بثلاث دعوات فاستجيب له ، فنزلنا منزلا فطلب الماء فلم يجده ، فقام وصلى ركعتين وقال ، اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك ، نقاتل عدوك ، اللهم اسقنا غيثا نتوضأ به ونشرب ، ولا يكون لاحد فيه نصيب غيرنا ، فسرنا قليلا فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه ، فتوضأنا منه وتزودنا ، وملأت إداوتي وتركناها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا ، فسرنا قليلا ثم قلت لأصحابي: نسيت إداوتي ، فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط ، ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم ، فقال ، يا علي يا حكيم ، إنا عبيدك وفي سبيلك ، نقاتل عدوك ، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا ، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا ، ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شيء

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٦ / ٢٩٠ : حصل المشي على الماء مع الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي ، رضي الله عنه ، في مسيره إلى أهل الردة ونشر الإسلام ، فساروا على الماء وهم يتحدثون دون أن يفقدوا شيئا ، وكذلك مع العلاء ، رضي الله عنه ، أيضا حينما كان في الصحراء ليلا ونفرت إبلهم وخيولهم ، وباتوا بشر ليلة ، وفي الصباح وبعد الصلاة دعا العلاء ، رضي الله عنه ، ربه ، فجاءت سحابة وأمطرت حولهم لا تتعدهم ، فجاءت إليهم إبلهم وخيولهم ،

سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - السير على نهر دجلة:

لما فتح سعد نهر شير واستقر بها ، وذلك في صفة لم يجد فيها أحدا ولا شيئا مما يغنم ، بل قد تحولوا بكما لهم إلى المدائن وركبوا السفن وضموا السفن إليهم ، ولم يجد سعد رضي الله عنه شيئا من السفن وتعذر عليه تحصيل شيء منها بالكلية ، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها ، ورمت بالزبد من كثرة الماء بها ، وأخبر سعد بأن كسرى يزدجرد عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان ، وأنتك إن لم تدركه قبل ثلاث فأت عليك وتفارط الأمر . فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا فينا وشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه ، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعا: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل . فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور ويقول: من يبدأ فيحمي لنا الفراض - يعني ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى - ليجوز الناس إليهم آمنين ، فانتدب عاصم بن عمرو وذو البأس من الناس قريب من ستمائة ، فأمر سعد عليهم عاصم ابن عمرو فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم: من ينتدب معي لنكون قبل الناس دخولا في هذا البحر فنحمي الفراض من الجانب الآخر؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين - والأعاجم وقوف صفوف من الجانب الآخر - فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة ، فقال: ﷺ

أتخافون من هذه النطفة؟ ثم تلا قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس، وقد افترق الستون فرقتين أصحاب الخيل الذكور، وأصحاب الخيل الإناث. فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا: دبوانا دبوانا. يقولون مجانين مجانين. ثم قالوا:

والله ما تقاتلون إنسا بل تقاتلون جنا. ثم أرسلوا فرسانا منهم في الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوه من الخروج من الماء، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا الأعين، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من الماء، واتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر، ووقفوا على حافة الدجلة من الجانب الآخر ونزل بقية أصحاب عاصم من الستمائة في دجلة فحاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر فقاتلوا مع أصحابهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب وكانوا يسمون الكتيبة الأولى كتيبة الأهوال، وأميرها عاصم بن عمرو، والكتيبة الثانية الكتيبة الخرساء وأميرها القعقاع بن عمرو. وهذا كله وسعد والمسلمون ينظرون إلى ما يصنع هؤلاء الفرسان بالفرس، وسعد واقف على شاطئ دجلة. ثم نزل سعد ببقيّة الجيش، وذلك حين نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصن بمن حصل فيه من الفرسان المسلمين، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا:

نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها كأنما يسرون على وجه الأرض حتى ملئوا ما بين الجانبين، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن، والوثوق بأمر الله ووعد نصره وتأييده، ولأن أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة (١)

أبو مسلم الخولاني-رحمه الله تعالى-السير على نهر دجلة:

كان أبو مسلم الخولاني إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال: أجزوا بسم الله، ويمر بين أيديهم فيمرون بالنهر الغمر، فربما لم يبلغ من الدواب إلا الركب أو بعض ذلك قريباً من ذلك، فإذا جازوا قال للناس: هل لكم شيء؟ من ذهب له شيء فأنا له ضامن. قال: فألقى بعضهم مخلاة عمداً، فلما جاوزوا قال الرجل: مخلاتي وقعت في النهر قال له: اتبعني فإذا المخلاة قد تعلق ببعض أعواد النهر، فقال: خذها. (٢)

^١ - البداية والنهاية ط الفكر (٦٥ / ٧)

^٢ - مختصر تاريخ دمشق (١٣٨ / ٤)

عن حميد بن هلال العدوي: حدثني ابن عمي أخي أبي قال: خرجت مع أبي مسلم في جيش فأتينا على نهر عجاج منكر، فقلنا لاهل القرية: أين المخاضة؟ فقالوا: ما كانت ههنا مخاضة ولكن المخاضة أسفل منكم على ليلتين، فقال أبو مسلم: اللهم أجزت بني إسرائيل البحر، وإنا عبيدك وفي سبيلك، فأجزنا هذا النهر اليوم، ثم قال: اعبروا بسم الله، قال ابن عمي: وأنا على فرس فقلت: لأدفعنه أول الناس خلف فرسه، قال: فوالله ما بلغ الماء بطون الخيل حتى عبر الناس كلهم، ثم وقف وقال: يا معشر المسلمين، هل ذهب ل أحد منكم شيء فأدعو الله تعالى يردّه؟ (١)

الفصل الأربعون: قصص عن العناية بالأسرى

كسوة الأسرى

عن عمرو سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما كان يوم بدر أتى بأسارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي ﷺ له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر (يقدر) عليه فكساه النبي ﷺ إياه فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه (

قال ابن عيينة كانت له عند النبي ؟ يد فأحب أن يكافئه (٢)

ماذا عندك يا ثمامة

عن سعيد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة يقول بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال عندي يا محمد خير إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكِرٍ وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكِرٍ وإن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعد الغد قال ماذا عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكِرٍ وإن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله ﷺ أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

١ - البداية والنهاية ط الفكر (٦/ ٢٦١)

٢ - مسلم: كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله [١٦٤١] (٠)

والله ما كان على الأرض أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ " (١)

الرحمة بالأسرى

عن أبي أسيد الساعدي أنه قدم بسبي من البحرين ، فصفوا ، فقام رسول الله ﷺ ينظر إليهم ، فإذا امرأة تبكي ، فقال : ' وما يبكيك ؟ ' فقالت : بيع ابني في عبس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أسيد : ' لتركن فلتجيئن به كما بعث بالثمن ' فركب أبو أسيد فجاء به (٢)

الفصل الحادي والأربعون: قصص عن التعايش السلمي

أهديتم لجاننا اليهودي؟

وروي أن عبد الله بن عمرو ذبحت له شاة في أهله فلما جاء قال أهديتم لجاننا اليهودي؟ أهديتم لجاننا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)). (٣)

القيام لجنازة أهل الكتاب

عن بن أبي ليلى ، أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية ، فمرت بهما جنازة ، فقاما ، فقبل لهما : إنها من أهل الأرض ، فقالا: إن رسول الله ﷺ مرت به جنازة فقام. فقبل : إنه يهودي. فقال : أليست نفسا؟. (٤)

إن هذه أخلاق أنبياء

عن إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبيه، قال: وجد علي بن أبي طالب درعا له عند يهودي التقطها فعرفها، فقال: «درعي، سقطت عن جمل لي أورك»، فقال اليهودي: درعي وفي يدي. ثم قال له اليهودي: بيني وبينك قاضي المسلمين. فأتوا

^١ - البخاري: كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، (٤١٤).

^٢ - السنن الكبرى للبيهقي (٢١٢ / ٩)

^٣ - أخرجه الحميدي (٥٩٣). والبخاري في الأدب المفرد (١٢٨)

^٤ - أخرجه أحمد (٢٤٣٤٣) ٦/٦ و"البخاري" ١٠٧/٢ (١٣١٢).

شريحاً، فلما رأى علياً قد أقبل تحرف عن موضعه وجلس على فيه، ثم قال علي: لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تساوهم في المجلس، وألجئوهم إلى أضيق الطرق، فإن سبوكم فاضربوهم، وإن ضربوكم فاقتلوهم».

ثم قال شريح: ما تشاء يا أمير المؤمنين؟ قال: «درعي سقطت عن جمل لي أورك، والتقطها هذا اليهودي»

فقال شريح: ما تقول يا يهودي؟

قال: درعي وفي يدي. فقال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين، إنها لدرعك، ولكن لا بد من شاهدين، فدعا قنبراً مولاه، والحسن بن علي وشهدا أنها لدرعه، فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها، وأما شهادة ابنك لك فلا نجيزها.

فقال علي: ثكلتك أمك، أما سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»؟

قال: اللهم نعم. قال: أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟

والله لأوجهنك إلى بانقيا تقضي بين أهلها أربعين يوماً، ثم .

قال لليهودي: خذ الدرع.

فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين، فقضى عليه ورضي، صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك، سقطت عن جمل لك، التقطتها، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فوهبها له علي، وأجازه بتسعمائة، وقتل معه يوم صفين! (١)

أنت أعلم من كان له ذمتنا قدمه كدمناء، وديته كديتنا "

عن أبي الجنوب الأسدي، قال: أتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، قال: فقامت عليه البيعة فأمر بقتله، فجاء أخوه فقال: إني قد عفوت.

قال: فلعلهم هددوك وفرقوك وفزعوك.

^١ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤ / ١٣٩)

قال: لا، ولكن قتله لا يرد علي أخي، وعوضوني فرضيت. قال: "أنت أعلم من كان له ذمتنا فدمه كدمنا، وديته كديتنا" (١)

الفصل الثاني والأربعون: محبة الأوطان

دع القلوب تقرر، لا تشوقهم إلى مكة

وروى ابن الجوزي بسنده عن أبي بكر الهذلي، عن رجال من قومه: أن أصيلاً الهذلي قديم على رسول الله ﷺ من مكة، فقال: ((يا أصيل، كيف تركت مكة؟))، قال: يا رسول الله، تركتها وقد ابيضت بطحاؤها، واخضرت مسلاتها، يعني: شعابها، وأمشر سلمها، والإمشار: ثمر له حمرة، وأعذق إذخرها، والإعذاق: اجتماع أصوله، وأحجن ثمامها، والإحجان: تعقفه، فقال: ((يا أصيل، دع القلوب تقرر، لا تشوقهم إلى مكة)). (٢)

والله إنك لخير أرض الله

عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفا على الحزورة فقال والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت " (٣)

اللهم حبيب إلينا المدينة، كما حبيت إلينا مكة وأشد

عن عائشة قالت: لما قدم النبي ﷺ المدينة اشتكى أصحابه، واشتكى أبو بكر، وعامر بن فهيرة، مولى أبي بكر، وبلال، فاستأذنت عائشة النبي ﷺ في عيادتهم، فأذن لها، فقالت لأبي بكر: كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله.

وسألت عامرا، فقال:

إني وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوه.

وسألت بلالا، فقال:

يا ليت شعري هل أبين ليلة بفج وحولي إذخر وجليل.

^١ - سنن الدارقطني (١٧٩ / ٤) (٣٢٩٦) ضعيف

^٢ - الوافي بالوفيات (١٧٠ / ٩)

^٣ - أخرجه الترمذي (٤٢٦٧)، والنسائي في "الكبرى" (٤٢٣٨)

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقولهم ، فنظر إلى السماء ، وقال :
 اللهم حبب إلينا المدينة ، كما حببت إلينا مكة وأشد ، اللهم بارك لنا في صاعها ،
 وفي مدها ، وانقل وباءها إلى مهيجة وهي الجحفة كما زعموا. (١)

محبة النبي ﷺ للمدينة

عن أنس -رضي الله عنه- حين يقول: «أن النبي -ﷺ- كان إذا قدم من سفر فنظر
 إلى جدران المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حرّكها من حُبها» (٢)

أي حثّها على الإسراع، قال ابن بطال: «وتعجيل سيره -ﷺ- إذا نظر إليها من أجل
 أن قرب الدار يجدد الشوق للأحبة والأهل، ويؤكد الحنين إلى الوطن، وفي رسول
 الله -ﷺ- الأسوة الحسنة» (٣)، وأكد ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- أن «في
 الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه» (٤)

ما تشتهي مما كان فيه غذاؤك؟

اعتلّ سابور ذو الأكتاف بالروم، وكان مأسوراً في القدّ، فقالت له بنت ملك الروم
 وقد عشقته: ما تشتهي مما كان فيه غذاؤك؟ قال: شربةً من ماء دجلة، وشمةً من
 تربة إصطخر! فغبرت عنه أياماً ثم أتته يوماً بماء الفرات، وقبضةً من تراب شاطئه،
 وقالت: هذا من ماء دجلة، وهذه من تربة أرضك، فشرب واشتمّ من تلك التربة
 فنقه من مرضه. (٥).

^١ - أخرجه مالك الموطأ (٥٥٥) والحميدي (٢٢٣) وأحمد (٥٦/٦) والبخاري (٢٩/٣)

^٢ - البخاري، ٢٣/٣، أبواب فضائل المدينة، باب، ح: ١٨٨٦.

^٣ - شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، مكتبة الرشد، السعودية - الرياض،

١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ٤/٥٥٥.

^٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، ٣/٦٢١

^٥ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، ٣/٦٢١

الفصل الثالث والأربعون: قصص عن الحجاب

نزول آية الحجاب

أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : كنت ابن عشر سنين مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فخدمت رسول الله ﷺ عشرا من حياته ، وكنت اعلم الناس بشان الحجاب حين انزل ، وقد كان أبي بن كعب سألني عنه ، وكان أول ما نزل في مبتنى رسول الله ﷺ بزَيْنَب ابنة جحش : أصبح النبي ﷺ بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله ﷺ فأطالوا المكث فقام رسول الله ﷺ فخرج وخرجت معه كي يخرجوا فمشى رسول الله ﷺ ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة صم ظن رسول الله انهم خرجوا فرجع رسول الله ورجعت معه حتى دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يتفرقوا فرجع النبي ورجعت معه حتى بلغ عتبة حجرة عائشة فظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فأنزلت آية الحجاب فضرب بيني وبينه سترا^(١)

ألا لا يدنوا إليهن أحد

عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذن لأزواج النبي صلي الله عليه وسلم في الحج في أخر حجة حجها وبعث معهن عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

قال : فكان عثمان ينادي : ألا لا يدنوا إليهن احد ؛ ولا ينظر إليهن احد وهن في الهودج علي الابل فاذا نزلن أنزلهن بصدر الشعب وكان عثمان وعبد الرحمن بذنب الشعب فلم يصعد إليهن احد . (أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى) (٢)

لا تريد أن يراها أحد من الرجال

امرأة دخلت المستشفى جراء ألم في قدمها.. فعملت لها الفحوصات بعد أن أدخلت المستشفى.. ثم قالوا: إن هناك ثمت تحاليل إذا ظهرت في الصباح أمامها

^١ - أخرجه البخاري "٦٢٣٨" في الاستئذان : باب آية الحجاب ،

^٢ - «الطبقات الكبير» (١٠ / ١٩٩ ط الخانجي) :

خياران: إما أن يعمل لها عملية في ساقها، وإما أن تعالج بالأدوية.. فعلى حسب التحاليل سيكون القرار..

فيقلن بناتها اللاتي رافقن معها: إنها قامت وتوضأت تلك الليلة ثم قالت: " اللهم يا ربي إن كنت علمت أن الرجال سيكشفون عن ساقى وأنا ستكون عملية وسينظر الناس إلى ما لا يحل لهم وإلى شيء من جسدي اللهم يا ربي فاقبضني إليك ولا تجعل أحدا ينظر إلى ما حرمت.. اللهم يا ربي فاقبضني إليك ولا تجعل أحدا ينظر إلى مكان لا يحل له.. اللهم يا ربي فاقبضني إليك ولا تأذن لعين أن تقع على شيء من جسدي.."

فلما كان الصباح واستيقظن البنات وحركن أمهن وهززنها فلا والله ما ردت عليهن وقد استجاب الله جل جلاله دعائها. فقد فُرت العملية ووقعت الأوراق وقد صعدت تلك الروح إلى ربي جل جلاله.. فاللهم اجعلها واكتبها في عليين.. اللهم يا ربي اجعلها في الفردوس الأعلى من الجنة.. فهكذا الحياء يفعل بالناس فما بال الأحياء لا يستحون..^(١)

ثبات أخت متحجة

هذه قصة أخت متحجة..تقية..طاهرة.. شريفة، كانت مع زوجها في باخرة السلام التي غرقت وهي في طريقها من السعودية إلى مصر، يقول زوجها ويقسم بالله:

والله يا شيخ لما سمعت أن السفينة تغرق، وأنّ الناس تصرخ وتبكي، قلت لزوجتي وأنا معها في الغرفة: قومي هيا بسرعة هيا اخرجي، إن المركب يغرق.

قالت: كلا، انتظر. قلت: ماذا انتظر، اخرجي بسرعة. قالت: انتظر حتى ألبس النقاب، قلت: هذا وقت نقاب. قالت: والله لن أخرج (إلا وأنا متنقبة) حتى إن مت ألقى الله وأنا على طاعة.

والله ما خرجت إلا بعد أن لبست ثيابها، إنه الحياء هكذا يصنع الإيمان بأهله أيها الأحبة، أيها الشباب والفتيات، قال: لبست ثيابها، ولبست نقابها، ولبست قفازيها، ولبست سروالها، ولبست الثياب كاملة وخرجت مع زوجها.

يقول زوجها: والله لما صعدنا على سطح المركب، وعلمت أننا هالكون وأن المركب غارقة، يقول: وجدت امرأتي تتعلق بي وتقول: أستحلفك بالله هل أخطأت في حقك قبل اليوم.

^١ -من شريط: هي القاتلة. للدكتور عبدالمحسن الأحمد

قال: لا والله. قالت: سامحني، قال لها: سامحتك. يقول: والله إذا بها تقول: " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله " ثم نظرت إلي وقالت: أرجو الله أن يجمعني بك في الجنة.

الفصل الرابع والأربعون: خطورة الفتوى

أنت لا تدري

قال الزهري عن خالد بن أسلم أخى زيد بن أسلم رحمة الله عليهما قال : كنا مع ابن عمر فسأله أعرابي أترث العمة ، فقال لا أدري قال : أنت لا تدري قال نعم اذهب إلى العلماء فاسألهم فلما أدبر الرجل قبل ابن عمر يده فقال : (نعم ما قال أبو عبد الرحمن : سئل عن ما لا يدري ، فقال لا أدري^(١))

يبكي لأنه ظهر من يفتي بغير علم

أن رجلاً رأى ربيعة بن عبد الرحمن -رحمه الله- يبكي فقال له: ما يبكيك؟ فقال: استفتي من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم قال ربيعة: ولبعض من يفتي هاهنا أحق بالسجن من السراق ((^(٢))

إني لا أتكلم إلا فيما أحسب فيه الخير

قال ابن مهدي: سأل رجل مالك بن أنس عن مسألة فطال ترداده إليه فيها، وألح عليه فقال: ما شاء الله! يا هذا إني لم أتكلم إلا فيما أحسب فيه الخير ولست أحسن مسألتك هذه. (^(٣))

: أي شيء أقول لأهل بلدي

قال عبد الرحمن بن مهدي -رحمه الله-: كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال له: يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر حملني أهل بلدي مسألة أسألك عنها. قال: فسل. فسأله الرجل عن المسألة، فقال: لا أحسنها. قال: فبهت الرجل كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء. فقال: أي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم؟!

^١ - الآداب الشرعية لابن مفلح رحمه الله (١٣٥/٢)

^٢ - جامع بيان العلم وفضله - مؤسسة الريان (٣٨٨ / ٢) ذكره في الكواكب النيرات ص ٣١ "تحقيق حمدي السلفي".

^٣ - الآداب الشرعية - ابن مفلح (١٣٦ / ٢)

قال: تقول لهم: قال مالك: لا أحسن " (١)

الفصل الخامس والأربعون: قصص عن السعادة

السعادة ليست في المال

ويحكى أن أحد الأثرياء كان لديه خادم يحرس القصر الذي يسكن فيه ذلك الثري ، فكان هذا الثري في قصره الكبير لا يحس بطعم الراحة فهو مريض يتناول الأدوية قبل الأكل وفي وسطه وفي آخره ، بل يظل طوال الليل يتقلب من الألم ولا يستطيع النوم ، وذاك الخادم الفقير يسكن بجوار باب القصر في غرفة صغيرة هو وزوجته وأولاده ، فيظلون إلى منتصف الليل يضحكون ويصفقون ويغنون ، فقال الثري في نفسه هؤلاء لا يملكون إلا قوت يومهم ويعيشون في هذه السعادة فما بالهم لو كان معهم بعض المال ، فذهب إليهم ذات يوم وقال لهذا الحارس سأعطيك كل يوم خمسون جنيهاً تشتري بها بيضاً وتجلس تبنيه أما القصر ونتقاسم المكسب ، وفي الليلة الأولى سمعهم يضحون ويغنون ولكن إلى ما بعد العشاء بساعة وليس إلى منتصف الليل ، وفي الليلة الثانية سكنت أصواتهم بعد العشاء مباشرة ، وفي الليلة الثالثة سمع أصوات الشجار والصراخ ، ثم دخل عليه ذلك الحارس المسكين ومعه ما تبقى من البيض وما كسب من مال ، وقال له يا سيدي هذا بيضك ومالك، ودعنا نعود إلى حالنا السابق من الضحك والغناء ، فلقد أفسد علينا المال سعادتنا .

إني أجد سعادتي في إيماني ، وإيماني في قلبي

يذكر أن زوجاً قال لزوجته بغضب: لأشقيئك. فقالت الزوجة في هدوء وإيمان وعزة: لا تستطيع أن تشقيني كما لا تستطيع أن تسعدني. فقال الزوج في حنق: وكيف لا أستطيع؟ فقالت الزوجة في ثقة: لو كانت السعادة في راتب لقطعتة عني أو زينة من الحلي لحرمتني منها، ولكنها في شيء لا تملكه أنت ولا الناس أجمعون! فقال الزوج في دهشة: وما هو؟ فقالت الزوجة في يقين: إني أجد سعادتي في إيماني ، وإيماني في قلبي ، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي .

^١ - جامع بيان العلم وفضله (١١٧/٢)

من الإمارة إلى النجاة

عليُّ بنُ المأمون العباسي - أميرُ وابنُ خليفة - كان يسكنُ قصرًا فخماً ، وعندهُ الدنيا مبدولةً ميسرةً ، فأطلَّ ذات يومٍ من شرفةِ القصرِ ، فرأى عاملاً يكدحُ طيلةَ النهارِ ، فإذا أضحى النهارُ توضّأ وصلى ركعتين على شاطئِ دجلة ، فإذا اقترب الغروبُ ذهب إلى أهله ، فدعاهُ يوماً من الأيام فسأله فأخبره أن له زوجةً وأختين وأماً يكدحُ عليهنَّ ، وأنه لا قوت له ولا دخل إلا ما يتكسبه من السوقِ ، وأنه يصومُ كلَّ يومٍ ويُفطرُ مع الغروبِ على ما يحصلُ ، قال : فهل تشكو من شيءٍ ؟

قال : لا والحمدُ لله ربِّ العالمين . فترك القصرَ ، وترك الإمارة ، وهام على وجهه ، ووُجد ميتاً بعد سنواتٍ عديدةٍ وكان يعملُ في الخشبِ جهة خرسان ؛ لأنه وجد السعادة في عمله هذا ، ولم يجدها في القصرِ ، ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ .

الفصل السادس ة الأربعون: إسهامات المرأة المسلمة

دفاع السيدة نسيبة-رضي الله عنها عن رسول الله -ﷺ-

عن عمارة بن غزية قال: قالت أم عمارة: رأيتني، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ، فما بقي إلا في نفر ما يتمون عشرة ؛ وأنا وابنائي وزوجي بين يديه نذب عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلاً مولياً ومعه ترس، فقال: ألق ترسك إلى من يقاتل.

فألقاه، فأخذته.

فجعلت أترس به عن رسول الله.

وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل ؛ لو كانوا رجالاً مثلنا أصبناهم، إن شاء الله.

فيقبل رجل على فرس، فيضربني، وترست له، فلم يصنع شيئاً، وولي ؛ فأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره.

فجعل النبي ﷺ يصيح: يا ابن أم عمارة، أمك! أمك! قالت: فعاونني عليه، حتى أوردته شعوب (١)

صفية بنت عبد المطلب-رضي الله عنها-وهي أول امرأة قتلت رجلاً من اليهود.

تحدث هي عن نفسها رضي الله عنها قالت: أنا أول امرأة قتلت رجلاً: كان حسان معنا، فمر بنا يهودي فجعل يطيف بالحصن، فقلت لحسان: إن هذا لا آمنه أن

^١ - المنهج الحركي للسيرة النبوية (٢/ ٣٩١)

يدل على عورتنا، فقم فقتله. قال يغفر الله لك ! لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، فاحتجرت وأخذت عموداً، ونزلت، فضربت حتى قتلتها.. (١)

استشارة النبي - ﷺ - لام سلمة - رضي الله عنها -

عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه - في حديث الحديبة - قال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً) أخرجه البخاري. (٢)

دور المرأة في الحياة الزراعية:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: طُلقت خالتي، فأرادت أن تجد نخلها فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبي ﷺ، فقال: "بلى فجدي نخلك، فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفاً" رواه مسلم، ومعنى تجدي نخلك: تقطعي ثمره. (٣)

حرص المرأة على طلب العلم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ نُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. فَقَالَ: "اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا فَاجْتَمِعْنَ". فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: "مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ" فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ اثْنَيْنِ قَالَ: "فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ". (٤)

الفصل السابع والأربعون: قصص عن توقير العلماء وأهل الفضل

ذلك رجل من عمال الله

وجاء محمد بن أبي بشر إلى الإمام أحمد يسأله عن مسألة فقال: ائت أبا عبيد - يعني: القاسم بن سلام-، فإن له بياناً لا تسمعه من غيره، يقول: فأتيته فشفاني

^١ - رواه الحاكم برقم (٥١/ ٤) وصححه

^٢ - أخرجه أحمد (٣٢٣/٤، ٣٢٨) والبخاري (٢٠٦/٢)

^٣ - أخرجه أحمد (٣٢١/٣). والدارمي (٢٢٩٣)، ومسلم (٢٠٠/٤)

^٤ - صحيح البخاري (١٠١ / ٩).

جوابه، فأخبرته بقول أحمد، يعني: أن الإمام أحمد أحالي عليك، وقال فيك ما قال، فقال: ذلك رجل من عمّال الله، نشر الله رداء عمله -يعني الله -عز وجل- أظهر عمله الطيب للناس، وإن أخفاه هو-، وذخر له عنده الزلفى، أما تراه محبباً مألوفاً؟ ما رأت عيني بالعراق رجلاً اجتمعت فيه خصال هي فيه، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم، فإنه لكما قيل:

يَزِينُكَ إِمَّا غَابَ عَنْكَ فَإِنْ دَنَا رَأَيْتَ لَهُ وَجْهًا يَسْرُكُ مُقْبِلًا
يَعْلَمُ هَذَا الْخَلْقَ مَا شَدَّ عَنْهُمْ مِنْ الْأَدَبِ الْمَجْهُولِ كَهَفًا وَمَعْقِلًا
وَيَحْسِنُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ إِذَا رَأَى مُضِيْمًا لِأَهْلِ الْحَقِّ لَا يَسْأَمُ الْبَلَا
وَإِخْوَانُهُ الْأَدْنَوْنَ كُلُّ مُوَفِّقٍ بِصِيرٍ بِأَمْرِ اللَّهِ يَسْمُو عَلَى الْعُلَا^(١)

والله لو رآك أبي لقام إليك

ولما مات سعيد بن أحمد بن حنبل جاء إبراهيم الحربي وهو إمام كبير إلى عبد الله بن أحمد يعزيه، فقام إليه عبد الله، الحربي يقول لابن الإمام أحمد لعبد الله: تقوم إلي؟ قال: والله لو رآك أبي لقام إليك، فقال إبراهيم: والله لو رأى ابن عيينة أباك لقام إليه، ابن عيينة من طبقة أعلى من طبقة الإمام أحمد، قبله.

وجاء عن المروزي قال: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: قال لي رجل: من هنا إلى بلاد الترك يدعون لك، فكيف تؤدي شكر ما أنعم الله عليك؟، هذا رجل يقول للإمام أحمد: جعل الله لك الذكر الطيب، والسمعة الحسنة، والمحبة في قلوب الخلق، فهم يدعون لك إلى بلاد الترك، يقول: قال الإمام أحمد -رحمه الله-: أسأل الله أن لا يجعلنا مرأئين^(٢).

أن لا يكون ذلك استدراجاً

قال له رجل: إن الناس يدعون لك حتى اليهود والنصارى، الرجل يقول: إنه أتى من الثغر مكان الرباط، يقول: فكان الناس يضربون بالمنجنيق، ويقولون: هذا عن الإمام أحمد، المنجنيق مثل المدفع، حتى إنهم يقولون: علا رجل على بعض قلاع العدو، فضرب رجل بالمنجنيق وقال: هذا عن الإمام أحمد، فأطارت رأس ذلك الرجل، فقال الإمام أحمد: أسأل الله أن لا يكون ذلك استدراجاً^(٣).

^١ -سير أعلام النبلاء (٢٠١/١١).

^٢ -مناقب الإمام أحمد (ص: ٢٠٢).

^٣ -سير أعلام النبلاء (٣١٢/١١).

ما رأيت أكثر هيبة من الإمام

ويقول المروزي: قال جارنا فلان: دخلت على إسحاق بن إبراهيم الأمير وفلان وفلان، وذكر سلاطين، ما رأيت أهيب من أحمد بن حنبل، هذا دخل على السلاطين ويقول: ما رأيت أكثر هيبة من الإمام أحمد، سرْتُ إليه أكلمه في شيء فوقعت عليَّ الرعدة من هيبتة، يقول: ارتبكت وصرت أرتجف من الإمام أحمد، ثم قال المروزي: ولقد طرقه الكلبي صاحب خبر السر ليلاً -يعني خبر السر للسلطان-، فمن هيبتة لم يقرعوا، يعني ما استطاعوا أن يدقوا بابَه، ودقوا باب عمه. (١)

كيف تركت أبا عبد الله؟

عن سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس بNDAR فلما وقع بصره علي قال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بخارى، فقال لي: كيف تركت أبا عبد الله يعني: البخاري؟ ما عرفه، يسأله عن البخاري والبخاري هو الذي أمامه، كيف تركت أبا عبد الله؟، فأمسكتُ فقالوا له: يرحمك الله، هو أبو عبد الله، فقام وأخذ بيدي وعانقني وقال: مرحباً بمن أفتخر به منذ سنين (٢)

أحمد الله فهذا علم قد نُشر لك،

ويقول الخلال: خرج أبو بكر المروزي إلى الغزو فشيوعوه إلى سامراء، يعني من بغداد إلى سامراء، فجعل يردهم فلا يرجعون، قال: فحُزروا، الناس يعني حُزروا، فإذا هم بسامراء سوى من رجع نحو خمسين ألفاً.

هؤلاء الذين خرجوا يشيوعونه نحو خمسين ألفاً، فقليل له: يا أبا بكر، أحمد الله فهذا علم قد نُشر لك، فبكي وقال: ليس هذا العلم لي إنما هو لأبي عبد الله أحمد، يعني المروزي من تلاميذ الإمام أحمد، فيجله الناس هذا الإجلال ويخرج معه أكثر من خمسين ألفاً يشيوعونه لما أراد الغزو، فيقولون له: هذا علم نُشر لك، يقول: لا، هذا علم الإمام أحمد، إنما عرفوني بالإمام أحمد -رحمه الله. (٣)

الفصل الثامن والأربعون: قصص عن حرمة المال العام

يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك

عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: لما احتضر أبو بكر -رضي الله عنه- قال: يا عائشة أنظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبح فيها

١ -

٢ - تاريخ بغداد وذيوله (١٧ / ٢).

٣ -

والقطيفة التي كنا نلبسها فإننا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين فإذا مات فاردديه إلى عمر فلما مات أبو بكر-رضي الله عنه- أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه: -رضي الله عنك- يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك^(١)

موقف عمر من هدية ملكة الروم لزوجته أم كلثوم:

جاء في تاريخ الطبري: وقالوا ترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه.. وبعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش من أحفاش النساء، ودسته إلى البريد فأبلغه لها وأخذ منه، وجاءت امرأة هرقل وجمعت نساءها وقالت: هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم. وكاتبها وكافأها وأهدت لها، وفيما أهدت لها عقد فاخر، فلما انتهى به البريد إليه، أمره بإمساكه، ودعا الصلاة جامعة، فاجتمعوا فصلى بهم ركعتين، وقال: إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شوري من أموري، قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم، فأهدت لها امرأة ملك الروم. فقال قائلون: هو لها بالذي لها، وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به ولا تحت يدك فتتقيك. وقال آخرون: قد كنا نهدي الثياب لنسثيب، ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمنًا، فقال: ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم، والمسلمون عظموها في صدرها. فأمر بردها إلى بيت المال، ورد عليها بقدر نفقتها^(٢).

محاسبة عمر بن الخطاب لابنه عبد الله لما اشترى فيء جلولاء

قال عبد الله بن عمر: شهدت جلولاء- إحدى المعارك ببلاد فارس- فابتعت من المغنم بأربعين ألفاً، فلما قدمت على عمر قال: رأيت لو عرضت على النار فقل لك: افتده، أكنت مفتدياً به؟ قلت: والله ما من شيء يؤذي بك إلا كنت مفتدياً بك منه. قال: كأني شاهد الناس حين تبايعوا فقالوا: عبد الله بن عمر صاحب رسول الله، وابن أمير المؤمنين وأحب الناس إليه- وأنت كذلك- فكان أن يرخصوا عليك أحب إليهم من أن يغلوا عليك، وإنني قاسم مسئول وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش، لك ربح الدرهم درهم، قال: ثم دعا التجار فابتاعوا منه بأربعمائة ألف درهم، فدفع إلي ثمانين ألفاً، وبعث بالباقي إلى سعد بن أبي وقاص ليقسمه^(٣).

^١ - تاريخ الخلفاء (ص: ٧٢)

^٢ - تاريخ الرسل والملوك - تاريخ الطبري (٢/ ٦٠١)

^٣ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٣/ ٢٧٠)

منع جر المنافع بسبب صلة القربى به:

عن أسلم قال: خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر في جيش إلى العراق فلما قفلا مرا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة فرحب بهما وسهل، وقال: لو أقدر لكم على أمر أنفعكما به لفعلت، ثم قال: بلى، ها هنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين، وأسلفكما، فتبيعان به متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين، ويكون لكما الربح. ففعلا، وكتب إلى عمر أن يأخذ منهما المال. فلما قدما على عمر قال: أكلَّ الجيش أسلف كما أسلفكما؟ فقالا: لا. فقال عمر: أدّيا المال وربحه، فأما عبد الله فسكت، وأما عبيد الله فقال: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين، لو هلك المال أو نقص لضمانه. فقال: أدّيا المال. فسكت عبد الله وراجعاه عبيد الله. فقال رجل من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضا (شركة). فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال. قالوا: هو أول قراض في الإسلام. (١)

عن فرات بن مسلم، قال: انتهى عمر بن عبد العزيز تفاحاً، فطلب له فلم يوجد، فركب وركبنا معه، فتلقاها غلمان من الديارنة بأطباق فيها تفاح؛ فوقف على طبق منها، فتناول تفاحة [فشمها ثم أعادها] في الطبق، ثم قال: ادخلوا ديركم، لا أعلم أنكم بعثتم إلى أحد من أصحابي بشيء. قال: فحركت بغلتي، فلحقته، فقلت: يا أمير المؤمنين، انتهيت التفاح فطلب لك فلم يوجد، ثم أهدي لك [فرددته، ألم يكن] رسول الله - ﷺ - وأبو بكر وعمر يقبلون الهدية؟ قال: إنها لرسول الله - ﷺ - وأبي بكر وعمر هدية، وللعمال بعدهم رشوة (٢)

قصة عمر بن عبد العزيز وعبسة

: واثاه أحد بني عمه وأسمه عبسة ابن سعيد وكان سليمان أمر له بعشرين ألف دينار ومات سليمان قبل أن يقبضها فأتى عبسة يرجوا عمر أن يمضي عطاء سليمان فلما جلس إليه قال يا أمير المؤمنين إن أقاربك وبني عمك يشتكونك قال وما ذاك. قال.

يذكرون أنك لا تعطيهم كما يعطي الخلفاء قبلك.

قال: يا إن مالي لا يتسع لهم فأقسمه بينهم .

قال: يا أمير المؤمنين إنهم لا يسألونك من مالك ولكن يسألونك من بيت المال .

^١ - (م) مختصر تاريخ دمشق (١٥ / ٣٤٥)

^٢ - (ن) تاريخ الرقة (ص: ١٠٣) (١٨٠) صحيح

قال: من بيت مال المسلمين يسألوني! والله مالهم ولرجل في أقصى المغرب في بيت المال سواء قال. يا أمير المؤمنين إن سليمان قد أمر لي بعشرين ألف وأنه مات قبل أن أقبضها وأنت أحق من أمضى عطاءه فانتفض عمر وقال. عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف من المسلمين أعطيكمها، لا والله لا أعطيكمها أبدا.

فقام عنبسه يائساً منه وهو الذي يذكر قرباه وسابق مودته فلما وصل الباب ناداه عمر يا أبا خالد يعني عنبسه. فحدثت نفسي وقلت ذكر أمير المؤمنين قرابتي وسابق صداقتي فأشفق علي ورجع عما كان قاله. فلما أتيت إليه قال. يا عنبسه أذكر الموت فإنه ما ذكر في قليل إلا كثره وما ذكر في كثير إلا قلله.

الفصل التاسع والأربعون: قصص عن ذوو الاحتياجات الخاصة

انظري أَيَّ السَّكِّ شِئْتَ

عن أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت :- يا رسول الله إن لي إليك حاجة! فَقَالَ :- يَا أُمَّ فُلَانٍ! انظري أَيَّ السَّكِّ شِئْتَ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ"، فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها (١)

الدعاء لهم

عثمان بن حنيف - رضي الله عنه - : «أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي - ﷺ - ، فقال : ادع الله أن يعافيني ، فقال : إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت ، فهو خير لك ، قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد : نبي الرحمة ، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي ، اللهم فشفعه في». (٢).

تبشيرهم بالجنة

عن أبي قتادة أنه حضر ذلك قال أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة وكانت رجله عرجاء قال رسول الله ﷺ نعم فقتلوا يوم أحد هو وابن أخيه

^١ - أخرجه مسلم (٧/ ٧٩ - ٨٠)

^٢ - أخرجه أحمد (١٣٨/٤) وابن ماجه (١٣٨٥). والترمذي (٣٥٧٨)

ومولى لهم فمر عليه رسول الله ﷺ فقال كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاها فجعلوا في قبر واحد (١)

الفصل الخمسون: قصص عن ثقافة الحوار وآدابه

حوار النبي المختار-ﷺ-للأنصار رضي الله عنهم أجمعين-

عن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى رسول الله ﷺ -ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم: لقي رس ول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عباد، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفياء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟»

قال: يا رسول الله، ما أنا إلا امرؤ من قومي، وما أنا؟

قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة»، قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم، فدخلوا وجاء آخرون، فردهم، فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، قال: فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، بالذي هو له أهل، ثم قال: «يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله؟

وعالة فأغناكم الله؟

وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟»، قالوا: بل الله ورسوله أمن وأفضل. قال: «ألا تجيبونني يا معشر الأنصار» قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولله ولسوله المن والفضل. قال: «أما والله لو شئتم لقلتكم فلصدقتكم وصدقتم، أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وعائلا فأسيناك (٢)، أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة (٣) من الدنيا، تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله في رحالككم؟

١ - أخرجه ابن سعد ٤٦/٣-٤٧، وابن أبي شيبة ٥١٢/١٤، والدارمي (٢٤٤٨)، والنسائي (٨١٥٩) و (٨٢٨٢)

٢ - فأغنيناك

٣ - أي بقية يسيرة .

فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار» قال: فبكى القوم، حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا (١)

حوار النبي -ﷺ- للفتى الذي جاء يطلب منه الرخصة في الزنا

عن أبي أمامة قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: أدنه، فدنا منه قريباً.

قال: فجلس

قال: أتحبه لأملك؟

قال: لا. والله جعلني الله فداك.

قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال: أفتحبه لابنتك؟

قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداك

قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم.

قال: أفتحبه لأختك؟

قال: لا. والله جعلني الله فداك.

قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم.

قال: أفتحبه لعمتك؟

قال: لا. والله جعلني الله فداك.

قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم.

قال: أفتحبه لخالتك؟

قال: لا. والله جعلني الله فداك.

قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

١ - أخرجه أحمد (٧٦/٣ ، رقم ١١٧٤٨) قال الهيثمي (٣٠/١٠)

قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحسن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. (١)

عن أنس بن مالك قال: « نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية، العاقل، فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية، فقال: يا محمد، أتانا رسولك، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: صدق، قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله، قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال، آله أرسلك؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، قال: صدق، قال: فبالذي أرسلك آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟ قال: صدق، قال: فبالذي أرسلك آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا؟ قال: صدق، قال: فبالذي أرسلك آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا؟ قال: صدق، قال: ثم ولي، قال: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ: لئن صدق ليدخلن الجنة. » (٢).

أنس بن مالك (رضي الله عنه): بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرائهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكى. فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي ﷺ: قد أجبتك. فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: سل عما بدا لك. فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: اللهم نعم. فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر (٣).

أبو أيوب: « أن أعرابيا عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة وما

١ - أخرجه أحمد ح (٢٢٢٦٥) وانظر الصحيحة: ٣٧٠ ، وقال الأرئوط: إسناده صحيح.

٢ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١١١).

٣ - صحيح البخاري، ج ١، كتاب العلم، ص ٣٩، رقم ٦٣.

يباعدني من النار، قال: فكف النبي ﷺ، ثم نظر في أصحابه، ثم قال: لقد وفق، أو لقد هدي، قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد، فقال النبي ﷺ: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة. «(١)».

عن مسرة بن معبد من بني الحارث بن أبي الحرام من لخم عن الوضين: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي بنت لي فلما أجابت، وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها، فدعوتها يوماً، فاتبعني فمررت حتى أتيت بئراً من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها فرديت بها في البئر، وكان آخر عهدي بها أن تقول: يا أبتاه يا أبتاه فبكى رسول الله ﷺ حتى وكف دمع عينيه، فقال له رجل من جلساء رسول الله ﷺ، أحزنت رسول الله ﷺ، فقال له: «كف فإنه يسأل عما أهمه» ثم قال له: "أعد علي حديثك فأعاده، فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته، ثم قال له: «إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا، فاستأنف عملك» (٢)

حوار النبي مع المشركين

حوار النبي - صلى الله عليه وسلم - لعتبة بن ربيعة - لعنه الله -

يقول عتبة بن ربيعة (٣) وهو يساوم رسول الله ﷺ - على ترك الإسلام: «يا ابن أخي، إنك منّا حيث قد علمت من السّطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، وسقّيت به أحلامهم، وعيّبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها». فقال له رسول الله ﷺ -: «قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ». قال: «يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا؛ حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا؛ حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رتيّاً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرّئك منه؛ فإنّه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُدَاوى منه». حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ - يستمع منه قال: «أَقْدُ فَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟» قال: نعم. قال ﷺ -: «فَاسْمَعْ مِنِّي».

^١ - صحيح البخاري، ج ١، كتاب العلم، ص ٣٩، رقم ٦٣.

^٢ - سنن الدارمي، كتاب المقدمة، رقم (٢).

^٣ - عتبة بن ربيعة: من حكماء قريش، وكان سبباً في إنهاء حرب الفجار، إلا أنه اتبع هواه ولم يسلم، وكان ممن أذى النبي ﷺ وأصحابه إيذاءً شديداً، وضرب أبا بكر يوماً ضرباً شديداً، حتى إن بني تيم (قبيلة أبي بكر) قالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة. قُتل كافراً في بدر ومعه ابنه الوليد.

قال: أفعل.

فقرأ r: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {حم} (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ
فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا
يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ
حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا غَافِلُونَ} [فصلت ١-٥].

ثم مضى رسول الله -ﷺ- فيها يقرأها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها،
وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله -ﷺ- إلى
السجدة منها، فسجد ثم قال: «قَدْ سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتُ فَأَنْتَ وَذَاكَ».
فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: «نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد
بغير الوجه الذي ذهب به». فلما جلس إليهم قالوا: «ما وراءك يا أبا الوليد؟» قال:
«ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا
بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش، أطيعوني، واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا
الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليَكُونَنَّ لقوله الذي سمعتُ منه نبأً
عظيم، فإن تُصِبْهُ العرب فقد كُفِيَتْموهُ بِغَيْرِكُمْ، وإن يظهر على العرب فمُلْكُهُ
مُلْكُكُمْ، وعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وكنتم أسعدَ الناس به». قالوا: «سحرك والله يا أبا الوليد
بلسانه!!». قال: «هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم» (١)

" فقالوا: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب
أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت
الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، وما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما
بيننا وبينك. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا
حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت
تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك
- وكان يسمون التابع من الجن الرئي - فربما كان ذلك؛ بذلنا لك أموالنا في طلب
الطب حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك؟ "

فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم،
ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً،
وأمرني أن أكون لكم بشيراً نذيراً، فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا

^١ - مسند أبي يعلى (١٨١٨)، وابن هشام في السيرة ٢٩٣/١، ٢٩٤، والبيهقي في الدلائل ٢٣٠/١، ٢٣١، وأبو نعيم في الدلائل (١٨٢).

مني ما جئتمكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم (١).

" قالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً، ولا أقل مالاً، ولا أشد عيشاً منا؛ فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال، التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيما يبعث لنا منهم: قصي بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل؟ فإن فعلت ما سألناك وصدقوك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بهذا بعثت إليكم إنما جئتمكم من عند الله بما بعثني به، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوا عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وتسأله فيجعل لنا جناتاً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، ويغنينا عما نراك تبتغي، فإنك تقوم في الأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم.

فقال لهم: ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل. فقال ﷺ: ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك

فقد مشى أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظام رميم، وهو يفتّه ويذروه في الهواء، وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال ﷺ: نعم يميئك الله تعالى، ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار" وفي رواية أخرى: إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففتّه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أحيي هذه الله بعد ما أرى؟ قال رسول الله: نعم يميئك ثم يحييك ثم يدخلك جهنم" (٢)

٢ - السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الثاني، فصل: " زعماء قريش تفاوض الرسول صلى الله عليه وسلم، وانظر: البداية والنهاية، الجزء الثالث، فصل " اعتراض المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حوار النبي لليهود

عن عبد الله بن مسعود قال: (بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في طرف المدينة وهو يتوَكَّأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه؛ لا يجيء بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسأله؛ فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه، فقلت، فلما انجلي عنه قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] (١)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "أتى رسول الله ﷺ بيهودي ويهودية قد أحدثا جميعاً.

فقال لهم: ((ما تجدون في كتابكم؟))، قالوا: إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتَّجْبِيَةَ.

قال عبد الله بن سلام: ادعهم يا رسول الله بالتوراة، فأتي بها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها.

فقال ابن سلام: ارفع يدك، فإذا بآية الرجم تحت يده.

فأمَرَ بهما رسول الله ﷺ فرُجِمَا" (٢)

عن أنس رضي الله عنه قال: "بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مَقْدَمُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ؛ قَالَ: مَا أُولُ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أُولُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟

وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخُوهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَخْبَرَنِي بِهَذَا آتِفًا جَبْرِيلُ))، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَمَّا أُولُ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ: فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أُولُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: فِزْيَادَةُ كَبِدِ الْحَوْتِ، وَأَمَّا الشَّبَّهُ فِي الْوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَّهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَّهُ لَهَا))، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتُ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بِهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟)).

١ - أخرجه البخاري في كتاب العلم، ٤٧، قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

٢ - البخاري (٣٦٣٥، ٦٨٤١)، ومسلم (١٦٩٩ / ٢٧).

قالوا: أعلّمنا وابن أعلّمنا، وأخبرنا وابن أخبرنا؛ فقال رسول الله ﷺ ((أفأريتم إن أسلم عبد الله؟))،

قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله؛ فقالوا: شَرُّنا وابن شَرِّنا، ووقَّعوا فيه" (١).

الفصل الحادي والخمسون إسهامات الشباب في الحضارة الإسلامية

ألا تغطوا عنا است قارئكم

عن عمرو بن سلمة قال أيوب فقال لي ابو قلابة ألا تلقاه فتسأله قال فلقيته فسألته فقال كنا بماءٍ ممر الناس يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما للناس ما هذا الرجل فيقولون يزعم أن الله أرسله أوحى إليه أوحى إليه كذا فكنت أحفظ ذلك الكلام فكأنما يغرى في صدري وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق فلما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبدر أبي قومي بإسلامهم فلما قدم قال جئتكم

والله من عند النبي حقاً فقال: صلوا صلاة كذا في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنًا فنظروا فلم يكن أحدٌ أكثر قرآنًا مني لما كنت أتلقى من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين وكان علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني فقالت امرأة من الحي ألا تغطوا عنا است قارئكم فاشتروا فغطوا لي قميصاً فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص) (٢)

أيكما قتله

معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما ونترك الحديث عن هذا الموقف العجيب للصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كما في صحيح البخاري قال : بينما أنا في الصف يوم بدر إذ نظرت عن يميني وعن شمالي فإذا بغلامين من الأنصار حديثه أسنانهما فتمنيت لو أن غيرهما كان بجواري ليحميني فغمزني احدهما فقال يا عم أتعرف أبا جهل قلت نعم وما حاجتك إليه قال سمعت انه يسب رسول الله والذي نفسي بيده لأن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا ثم غمزني الآخر فقال لي مثل مقالة صاحبه ثم لم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت هذا صاحبكما فانقضا عليه كالصقرين فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول

١ - صحيح البخاري ١/ ٤٥٩ ، ٥٥٦ ، ٥٦١ .

٢ - البخاري حديث رقم ٤٣٠٢ ، والإمام احمد في المسند ٤٤٣/٣٣

الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أيكما قتله قال كل منهما أنا قتلتها قال هل مسحتهم سيفيكما قال لا فنظر في السيفين.

فقال ﷺ: كلاكما قتله (١)

تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي

عند زيد بن ثابت رضي الله عنه فيأتي قومه إلى النبي ﷺ مفاخرين بما حصل صاحبهم يحدثنا عن ذلك فيقول: ذهب بي قومي إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك النبي ﷺ وقال يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي. قال زيد فتعلمت كتابهم ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب عنه إذا كتب. (٢)

لكل نبي حوارٍ، وحواريّ الزبير

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: (من يأتينا بخبر بني قريظة؟) ثم ندبهم الثانية ثم ندبهم الثالثة فانتدب الزبير

فقال النبي ﷺ: (لكل نبي حوارٍ وحواريّ الزبير) (٣)

شجاعة نادرة

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه- غزوت مع رسول الله - ﷺ - هوازن قال: فبينما نحن نتضحى مع رسول الله - ﷺ - إذ جاء رجل على جمل أحمر فأناخه ثم انتزع طلقاً من حقه فقيد به الجمل، ثم تقدم يتغدى مع القوم، وجعل ينظر وفينا ضعفة ورقة في الظهر وبعضنا مشاة، إذ خرج يشدد فأتى جملة فأطلق قيده ثم أناخه وقعد عليه فأثاره فاشتد به الجمل، فاتبعه رجل على ناقة ورقاء، قال سلمة: وخرجت أشدد فكنت عند ورك الناقة، ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل، ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل فأنخته، فلما وضع ركبته إلى الأرض اخترطت سيفي فضربت رأس الرجل فنذر ثم جئت بالجمل أقوده عليه رحله وسلاحه، فاستقبلني رسول الله - ﷺ - والناس معه فقال: «من قتل الرجل؟». قالوا: ابن الأكوع، قال: «له سلبه أجمع» (٤).

أسد من أسد الله

١ - البخاري حديث رقم ٣١٤١ ، ومسلم ٤٦٦٨

٢ - رواه البخاري تعليقاً وأحمد (١٨٦/٥) (٢١٦٧٣)

٣ - أخرجه أحمد (٣٣٨/٣) ، رقم ١٤٦٧٥ ، والبخاري (٢٦٥٠/٦) ، رقم ٦٨٣٣ ، ومسلم (١٨٧٩/٤) ، رقم ٢٤١٥

٤ - رواه مسلم (١٧٥٤) ورواه البخاري (٣٠٥١) مختصراً

عن أبي قتادة -رضي الله عنه- قال: خرجنا مع رسول الله -ﷺ- عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين علا رجلاً من المسلمين، فاستدرت حتى أتيتها من ورائه، حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقه، فأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب، فقلت: ما بال الناس؟

قال: أمر الله، ثم إن الناس رجعوا وجلس النبي -ﷺ- فقال: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه» فقلت: من يشهد لي؟

ثم جلست، ثم قال: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه»، فقلت: من يشهد لي؟

ثم جلست، ثم قال الثالثة مثله، فقلت فقال رسول الله -ﷺ-: «ما لك يا أبا قتادة؟»

فاقتضت عليه القصة، فقال رجل: صدق يا رسول الله، وسلبه عندي فأرضه عني، فقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-: لاهاً الله إذاً لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله -ﷺ- يعطيك سلبه، فقال النبي -ﷺ-: «صدق»، فأعطاه فبعت الدرع فابتعت به مخرفاً في بني سلمة، فإنه لأول مال تأثله في الإسلام^(١)

الفصل الثاني والخمسون: قصص عن الدين المعاملة

يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة

عن أنس بن مالك قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ قال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، قال: فاطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من ماء وضوئه، معلق نعليه بيده الشمال، فلما كان من الغد، قال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فاطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما كان من الغد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فاطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ اتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال له: إني لاحيت أبي، فأقسمت إني لا أدخل عليه ثلاث ليال، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تحل يميني فعلت، قال: نعم، قال أنس: فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه بات معه ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل بشيء، غير أنه إذا تقلب على فراشه ذكر الله، وكبره حتى يقوم لصلاة الفجر، فيسبغ الوضوء، قال عبد الله: غير أني لا أسمعه يقول إلا

^١ - رواه البخاري (٣١٤٢) ومسلم (١٧٥١)

خيرا، فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب، ولا هجر، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاثة مجالس: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فاطلعت أنت في تلك الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك؛ فأنظر ما عملك؟ فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيته، فانصرف عنه، فلما وليت، دعاني، وقال: ما هو إلا ما رأيته، غير أنني لا أجد في نفسي غلا لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه، فقال له عبد الله بن عمرو: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق (١)

نزل ملك من السماء يكذبه بما قال

عن سعيد بن المسيب أنه قال بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر فآذاه فصمت عنه أبو بكر ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر ثم آذاه الثالثة فانتصر منه أبو بكر فقام رسول الله ﷺ - حين انتصر أبو بكر فقال أبو بكر أوجدت على يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ - «نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك فلما انتصرت وقع الشيطان فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان». (٢)

وتعاقب هو وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجل آخر من الصحابة في سفر على بعير فكان إذا جاءت نوبته في المشي مشى فيعزمان عليه أن لا يمشي فيأبى ويقول: ما أنتما بأقدر مني على مشي، وما أنا بأغنى منكما عن أجر.

أمنت عقوبتك فتكاسلت

ودعا علي بن أبي طالب غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال: أما تسمع يا غلام؟ قال: نعم، قال: فما حملك على ترك جوابي؟ قال: أمنت عقوبتك فتكاسلت، فقال: اذهب فأنت حر

لوجه الله تعالى (٣)

من خدعنا في الله انخدعنا

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه إذا رأى أحدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فصاروا يحسنون الصلاة مرااة له فكان يعتقهم فقليل له في ذلك فقال: من خدعنا في الله أنخدعنا له (٤)

نعم فجزاك الله من أهل وعشير خيرا.

١ - أخرجه أحمد ١٦٦ / ٣.

٢ - أخرجه أبو داود (٤٨٩٦)

٣ - الرسالة القشيرية (ص: ١١٠)

٤ - الرسالة القشيرية (ص: ١١٠)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَعِينُهُ فِي شَيْءٍ قَالَ عَكْرَمَةُ أَرَاهُ قَالَ :
فِي دَمٍ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ : أَحْسَنْتَ إِلَيْكَ ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : لَا وَلَا
أَجْمَلْتُ فَغَضِبَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ وَهَمُّوا أَنْ يَقُومُوا إِلَيْهِ فَأَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ كَفُوا فَلَمَّا
قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَلَغَ إِلَى مَنْزِلِهِ دَعَا الْأَعْرَابِيَّ إِلَى الْبَيْتِ فَقَالَ لَهُ :
إِنَّكَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ فَقُلْتَ مَا قُلْتَ فَزَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا فَقَالَ :
أَحْسَنْتَ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : نَعَمْ فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرٍ خَيْرًا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّكَ كُنْتَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ فَقُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي نَفْسٍ
أَصْحَبِي عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ فَإِذَا جِئْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى
يَذْهَبَ عَنْ صَدُورِهِمْ قَالَ : نَعَمْ قَالَ فَحَدَّثَنِي الْحَكَمُ أَنَّ عَكْرَمَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ
فَلَمَّا جَاءَ الْأَعْرَابِيُّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ صَاحِبُكُمْ كَامَ جَاءَنَا فَسَأَلْنَا فَأَعْطَيْنَاهُ فَقَالَ
مَا قَالَ وَإِنَّا قَدْ دَعَوْنَاهُ فَأَعْطَيْنَاهُ فزعم أنه قد رضي أكذلك ؟ قال الأعرابي نعم
فجزاك الله من أهل وعشير خيرا.(١)

خلوا بيني وبين ناقتي

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنْ مَثَلِي وَمِثْلُ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ كَمِثْلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ
فَشَرَدَتْ عَلَيْهِ فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نَفُورًا فَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ النَّاقَةِ خَلُوا
بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي فَأَنَا أَرْفُقُ بِهَا وَأَعْلَمُ بِهَا فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا صَاحِبُ النَّاقَةِ فَأَخَذَ لَهَا مِنْ
قَتَامِ الْأَرْضِ وَدَعَاها حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَجَابَتْ وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا وَإِنِّي
لَوْ أَطَعْتَكُمْ حَيْثُ قَالَ مَا قَالَ لَدَخَلُ النَّارِ.(٢)

الفصل الثالث والخمسون: قصص عن عبادة الأطفال

فِي هَذَا الْبَابِ نَقَفَ مَعَ صُورٍ مُشْرِقَةٍ مِنْ عِبَادَةِ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ تَجْرَ عَلَيْهِمُ
الْأَقْلَامُ وَسَتَرَى أَخِي الْحَبِيبُ عِبَادَ لَيْلٍ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ ، وَسَنَقَفَ عَلَى
الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ

ليلة مع رسول الله -ﷺ-

عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -

عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - يبيت ليلة مع رسول الله ﷺ لينهل من
معينه الصافي ويتعلم كيف كان ليل المصطفى ﷺ

عن ابن عباس قال * بت ليلة عند خالتي ميمونة فقام النبي ﷺ من الليل فأتى
حاجته ثم غسل وجهه ويديه ثم نام ثم قام فأتى القربة فأطلق شناقها ثم توضأ
وضوءاً بين الوضوءين ولم يكثُرْ وَقَدْ أَبْلَغَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى فَقَمَتَ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةً أَنْ

١ - مسند البزار (١٥ / ٢٩٤)

٢ - مسند البزار ١٠-١٥ (٢ / ٤٦٥)

يرى أني كنت أنتبه له فتوضأت فقام فصلي فقامت عن يساره فأخذ بيدي فأدارني عن يمينه فتنامت صلاة رسول الله ﷺ من الليل ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان إذا نام نفخ فأتاه بلال فأذنه بالصلاة فقام فصلي ولم يتوضأ وكان في دعائه اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا وعظم لي نورا)

قال كريب وسبعا في التابوت فلقيت بعض ولد العباس فحدثني بهن فذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وذكر خصلتين (١)

محبههم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم-

عن أبي حازم بن دينار، عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ أتى بشارب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: لا والله يا رسول الله لا أؤثر بنصيبك منك أحدا قال: قتله في يده رسول الله ﷺ (٢)

أي: أنا أريد أن أشرب بعدك يا رسول الله! شفتاي تأتي في موطن شفتيك يا رسول الله، ويصر الطفل فيجيبه النبي ﷺ إلى طلبه ويسقيه.

وهكذا يعتاد الطفل الجرأة الأدبية، وينشأ بعيداً عن الانهزامية، وفيه قوة رأي وحجة .

فسح لي في قبره وملئ نورا

قال أبو غالب كنت أختلف إلى أبي أمامه بالشام فدخلت يوما على فتى مريض من جيران أبي أمامة وعنده عم له وهو يقول له: يا عدو الله ألم أمرك؟ ألم أنك؟ فقال الصبي: يا عماه لو أن الله تعالى دفعني إلى والدتي كيف كانت صانعة بي؟ قال: كانت تدخلك الجنة

قال: إن ربي الله أشفق من والدتي وأرحم بي منها وقبض الفتى من ساعته فلما جهزه عمه وصلى عليه وأراد أن يضعه في لحده فدخلت القبر مع عمه فلما سواه صاح وفزع فقلت له: ما شأنك؟

قال: فسح لي في قبره و ملئ نورا فدهشت منه (٣)

التوكل على الله

عَلِي بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُقْرِئِ بِطَرَسُوسَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَلَاءِ يَقُولُ: اشْتَهَتْ وَالِدَتِي عَلَيَّ وَالِدِي يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ سَمَكًا، فَمَضَى وَالِدِي إِلَى السُّوقِ وَأَنَا

١ - أخرجه مالك "الموطأ" ٩٥ ، و"أحمد" ٢٤٢/١ (٢١٦٤) و٣٥٨/١ (٣٣٧٢). و"البخاري" ٥٧/١ (١٨٣) و"مسلم" ١٧٩/٢ (١٧٣٩)

٢ - أخرجه مالك "الموطأ" ٥٧٧ ، وأحمد ٣٣٣/٥ (٢٣٢١٢) و"البخاري" ١٤٤/٣ (٢٣٥١). و"مسلم" ١١٣/٦ (٥٣٤٥)

٣ - التذكرة للقرطبي (ص: ٤١٢)

مَعَهُ فَاشْتَرَى سَمَكًا وَوَقَفَ يَنْتَظِرُ مَنْ يَحْمِلُهُ فَرَأَى صَبِيًّا وَقَفَ بِحِذَائِهِ مَعَ صَبِيٍّ، فَقَالَ: عَمَّ تَرِيدُ مِنْ يَحْمِلُهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَحْمَلَهُ وَمَشَى مَعَنَا فَسَمِعْنَا الْأَذَانَ. فَقَالَ: الصَّبِيُّ أَذُنُ الْمُؤَذِّنِ وَأَحْتَاجُ أَنْ أَتَطَهَّرَ وَأَصْلِي فَإِنْ رَضِيتُ وَإِلَّا فَاحْمِلِ السَّمَكَ وَوَضِعِ الصَّبِيَّ السَّمَكَ وَمَرَّ. فَقَالَ: أَبِي فَنَحْنُ أَنْ نَتَوَكَّلَ فِي السَّمَكِ فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْنَا وَجَاءَ الصَّبِيُّ وَصَلَّى فَلَمَّا خَرَجْنَا فَإِذَا بِالسَّمَكِ مَوْضُوعٌ مَكَانَهُ فَحْمَلَهُ الصَّبِيُّ وَمَضَى مَعَنَا إِلَى دَارِنَا فَذَكَرَ وَالِدِي ذَلِكَ لَوَالِدَتِي فَقَالَتْ قُلْ لَهُ حَتَّى يَقِيمَ عِنْدَنَا وَيَأْكُلَ مَعَنَا فَقُلْنَا لَهُ. فَقَالَ: إِنِّي صَائِمٌ فَقُلْنَا فَتَعُودُ إِلَيْنَا بِالْعَشَى. فَقَالَ: إِذَا حَمَلْتُ مَرَّةً فِي الْيَوْمِ لَا أَحْمِلُ ثَانِيًا وَلَكِنِّي سَادَخُلُ الْمَسْجِدَ إِلَى الْمَسَاءِ ثُمَّ أَدْخُلُ عَلَيْكُمْ فَمَضَى فَلَمَّا أَمْسَيْنَا دَخَلَ الصَّبِيُّ وَأَكَلْنَا فَلَمَّا فَرَعْنَا دَلَّلْنَاهُ عَلَى مَوْضِعِ الطَّهَارَةِ وَرَأَيْنَا فِي أَنَّهُ يُؤْثِرُ الْخُلُوةَ فَتَرَكْنَاهُ فِي بَيْتٍ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ كَانَ لَقَرِيبَ لَنَا بِنْتُ زَمَنِهِ فَجَاءَتْ تَمْشِي فَسَأَلْنَاهَا عَنْ حَالِهَا فَقَالَتْ قُلْتُ يَا رَبَّ بَحْرَمَةٍ ضَيْفِنَا أَنْ تَعَافِينِي فَقَمْتُ قَالَتْ: فَمَضَيْنَا لِنَطْلُبَ الصَّبِيَّ فَإِذَا الْأَبْوَابُ مَغْلُقَةٌ كَمَا كَانَتْ وَلَمْ نَجِدِ الصَّبِيَّ. فَقَالَ أَبِي: فَمِنْهُمْ صَغِيرٌ وَمِنْهُمْ كَثِيرٌ. (١)

وهبناك لله

قال محمد بن عبد العزيز الطبري يقول سمعت أبا عمرو الدمشقي يقول سمعت ابن الجلاء يقول قلت لأبي وأمي أحب أن تهباني لله تعالى فقالا قد وهبناك لله فغبت عنهما مدة فرجعت من غيبتني وكانت ليلة مطيرة فدققت عليهما الباب فقالا من فقلت ولدكما قالوا كان لنا ولد فوهبناه لله ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبنا وما فتح لي (٢)

ألا تخاف القصاص يوم القيامة؟

قال مسعر: كنت أمشي مع أبي حنيفة، فوطئ على رجل صبي لم يره، فقال الصبي لأبي حنيفة: يا شيخ! ألا تخاف القصاص يوم القيامة؟ قال: فغشي على أبي حنيفة فاقمت عليه حتى أفاق، فقلت له: يا أبا حنيفة! ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الصبي! قال: فقال: أخاف أنه لقن. (٣)

إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه

١ - الرسالة القشيرية (ص: ١٦٩)

٢ - المنتظم (١٧/٥)

٣ - ص (٤٠٦) مناقب أبي حنيفة للإمام الموفق بن أحمد المكي المتوفى سنة (٥٦٨ هـ)

رأى عمر بن عبدالعزيز ولدًا له يوم عيد، وعليه قميص خلق (ممزق) فبكى، فقال له الولد: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟

فقال عمر: يا بني أخشى أن ينكسر قلبك في يوم العيد إذ رأيت الصبيان في أحسن الثياب، وأراك بهذا القميص الخلق. فقال الولد العاقل: يا أمير المؤمنين؛ إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، أو عق أمه وأباه، وإني لأرجو أن يكون الله راضيا عني برضاك. فبكى عمر -رضي الله عنه -وضمه إليه وقبله بين عينيه ودعا له بالخير والبركة، فكان أغنى الناس بعد أبيه. (١)

أهذا الشيخ مسلم؟!

ومرّ الحارث المحاسبي وهو صغير بصبيان يلعبون على باب رجل تمار، -يعني: يبيع التمر- فوقف الحارث ينظر إلى لعبهم، وخرج صاحب الدار ومعه تمرات، فقال للحارث: كل هذه التمرات، فقال الحارث: ما خبرك فيها؟ -يعني: من أين أتيت بها؟ -قال: إني بعت الساعة تمرًا من رجل، فسقطت منه هذه التمرات، فكل أنت هذه التمرات التي سقطت من هذا الرجل، فقال الحارث المحاسبي وهو طفل صغير للتاجر التمار: أتعرفه؟ قال: نعم، فالتفت الحارث إلى الصبيان الذين يلعبون وقال: أهذا الشيخ مسلم؟! قالوا: نعم، فمر وتركه.

يعني: مضى الحارث وتركه، فتبعه التمار حتى قبض عليه وقال له: قل لي ما في نفسك؟ فقال: يا شيخ! إن كنت مسلماً فاطلب صاحب التمرات حتى تتخلص من تبعته كما تطلب الماء إذا كنت عطشاناً شديد العطش، يا شيخ! تطعم أولاد المسلمين من سحت وأنت مسلم؟ فقال الشيخ: والله لا اتجرت للعالم أبدأ. (٢)

لقد رأيت أصغر مني مات

قال عبد الرحمن بن محمد صاحب كتاب صفات الأولياء: حدثني محمد بن إبراهيم النيسابوري بإسناده أن فتحاً الموصلي رحمه الله تعالى قال: خرجت أريد الحج، فلما توسطت البادية إذا غلام صغير لم تجر عليه الأحكام، فقلت له: إلى أين؟

فقال: إلى بيت ربي، قلت: إنك صغير لم تجر عليك الأحكام، فقال: لقد رأيت أصغر مني مات -يعني: فهو يبادر إلى الحج حتى لو لم يكن مكلفاً؛ لأنه يخشى أن يموت- فقلت: إن خطوك قصير، قال: علي الخطو وعليه التبليغ إن شاء، ألم تسمع قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩]؟!

قلت: لم أر معك زاداً؟

قال: زادي في قلبي اليقين، حيثما كنت أيقنت أن الله يرزقني، قلت: إنما أردت أنك تتزود الخبز والماء، قال: ما اسمك؟ قال: قلت: فتح، قال: يا فتح! أسألك؟

^١ - قطوف وكلمات (ص: ١١)

^٢ - سلسلة علو الهمة - المقدم (٧/ ٧)

قلت: سل؟ قال: أرأيت لو أن أخاً لك من أهل الدنيا دعاك إلى منزله، أما كنت تستحي أن تحمل معك طعاماً لتأكله في منزله؟ قلت: بلى، قال: فإن مولاي دعاني إلى بيته، فهو يطعمني ويسقيني، قال فتح: فجعلت أعجب من أمره وبيانه، وزهده مع صغر سنه. (١)

الله ناظرٌ إليَّ

قال سهل: كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، وكان يقول بالليل، فربما كان يقول لي: يا سهل، اذهب فثم فقد شغلت قلبي.

قال عمر بن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله قال: قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال لي: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات. من غير أن تحرّك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إليّ، الله شاهد عليّ.

فقلت ذلك ثلاث ليال، ثم أعلمته، فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات. فقلت ذلك ثم أعلمت، فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي له حلاوة.

فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علّمتك، ودُم عليه إلى أن ندخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة.

فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سرّي.

ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل، من كان الله معه، وهو ناظرٌ إليه، وشاهدُه، أيعصيه؟ إياك والمعصية.

فكنت أخلو، فبعثوني إلى الكتّاب، فقلت: إني لأخشى أن يتفرق عليّ همّي، ولكن شارطوا المعلم: أني أذهب إليه ساعة، فأتعلم، ثم أرجع.

فمضيت إلى الكتّاب، وحفظت القرآن، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقوتي خبز الشعير، إلى أن بلغت اثنتي عشرة سنة، فوقع لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، فسألت أهلي أن يبعثوني إلى البصرة أسأل عنها، فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد منهم عني شيئاً!! فخرجت إلى عبادان، إلى رجل يُعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني، فسألته عنها فأجابني. وأقمت عنده مدةً أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه، ثم رجعت لي تستر فجعلت قوتي اقتصاراً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي، فأفطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتاً، بغير ملح ولا إدام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة.

١ - سلسلة علو الهمة - المقدم (٧ / ٧)

ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليل، ثم أفطر ليلة، ثم خمساً، ثم سبعاً، ثم خمساً وعشرين ليلة. وكنت عليه عشرين سنة. ثم خرجتُ أسيح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله. (١)

يا الله اغثني

أبو الحسين أحمد بن محمد النوري-رحمه الله -رآه شرطي وهو صبي من جيرانه وهو يمشي في خرابة ويبكي فظنه ضائعاً فقال له إلى أين يا أحمد؟ قال والله ما أدري إلى أين قال ما أبكاك؟

قال أبكاني أني لا أدري إلى أين

قال الشرطي اتبعني أهدك

قال أحمد بل اتبعني أنت أهدك صراطاً سويًا

ففطن الشرطي لما أراد وقال: كيف تهديني صراطاً سويًا وأنت لا تدري إلى أين؟ فقال أحمد إني الآن على صراط مستقيم ولكن لا أدري ما يكون غدا فاتعظ الشرطي بكلامه (٢)

ارقد، فإنك صغير بعد.

قال محمد بن ظفر المكي: بلغني أن أبا يزيد طيفور بن عيسى لما حفظ {يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل: ١-٢].

قال لأبيه: يا أبتى! من الذي يقول الله تعالى له هذا؟

قال: يا بني! ذلك النبي محمد-ﷺ-.

قال أبو يزيد: يا أبتى! ما لك لا تصنع كما صنع النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

قال: يا بني! إن قيام الليل خصص بافتراضه النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته. فسكت عنه أبو يزيد.

فلما حفظ قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ} [المزمل: ٢٠].

قال: يا أبتى! إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل، فمن هذه الطائفة؟

قال: يا بني! أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال أبو يزيد: يا أبتى! فأني خير في ترك ما عمله النبي ﷺ وأصحابه؟

^١ - الرسالة القشيرية (ص: ١٣)

^٢ - نجباء الابداء ص ١٥٧

قال: صدقت يا بني، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي.
فاستيقظ أبو يزيد ليلة، فإذا أبوه يصلي، فقال: يا أبت! علمني كيف أتطهر وأصلي معك.

فقال أبوه: يا بني! ارقد، فإنك صغير بعد.

قال أبو يزيد: يا أبتني! إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، أقول لربي: إني قلت لأبي: كيف أتطهر لأصلي معك، فأبي، وقال لي: ارقد، فإنك صغير بعد، أتحب هذا؟

فقال له أبوه: لا والله يا بني، ما أحب هذا، وعلمه، فكان يصلي معه! (١)

من تلاميذ الملائكة

قال محمد بن المظفر: روي لنا أن أبا محفوظ معروف بن فيروز الكرخي كان أبواه فارسين نصرانيين، فأسلماه وهو صغير إلى من يعلمه كتابهم، فكان يقول له: قل: أب وابن وزوجة، فيقول معروف: إله واحد، فيضربه المعلم، ثم يعود لتعليمه، فيأبى إلا أن يقول: إله واحد، وضربه المعلم يوماً من الأيام ضرباً مبرحاً، فهرب معروف، فلم يطق أبواه صبراً، وكادا يهلكان جزعاً عليه... وكنا يقولان: ليتنا لو وجدناه على أي دين كان عليه نتدين بدينه... ولم يزل معروف يسير في الأرض حتى لقي على بن موسى الرضا - وهو غلام - فأسلم على يديه، وتولاه وخدمة مدة طويلة، ثم عاد إلى أهله بعد ذلك، ففرع الباب على أبوية ليلاً، فقالا: من؟ قال: معروف. قالوا: قبل أن يفتح له الباب -: على أي دين أنت، قال: على دين الإسلام... قالوا: أدخل فنحن على دينك.. وأسلماء، وجمع الله شملهم على الهدى..

وأن معروفًا كلم أبويه في أمر دينهما بكلام كرهاه، فقالت أمه لأبيه إن ابنك طفل لا يحسن هذا الكلام، وإنما أفسده عليك بعض المسلمين فأحبسه في بيتك، فإن ذلك أنفع له، فحبسه في خزانة بيته أياماً، ثم رق عليه فأخرجه، فعاد إلى الخزانة، وكان بعد ذلك لا يخرج منها إلا أن يخرجوه كرهاً، فقال له أبوه: إلى كم لا تبرح في هذه الخزانة؟

فقال: إني وجدت فيها الذي زعمتما أنه أفسدني عليكما، قال أبوه: من هذا؟ فصمت عنه.. قال أبوه لأمه: هذا عملك!! لقد خلط ولدي في عقله!!

وانطلق به إلى الراهب، فقص عليه خبره، وسأله أن يرقيه ويعود به.. فقال له الراهب: من الذي أفسدك على أبويك؟ قال: قلبي، وما زال يفكر في الذي فطر الأرض والسماء، ويفكر في حالهما ومالهما... قال الراهب: وما الذي تراه يا معروف؟

^١ - تحفة الواعظ للخطيب و المواعظ (ص: ٤٦)

قال: أرى أن واحدا عمل الأشياء كلها، ولا يصح أن يشبهه شيء منها، لأنه لو أشبه شيئا منها لكان معمولاً مثلها ... فقال الراهب: مكانك حتى أخرج إليك .. ودخل صومعته، فأخرج دواة وورقا، ثم أعاد المسألة على معروف، وكتب جوابه، وقال لفيروز: يا فيروز، لولا أنك قلت لي: إنه ابني ... لقلت: إنه من تلاميذ الملائكة . فانصرف فيروز بابنه مسرورا، قال معروف: فحدثت بذلك مولاي علي بن موسى الرضا، فقال إنك من تلاميذ الملائكة (١)

ألم يكفك الجهل والغرور

روى ابن ظفر المكي قال: بلغني أن السري السقطي قرأ على مؤدبه: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا} [مريم: ٨٦] فقال: يا أستاذ، ما الورد؟ فقال: لا أدري فقرا: {لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [مريم: ٨٧] فقال: يا أستاذ، ما العهد؟ قال: لا أدري. فقطع السري القراءة، وقال: إذا كنت لا تدري، فلم غررت الناس؟ فضربه المؤدب، فقال السري: يا أستاذ! ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم والأذى، فاستحله المؤدب، وتاب إلى الله تعالى، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنما أعتقتني الغلام السري من رق الجهل ولما بلغ في الحفظ وهو صبي إلى قوله تعالى (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) السجدة / ١٦، امتنع أن يضع جنبه على الأرض لنوم، فكانت أمه تنصب الوسائد عن يمينه وشماله ومن وراء ظهره، فإذا غلبه النوم أمسكته. (٢)

أتستغيثين في حالة الشدة بمخلوق

وقال المظفر-رحمه الله -بلغني: أن أبا السري منصور بن عمار أصاب أمه وجع الولادة وعندها قابلتها وهو صبي بين يديها، فقالت له يا منصور بادر إلى أبيك فادعه

فقال لها: أتستغيثين في حالة الشدة بمخلوق لا يضر ولا ينفع وأكون أنا رسولك ؟!

قالت: الساعة أموت

قال لها: قولي يا الله اغثني

فقالت: ذلك فاندلق جنينها من ساعته (٣)

يا الله شهوت أُمِّي

السري السقطي قالت له: وهي تتوحم يا منصور إني أشم ريح سمك يقلى فانطلق إلى أبيك فاطلبه منه

١ - أنباء نجباء الأبناء

٢ - أنباء نجباء الأبناء ١٤٨

٣ - نجباء الأبناء ص ١٦٣

فقال: يبع عليك

فقالت: إني أجد الرائحة من دار فلان جارتنا فاذهب إليها فاطلبه
قال: لا ينطق بهذا لساني ولكن أسأل الله فأخذت بأذنه فعركتها وقالت إن لم
تأتني بشهوتي لأخبرن أباك
فقال: يا الله شهوت أُمي فقرع الباب ونودي يا منصور فخرج فاذا سمك بين
رققتين (١)

إياك أنت من السقوط

ورأى الإمام أبو حنيفة طفلاً يلعب بالطين، فقال للطفل: إياك والسقوط في الطين
فقال الغلام للإمام: إياك أنت من السقوط، لأن سقوط العالم سقوط العالم.
فاهتز أبو حنيفة رحمه الله لهذه المقولة، فكان لا يخرج فتوى - بعد سماعه هذه
المقالة إلا بعد مدارسها شهراً كاملاً مع تلامذته. (٢)

يا أماه! ما كان سعيهم؟

ومما رواه ابن ظفر المكي قصة لطيفة في حب تكرار الطفل الشهادتين،
فقال: "بلغني أن أبا سليمان داود بن نصير الطائي رحمه الله، لما بلغ من العمر
خمس سنوات، أسلمه أبوه إلى المؤدب، فابتدأ بتلقين القرآن، وكان لقناً، فلما
تعلم سورة {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا} [الإنسان:
١] وحفظها رأته أمه يوم الجمعة مقبلاً على الحائط، مفكراً يشير بيده، فخافت
على عقله، فنادته:

قم يا داود! فالعب مع الصبيان، فلم يجبها، فضمته إليها، ودعت بالويل، فقال:

مالك يا أماه! أبك

بأس؟ قالت: أين ذهنك؟

قال مع عباد الله، قالت: أين هم؟ قال: في الجنة، قالت:

ما يصنعون؟

قال: {مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} سورة الإنسان
١٣/٧٦

ثم مر في السورة وهو شاخص، كأنه يتأمل شيئاً، حتى بلغ {وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا}
[الإنسان: ٢٢]

قال: يا أماه! ما كان سعيهم؟

١ - نجباء الأبناء ص ١٦٣

٢ - مقدمة حاشية ابن عابدين" (٦٧/١)

فلم تدر ما تجيبه، فقال لها: قومي عني، حتى أتنزه عندهم ساعة، فقامت عنه، فأرسلت إلى أبيه، فأعلمت شأن ولده، فقال له أبوه: يا داود! كان سعيهم أن قالوا:

لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكان يقولها أكثر أوقاته. (١)

يا رفيق ارفق بي

عن عفان بن مسلم قال: قال لي حماد بن سلمة ألح علينا المطر سنة من السنين وفي جوالي امرأة من المتعبدات لها بنات أيتام فوكف السقف عليهم فسمعتها تقول يا رفيق ارفق بي فسكن المطر فأخذت صرة فيها دنانير وقرعت بابها فقالت اللهم اجعله حماد بن سلمة قلت أنا حماد بن سلمة وأخرجت الدنانير وقلت لها انتفعي بهذه فإذا صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقتها قد خرجت على وقالت ألا تسكت يا حماد تعترض بيننا وبين ربنا ثم قالت يا أماه قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطرنا عن بابه ثم ألصقت خدها على التراب وقالت أما أنا وعزتك لا زيلت بابك وإن طردتني ثم قالت يا حماد رد دنانيرك عافاك الله إلى الموضع الذي أخرجتها منه فإننا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس العاملين (٢)

يا أبه أو ما أستحي من الله

عبد الله بن محمد بن وهب قال كان ليحيى بن معاذ ابنة صغيرة السن جدا فطلبت من أبيها شيئاً فقال لها يا بنتي اطلبي ذاك من الله فقالت يا أبه أو ما أستحي من الله أن أتقدم إليه في شيء يؤكل (٣)

لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله

أبو العباس بن مسروق قال كنت باليمن فرأيت صيادا يصطاد السمك على بعض السواحل وإلى جنبه ابنة له فكلمها

اصطاد سمكة فتركها في دوخلة معه ردت الصبية السمكة إلى الماء فالتفت الرجل فلم ير شيئاً فقال لابنته أي شيء عملت بالسمك فقالت يا أبي أليس سمعتك تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله عز وجل فلم أحب أن نأكل شيئاً غفل عن ذكر الله تعالى فبكى الرجل ورمى بالصنارة (٤)

يا أبه لا تطعمنا إلا الحلال

١ - نجباء الأبناء ٦٠-٦١

٢ - صفة الصفوة (٤/ ٤٤١)

٣ - صفة الصفوة (٤/ ٤٤١)

٤ - صفة الصفوة (٤/ ٤٤١)

خزيمة أبو محمد قال: قال بنات رجل لأبيه: يا أبة لا تطعمنا إلا الحلال فإن الصبر على الجوع أيسر من الصبر على النار فبلغ ذلك سفيان الثوري فقال ما لهن رحمهن الله (١)

تكلم على الناس

قال الجنيد: قال لي خالي سري السقطي: تكلم على الناس، وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس، فإني كنت أتهم نفسي في استحقاقي ذلك، فرأيت ليلة في المنام رسول الله ﷺ، وكانت ليلة جمعة، فقال لي: تكلم على الناس، فانتبهت، وأتيت باب السري قبل أن أصبح، فدققت الباب فقال لي: لم تصدقنا حتى قيل لك، فقعدت في غد الناس بالجامع وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس، فوقف علي غلام نصراني متنكراً وقال: أيها الشيخ، ما معنى قول رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه بنور الله فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام. (٢)

يا غلام ما الشكر

قال كنت العب بين يدي السري السقطي وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت أن لا تعصي الله بنعمة فقال أخشى أن يكون حظك من الله لسانك قال فلا أزال أبكي على هذه (٣)

لماذا يا أبي لا تصلي الفجر،

قصة مؤثرة: قصة لطفل يدرس في الصف الثالث الابتدائي، فكم سيكون عمر ذلك الطفل...؟ في يوم من الأيام كان هذا الطفل في مدرسته وخلال أحد الحصص كان الأستاذ يتكلم فتطرق في حديثه إلى صلاة الفجر وأخذ يتكلم عنها بأسلوب يتألم سن هؤلاء الأطفال الصغار وتكلم عن فضل هذه الصلاة وأهميتها سمعه الطفل وتأثر بحديثه،

فهو لم يسبق له أن صلى الفجر ولا أهله... وعندما عاد الطفل إلى المنزل أخذ يفكر كيف يمكن أن يستيقظ للصلاة يوم غدا.... فلم يجد حلاً سوى أنه يبقى طوال الليل مستيقظاً حتى يتمكن من أداء الصلاة وبالفعل نفذ ما فكر به وعندما سمع الأذان انطلقت هذه الزهرة لأداء الصلاة ولكن ظهرت مشكلة في طريق الطفل.... المسجد بعيد ولا يستطيع الذهاب وحده، فبكى الطفل وجلس أمام الباب.. ولكن فجأة سمع صوت طقطقة حذاء في الشارع فتح الباب وخرج مسرعاً فإذا برجل شيخ يهلهل متجهاً إلى المسجد نظر إلى ذلك الرجل فعرفه نعم عرفه أنه جد زميله أحمد ابن جارهم تسلسل ذلك الطفل بخفية وهدوء خلف ذلك الرجل حتى لا يشعر به فيخبر أهله فيعاقبونه، واستمر الحال على هذا المنوال، ولكن

١ - صفة الصفوة (٤ / ٤٤١)

٢ - وفيات الأعيان (١ / ٣٧٣)

٣ - الوافي بالوفيات (١١ / ١٥٥)

دوام الحال من المحال فلقد توفي ذلك الرجل (جد أحمد) علم الطفل فذهل....
بكى وبكى بحرقة وحرارة استغرب والداه فسأله والده وقال له: يا بني لماذا تبكي
عليه هكذا وهو ليس في سنك لتلعب معه وليس قريبك فتفقده في البيت، فنظر
الطفل إلى أبيه بعيون دامعة ونظرات حزن وقال له: يا ليت الذي مات أنت وليس
هو، صعب الأب وانبهر لماذا يقول له ابنه هذا وبهذا الأسلوب ولماذا يحب هذا
الرجل؟ قال الطفل البريء أنا لم أفقده من أجل ذلك ولا من أجل ما تقول،
استغرب الأب وقال إذا من أجل ماذا؟

فقال الطفل: من أجل الصلاة نعم من أجل الصلاة، ثم استطرد وهو يبتلع عباراته
لماذا يا أبي لا تصلي الفجر، لماذا يا أبتى لا تكون مثل ذلك الرجل ومثل الكثير من
الرجال الذين رأيتهم فقال الأب: أين رأيتهم؟

فقال الطفل في المسجد قال الأب: كيف، فحكى حكايته على أبيه فتأثر الأب من
ابنه واقشعر جلده وكادة دموعه أن تسقط فاحتضن ابنه ومنذ ذلك اليوم لم يترك
أي صلاة في المسجد.

الفصل الرابع والخمسون: قصص عن علو الهمة عند النساء

علو همتها في العبادة

عن أنس، قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد. وحبل ممدود بين ساريتين فقال: "ما
هذا؟" قالوا: لزينب تصلي. فإذا كسلت أو فترت أمسكت به. فقال: "حلوه. ليصل
أحدكم نشاطه. فإذا كسل أو فتر قعد". وفي رواية فليقعد" (١)

٣٨٦- علو همتها في العمل والإنتاج

عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول الله ﷺ أسرعكن
لحوقا بين أطولكن يدا قالت فكنا نتطاول أيننا أطول يدا قالت فكانت زينب أطولنا
يدا لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق (٢)

٣٨٧- علو همتها في الإنفاق

عن برزة بنت رافع، قالت: أرسل عمر إلى زينب بعتائها، فقالت: غفر الله لعمر،
غيري كان أقوى على قسم هذا.
قالوا: كله لك.

قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب وقالت: [صبوه] واطرحوا عليه ثوبا،
وأخذت تفرقه في رحمها، وأيتامها؛ وأعطتني ما بقي؛ فوجدناه خمسة وثمانين
درهما.

^١ - اليواقيت العشرية من كلام خير البرية (٨/ ١٠٢)

^٢ - أسد الغابة لأبو الحسن الشيباني (٧/ ١٤٠)

ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا (١).

ولا والله ما ترك لنا شيئاً

يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عباداً حدثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر، قالت لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه احتمل أبو بكر ماله كله ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف فانطلق بها معه. قالت فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال والله إنني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت قلت: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال. قالت فوضع يده عليه فقال لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك (٢).

ذات النطاقين

قالت السيدة عائشة في حديث طويل منه: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر، عند الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله متقنعا (٣) في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.. إلى أن قالت:.. فجهزناهما أحث الجهاز (من الحث وهو الإسراع) ووضعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت بذات النطاقين (٤).

موقفها من الحجاج

عن أبي نوفل: رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة قال: فجعلت قريش تمر عليه، حتى مر عليه عبد الله بن عمر، فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً، وصولاً للرحم، أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير، ثم نفذ عبد الله بن عمر، فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله، فأرسل إليه، فأنزل عن جذعه فألقي في قبور اليهود، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر، فأبت أن تأتية، فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك، قال: فأبت، وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني. قال: فقال: أروني سبتي، فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف، حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت

١ - أسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٣٥٨)

٢ - الروض الآنف الرقمية للسيهلي (٤/ ١٤٠)

٣ - متقنعا: مغطياً رأسه.

٤ - البخاري رقم ٣٩٠٥، السيرة النبوية للصّلابي (١/ ٤٦٣).

عليه دنياه ، وأفسد عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول له يا ابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت أرفع بع طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب ، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه ، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا : أن في ثقيف كذاباً ومبيراً ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه . قال : فقام عنها ولم يراجعها .^(١)

لو كنت ذكرتني لفعلت

عن عطاء قال: بعث معاوية الى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوم مائة ألف فقسّمته بين أزواج النبي ﷺ وعن أم ذرة وكانت تغشى عائشة قالت بعث اليها ابن الزبير بمال في غرارتين قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم. فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فطري. فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة اما استطعت مما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تعنّفيني لو كنت ذكرتني لفعلت. وعن عروة قال: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفا وهي ترقع درعها.^(٢)

لكن أعجب من علمك بالطب

عن هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة: يا أمتا لا أعجب من فقهك، اقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب. أقول ابنة أبي بكر وكان اعلم الناس أو من اعلم الناس لكن أعجب من علمك بالطب. قال: فضربت على منكبه وقالت: أي عروة إن رسول الله ﷺ كان بسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنتعت له الأنعات فكنت أعالجها فمن ثم.^(٣)

علو همة أم شريك في الدعوة إلى الإسلام

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي بمكة فأسلمت، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرّاً فتدعوهن للإسلام وترغبهن فيه حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها، وقالوا لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكننا نسيرك إليهم، قالت: فحملوني على بغير ليس تحتي شيء ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوقفوني في الشمس واستظلوا، فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوقفوني في الشمس إذا أنا بأبرد شيء على صدري فتناولته، فإذا هو دلو من ماء، فشربت قليلاً ثم نزع مني ورفع، ثم عاد فتناولته فشربت من ثم رفع، ثم عاد ثم رفع مراراً فشربت منه حتى رويت ثم أفضت سائرة على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء على ثيابي فقالوا: انحلت فأخذت

^١ - رواه مسلم في كتاب "فضائل الصحابة" باب ذكر كذا ثقيف ومببرها

^٢ - صفة الصفوة لأبو الفرج الجوزي (١/ ٤٠٤)

^٣ - صفة الصفوة لأبو الفرج الجوزي (١/ ٤٠٦)

سقاءنا فشربت منه، فقلت: لا والله، ولكنه كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموها عند ذلك، وأقبلت إلى النبي، فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها. (١)

علو همة زينب زوجة ابن مسعود - رضي الله عنهما - في العمل والصدقة

عن عمرو بن الحارث عن زينب الثقفية امرأة عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال للنساء: " تصدقن ولو من حليكن!

" فقالت زينب لعبد الله: أيجزي عني أن أضع صدقتي فيك وفي بني أخي وأختي أيتام؟ وكان عبد الله خفيف ذات اليد! فقال: سلي عن ذلك النبي ﷺ قالت زينب: فأتيت رسول الله ﷺ فإذا امرأة من الأنصار يقال لها: زينب تسأل عما جئت أسأل عنه! فخرج إلينا فقلنا له: سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخبره من نحن أيجزئ عني أن أضع صدقتي بني أخي أيتام أو بني أختي أيتام في حجري؟ فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال: " أي الزيانب هي؟ " فقال: زينب امرأة عبد الله وزينب امرأة من الأنصار، وقال رسول الله ﷺ: " أخبرهما أن لهما أجرين: أجر القرابة وأجر الصدقة! ". (٢)

علو همة أم عمارة في الجهاد في سبيل الله -

عن عمارة بن غزية قال: قالت أم عمارة: رأيتني، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ ، فما بقي إلا في نفر ما يتمون عشرة ، وأنا وابنائي وزوجي بين يديه نذب عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلا موليا ومعه ترس، فقال: ألق ترسك إلى من يقاتل.

فألقاه، فأخذته.

فجعلت أترس به عن رسول الله.

وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل ؛ لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم، إن شاء الله.

فيقبل رجل على فرس، فيضربني، وترست له، فلم يصنع شيئا، وولي ؛ فأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره.

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح: يا ابن أم عمارة، أمك ! أمك ! قالت: فعاونني عليه، حتى أوردته شعوب (٣).

عبد الله بن زيد، قال: جرحت يومئذ جرحا، وجعل الدم لا يرقأ.

١ - السيرة الحلبية - علي بن برهان الدين الحلبي (٧ / ٣١)

٢ - أخرجه أحمد (٦ / ٣٦٣ ، رقم ٢٧٠٩٣) والترمذي (٣ / ٢٨٣) رقم ٦٣٥ والنسائي في الكبرى (٥ / ٣٨٠ ، رقم ٩٢٠٠).

٣ - شعوب: من أسماء المنية، والخبر في " الطبقات " ٨ / ٤١٣ ، ٤١٤

فقال النبي ﷺ: " اعصب جرحك " .

فتقبل أمي إلي، ومعها عصائب في حقوها ؛ فربطت جرحي، والنبي ﷺ واقف، فقال: انهض بني، فضارب القوم!

وجعل يقول: " من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة " ! فأقبل الذي ضرب ابني، فقال رسول الله: هذا ضارب ابنك.

قالت: فأعرض له، فأضرب ساقه، فبرك.

فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم، حتى رأيت نواجذه، وقال: " استقدت يا أم عمارة " ! ثم أقبلنا نعله بالسلاح، حتى أتينا على نفسه.

فقال النبي ﷺ: " الحمد لله الذي ظفرك " (١).

علو همة الخنساء – رضي الله عنها

في معركة القادسية كانت الخنساء بنت عمرو السلمية ومعها بنوها أربعة رجال ، فذكر موعظتها لهم وتحريضهم على القتال وعدم الفرار ، وفيها : إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين وإنكم لبنوا أب واحد وأم واحدة ما هجنت آباءكم ولا فضحت أخوالكم ، فلما أصبحوا باشروا القتال واحدا بعد واحد حتى قتلوا ، وكان منهم أنشد قبل أن يستشهد رجلا فأنشد الأول :

يا إختوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
بمقالة ذات بيان واضحة وإنما تلقون ثم الصائحة
من آل ساسان كلابا نابحه.

وأنشد الثاني:

إن العجوز ذات حزم وجلد قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها وبرا بالولد فباكروا الحرب حماة في العدد

وأنشد الثالث:

والله لا نعصي العجوز حرفا نصحا وبرا صادقا ولطفا
فبادروا الحرب الضروس زحفا حتى تلفوا آل كسرى لفا

وأنشد الرابع :

لست لخنساء ولا للآخر ولا لعمرؤ ذي السناء الأقدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم ماض على الهول خضم حضرمي

ثم تقدم فقاتل حتى قتل:

قال: فبلغها الخبر، فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

وكان عمر بن الخطاب يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة، لكل واحد مائتا درهم ، حتى قبض .^(١)

علو همة أسماء خطيبة النساء

روي عنها : أنها أتت النبي ﷺ فقالت : إني رسول من ورأيي من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي : إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ، فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه ، فقال : "هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه" ، فقالوا : بلى والله يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : "انصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل^(٢) إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال" ، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ.^(٣)

علو همة أم أيمن رضي الله عنها

جرير بن حازم: حدثنا عثمان بن القاسم، قال: لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء، فعطشت [وليس معها ماء] وهي صائمة، وجهدت، فدلي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض، فشربت، وكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت^(٤).

إنما أبكي على الوحي إذا

وأخرج بن سعد بسند صحيح عن طارق بن شهاب قال: لما قبض النبي ﷺ بكى أم أيمن فقبل لها: " ما يبكيك؟ قالت: أبكي على خبر السماء...

وفيه: لما قتل عمر بكت أم أيمن فقبل لها. فقالت: اليوم وهي الإسلام. وقال: حدثنا عفان وقال أحمد: حدثنا عبد الصمد قال: حدثنا حماد عن ثابت عن أنس

(١) أسد الغابة (٢٦٨/٥) ، الأعلام (٨٦/٢) .

(٢) أي حسن المصاحبة في الحياة الزوجية والمعاشرة .

(٣) الاستيعاب (١٧٨٧/٤) برقم (٣٢٣٣) . وكشف الأستار ح ١٤٧٤ وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب - (٢ / ٥) ح ١٢١٣ : ضعيف

٤ - أخرجه ابن سعد ٨ / ٢٢٤ وعنه الحافظ في " الإصابة " ١٣ / ١٧٨ ، ورجاله ثقات لكنه منقطع.

أن أم أيمن بكت حين مات النبي ﷺ فقيل لها. فقالت: أني والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ يموت ولكني إنما أبكي على الوحي إذا انقطع عنا من السماء.(١)

علو همة فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنه-

عن أنس بن مالك قال خرج عمر متقلدا السيف فلقيه رجل من بني زهرة فقال له أين تعمد يا عمر قال أريد أن أقتل محمدا قال فكيف تأمن بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا قال فقال له عمر ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه قال أفلا أدلك على العجب زاد الهيثم يا عمر فقلنا إن ختنك وأختك قد صبوا وتركنا دينك الذي أنت عليه قال فمشى عمر ذامرا يعني غضبانا حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب قال فلما سمع خباب بحس عمر توارى في البيت فدخل عليهما عمر فقال ما هذه الهيمنة التي سمعتها عندكم قال وكانوا يقرأون " طه " فقالا ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما، فقال له ختنه يا عمر إن كان الحق في غير دينك قال فوثب عمر على ختنه فوطئه ووطئا شديدا قال فجاءت أخته لتدفعه وفي حديث الهيثم فدفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمي وجهها فقالت وهي غضبي وإن كان الحق في غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قال عمر أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه قال وكان عمر يقرأ الكتب فقالت له أخته إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ قال فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ " طه " حتى انتهى إلى قوله " إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري " فقال عمر دلوني على محمد ﷺ قال فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال أبشريا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام وكان رسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا قال فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب النبي ﷺ فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة فهذا عمر فإن يرد الله بعمر خيرا أسلم وتبع وقال الفراوي يسلم فيتبع النبي ﷺ وإن يرد غير ذلك يكون قتله علينا هينا قال والنبي ﷺ داخل يوحى إليه قال فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال ما أنت منته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين وقال الفراوي الإسلام والدين بعمر بن الخطاب قال فقال عمر أشهد أنك رسول الله ﷺ وفي حديث الفراوي فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله وقال (٢)

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا

١ - إسناده صحيح وهو في " طبقات ابن سعد " ٨ / ٢٢٦ .

٢ - رواه بطوله في سيرة ابن إسحاق ص ١٦٠ وما بعدها رقم ٢٢٣ ، وابن هشام في السيرة ١ / ٣٦٧ .

عن عروة ، عن عائشة : أن وليدة كانت سوداء لحى من العرب ، فاعتقوها ، فكانت معهم ، قالت : فخرجت صبية لهم عليها وشاح احمر من سيور ، قالت : فوضعتة أو وقع منها ، فمرت به حدياة وهو ملقى ، فحسبته لحما فخطفته ، قالت : فالتمسوه فلم يجدوه ، قالت : فاتهموني به ، قالت : فطفقوا يفتشون حتى فتشوا قبلها ، قالت : والله إني لقائمة معهم ، إذ مرت الحدياة فألقته ، قالت : فوقع بينهم ، قالت : فقلت : هذا الذى اتهمتموني به زعمتم وانا منه بريئة ، وهو ذا هو ، قالت : فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ، قالت عائشة : فكان لها خباء في المسجد أو حفش ، قالت : فكانت تأتيني فتحدث عندي ، قالت : فلا تجلس عندي مجلسا إلا قالت :

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني

قالت عائشة: فقلت لها : ما شأنك لار تقعين معي مقعدا إلا قلت هذا ؟ قالت : فحدثتني بهذا الحديث. (١)

الفصل الخامس والخمسون: قصص في نصيح ولاية الأمر

محمد بن واسع وبلال بن بردة.

دخل محمد بن واسع رحمه الله، على بلال بن بردة في يوم حار وبلال في حشمه وعنده الثلج، فقال بلال: يا أبا عبد الله كيف ترى بيتنا هذا؟ قال: إن بيتك لطيب والجنة أطيب منه وذكر النار يلهي عنه. قال: ما تقول في القدر. قال: جيرانك من أهل القبور ففكر فيهم فإن فيهم شغلا عن القدر، قال: ادع لي.

قال: وما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا وكل يقول؛ إنك ظلمتهم، يرتفع دعاؤهم قبل دعائي، لا تظلم ولا تحتاج إلى دعائي (٢).

ابن أبي شمله ووعظه لعبد الملك بن مروان.

كان ابن أبي شمله يوصف بالعقل والأدب فدخل على عبد الملك بن مروان، فقال عبد الملك تكلم.

قال: بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله. فبكى عبد الملك ثم قال: يرحمك الله لم يزل الناس يتواغظون ويتواصون. فقال: يا أمير المؤمنين: إن الناس في يوم القيامة لا ينجون من غصصها ومرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرض الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت (٣).

بين حطيط الزيات والحجاج.

١ - أخرجه البخاري ١١٩/١

٢ - إحياء علوم الدين ج٢ ص٥٤١. ومختصر منهاج القاصدين للمقدسي - (٢ / ٨٣)

٣ - إحياء علوم الدين - (٢ / ٣٤٦) و ذم الهوى - (١ / ٤٦) و محاسبة النفس - (١ / ١١٢)

جاء بالعالم حطيط الزيات إلى الحجاج فلما دخل عليه قال: أنت حطيط؟
 فقال: نعم: سل عما بدالك فإني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: إن
 سئلت لأصدقن، وإن ابتليت الأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن،
 قال: الحجاج، فما تقول في؟
 قال: أقول فيك إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة.
 قال: فما تقول: في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟
 قال: أقول إنه أعظم منك جرماً، وإنما أنت خطيئة من خطاياهم فأمر الحجاج أن
 يضعوا عليه العذاب، فأنتهى به إلى أن شقق له القصب، ثم جعلوه على لحمه
 وشدوده بالحبال ثم جعل يمدون - يستلون - قصبه قصبه، حتى انتحلوا لحمه،
 فما سمعوه يقول شيئاً، فقليل للحجاج إنه في آخر رمق.
 فقال: أخرجوه فارموا به في السوق.
 فقال جعفر وهو الراوي: فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط!! ألك حاجة.
 قال شربة ماء، فأتوه بشربة ثم استشهد، وكان عمره ثماني عشرة سنة - رحمه الله
 أ. هـ (١)

أبو حازم ونصحه سليمان بن عبد الملك.

حين قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وهو يريد مكة وأرسل إلى عالمها الجليل
 أبي حازم، فلما دخل عليه.
 قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت.
 قال: لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.
 فقال سليمان: كيف القدوم على الله.
 قال: يا أمير المؤمنين، أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق
 يقدم على مولاه، فبكي سليمان
 وقال: ليت شعري ما لي عند الله!!
 قال أبو حازم: أعرض نفسك علي كتاب الله حيث قال {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣)
 وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار: ١٣، ١٤]
 قال سليمان: فأين رحمه الله؟
 قال قريب من الحسنين
 قال: يا أبا حازم أي عباد الله أكرم؟
 فقال: أهل البر والتقوى.
 قال: فأأي الأعمال أفضل.
 قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم.
 قال: أي الكلام أسمع؟
 فقال: قول الحق عند من تخاف وترجو.
 قال: فأأي المؤمنين أخسر.

١ . مختصر تاريخ دمشق - (٢ / ٣٤٥) و إحياء علوم الدين - (٢ / ٣٤٦)

فقال: رجل خطأ في هوى أخيه وهو ظالم، فباع آخرته بدنياه غيره.
قال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؟
فقال: أو تعفيني؟
قال: لا بد، فإنها نصيحة تلقها إلي.
فقال: إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقد ارتحلوا، فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم.
فقال: رجل من جلسائه بئسما قلت.
قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتُمونه.
فقال: سليمان، يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح الناس؟
قال: تدع الصلف وتستمسك بالعروة، وتقسم بالسوية.
قال: كيف المأخذ به.
قال: أن تأخذ المال في حلة، وتضعه في أهله.
قال: يا أبا حازم أرفع إلي حوائجك.
قال: تنجني من النار، وتدخلني الجنة.
قال: ليس ذلك إلي، قال فلا حاجة لي غيره، ثم قام فأرسل إليه بمائة دينار فردها ولم يقبلها. (١)

بين عالم وسليمان بن عبد الملك.

هيا لنرى حرص ذلك العالم الذي لم يحفظ لنا التاريخ اسمه وإن بقية كلماته لها تأثير في النفوس المؤمنة التي ترجو ثواب الله وتخاف عقابه.
ذكر أبو حامد الغزالي في الأحياء فقال: دخل أحدهم على سليمان بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين: إني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته، فإن وراءه ما تحب إن قبلته.
فقال: إنا نجود بسعة الاحتمال على ما نرجو نصحه، ولا نأمن غشه، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه.
فقال: يا أمير المؤمنين إنه تكفئك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وبتاعوا ديناهم بدنيتهم، ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك؛ حرب الآخرة سلم الدنيا، فلا تأمنهم على من ائتمنك الله عليه، فانهم لم يألوا في الأمانة تضيعا وفي الأمة خسفا وعسفا، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنياه غيره، فقال له سليمان: أما أنك قد سللت لسانك وهو أقطع من سيفك.
قال: أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لا عليك. (٢)

الحسن البصر رحمه الله وابن هبيرة.

١ . المجالسة وجواهر العلم (٨ / ١٥٢) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٢٣، و الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء (١ / ١٨)

٢ . المجالسة وجواهر العلم - (٣ / ١٨) و أحياء علوم الدين جـ ١ ص ١٢٢ (تاريخ دمشق - (٦٨ / ١٧٤)

روي ابن خلكان عن الحسن البصري مع والي العراق ابن هبيرة فقد قال: لما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان، وذلك أيام يزيد بن عبد الملك، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين، والشعبي، وذلك سنة ثلاثة ومئة فقال لهم: إن يزيد خليفة الله، استخلفه الله على عبادته وأخذ عليهم الميثاق بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولاني ما ترون، فيكتب إلي بالأمر من أمره فأقلده ما تقلد من ذلك الأمر فما ترون؛ فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقيه.

قال ابن هبيرة ما تقول يا حسن؛

فقال: يا ابن هبيرة: خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله؛ إن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلا عملك، يا ابن هبيرة، إن تعصي الله فإنما جعل الله السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباده لسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. (١)

بين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وسليمان بن عبد الملك .

خرج سليمان بن عبد الملك وفي خلافته ومعه عمر بن عبد العزيز فلما أشرف على ثنية قديد رأى سواد عسكره، فأعجبه ذلك فقال: يا أبا حفص ما ترى هناك؟ هناك انتهزها عمر فرصة وأراد أن يرد عليه إعجابه وغروره، فقال عمر: نعم يا أمير المؤمنين أرى دنيا يأكل بعضها بعضا وأنت المبتلى بها والمسئول عنها. فبينما هو على ذلك، برقة برقت وسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرجل.

فقال له عمر: هذا صوت رحمته فكيف إذا سمعت صوت عذابه؛ ثم نظرا سليمان إلى الناس، فقال: ما أكثر الناس. فقال عمر: هم خصماؤك يا أمير المؤمنين. (٢)

حرص أبي حازم على إرشاد عمر بن عبد العزيز تذكيره .

قال: عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: عظمي.

فقال أبو حازم: أضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه. (٣) يا ليت شعري: أين الرعاة والرعية من تدبر هذه الوصية، فهلا توهمت نفسك يا صاحب المنصب، ويا صاحب المسؤولية وأنت على فراش الموت، قد فارقت الكرسي وفارقت الخدم والحشم والمال والأطيان.... هلا تخيلت في ساعة من ساعات عمرك وملك الموت قد جاء بالقرار الرباني الذي لا يفرق بين كبير ولا صغير

١ . العزلة للخطابي ص ١٢٣ - ٦٢٤. شذرات الذهب - ابن العماد - (١ / ١٣١) ووفيات الأعيان - (٢ / ٧١)

٢ . أحياء علوم الدين ج٢ ص ٢٢٨ والمصباح المضيء ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

٣ . تاريخ دمشق - (٢٢ / ٤٥) وسيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٣٥ والأحياء ج٢ ص ٢٢٩

ولا ذكر ولا أنثي، ولا بين ملك ولا وزير في هذه الحالة قد زالت الدنيا وعندها تقول " يا من لا يزول ملكه أرحم من زال ملكه ". (١)

محمد بن كعب ووصيته لعمر بن عبد العزيز - رحمه الله - .

قال محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، إنما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج الناس بما يضرهم وما ينفعه ، وكم من قوم غرهم منها مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فأستوعبهم ، فخرجوا منها ملومين لم يأخذوا منها لما أحبوا من الآخرة عدة لما كرهوا منها جنة ، وأقسم ما جمعوا من لم يحمدهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم ، فنحن محقوقون يا أمير المؤمنين أن ننظر إلى تلك الأعمال التي نغبطهم بها فنخلفهم فيها وإلى الأعمال التي نتخوف عليهم فيها فنكف عنها ، فاتق الله ، وافتح الأبواب ، وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم ورد الظالم ، ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله عز وجل ، إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، وإذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . (٢)

بين طاووس والمنصور

ورد أن أبا جعفر المنصور استدعى طاووس أحد علماء عصره ومعه مالك بن أنس رحمهما الله تعالى فلما دخلا عليه ، أطرق ساعة ثم التفت إلى طاووس فقال : له حدثني عن أبيك يا طاووس : ابن كيسان التابعي " فقال : حدثني أبي أن رسول الله (ﷺ) قال : أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل اشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله ، فأمسك ساعة ، قال ، مالك فضممت ثيابي مخافة أن يملاني من دمه ، ثم التفت إليه أبو جعفر فقال : عظمي يا طاووس ، قال نعم يا أمير المؤمنين (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ [الفجر : ٦ - ١٤] .

قال مالك : فضممت ثيابي مخافة أن يملأ من دمه ، فأمسك عنه ، ثم قال : ناولني الدواة ، فأمسك ساعة حتى أسود ما بيننا وبينه ، ثم قال : يا طاووس ناولني هذه الدواة ، فأمسك عنه فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ فقال أخشى أن تكتب بها معصية لله ، فأكون شريك فيها فلما سمع ذلك قال : قوما عني .

قال طاووس : ذلك ما كنا نبغ منذ اليوم .

قال مالك : فما زلت أعرف لطاووس فضله . (٣)

ابن أبي ذؤيب وأبي جعفر المنصور .

١ . سراج الملوك - (١ / ٢١) و العاقبة في ذكر الموت - (١ / ١٣٠) و تاريخ بغداد - (١٤ / ١٩)

٢ . المجالسة وجواهر العلم - (٣ / ٢٠) و المنهج السلوك في سياسة الملوك - (١ / ٧١٣) و سراج الملوك - (١ / ٢٤) تاريخ دمشق

٣ . وفيات الأعيان - (٢ / ٥١١) و تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٦٠ ، و مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان - (١ / ١٢٨)

عن الإمام الشافعي رحمه الله قال حدثني عمي محمد بن علي قال: إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن يزيد ، قال : فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئاً من أمر الحسن بن يزيد .

فقال الحسن: هذا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال نسأله.

فقال: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب.

فقال: أشهد أنهم تحطم في أعراض الناس، كثيرو الأذى لهم.

فقال أبو جعفر : أسمعتم .

فقال الغفاريون : يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن يزيد .

فقال: يا ابن أبي ذؤيب، ما تقول في الحسن بن يزيد.

فقال: أشهد أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه.

فقال: سمعت يا حسن ما قال فيك وهو الشيخ الصالح.

فقال: يا أمير المؤمنين سله عن نفسك؛

فقال: ما تقول فيّ؛

قال: تعفني يا أمير المؤمنين.

قال: أسألك بالله إلا أخبرني،

قال: تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك؛ !!!

قال: والله لتخبرني.

قال: أشهد أنك أخذ المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد أنك الظلم ببابك فاش.

قال: فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه، ثم قال: أما والله لولا أنني جالس هاهنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك

قال: فقال ابن أبي ذؤيب: يا أمير المؤمنين قد ولي أبي بكر وعمر وأخذ الحق وقسما بالسوية، وأخذنا بأقفاء فارس والروم وأصغرا أنوفهم.

قال: خلى أبو جعفر قفاه وخلي سبيله.

قال: والله لولا أنني أعلم أنك صادق لقتلتك.

فقال: ابن أبي ذؤيب، والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي.

قال: فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما أنصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري.

فقال: يا أبا الحارث لقد سرنني ما خاطبت به هذا الجبار، ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي.

فقال: يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهدي. (١)

بين أبي حنيفة والمنصور.

١ . أحياء علوم الدين ج٧ ص ٧٧ ، و جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس - (١ / ١٠٨)

وتعالى أخي المسلم لنري حرص أبي حنيفة على بيان الحق ورد ولي الأمر إلى الصواب، فهو لا يخاف في لومة لائم انتقض أهل الموصل على أبي جعفر المنصور ، وقد اشترط عليهم أنهم إن انتقضوا تحل دماؤهم له ، فجمع المنصور الفقهاء وفيهم الإمام أبو حنيفة . قال أليس صحيحا أنه عليه السلام قال " المؤمنون عند شروطهم (١) "

وأهل الموصل قد شرطوا ألا يخرجوا علي وقد خرجوا على عاملي، وقد حلت دماؤهم، فقال رجل منهم: يدك مبسوطة عليهم، قولك مقبول فيهم فإن عفوت فأنت أهل العفو وإن عاقبة فيما يستحقون.

فقال لأبي حنيفة: ما تقول يا شيخ؛ ألسنا في خلافة نبوة وبيت أمان ؟!!
فأجاب: أنهم شرطوا لك ما لا يملكون، وهو استحلال دمائهم، وشرطت عليهم ما ليس لك، لأن دم المسلم لا يحل إلا بأحد معان ثلاث: فأمرهم المنصور بالقيام فتفرقوا فدعاه وحده فقال: يا شيخ القول ما قلت انصرف إلى بلادك ولا تفت الناس بما هو شين إمامك فتبسط أيدي الخوارج. (٢)

رجل من الرعية وأبي جعفر المنصور .

وأخرج عن الأصمعي وغيره أن المنصور صعد المنبر فقال: الحمد لله أحمده و أستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين اذكر من أنت في ذكره، فقال: مرحبا مرحبا، لقد ذكرت جليلا، وخوفت عظيما، وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالآثم، والموعظة منا بدت، ومن عندنا خرجت، وأنت يا قائلها فأحلف بالله ما الله أردت بها، وإنما أردت أن يقال، قام فقال فعوقب فصبر فأهون بها من قائلها، واهتبلها (٣) من الله ويليك !! إني قد عرفتها وإياكم معشر الناس وأمثالها وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فعاد إلى خطبته فكأنما يقرؤها من قرطاس. (٤)

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم والمنصور.

عن إسماعيل بن عياش قال: ظهر في إفريقية جور من السلطان فلما قام ولد العباس أي الخلافة العباسية قدم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم على أبي جعفر فلما دخل عليه قال: أبو جعفر ما أقدمك؛ قال: عبد الرحمن: ظهر الجور ببلدنا فجئت لأعلمك فإذا الجور يخرج من دارك، فغضب أبو جعفر وهم به، ثم أمر بإخراجه وفي لفظ عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: أرسل إلي أبو جعفر فقدمت عليه فدخلت والربيع قائم على رأسه فاستدنانني ثم قال لي أبو جعفر، يا عبد الرحمن: كيف مررت به من أعمالنا إلى أن وصلت إلينا؟

١ . أخرجه البخاري ح ٢٢٧٤ " المسلمون عند شروطهم " و الدارقطني (٢٨/٣) ، والحاكم (٥٧/٢) ، رقم (٢٣١٠) ، والبيهقي (٢٤٩/٧)

٢ . أخبار أبي حنيفة - (١ / ٦٩) و المناقب لابن الجوزي ج٢/ ١٧

٣ - اهتبلها، أي: اغتنمها.

٤ . تاريخ الخلفاء ص٣٠٦. وتاريخ الإسلام ج ١ ص ١١٣٤ ، سير أعلام النبلاء - (٧ / ٨٥/٨٤)

فقلت يا أمير المؤمنين: رأيت أعمالنا سيئة وظلما فاشيا ظننته لبعد البلاد منك فجعلت كما دنوت منك كان أعظم للأمر، قال فنكس المنصور رأسه طويلا ثم رفعه إلي فقال: كيف لي بالرجال. قلت: أفليس عمر بن عبد العزيز كان يقول: الوالي بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها، فإن كان برا أتوه ببرهم، وإن كان فاجرا أتوه بفجورهم، فأطرق المنصور طويلا فأوماً إلى الربيع أن اخرج فخرجت، وما عدت إليه. (١)

سفيان الثوري وأبي جعفر المنصور.

عن سفيان قال: أدخلت على المهدي بمني، فسلمت عليه بالإمرة، فقال: أيها الرجل! طلبناك، فأعجزتنا، فالحمد لله الذي جاء بك، فارفع إلينا حاجتك. فقلت: قد ملأت الأرض ظلما وجورا، فاتق الله، وليكن منك في ذلك عبر. فطأ رأسه، ثم قال: رأيت إن لم أستطع دفعه؟ قال: تخليه وغيرك.

فطأ رأسه، ثم قال: ارفع إلينا حاجتك. قلت: أبناء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان بالباب، فاتق الله، وأصول إليهم حقوقهم.

فطأ رأسه، فقال أبو عبيد الله: أيها الرجل! ارفع إلينا حاجتك. قلت: وما أرفع؟ حدثني إسماعيل بن أبي خالد، قال: حج عمر، فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهما.

واني أرى ها هنا أمورا لا تطيقها الجبال (٢)

وصية شيبان إلى هارون الرشيد

وصية شيبان إلى هارون الرشيد.

لما حج هارون الرشيد قيل له يا أمير المؤمنين قد حج شيبان قال: اطلبوه لي فأتوه به، فقال هارون: يا شيبان عظمي، قال: يا أمير المؤمنين أنا رجل أكن - لا يتكلم العربية - لا أفصح بالعربية فجئني بمن يفهم كلامي حتى أكلمه. فأتي برجل يفهم كلامه فقال له: بالنبطية، قل له: يا أمير المؤمنين، إن الذي يخوفك قبل أن تبلغ المأمن أنصح لك من الذي يؤمنك قبل أن تبلغ الخوف فقال هارون الرشيد: أي شيء تفسير هذا؟

قال قل له: الذي يقول لك اتقي الله فإنك رجل مسئول عن هذه الأمة استرعاك الله عليها، وقلدك أمورها وأنت مسئول عنها فاعدل في الرعية وأقسم بالسوية وانفذ في السرية واتق الله في نفسك، هو الذي يخوفك، فإذا بلغت المأمن أمنت هذا أنصح لك ممن يقول: أنتم أهل مغفور لكم وأنتم قرابة نبيكم وفي شفاعته فلا يزال يؤمنك حتى إذا بلغت الخوف عطبت.

١. تاريخ بغداد - (١٠ / ٢١٥) و تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - (٩ / ٤٧٨) و المصباح المضيء ١٨٥ - ١٨٦

٢. سير أعلام النبلاء - (٧ / ٢٦٤-٢٦٥) و أحياء علوم الدين ج٢ - ٢٢٨ و حلية الأولياء ج٢ - ٤٤ / ٤٥.

قال: فبكي هارون الرشيد حتى رحمه من حوله ثم قال زدني قال حسبك^(١) .

وصية بهلول لهارون الرشيد .

عن الفضل بن الربيع قال حججت مع هارون الرشيد أمير المؤمنين فمررنا بالكوفة في طاق المحامل فإذا ببهلول المجنون قاعد يهذي فقلت له اسكن فقد أقبل أمير المؤمنين فسكت فلما جاء الهودج قال يا أمير المؤمنين حدثني أيمن بن نابل عن (بمني على جمل وتحتة رجل رث عليه السلام قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي) فلم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك فقلت يا أمير المؤمنين إنه بهلول المجنون قال قد عرفته وبلغني كلامه قل يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين

هب أنك ملكت العباد طرا ودان لك العباد فكان ماذا
أليس مصيرك إلى قبر يحثو ترابك هذا وهذا

فقال أجدت يا بهلول أفغيره

قال نعم يا أمير المؤمنين من رزقه الله جمالا ومالا فعف في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار قال فظن أنه يريد شيئا قال فإننا قد أمرنا أن نقضي دينك قال لا تفعل يا أمير المؤمنين لا تقض ديننا بدين أردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك من نفسك فإن نفسك هذه نفس واحدة وإن هلكت والله ما انجبرت عليها قال فإننا قد أمرنا أن نجري عليك قال لا تفعل يا أمير المؤمنين لا يعطيك وينساني أجري على الذي أجرى عليك لا حاجة لي في إجرائك ومضى هكذا قال والصواب

هب أنك قد ملكت الأرض طرا ودان لك العباد فكان ماذا
أليس تصير في قبر ويحوي تراثك بعد هذا ثم هذا^(٢)

بين شعيب بن حرب وهارون الرشيد .

قال شعيب بن حرب: بينما أنا في طريق مكة إذا رأيت هارون الرشيد، فقلت في نفسي قد وجبت عليك الأمر والنهي فقال: لي لا تفعل فإن هذا رجل جبار ومتي أمرته ضرب عنقك، فقلت في نفسي: لأبد من ذلك، فلما دنا مني صحت يا هارون، قد أذنت الأمة وأتعبت البهائم، فقال خذوه ثم أدخلت عليه، وهو على كرسي وبيده عمود يلعب به.

فقال: ممن الرجل؛

فقلت: من إفناء الناس.

فقال: ممن ثكلتك أمك!

قلت: من الأنبار.

قال: وما حملك أن تدعوني باسمي.

فقلت: أنا أدعو الله باسمه فأقول يا الله، يا رحمن، وما ينكر من دعائي باسمك، وقد رأيت الله سمي في كتابه أحب الخلق إليه محمدا، وكني أبغض الخلق إليه أبا لهب.

^١ . مختصر منهاج القاصدين للمقدسي - (٢ / ٨١) و حلية الأولياء ج٧ - ٣٢٢ ومن أخلاق العلماء ٩٥ .

^٢ . تاريخ دمشق - (٥ / ٤٠٨) تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٠٨ و إحياء علوم الدين ج٢ ص ٥٥٣ دار الحديث .

فقال: أخرجوه. (١)

صالح المري والمهدي أمير المؤمنين.

بعث المهدي إلى صالح المري ، قال صالح فلما دخلت عليه قلت يا أمير المؤمنين : احمل لله ما أكلمك به اليوم ، فإن أولى الناس بالله أحملهم لغلظة النصيحة فيه وجدير بمن له قرابة برسول الله (ﷺ) أن يرث أخلاقه ويأتم بهدية وقد ورثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثاً قطع به عذرك ، فمهما ادعيت من حجة ، وأركبت من شبهة لم يصح لك فيها برهان من الله ، حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم ، أو أقدمت عليه من شبهة الباطل واعلم أن رسول الله (ﷺ) خصم من خالف في أمته يتبزه أحكامها ومن كان محمد (ﷺ) خصمه كان الله خصمه فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حججا تضمن لك النجاة ، أو استسلم للهلكة ، واعلم أن أبطأ الصرعى نهضة صريع الهوى ، وأن أثبت الناس قدما يوم القيامة أخذها بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) فمثلك لا يكابر بتجديد المعصية ولكن تمثل له الإساءة إحسانا ، ويشهد عليه خونة العلماء وبهذه الحباله تصيدت الدنيا نظرائك ، فأحسن الحمل ، فقد أحسنت إليك الأداء ، فبكي المهدي ، ثم أمر له بشيء فلم يقبله ، وحكي بعض كتاب أنه رأي هذا الكلام مكتوبا في دواوين المهدي . (٢)

منذر بن سعيد والخليفة الناصر .

قال القاضي أبو الحسن ومن أخبار منذر بن سعيد البلوطي المحفوظة له مع الخليفة الناصر في إنكاره عليه الإسراف في البناء أن الناصر كان اتخذ لسطح القبة التي كانت على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد مغشاة ذهباً وفضة أنفق عليها مالا جسيماً وقد مد سقفها به تستلب الأبصار بأشعة أنوارها وجلس فيها إثر تمامها يوماً لأهل مملكته فقال لقرابته من الوزراء وأهل الخدمة مفتخراً بما صنعه من ذلك هل رأيتم أو سمعتم ملكاً كان قبلي فعل مثل فعلي هذا وقد ر عليه فقالوا لا يا أمير المؤمنين وإنك لأوحد في شأنك كله وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى إلينا خبره فأبهجه قولهم وسره وبينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكس الرأس فلما أخذ مجلسه قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف المذهب واقتداره عليه وعلى إبداعه فأقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال له والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله تعالى يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قلبك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين قال فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال له انظر ما تقول وكيف أنزلني منزلتهم فقال له نعم أليس الله تعالى يقول {وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف: ٣٣] فوجم

١ . وفيات الأعيان ٢ / ٤٧٠ ، تاريخ بغداد - (٩ / ٢٣٩ / ٢٤٠)

٢ . تاريخ بغداد - (٩ / ٣٠٦) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٩٤ ، و تاريخ دمشق - (٥٣ / ٤٢٣)

الخليفة وأطردت عيناه وأطرق مليا ودموعه تتساقط خشية وخشوعا لله تعالى ثم أقبل على منذر فقال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين أجمل جزائه وكثر في الناس أمثالك فالذي قلت هو الحق وقام من مجلسه ذلك وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قرمدها ترابا على صفة غيرها^(١)

العز بن عبد السلام والسلطان أيوب.

قال الشيخ الباجي: طلع عز بن عبد السلام مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة فشهد العسكر مصطفىين بين يديه ومجلس المملكة والسلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يديه، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه يا أيوب: ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوء لك ملك مصر ثم تبيح الخمر؟ فقال السلطان، هل جرى ذلك؟

فقال: نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمر وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، يناديه بأعلى صوته والعساكر واقفون، فقال السلطان أيوب: يا سيدي هذا من زمان أبي، فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون، إنا وجدنا آباءنا على أمة، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة قال الشيخ الباجي: سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر: يا سيدي كيف الحال؟ فقال: رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه. فقلت: يا سيدي أما خفته؟

فقال: والله يا بني استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامي كالقط. (٢)

الإمام النووي والظاهر بيبرس .

لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام أخذ فتاوي العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به علي قتالهم، فكتب له فقهاء الشام بذلك فأجازوه، فقال: هل بقي من أحد ف قيل له: نعم بقي الشيخ محي الدين النووي فطلبه فحضر. فقال له: اكتب خطك مع الفقهاء فامتنع. فقال: ما سبب امتناعك؟

فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير " بند قدارا " وليس لك مال ثم من الله عليك وجعلك ملكا وسمعت أن عند ألف مملوك، وكل مملوك له حياصة من ذهب وعندك مائتا جارية لكل جارية حق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله وبقيت ممالكك بالبنود والصرف من دون الحوائص وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي، أفيتتك بأخذ المال من الرعية فغضب الظاهر من كلامه، وقال: أخرج من بلدي يعني دمشق فقال: السمع والطاعة وخرج إلى نوى. فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا

^١ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض - (١ / ١٩٩) تاريخ قضاة الأندلس - (١ / ٧٢)

^٢ طبقات الشافعية الكبرى - (٨ / ٢١١) و من أخلاق العلماء ١٧٤ - ١٧٥ وعلماء في مواجهة الحكام ص ٩٧ .

وصالحائنا وممن يقتدي به فأعده إلى دمشق، فرسم برجوعه، فامتنع الشيخ، وقال لا أدخلها والظاهر فيها، فمات بعد شهر (١)

السيد نفسه وبذلها النصيحة لأحمد بن طولون

لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمة وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها، فقالت لهم متى يركب قالوا غدا، فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه، وقالت: يا أحمد بن طولون، فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة فقرأها فإذا فيها " ملكتم فأسرتم، وقدمتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أو جعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد أعريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقي الظالم، واعملوا ما شئتم فإننا صابرون وجوروا فإننا إلى الله مستجيرون، واطلموا فإننا بالله متظلمون } وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) { [الشعراء: ٢٢٧] فعدل ابن طولون لوقته (٢).

السلطان سوق نافق لو نفق عليك الصالحون لجلبوا إليك

عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، قال: كنت أطلب العلم مع أبي جعفر أمير المؤمنين قبل الخلافة، فأدخلني يوما إلى منزله قدم طعاما ومريقة من حبوب ليس فيها لحم، ثم قدم إلي زيبا ثم قال: يا جارية عندك حلواء؟ قالت: لا، قال: ولا التمر؟ قالت: ولا التمر، فاستلقى ثم تلى هذه الآية: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]

فما ولي الخلافة دخلت عليه، فقال: يا عبد الرحمن، بلغني أنك كنت تغد لبني أمية، قال: قلت: أجل كنت أفد لهم وأفد إليهم. قال: فكيف رأيت سلطاني من سلطانهم؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، والله ما رأيت من سلطانهم من الجور والظلم إلا رأيت في سلطانك، تحفظ يوم أدخلتني منزلك فقدمت إلي طعاما ومريقة من حبوب لم يكن فيها لحم، ثم قدمت إلي زيبا ثم قلت: يا جارية عندك حلواء؟ قالت: لا، قلت: ولا التمر، قالت: ولا التمر.

فاستلقيت ثم تلوت هذه الآية: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩] " فقد والله أهلك الله عدوك، واستخلفك في الأرض، فانظر ما ذا تعمل، قال: يا عبد الرحمن، إنا لا نجد الأعوان، قلت: يا أمير المؤمنين، السلطان سوق نافق لو نفق عليك الصالحون لجلبوا إليك. قال: فكأنني ألقمته حجرا، فلم يرد علي شيئا. (٣)

الفصل السادس والخمسون: قصص عن تفقد الراعي للرعية

١. الإمام النووي - (١ / ١٣) وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة - (٢ / ١٥٥)

٢. الكشكول - (١ / ٣١١) المستطرف ج١ ص ١٦٦

٣. المنتظم - (ج ٢ / ص ٤٥٢)

الحمد لله الذي ذم الهوى بالتقوى

ذكر ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيمة السلمي عن أبيه عن جده قال: بينما عمر بن الخطاب-رضي الله تعالى عنه- يطوف ذات ليلة في سكك المدينة إذ سمع امرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل سهل المحيا كريم غير ملجج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه أخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر-رضي الله تعالى عنه - لا أرى معي بالمدينة رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن. علي بنصر بن حجاج، فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فإذا هو من أحسن الناس وجهاً وأحسنهم شعراً، فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لنأخذ من شعرك، فأخذ من شعره، فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر، فقال له: اعتم فاعتم، فافتتن الناس بعينه، فقال له عمر: والله لا تساكني في بلدة أنا فيها، فقال يا أمير المؤمنين: ما ذنبي. قال: هو ما أقول لك، ثم سيره إلى البصرة، وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر إليها شيء فدست إليه المرأة أبياتاً وهي:

قل للإمام الذي تخشى بواده مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقاً أن تبينه إن السبيل سبيل الخائف الراجي
إن الهوى ذم بالتقوى فتحبسه حتى يقر بالجام وإسراج

قال. فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال: الحمد له الذي ذم الهوى بالتقوى قال: وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة، فخرجت أمه يوماً بين الأذان والإقامة متعرضة لعمر فإذا هو قد خرج في إزار ورداء وبيده الدرة، فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى، وليحاسبك الله أبيتين عبد الله وعاصم إلى جنبك، وبينني وبين ابني الفياقي، والأودية، فقال لها: إن ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن، ثم أرسل عمر إلى البصرة بريداً إلى عتبة بن غزوان فأقام أياماً ثم نادى عتبة: من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين، فليكتب، فإن البريد خارج، فكتب نصر بن حجاج: بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد، فاسمع مني هذه الأبيات:

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني وما نلت من عرضي عليك حرام
فأصبحت منفيّاً على غير ريبة وقد كان لي بالمكتين مقام
لئن غنت الذلفاء يوماً بمنية وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده بقاء ومالي جرمة فألام

فيمنعني مما تقول تكرمي وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالان فهل أنت راجعي فقد جب مني كاهل وسنام

قال: فلما قرأ عمر -رضي الله تعالى عنه- هذه الأبيات قال: أما ولي السلطان، فلا وأقطعه داراً بالبصرة في سوقها، فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة، والله سبحانه وتعالى (١)

عمر والعجوز

لم يكن عمر -رضي الله عنه - يقضي ليله سمرا في باطل ولا نوما عن أحوال رعيته بل كان يتفقد أحوال الجميع الصغير والكبير والذكر والأنثى الفقير والغني وفي هذه الليلة خرج عمر -رضي الله عنه - إلى بيت من بيوت المسلمين كان كثيرا ما يدخل ذلك البيت حتى دفع ذلك الصحابي طلحة أن يراقب عمر ليرى ماذا يصنع ونترك الحديث إلى من شاهد فليس المخبر كالمعائن
{قال طلحة بن عبد الله: خرج عمر ليلة في سواد الليل فدخل بيتا فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة
فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيكي؟

فقلت: إنه يتعاهدني مدة كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى.
فقلت لنفسي: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع؟ (٢).

قال أبو صالح الغفاري: كان عمر يتعهد امرأة عمياء في المدينة بالليل فيقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها ففعل ما أرادت، فرصده عمر فإذا هو أبو بكر كان يأتيها ويقضي أشغالها سراً وهو خليفة، فقال له: أنت هو لعمرى! (٣)

لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام

وقال أسلم مولى عمر: قدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن تحرسهم الليلة؟

قال: نعم! فباتا يحرسانهم ويصليان، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتق الله تعالى وأحسني إلى صبيك.

١ - المستطرف في كل فن مستظرف - (ج ١ / ص ٤٠٣) الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج ٣ / ص ٢٨٥)

٢ - البداية والنهاية - (ج ٧ / ص ١٥٢)

٣ - الكامل في التاريخ - (ج ١ / ص ٣٩٧)

ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى إلى أمه فقال لها: ويحك، إنك أم سوء، ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟!

فقالت: يا عبد الله إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم.

قال: وكم عمر ابنك هذا؟

قالت: كذا وكذا شهرا، فقال: ويحك لا تعجلية عن الفطام. فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء. قال: بؤسا لعمر.

كم قتل من أولاد المسلمين.

ثم أمر مناديه فنادى، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام.

وكتب بذلك إلى الآفاق (١).

يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام.

قال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة فلاح لنا بيت شعر فقصدناه فإذا فيه امرأة تمخض وتبكي، فسألها عمر عن حالها فقالت: أنا امرأة عربية وليس عندي شيء.

فبكى عمر وعاد يهرول إلى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل على ظهره دقيقا وشحما، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة وجاء، فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها - وهو لا يعرفه - يتحدث، فوضعت المرأة غلاما فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام.

فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر.

فقال عمر: لا بأس عليك، ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف. (٢)

أنت تحمل وزري يوم القيامة؟

ومن ليالي الفاروق - رضي الله عنه- تلك الليلة التي خرج فيها هو وأسلم يتفقد أحوال البلاد والعباد لأنه يعلم أنه مسئول أمام الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون

^١ - البداية والنهاية - (ج ٧ / ص ١٥٢)

^٢ - البداية والنهاية ج ٧ ص ١٣٦

إلا من أتى الله بقلب سليم وندع الحديث إلى أسلم ليروي لنا خبر تلك الليلة التي تبين لنا خوف عمر - رضي الله عنه- من السؤال يوم القيامة وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم (١)، حتى إذا كنا بصرار (٢) إذا بنار فقال: يا أسلم ههنا ركب قد قصر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون (٣)، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، قالت: وعليك السلام. قال: أدنو.

قالت: ادن أو دع.

فدنا فقال: ما بالكم؟

قالت: قصر بنا الليل والبرد.

قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟

قالت: من الجوع.

فقال: وأي شيء على النار؟

قالت: ماء أعللهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر.

فبكى عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلا من دقيق وجراب شحم. وقال: يا أسلم احمله على ظهري، فقلت: أنا أحمله عنك. فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟

فحملة على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فألقى عن ظهره وأخرج من الدقيق في القدر، وألقى عليه من الشحم، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة، ثم أنزلها عن النار.

وقال: إيتيني بصحفة.

فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدي الصبيان.

وقال: كلوا، فأكلوا حتى شبعا -والمرأة تدعو له وهي لا تعرفه- فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل علي فقال: يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم. (٤)

كيف ينام عمر بن الخطاب

١ - واقمُ أطمُ من آطام المدينة وحرّة واقمُ معروفةٌ مضافةٌ إليه (لسان العرب - ج ١٢ / ص ٦٤٢)

٢ - صراراً قال ابن الأثير هي بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة من طريق العراق (لسان العرب - ج ٤ / ص ٤٥٠)

٣ - يقال رأيت صبيانا يتضاغون إذا تباكوا (لسان العرب - ج ١٤ / ص ٤٨٥)

٤ - البداية و النهاية ج ٧ ص ١٣٦

أخرج ابن سعد، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدمت على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -من عند أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه -بثمان مائة ألف درهم، فقال لي: بماذا قدمت؟

قلت: قدمت بثمان مائة ألف درهم، فقال: أطيّبُ ويلك؟

قلت: نعم. فبات عمر ليلة أرقاً حتى إذا نُودي بصلاة الصبح قالت له امرأته: ما نمت الليلة قال: كيف ينام عمر بن الخطاب وقد جاء الناس ما لم يكن يأتيهم مثله مذ كان الإسلام؟

فما يؤمن عمر لو هلك وذلك المال عنده فلم يضعه في حقه؟

فلما صلى الصبح اجتمع إليه نفر من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فقال لهم: إنه قد جاء الناس الليلة ما لم يأتيهم مثله مذ كان الإسلام، وقد رأيت رأياً فأشيروا عليّ، رأيت أكيل للناس بالمكيال؛ فقالوا: لا تفعل يا أمير المؤمنين، الناس يدخلون في الإسلام ويكثر المال ولكن أعطهم على كتاب، فكلما كثر الناس وكثر المال أعطيتهم عليه. قال: فأشيروا عليّ بمن أبدأ منهم؟

قالوا: بك يا أمير المؤمنين إنك وليّ ذلك الأمر - ومنهم من قال: أمير المؤمنين أعلم - قال: لا. ولكن أبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب إليه؛ فوضع الديوان على ذلك، بدأ ببني هاشم والمطلب وأعطاهم جميعاً، ثم أعطى بني عبد شمس، ثم بني نوفل بن عبد مناف؛ وأنا بدأ ببني عبد شمس لأنه كان أخا هاشم لأمه^(١).

فإن لم يدر عمر ألا يدري رب عمر؟!!

لقد كانت حياة عمر رضي الله عنه - موقوفة على العمل لله ورسوله وإقامة العدل بين الرعية ورفع الظلم وتعبيد العباد إلى عبادة رب العباد وفي ليلة من الليالي خرج عمر كعادته يتفقد أحوال الرعية ويتحسس أخبارهم ليرى بعد ذلك ما يصلحهم وينفعهم وبينما هم كذلك إذ سمع حواراً بين أم وابنتها في ظلام الليل فماذا قالت الأم لابنتها؟

وماذا رد الابنة على أمها؟ وما هو موقف عمر من ذلك الحوار؟

تعال لنشرف الأذان بأحاديث أهل الإيمان

قال ابن الجوزي في المناقب: خرج عمر رضي الله عنه وأرضاه ذات ليلة، وكان يمر بالأبواب ويستمتع ماذا حدث في المدينة وماذا طرأ، هل الأمة نائمة نوماً هادئاً؟ هل أكل الناس وشربوا؟ هل الأرامل في راحة؟ هل المساكين هادئون؟ فحينها يهدأ، أما إذا كانت الأمة في ولهٍ وقلق، وفي مرض وجوع، فلا يمكن أن يصبر عمر.

^١ - أخرجه البيهقي في الكبرى ح ١٢٨٤٩

وفي جنح الظلام سمع امرأة تباع لبناً تقول لابنتها: امزجيه بالماء، قالت: إن عمر منعنا من مزج اللبن بالماء -أصدر مرسوماً في السوق يمنع بيع اللبن إلا صافياً، وهذا المرسوم من وزارة التجارة في عهد عمر رضي الله عنه وأرضاه وأي لبن يعثر عليه وقد مزج بالماء يغرم صاحبه وي تلف ماله-فقالت الأم: إن عمر لا يدري، قالت البنت: فإن لم يدر عمر ألا يدري رب عمر؟!!

فعرّف عمر البيت، وفي الصباح أتى إليهم فخطب ابنتهم لأحد أبنائه، فولدت له وأنجبت، فكانت ذرية مباركة وشجرة طيبة، ومنها عمر بن عبد العزيز.^(١)

يجب علي أن أسافر لأقضي حوائج الناس في أقطار الأرض

قال عبد الرحمن ابن عوف دعاني عمر بن الخطاب ذات ليلة وقال قد نزل بباب المدينة قافلة وأخاف عليهم إذا ناموا أن يسرق شيء من متاعهم فمضيت معه فلما وصلنا قال لي نم أنت ثم جعل يحرس القافلة طول ليلته. وقال عمر رضي الله عنه يجب علي أن أسافر لأقضي حوائج الناس في أقطار الأرض لأن بها ضعفاء لا يقدرن على قصدي في حوائجهم لبعد المكان فينبغي أن أطوف البلاد لأشاهد أحوال العمال وأسير سيرتهم وأقضي حوائج المسلمين فلا يكون في سنيّ عمر أبرك من هذه السنة^(٢)

مالهم لا يضحكون ولا يتكلمون ولا يسألون ؟

يروى ابن كثير في تاريخه: أن عمر عس ذات ليلة في ذلك العام، وقد بلغ بالناس الجهد كل مبلغ فلم يسمع أحداً يضحك، ولم يسمع متحدثاً في منزله كالعادة، ولم يرَ سائلاً يسأل، فتعجب وسأل فقل: يا أمير المؤمنين! قد سألوا فلم يجدوا فقطعوا السؤال؛ فهم في همّ وضيق، لا يتحدثون ولا يضحكون، ولا يمزحون.^(٣)

أرى أن قد أتينا ما نهى الله تعالى عنه

عن عبد الرحمن بن عوف أنه حرس مع عمر- رضي الله تعالى عنه- ليلة المدينة فبينما هم يمشون شب لهم سراج في بيت فانطلقوا يؤمونه فلما دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر: وأخذ بيد عبد الرحمن أتدري بيت من هذا؟

هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف الآن شرب قال: أرى أن قد أتينا ما نهى الله تعالى عنه قال الله تعالى: {وَلَا تَجَسَّسُوا} فقد تجسسنا فانصرف عمر- رضي الله تعالى

^١ - من محاضرة الفاروق في القرن الخامس عشر لعائض القرني

^٢ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك ج ١ ص

^٣ - من محاضرة صور و عبر للشيخ علي القرني

عنه- عنهم وتركهم ، ولعل القصة إن صحت غير واحدة ، ومن التجسس على ما قال الأوزاعي الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون فهو حرام أيضا (١)

استنكه فمه

قال الأحنف بن قيس: ما سمع النَّاسَ بمثل عمر بن الخطاب في باب الدِّين والدُّنيا، كان منوّر القلب، فطناً بجميع الأمور؛ بيناه يطوف ذات ليلة سمع امرأة تقول في الطّواف وهي تنشد: من الطويل

**فمنهنّ من تسقى بعذب مبرّد نقاخ، فتلكم عند ذلك قرّت
ومنهنّ من تسقى بأخضر آجن أجاج، ولولا خشية الله قرّت**

ففطن عمر رحمه الله ما تشكو، فبعث إلى زوجها، فقال لرجل: استنكه فمه؛ فوجده متغيّر الفم، فخيّره بين خمسمئة درهم وجارية من الفيء، على أن يطلقها؛ فاختر خمسمئة والجارية، فأعطاه، فطلقها (٢)

نعمت البدعة والتي تنامون عنها أفضل

روي أن عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة في رمضان ومعه عبد الرحمن بن عبد القاري فرأى الناس يصلون متفرقين أوزاعاً في المسجد فقال عمر لو جمعناهم على رجل واحد كان أمثل فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرج وهم يصلون خلف أبي بن كعب جميعاً فقال نعمت البدعة والتي تنامون عنها أفضل هي آخر الليل وكتب بها إلى الأمصار. (٣)

، عن أم كلثوم بنت أبي بكر ، « أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهم كان يعس بالمدينة ذات ليلة ، فرأى رجلا وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس : رأيتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة ، فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين ؟

قالوا : إنما أنت إمام ، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ليس ذلك لك ، إذن يقام عليك الحد ، إن الله تبارك وتعالى لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ، ثم سألهم ، فقال القوم مثل مقالتهم الأولى ، وقال علي -رضي الله عنه- مثل مقالته « (٤)

أي أهل المدينة أصبح؟

عن عبد الله بن بريدة الأسلمي قال خرج عمر بن الخطاب يعس ذات ليلة فإذا هو بنسوة يتحدثن فإذا هن يقلن أي أهل المدينة أصبح فقالت امرأة منهن أبو ذئب فلما أصبح سأل عنه فإذا هو من بني سليم فلما نظر إليه عمر إذا هو من أجمل

^١ - تفسير الألوسي - (ج ١٩ / ص ٢٨٣)

^٢ - مختصر تاريخ دمشق - (ج ٦ / ص ٤٣)

^٣ - تاريخ بغداد - (ج ٣ / ص ٣٨٨)

^٤ - مكارم الأخلاق للخرائطي - (ج ١ / ص ٤٢٢)

الناس فقال له عمر أنت والله ذئبهن مرتين أو ثلاثا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها قال فإن كنت لا بد مسيرني فسيرني حيث سيرت بن عمي يعني نصر بن حجاج السلمي فأمر له بما يصلحه وسيره إلى البصرة. (١)

وعمر فاغفر له إنك أنت الغفار

ذكر ابن الجوزي عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: "عسسنا مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ذات ليلة بالمدينة حتى انتهينا إلى خيمة فيها نورية، تقد أحياناً وتطفأ أحياناً، وإذا فيها صوت حزين، قال: "أقيموا مكانكم"، ومضى حتى انتهى إلى الخيمة فسمع وفهمنا، وإذا عجوز تقول:

على محمد صلاة الأبرار صلى عليه المصطفون الأخيار

قد كنت قوَّاماً بكن الأسحار فليت شعري والمنايا أطوار

هل تجمعني وحببي الدار

فبكى عمر رضي الله عنه حتى ارتفع صوته، ومضى حتى انتهى إلى الخيمة، فقال: "السلام عليكم، السلام عليكم"، فأذنت له في الثالثة، فإذا عجوز، فقال لها عمر: "أعيدي عليّ قولك"، فأعادت عليه قولها بصوت حزين، فبكى عمر، ثم قال: "وعمر لا تنسيه رحمك الله"، فقالت: "وعمر فاغفر له إنك أنت الغفار" (٢) ما حيين (٣)

نفر من أهلك يا أمير المؤمنين

عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال كان عمر بن الخطاب يعس المسجد بعد العشاء فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجه إلا رجلاً قائماً يصلي فمر بنفر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهم أبي بن كعب فقال من هؤلاء قال أبي نفر من أهلك يا أمير المؤمنين قال ما خلفكم بعد الصلاة قال جلسنا نذكر الله قال فجلس معهم ثم قال لأدناهم إليه خذ قال فدعا فاستقرأهم رجلاً رجلاً يدعون حتى انتهى إلي وأنا إلى جنبه فقال هات فحصرته وأخذني من الرعدة أفكّل (٤) حتى جعل يجد مس ذلك مني فقال ولو أن تقول اللهم اغفر لنا اللهم ارحمنا قال ثم أخذ عمر فما كان في القوم أكثر دمة ولا أشد بكاء منه ثم قال إياها الآن فتفرقوا (٥)

١ - حديث ابن ديزيل (ص: ٤٥)

٢ - (ابن الجوزي: مناقب ص ٨٢، ٨٣، ابن مبارك ص ٣٦٢، ٣٦٣، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ١٣ / ق ١١٣، المتقي الهندي: كنز العمال

٥٦٢/١٢، ونسبه لابن المبارك وابن عساكر. وهو منقطع.)

٣ - تاريخ واسط (ص: ١٨٧)

٤ - في الطبقات: (من الرعدة أفكّل)، وفي القاموس ص ١٣٤٩: "أفكّل: كأحمد: الرعدة".

٥ - ابن سعد: الطبقات ٢٩٤/٣، وإسناده صحيح، البلاذري: أنساب الأشراف (الشيخان: أبو بكر وعمر) ص ٢٣٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ١٣

/ ق ١١، ابن الجوزي: مناقب ص ٨٨.)

ما رأيت كالليلة منظرًا أقبح من شيخ ينتظر أجله"،

ذكر أبو القاسم عن السدي قال: "خرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فإذا هو بضوء ونار، ومعه عبد الله بن مسعود، قال: فاتبع الضوء حتى دخل داراً فإذا سراج في بيت فدخل وذلك في جوف الليل، فإذا شيخ جالس وبين يديه شراب وقينة تغنيه، فلم يشعر حتى هجم عليه، فقال عمر: "ما رأيت كالليلة منظرًا أقبح من شيخ ينتظر أجله"، قال: فرفع الشيخ رأسه فقال: "بلى يا أمير المؤمنين، ما صنعت أنت أقبح، إنك تجسست وقد نهى عن التجسس، ودخلت بغير إذن"، فقال عمر: "صدقت"، ثم خرج عاضاً على يديه يبكي، وقال: ثكلت عمر أمه إن لم يغفر له ربه، هذا كان يستخفي بهذا من أهله فيقول الآن: رأني عمر فيتتابع فيه".

قال: وهجر الشيخ مجالس عمر حيناً فبينما عمر بعد ذلك بحين جالس إذا هو به قد جاء شبه المستخفي حتى جلس في آخريات الناس، فرآه عمر فقال: "عليّ بهذا الشيخ"، فأتي فقبل له: "أجب"، فقام وهو يرى أن عمر سيؤنبه بما رأى منه، فقال له عمر: "ادن مني"، فما زال يذنيه حتى جلس بجانبه، فقال: "ادن مني أذنك"، فالتقم أذنه، فقال: "أما والذي بعث محمدًا بالحق رسولاً ما أخبرت أحداً من الناس بما رأيت منك ولا ابن مسعود، وكان معي"، فقال: "يا أمير المؤمنين! ادن مني أذنك"، فالتقم أذنه، فقال: "ولا أنا والذي بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحق رسولاً عدت إليه حتى جلست مجلسي هذا"، فرفع عمر صوته فكبر ما يدي الناس من أي شيء يكبر".^(١)

{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ}

قسم وربّ الكعبة حق

عن جعفر بن زيد أن عمر خرج يعسّ بالمدينة ليلة، ومعه غلام له، وعبد الرحمن بن عوف، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه وهو قائم يصلي، فوقف يسمع لقراءته، فقرأ: "والطور" حتى بلغ "إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ" فقال عمر: قسم وربّ الكعبة حق، امض لحاجتك، فاستسند إلى حائط، فمكث ملياً، فقال له عبد الرحمن: امض لحاجتك، فقال: ما أنا بفاعل الليلة إذ سمعت ما سمعت. قال: فرجع إلى منزله فمرض شهراً، يعوداه الناس لا يدرون ما مرضه. (٢)

أي القرآن أعظم؟

في ليلة مظلمة يلقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركباً يضم هذا الرجل المبارك، ويخيم الليل بظلامه فيحجب الركب عن عمر رضي الله عنه، فيسأل عمر بن الخطاب: من أين القوم؟

^١ - أبو القاسم: سير السلف ص ١٨٥، ١٨٦، وهو منقطع.

^٢ - مختصر تاريخ دمشق - (ج ٦ / ص ٣٢)

فيجيبه هذا الرجل المبارك من وسط هذا الركب الكريم قائلاً: من الفج العميق! فيسأل عمر: إلى أين تريدون؟

فيجيب الرجل: البيت العتيق، فيعي عمر الأمر فيقول: إن في الركب عالماً. وأنصتوا بالسمع وأحضروا القلب إلى هذا الحوار الكريم بين فاروق الأمة وبين هذا الرجل العظيم المبارك.

فيسأل عمر: أي القرآن أعظم؟ فيجيب الرجل من وسط الركب: **{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ}** [البقرة: ٢٥٥].

فيسأل عمر: أي القرآن أحكم؟ فيجيب الرجل المبارك من وسط الركب الكريم قائلاً: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى}** [النحل: ٩٠].

فيسأل عمر: أي القرآن أجمع؟ فيجيب الرجل: **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}** [الزلزلة: ٧-٨].

فيسأل عمر: فأى القرآن أخوف؟ فيجيب الرجل المبارك: **{لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا}** [النساء: ١٢٣].

فيسأل عمر: أي القرآن أرجى؟ فيجيب الرجل: **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** [الزمر: ٥٣].

فينادي عمر قائلاً: أفيكم عبد الله بن مسعود؟!

-إنه الغلام المعلم، والفقيه المفهم، والقارئ الملقن- فيجيب الركب قائلاً: اللهم نعم (١)

مه إنما سألني أمجنون أنت فقلت لا

عن عمر بن حفص عن شيخ قال لما ولي عمر بن عبد العزيز خرج ليلة ومعه حرسى فدخل المسجد فمر في الظلمة برجل نائم فعثر به فرفع رأسه إليه.

فقال أمجنون قال لا فهم به الحرسى فقال له عمر مه إنما سألني أمجنون أنت فقلت لا (٢)

يا عمر الخيرات ذا المكارم

^١ - صفة الصفوة (١/ ٤٠٠)

^٢ - تاريخ دمشق [جزء ٤٥ - صفحة ٢٠٦]

عن سعيد بن عمرو بن جعدة قال لما ولي عمر بن عبد العزيز المدينة كان ينقطع إليه رجل من بني دارم يقال له تكين وقال الزهري في حديثه دكين بن سعد يسامره بالليل مع أبي عون وسالم.

قال فقال له ليلة من ذاك أصلحك الله إني لأرى لك هيئة ما الدنيا عنك بمنقطعة حتى تلي ولاية أجشم من هذه قال وما علمك؟

قال ما هي إلا فراسة فما لي عليك.

قال إن كان ذلك أحسنت إليك قال هات يدك فأعطاه يده .

قال فلما ولي عمر الخلافة انقطع إليه دكين فاستأذن فقال له البواب إنه عنك في شغل إنه في رد المظالم فأعد أبياتا لخروج عمر إلى الصلاة ثم ناداه نداء الأعرابي :

يا عمر الخيرات ذا المكارم وعمر الدسائع (١) العظام

إني امرؤ من قطن بن دارم أنشد حق المسلم المسالم

بيع يمين بالإخاء الدائم إذ ينتحي والله غير نائم

ونحن في ظلمة ليل عاتم عند أبي عون وعند سالم

قال فعرف عمر القصة فدخل على أمهات أولاده فما زال يجمع له من عندهن العشرة والعشرين حتى جمع له ثلاثمائة وكانت من عمر عطية (٢)

دهاء المنصور

قال ابن حيان: كان جالسا في بعض الليالي، وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر؛ فدعا بأحد الفرسان، وقال له انهض إلى فجّ طليارش، واقم فيه؛ فأوّل خاطر يخطر عليك، سقه إليّ. قال: فنهض الفارس، وبقي في الفج في البرد والريح والمطر واقفا على فرسه، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له، ومعه آلة الحطب؛ فقال له الفارس: (إلى أين تذهب، يا شيخ؟) فقال: (وراء حطب). فقال الفارس في نفسه: (هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل يسوق حطباً. فما عسى أن يريد المنصور منه؟) قال: فتركته. فسار عني قليلا؛ ثم فكرت في قول المنصور، وخفت سطوته؛ فنهضت إلى الشيخ، وقت له: ارجع إلى مولانا المنصور. فقال: وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي؟ سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي! (فقال له الفارس:) لا أفعل (ثم قدم به على المنصور، ومثله بين يديه، وهو جالس، لم ينم ليلته تلك. فقال المنصور للصقالبة:) فتشوه! (ففتش؛ فلم يوجد عنده شيء؛ فقال: فتشوا برذعة حمارة! فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا إلى المنصور، يحزمون عنده إلى أصحابهم من النصارى ليقبلوا

^١ - الدسائع جمع دسيعة وهي العطايا أو الشمائل

^٢ - تاريخ دمشق (١٧/ ٣٠٧)

ويضربوا في إحدى النواحي المعلومّة. فلما انبلج الصبح، أمر بإخراج أولئك النصاري إلى باب الزاهرة؛ فضربت أعناقهم، وضربت رقبة الشيخ معهم. (١)

انتهى بفضل الله تعالى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى

الشيخ السيد مراد السيد سلامة

الفهرس

المقدمة	٣
الباب الأول: قصص عن العلم وطلبه	٦
الفصل الأول: الحرص على طلب العلم	٦
الفصل الثاني: الرحلة في طلب العلم	١١
الفصل الثالث: تعظيم الحكام لمنزلة العلماء	١٩
الباب الثاني العقيدة	٢٠
الفصل الأول: قصص في الإخلاص	٢٠
الفصل الثاني قصص في حُسن الإتياع	٣٢
الفصل الثالث قصص في التوكل على الله	٤٢
الفصل الرابع: قصص عن اليقين	٤٩
الفصل الخامس: قصص عن المراقبة	٥٨
الفصل السادس قصص عن التوسل	٦١

^١ - البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب - (ج ١ / ص ٢٧٠)

٦٣.....	الفصل السابع قصص عن التحذير من الشرك.....
٦٤.....	الفصل الثامن: قصص عن الإلحاد بالله.....
٦٩.....	الفصل التاسع: قصص عن التحذير من النذر لغير الله.....
٧٠.....	الفصل العاشر: التحذير من التشبه بأهل الكتاب.....
٧٠.....	الفصل الحادي عشر: قصص ومواقف عن البدعة والتحذير منها.....
٧٢.....	الفصل الثاني عشر: قصص عن في النفاق والمنافقين.....
٧٣.....	الفصل الثالث عشر: قصص عن مولاة الكفار.....
٧٤.....	الفصل الرابع عشر: قصص عن الرياء.....
٧٧.....	الفصل الخامس عشر: قصص عن التطير.....
٧٨.....	الفصل السادس عشر قصص عن التمائم.....
٨٠.....	فصل السابع : الذبح لغير الله.....
٨١.....	الفصل الثامن عشر الاستغاثة بغير الله.....
٨٢.....	الفصل التاسع عشر: عن الكهان وحرمة إتيانهم.....
٨٤.....	الباب الثالث: لعبادات.....
٨٤.....	الفصل الأول: المحافظة على الصلاة.....
٨٨.....	الفصل الثاني: تحويل القبلة.....
٨٩.....	الفصل الثالث: حرص ولادة الأمر على أقامه الصلاة في جماعة.....
٩٢.....	الفصل الرابع: رهبان الليل.....
١٠٩.....	الفصل الخامس: قصص المنفقين والمنفقات.....
١١٨.....	الفصل السادس: قصص عن الصائمين.....
١٢٦.....	الفصل السابع: قصص في رحاب الحج.....
١٢٩.....	الفصل الثامن: قصص في رحاب القرآن.....
١٣٨.....	الفصل التاسع: قصص المجاهدين في سبيل الله.....
١٥٤.....	الباب الرابع الأخلاق الحسنة والمعاملات.....
١٥٤.....	الفصل الأول: قصص عن الشهامة.....

١٦٢.....	الفصل الثاني: قصص عن الإيثار.....
١٦٨.....	فصل الثالث: قصص عن الرحمة.....
١٧٥.....	الفصل الرابع: قصص عن الحلم.....
١٨٥.....	الفصل الخامس: في رياض الشاكرين.....
١٨٩.....	الفصل السادس من رائع حفظ الأمانات.....
١٩٥.....	الفصل السابع: قصص عن الوفاء.....
٢٠٥.....	الفصل الثامن: رحاب العفة.....
٢١٥.....	الفصل التاسع: قصص عن المروءة.....
٢٢٤.....	الفصل العاشر: قصص عن العزة الأنفة.....
٢٣٨.....	الفصل الحادي عشر: قصص عن حفظ اللسان.....
٢٤٣.....	الفصل الثاني عشر: قصص عن حفظ السمع.....
٢٤٤.....	الفصل الثالث عشر: قصص عن غض البصر.....
٢٤٩.....	الفصل الرابع عشر: قصص عن الورع.....
٢٥٥.....	الفصل الخامس عشر: قصص عن سلامة الصدر.....
٢٥٩.....	الفصل السادس عشر: قصص عن الكرم والسخاء.....
٢٦٦.....	الفصل السابع عشر: مع الزاهدين والزاهدات.....
٢٨١.....	الفصل الثامن عشر: قصص في روضة أهل الرفق.....
٢٨٧.....	الفصل التاسع عشر: قصص عن البشارة.....
٢٨٨.....	الفصل العشرون: قصص عن البشاشة.....
٢٩٠.....	الفصل الحادي والعشرون: قصص عن التيسير.....
٢٩١.....	الفصل الثاني والعشرون: قصص عن الحمد.....
٢٩٤.....	الفصل الثالث والعشرون: قصص عن السكينة.....
٢٩٥.....	الفصل الرابع والعشرون: قصص عن المسارعة إلى الخيرات.....
٢٩٧.....	الفصل الخامس والعشرون: قصص عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
٣٠٨.....	الفصل السادس والعشرون: قصص عن المزاح.....
٣١٢.....	الفصل السابع والعشرون: قصص عن الشجاعة والإقدام.....

٣١٧.....	الفصل الثامن والعشرون: قصص عن العفو عند المقدرة.....
٣٢٣.....	الفصل التاسع والعشرون: قصص عن جبر الخواطر.....
٣٣٢.....	الفصل الثلاثون: الأمل إكسير الحياة.....
٣٣٤.....	الفصل الحادي والثلاثون: قصص عن نصرة المظلوم.....
٣٣٥.....	الفصل الثاني والثلاثون: قصص العناية بكبار السن.....
٣٣٨.....	الفصل الثالث والثلاثون: قصص عن كفالة اليتيم.....
٣٤١.....	الفصل الرابع والثلاثون: قصص عن الإيجابية.....
٢٤٤.....	الفصل الخامس والثلاثون: قصص عن الميراث.....
٣٤٦.....	الفصل السادس والثلاثون قصص عن النظافة.....
٣٤٧.....	الفصل السابع والثلاثون: قصص عن إتقان العمل.....
٣٥٠.....	الفصل الثامن والثلاثون: قصص عن انتهاز الفرصة.....
٣٥٥.....	الفصل التاسع والثلاثون: قصص عن نعمة المياه.....
٣٥٩.....	الفصل الأربعون: قصص عن العناية بالأسرى.....
٢٧٢.....	الفصل الحادي والأربعون: قصص عن التعايش السلمي.....
٣٦١.....	الفصل الثاني والأربعون: محبة الأوطان.....
٣٦٤.....	الفصل الثالث والأربعون: قصص عن الحجاب.....
٣٦٦.....	الفصل الرابع والأربعون: خطورة الفتوى.....
٣٦٧.....	الفصل الخامس والأربعون: قصص عن السعادة.....
٣٦٨.....	الفصل السادس والأربعون: إسهامات المرأة المسلمة.....
٣٦٩.....	السابع والأربعون: قصص عن توقير العلماء وأهل الفضل.....
٣٧١.....	الفصل الثامن والأربعون: قصص عن حرمة المال العام.....
٣٧٣.....	الفصل التاسع والأربعون: قصص عن ذوو الاحتياجات الخاصة.....
٣٧٤.....	الفصل الخمسون: قصص عن ثقافة الحوار وآدابه.....
٣٨١.....	الفصل الحادي والخمسون إسهامات الشباب في الحضارة الإسلامية.....
٣٨٤.....	الفصل الثاني والخمسون: قصص عن الدين المعاملة.....
٣٨٦.....	الفصل الثالث والخمسون: قصص عن عبادة الأطفال.....

- الفصل الرابع والخمسون: قصص عن علو الهمة عند النساء.....٣٩٧
- الفصل الخامس والخمسون: قصص في نصح ولالة الأمر.....٤٠٣
- الفصل السادس والخمسون: قصص عن تفقد الراعي للرعية.....٤١٥